

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع ، أخبر سبحانه
 بما أفهم أن قومه لم يجدوا عنه جواباً أصلاً لأنهم انتقلوا إلى الدفاع'
 بالفعل ، وهو أمانة / الانقطاع ، فقال مستأنفاً : (قال الملا) أى
 ٣٢٢ / الأشراف (الذين استكبروا) أى أوجدوا الكبر إيجاداً من هو طالب له
 بغاية الرغبة ، وخصهم ليحصل تمام التسلية بقوله : (من قومه لخرجنك)
 وبين غلظتهم و جفاءهم بقولهم : (ينشعب) من غير استعطاف
 ولا إجلال (والذين آمنوا) ويجوز أن يتعلق قوله : (معك)
 بـ " آمنوا " وبـ ' نخرج ' (من قريباً) أى من المكان الجامع لنا
 لمفارقكم إيانا (أو لنعودن) أى إلا ' أن تعودوا ، أى ليكون آخر
 الأمرين : إما الإخراج وإما العود (فى ملتنا) أى بالسكوت عنا كما كنتم ،
 ١٠ ولم يريدوا منه العود إلى الكفر لأنه صلى الله عليه وسلم كان محفوظاً قبل
 النبوة كإخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، بل كانوا يعدون سكوتهم
 عليه السلام - قبل إرساله إليهم من^٢ دعائهم و سب آلهتهم و عيب دينهم -
 كونا فى ملتهم ، و مرادهم الآن رجوعه عليه السلام إلى تلك الحالة
 (١) من ظ ، وفى الأصل : الرقاع (٢) من ظ ، وفى الأصل : الى (٣) فى
 ظ : عن .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧ : ٨٨ و ٨٩) ج - ٨

و"القناعة من اتبعه" بذلك ، فيكون مرادهم بالعود حقيقة^٢ في الجميع^٣ .
ولما كان كل من الإخراج و الرد مستعظما ، أخبر تعالى أنه أنكره
بقوله : ﴿ قال اولو ﴾ أى أخرجونا أو تعيدونا لو كنا راضين للإخراج
و العود و لو ﴿ كنا كرهين ﴾ .

٥ . ولما كان العرب أبعد الناس من مطلق الكذب و أشدهم له تحاميا
و منه نقرة فكيف بالكذب على الأكابر فكيف به^٤ على الملوك فكيف به
على ملك الملوك ! علق الكذب على الله تعالى بالعود إلى ملتهم بقوله مستأنفا
الإخبار لمن تشوف إلى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين و توقع غيره :
﴿ قد افترينا ﴾ أى تعمدا الآن بما نقوله^٥ لكم ، أى^٦ من [أن - ^٧]
١٠ . الله حرم الكفر و الإقرار عليه ﴿ على الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة
﴿ كذبا ﴾ و يحوز أن يكون تنوينه للتعظيم ، و يحوز أن يكون للتحقير ،
ولكل وجه يدعو إليه المقام لا يخفى ﴿ ان عدنا ﴾ أى ساعة من الدهر
﴿ فى ملتكم ﴾ أى بسكوتنا أو بسكوتى و كفر من كان ممن تبغى كافرا
﴿ بعد اذ نجّنا الله ﴾ أى الملك الأعلى خارقا للعادة بما كنا جديرين
١٥ . بالانغماس فيه متابعة الآباء و الأجداد و العشيرة بما له من القدرة و العظمة
﴿ منها^٨ ﴾ أى إن^٩ فعلنا ذلك فقد ارتكبنا أقبح القبائح على بصيرة منا
بذلك ، فهو تعليق^{١٠} على محال عادة ، وهو من وادى^{١١} قول الأشر النخى :

(١) فى ظ : تبعه (٢) من ظ ، وفى الأصل : حقيقته (٣) فى ظ : الجمع (٤) فى ظ :
بالكذب (٥) فى ظ : نقول (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : أى .
(٩) من ظ ، وفى الأصل : تعليقا (١٠) فى ظ : واد .

'بقيت وفري وانحرفت عن العلي و لقيت أضيافى بوجه عبوس'
 إن لم أشن على ابن هند غارة لم نخل^٢ يوما من نهاب نفوس
 غير أن المعلق في البيت تقديرى، وفي الآية تحقيق، لأنهم أخبروهم
 أن الله تعالى نهى عن الكفر و أمرهم بانذار كل كافر، فتي تركوا ذلك
 لزمهم الكذب حتما ﴿و ما يكون لنا﴾ أى ما يصح و ما يتفق ه
 ﴿ان نعود فيها﴾ أى ملتكم .

ولما كان لله^٢ سبحانه أن يفعل ما يشاء لا واجب عليه ولا قبيح
 منه، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿آآ ان يشاء الله﴾ فذكر اسم الذات
 إشارة إلى أن له جميع الحمد لذاته؛ ثم ذكر صفة الإحسان عيادا من أن
 يراد بهم الهوان فقال : ﴿ربنا^٤﴾ أى خرق العادة فله ذلك، فهو من ١٠
 باب التذكر للخوف و الإشراف على إمكان سوء العواقب للصدق في التضرع
 إلى الله تعالى و الالتجاء إليه و الاستعاذة من مكروه، و لذلك أتى باسم
 الجلالة الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى و صفة الربوبية الملتبس بذكرها
 فعل ما يفعل الربى الشفيق، فكأنه قال : إن عودنا^٥ فى^٥ ملتكم غير ممكن
 عادة، و المحال^٦ عادة لا يقدر عليه إلا باقدار من الله، بل و لا توجه الهمم ١٥
 إليه، و الله تعالى أكرم من أن يعود فيها و هبه^٦ لنا من هذا الأمر الجليل،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ و معجم الشعراء ٣٦٢، وفي الأصل:
 لم يخل (٣) فى ظ : الله (٤) فى ظ : عدا (٥) من ظ، وفي الأصل : الى .
 (٦) زيد بعده فى الأصل : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) من ظ،
 وفي الأصل : وجهه .

و ينزع عنا هذا اللباس الجميل ، و هو صريح في أن الكفر يكون بمشيئة
الله ، بل ولا يكون إلا بمشيئته ، وقوله : ﴿ وسع ربنا ﴾ أى / المحسن
إلينا ﴿ كل شيء علما ﴾ زيادة في حث أمته على الالتجاء^١ و التبرئ من
الحول و القوه ، أى لا علم لنا بجواهر الأعمال و العلم لله فهو التام العلم الكامل
القدرة ، فهذه الجملة كالتعليل للتعليل بالمشيئة [قطعا - ٢] لما عساه أن
يحدث من طمع المخاطبين في عودهم ، كأنه قيل : وإنما علقنا العود بالمشيئة
لنقص علومنا ، فربما كان في سعة علمه قسم ثالث ، و هو أن نكون في
القرية على ديننا و تكونون أتم أولا ، أو توافقونا^٣ على ما نحن عليه ،
و هكذا ينبغي للربوب ، و لا ينبغي الجزم بأمر^٤ يستقبل^٥ إلا الله ربنا لإحاطة
١٠ عليه ، والآية تدل على أنه كان في الأزل علما بكل شيء من الكليات
و الجزئيات لأن ”وسع“ ماض ، وقد تقدم في الأنعام أن قول الخليل
عليه السلام و هذا وآية الكهف من مخبر واحد - و الله أعلم .

و لما كان المراد من هذا ما ذكر ، كان مزجها للقلوب مقلقا للنفوس
مزجعا للخواطر مزلزلا للأفكار بتأمل هذه الأخطار المشفية على غاية
١٥ الخسار ، فكان المؤمنين قالوا^٦ : ما العمل و أين المفر ؟ فقال : ﴿ على الله ﴾
أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، وحده لا على غيره ﴿ توكلنا ﴾^٧
أى^٨ فوضنا جميع أمورنا إليه ، و هو أكرم من أن يختار لنا غير الإرشد
(١) في ظ : التجاء (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : توافقوا لنا - كذا .
(٤) من ظ ، وفي الأصل : بأمره (٥) في ظ : يستقبل (٦) في الأصل : فقالوا ،
وقد سقط من ظ (٧) في ظ : أو .

وقد تبرأنا من حولنا وقوتنا واعتصمنا بحوله وقوته، وجعلنا جميع أمورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل أمر موكله عنه ويربحه من همه وقلقه منه .

ولما جرت العادة بأن الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله ، أتبع

- ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر الحق وخذل المبطل . فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ افتح ﴾ أى احكم ﴿ بيننا ﴾ ولما كان يريد استعطافهم لإسعادهم قال : ﴿ وبين قومنا ﴾ وفيه إشارة إلى ميله "إلى الدعاء" بهدایتهم ، وأدب "بعدم التصريح بما" لم يؤذن له فيه ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الفصيل من معاملة كل من الحق والمبطل بما يستحقه شرعا وعرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية ١٠

أمره وهذا مقام الإنصاف ، فقد علم من إشارة قوله "العناية بقومه ، ومن عبارته الإنصاف" من نفسه ، ولو أراد ترجيح نفسه ومتبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل وأن يعامل ضدّهم بالعدل ، والآية معلنة بأن له تعالى أن يفعل ما يريد من خذلان الظالم ونصر المظلوم وتعذيب العاصي وإثابة

- الطائع وعكس ذلك ، "لا يستل عما يفعل" لأنه التام الملك العظيم الملك ١٥ الشامل القدرة الحكيم الخبير ، ويجوز أن يكون المراد : لا نعود إلى ما كنا عليه من السكوت عن دعائكم إلى الله ونهيكم عن أفعال الضلال لأننا أمرنا بانذاركم إلا أن يشاء الله سكوتنا بأمره يحدثه إلينا في ذلك

(١) في ظ : أتبعه (٢-٢) في ظ : بالدعاء (٣) في ظ : بادب (٤) من ظ ، وفي الأصل (: م-ه-ه) تأخر ما بين الرقيين في الأصل عن « ولم يجد مخلصا » والترتيب من ظ (٦) في ظ : باحد .

لمصلحة اقتضاها عليه وقصرت عنها علومنا، فاذا أراد ذلك وأمرنا به فعلنا، فله الخلق والأمر .

و لما أشار إلى الدعاء لقومه، أشار - بالعطف على^١ غير معطوف^٢ عليه ظاهر - إلى أن التقدير: فأنت خير الراحمين: ﴿وانت خير الفتحين﴾^٣ أي على من^٤ سدت عليه الأبواب ولم يجد مخلصا .

و لما انقضى جواب الفصل المبني على إبطال الفضل وإظهار العدل، ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له^٥ على ما مضى من قولهم أو على قوله . وكان الأصل أن يقال: وقالوا، ولكنه أظهر الوصف بالشرف^٦ إشارة إلى أنه الذي حملهم على نتيجة الاستكبار وهي الكفر، ثم لم يرضوا^٧ ١٠/٣٢٤ به^٨ حتى أضافوا إليه تكفير غيرهم فقال: / ﴿وقال الملا﴾ أي الأكابر ﴿الذين﴾ يملأون العيون مرأى والقلوب مهابة، فحملهم التكبر على أنهم ﴿كفروا﴾ .

و لما كان من المستبعد أن يكون أقاربه يتكبرون عما أتاهم به من الخير لحسد؛ أو اتهام أو غيرهما، فكان ربما ظن أن^٩ هؤلاء الذين يعاملونه بهذه الغلظة أجانب عنه، قال: ﴿من قومه﴾ يانا لأن الفضل بيد الله فقد يؤتيه البغيض البعيد ويمنعه الحبيب القريب ”انك لا تهدي من احببت“، وطأوا للقسم بقولهم^{١٠}: ﴿لئن اتبعتم﴾ أي أيها الاتباع ممن لم يؤمن بعد ﴿شعبيا﴾ أو^{١١} تركتم ما أنتم عليه مما أورثه لكم

(١) في ظ: الى (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ فخذناها .
(٣) سقط من ظ (٤) في ظ: الحسد (٥) - سورة ٢٨ آية ٥٦ (٦) في ظ: بقوله .
(٧) في ظ: أي و .

آباؤكم؛ و أجاب^١ القسم بما^٢ سد عن جواب الشرط بقوله: ﴿انكم اذا﴾
 أى وقت اتباعه ﴿لخسرون ه﴾ أى لأنكم استبدلتم بدين الآباء غيره^٣
 و حرمت فوائد البخس و التطفيف؛ و قطع السبل .

و لما كل إنهم بالضللال و الإضلال ، استحقوا الأخذ فقال :

﴿ فاخذتهم ﴾ أى قسب عن أقوالهم هذه و أفعالهم أنه أخذتهم ه
 ﴿ الرجفة ﴾ أى^٤ الزلزلة العظيمة فى القلوب أو الديار التى كانت سببا
 للصيحة أو مسية عنها ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و تقدم
 سرتوحدها ﴿ جشمن على ﴾ أى باركين على الركب أو لازمين أمكتهم
 لا حراك بهم ، و هذا دون ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم لما نزلت
 الملائكة بحين ، فكان الكفار يسمعون فى أجوافهم مثل وقع الحصى ١٠
 فى الطست ، و دون ما كان يحد مخالفه من الرعب منه مسيرة شهر من
 ورائه و شهر من أمامه ، و لكونه كان نبي الرحمة ما اقتضى ذلك
 الهلاك بل النجاة .

و لما أخبر سبحانه بهلاكهم و ما سبه من أقوالهم و أفعالهم ، و كان

للتخلص من العظمة فى القلوب بتصوير المخلص للأذهان [ما - ٧] لا يخفى ، ١٥
 لخص ذلك^٥ ذاكر لأنه^٦ حل بهم [بالخصوص - ٧] ما نسبوا إلى المؤمنين
 من الخسارة فقال : ﴿ الذين كذبوا شيعيا ﴾ أى نسبوه إلى الكذب
 فيما قاله عنا و أيدناه فيه بالبينات ﴿ كان ﴾ أى هم المخصوصون بالهلاك

(١) فى ظ : جواب (٢) فى ظ : هنا (٣) فى ظ : عليه (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 التضعيف - كذا (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذناها .
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : قضى (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : ذكر أنه .

حتى كأنهم ﴿لم يغنوا﴾ أى ينزلوا و يقيموا ، و بطل مقامهم لاهين
بالأفراح و الغناء 'و الاستغناء من' المغنى و هى المنازل و الاستغناء'
﴿فيهاج﴾ أى الدار بسبب تكذيبهم .

و لما كان تكذيب الصادقين لاسيما الرسل فى غاية الشناعة ، كره
٥ إشارة إلى ذلك و إعلاما بأنه سبب لهم أعظم من هلاك الأشباح ضد ما
سبب التصديق للوثنيين فقال : ﴿الذين كذبوا شعييا﴾ أى فكان تكذيبه
سيئا لهلاكهم ﴿كانوا﴾ أى بسبب التكذيب أيضا ﴿هم﴾ أى خاصة
﴿الخسرين﴾ أى خسروا أرواحهم كما خسروا أشباحهم فهم لما سوى ذلك
أخسر ، و أما الذين اتبعوه فما نالهم شئ من الخسارة ، و فى هذا الاستئناف
١٠ و الابتداء و التكرير مبالغة فى رد مقالة الملا^٢ لأشباعهم و تسفيه آرائهم
و استهزاء بنصحهم لقومهم و استعظام لما جرى عليهم .

و لما صارت تلك الدار محل الغضب ، سبب ذلك أن هاجر عنها كما
كانت عادة من قبله من الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ﴿قولى عنهم﴾
بعد نزول العذاب و قبله عند رؤية مخايله ذاهبا إلى مكان غيره^٢ ، بعد ربه
١٥ فيه ﴿وقال﴾ متأسفا على ما فاته من هدايتهم ﴿يقوم﴾ أى يا عشرينى
و أقرب الناس إلى ﴿لقد ابلغتكم﴾ و لعله جمع 'لأجل كثرة' ما أنام
به من المعجزات فقال : ﴿رسلت ربي﴾ أى المحسن إلى بانجائى و من تبغى
من عذابكم لتوفيقه لنا إلى ما يرضيه ﴿و نصحت﴾ أى و أوقعت / النصح

/ ٣٢٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : هذه (٣) فى ظ :
غير - كذا (٤ - ٤) فى ظ : لكثرة (٥) سقط من ظ .

(لَمْ) أى خاصة .

ولما كان هذا مفهما لما طبع البشر من الأسف على أهله وعشيرته ، سبب عنه ' منكرًا على نفسه قوله : (فكيف اسمي) أى أحزن حزنا شديدا (على قوم كفرين) أى عريقين فى الكفر ، فعرف أنه أسف عليهم من أجل قربهم وفوات الإيمان لهم غير آسف عليهم من أجل ٥ كفرهم ، وتخصيص تكرير هذه القصص الخمس على هذا الترتيب فى كثير من سور القرآن - دين قصة إبراهيم عليه السلام وهو أعظمهم - لانظامهم فى أنهم أقرت أعينهم بأن رأوا مصارع من خالفهم ، وأما إبراهيم عليه السلام فانه وقع النص فى قوله " انى ذاهب الى ربي سيهدين " بأنه خرج من بين قومه قبل عذابهم ولم يسلك به سبيلهم فى إقرار عينه باهلاك ١٠ من كذبه بحضرته ، وهو أفضلهم لأن الكائن فى قصته أعظم فى الأفضلية ، وهو طبق ما اتفق لولده أفضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وانظر إلى قوله تعالى " وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم " تعرف ما فى هذا المقام من الإكرام ، وأن الأمر كما قيل : لعين تجازى ألف عين وتكرم .

ولما قدم سبحانه إجمال الإنذار بما اشتركت فيه الأمم من الإهلاك ١٥ بقوله تعالى " وكم من قرية اهلكناها " - الآية ، ثم أتبعه - بعد تقديم ما يحتاج إليه على النظم الذى سبق التنبيه عليه - تفصيل ما انفردت به كل أمة من العذاب الحاث على سبيل الصواب ، أتبع ذلك إجمالا آخر أبسط من الأول على محط غريب^٦ دال على عادته المستمرة وسنته المستقرة فى شرح

- (١) من ظ ، وفى الأصل : هو - كذا (٢) فى ظ : عنهم ، وزيد بعده فى الأصل : قوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٣) فى ظ : احسن (٤) سورة ٣٧ آية ٩٩ . (٥) سورة ٨ آية ٣٣ (٦) فى ظ : انفرت - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : عرف .

حال هؤلاء الأمم الذين ذكرهم وغيرهم، لتلايظ أن غيرهم كان حاله غير حالهم،
 فين أن الكل على نهج واحد و أن السبب في استئصالهم واحد، وهو
 التكذيب والاستكبار على الحق، ليكون الإجمال كالضوابط والقواعد
 الكلية لتطبق على الجزئيات. وذلك الاستبصار^٢ بما يكون من نافع
 أو ضار وعدم الاغترار بأحوال المستدرجين الأشرار متكفل بالتسليّة
 عليه [صلى الله عليه وسلم -^٣] والتأسيّة، متقدم على قصة موسى وهارون
 عليهما السلام أطولها وتعجيلا بما في ذلك من مصارع^٤ الإنذار بقوله
 تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فَلَانَا فَكَانَ كَذًا^٥ فَلَانَا فَكَانَ كَذًا^٦، وَمَا
 أَرْسَلْنَا^٧ أَى بِمَا لَنَا مِنَ الْعِظْمَةِ﴾ (في قرية) أَى من قرى أولئك
 ١٠ وغيرهم (من نبي) أَى من الأنبياء الذين تقدموك (الآ) كان
 ما نخبر^٨ به من ترهيبهم من سطواتنا وهو أنا (أخذنا) أَى بعظمتنا
 (أهلها) أَى أخذ قهر^٩ و سطوة، أَى لاجل استكبارهم عن الحق
 (بالأساء) أَى قهر الرجال (والضراء) أَى المرض والفقر
 (لعلهم يضرعون^{١٠}) أَى ليكون^{١١} حالهم عند المساءة حال من يرجى
 ١٥ تضرعه وتذله وتخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره ولو كان التضرع
 في أدنى المراتب - على ما أشار إليه الإدغام، لأن^{١٢} ذلك كاف في

(١) في ظ: (٢) من ظ، وفي الأصل: لتطبق (٣) من ظ، وفي الأصل:
 للاستبصار (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: صارع (٦) سقط من
 ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: يخبر (٨) في ظ: فظهر (٩) في ظ: لتكون.
 (١٠) من ظ، وفي الأصل: بان.

الإقذار من عذاب الإنذار الذى هذه سورتہ بخلاف ما مضى فى الأنعام .
ولما لم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لأهله كما يحق
له ، استدرجهم^٢ بادرار النعم ، فقال مشيرا إلى طول مدة الابتلاء
واستبعادهم لكشف ذلك البلاء : ﴿ ثم بدلنا ﴾ و مظهر العظمة يؤيد
الاحتمال الثانى ﴿ مكان ﴾ أى جعلنا بدل ﴿ السيئة ﴾ أى النعمة ﴿ الحسنة ﴾ ٥
أى النعمة ، وبين أنه مد النعمة بقوله : ﴿ حتى عفوا ﴾ أى كثروا
و كثرت نعمهم فلم يشكروا ﴿ وقالوا ﴾ مسئين الأمر إلى غير أهله
﴿ قد مس أباءنا الضراء ﴾ أى الشدة ﴿ والسرائ ﴾ أى الرخاء و النعمة ،
معتقدين أن هذه عادة الدهر لافعل الفاعل المختار .

ولما لم يعتبروا و يعلموا أن ذلك بمن / يجب^٢ أن لا يعدل عن ١٠ / ٣٢١
بابه ولا يغفل عن جنبه ، و ظنوا أن ذلك دأب الدهر و فعل الزمان ،
واستمروا على فسادهم فى حال الشدة و الرخاء ، سبب عنه قوله : ﴿ فاخذنهم ﴾
أى بعظمتنا أشد الأخذ و أفضله فى الظاهر و الباطن ﴿ بغته ﴾ أى فجأة
حتى لا ينفعهم^٤ التوبة ، و أكد معنى البغت تحقيقا لأمره بقوله :
﴿ وهم لا يشعرون ٥ ﴾ فحق من سمع هذا أن يادر إلى الرجوع عن كل ١٥
مخالفة هو فيها خوفا من الأخذ بغته .

ولما بين تعالى ما كان قولهم مسيئا له من الأخذ بغته ، بين ما كان يكون
ضد قولهم مسيئا له من البركات لو وقع بقوله : ﴿ ولو ان اهل القرآنى ﴾
أى هذه التى قصصنا أخبارها ﴿ آمنوا ﴾ أى بما أتاهم به رسلهم
(١) فى ظ : الانقياد (٢) فى ظ : استدرجهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : تحب .
(٤) فى ظ : لا تنفعهم (٥) فى ظ : سيئا .

(و اتقوا) أى خافوا أمر الله وجعلوا بينهم وبين سخطه وقاية من طاعاته
 فاستمروا على إيمانهم (افتحنا عليهم بركت) أى خيرات ثابتة لا يقدر
 أحد على إزالتها (من السماء) أى بالمطر الذى يكون كأفواه القرب
 وما شابهه (والارض) بالنبت الغليظ وما قاربه، وقراءة ابن عامر بالتشديد
 يدل على كثرة تلك البركات، وأصل البركة المواظبة على الخير .

ولما كان الكلام بما أفهمته "لو" فى قوة أنهم لم يؤمنوا، عبر
 بقوله: (ولكن كذبوا) أى كان التكذيب ديدنهم وشأنهم، فلذلك
 لم يصدقوا رسلنا فى شيء، ولما كان التكذيب موضع الجلافة والجور
 الذى هو سبب لعدم النظر فى الدليل، سبب عنه العذاب فقال:

١٠ (فاخذنهم) أى بما لنا من العظمة (بما) أى بسبب ما
 (كانوا يكسبون) أى بجلاتهم الخبيثة من الأعمال المناسبة لها .

ولما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا فى غلظهم فى جعلهم السراء والضراء
 سببا للأمن من مكر الله، قال منكرنا عليهم أمنهم عاطفاه على "كذبوا"
 لأنه سبب الغلط وهو سبب الأمن فقال: (افامن اهل القرى) أى كذبوا

١٥ ناسين أفعالنا المرهبة بالمضار والمرغبة بالمسار فأمنوا (ان ياتيهم بأسنا)
 أى الناشئ عما لنا من العظمة التى لا ينساها إلا خاسر (يانا) أى
 ليلا وهم قد أخذوا الراحة فى بيوتهم، ولما كان النوم شيئا واحدا يغمر
 الحواس فيقتضى الاستقرار، عبر بالاسم الدال على الثبات فقال:
 (وهم نائمون^١) أى على غاية الغفلة عنه .

(١) فى ظ: لانهم (٢) فى ظ: اليوم .

و لما كان ربما قال جاهل : لو جاءهم وهم أيقاظ لأمكن أن
يدافعوا ! قال : ﴿ او امن اهل القرى ﴾ أى مجتمعين أو منفردين فانه لا فرق
عندنا فى ذلك ﴿ ان ياتيهم باسنا ضحى ﴾ أى وقت راحتهم و اجتماع
قواهم و نشاطهم ؛ و لما كانت اليقظة موجهة للحركة ، عبر بالمضارع فى
قوله : ﴿ وهم يلبعون ه ﴾ أى يتجدد لهم شيئاً فشيئاً فى ذلك الوقت ، ه
و فيه تقرير لهم بنسبتهم إلى أنهم صبيان العقول ، لا التفات لهم إلى
غير اللعب .

و لما كان ضلالهم - الذى نسبوا فيه الأمر إلى غير أهله - أشتع
ضلال لتضمنه التعطيل و ما يجر إليه من الأباطيل . كرر الإنكار عليهم
على وجه أشد من الأول فقال مسبياً الإنكار عما أثبت هذا الكلام من ١٠
العظمة التى لا يتأرى فيها ذواب : ﴿ افامنوا مكر الله ء ﴾ أى فعله الذى
يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من
النعم و النقم ؛ و سبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا يامن مكر الله ﴾ أى الذى
لا أعظم منه فلا يرد له أمر ﴿ الا القوم النخسرون ة ﴾ أى الذين ٢ كانت
قواهم سبياً لعرقتهم فى الأفعال الضارة و الخصال المهلكة . ١٥

و لما بان بما مضى حال الكفار مجملاً و مفصلاً ، و كان المقصود
من ذلك عبرة السامعين . و كان أخذهم بالبأساء و الضراء مع إبقاء مهبهم
و حفظ أرواحهم و أفهامهم بعد إهلاك من قبلهم فى بعض ما لحقهم من
ذلك و إيراثهم الأرض من بعدهم / حالا يكونون ٢ بها فى حيز من يرجى

منه الخوف المقتضى للتضرع و العلم قطعاً بأن الفاعل لذلك هو الله .
 وأنه لو شاء ، لأهلكهم بالذنوب أو غطى أنفاسهم بحيث يصيرون
 كالبهائم لا يسمعون إلا دعاء و نداء ، فسماعهم حيث لا فهم كلا سماع ،
 فجعلوا ذلك سبباً للآمن : أنكر عليهم ذلك بقوله " أقامن " إلى آخره ؛
 ٥ ثم أنكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة يقال عاطفاً [على - ']
 " أقامن " : ﴿ او لم يهد ﴾ أى يبين أخذنا للآمن الماضية بالبأساء و المضراء
 ثم إهلاكهم إذ لم يتعظوا ﴿ للذين يرثون الارض ﴾ و أظهر موضع الإضمار
 تعميماً و تعليقاً للحكم بالوصف و إشارة إلى بلادهم^٢ لعدم البحث عن
 الاخبار ليعلموا منها ما يضر و ما^٣ ينفع فلا يكونوا كالبهائم ، فانهم
 ١٠ لو تأملوا أحوالهم ، و أحوال من ورثوا أرضهم و أحوال^٤ الأرض
 لكفاهم ذلك فى الهداية إلى سواء السبيل .

و لما كان إرثهم^٥ غير مستغرق للزمان ، أتى بالجاء فقال :
 ﴿ من بعد اهلها ﴾ ثم ذكر مفعول " يهد " بقوله : ﴿ ان ﴾ أى أنا
 ﴿ لو نشاء ﴾ أى فى أى وقت أردنا ﴿ اصينهم بذنوبهم ج ﴾ أى إصابة تمحقهم
 ١٥ بها كما فعلنا بمن ورثوا أرضهم ؛ و لما كان هذا تخويفاً للوجودين بعد
 المهلكين ، و منهم قريش و سائر العرب الذين يخاطبون بهذا القرآن ، فكان
 المخوف به لم يقع بعد ، عطف على^٦ ' اصيننا ' قوله : ﴿ و نطبع على قلوبهم ﴾
 أى بآلة عقولهم حتى يكونوا كالبهائم ، و لذلك^٧ سبب عنه قوله :

- (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بلادهم (٣) فى ظ : لا .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ربهم - كذا .
 (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كذلك .

(فهم لا يسمعون هـ) أى سماع فهم، وعبر عن الإصاصة بالماضى إشارة إلى سرعة الإهلاك مع كونه شيئا واحدا غير متجزى، وعن الطبع بالمضارع^١ إيماء إلى التجدد بحيث لا يمر زمن إلا كانوا فيه فى طبع جديد .
ولما انقضى ذلك على هذا الوجه الأعظم والنظم الأبلغ الأحكم، وكانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب ويرونها، أشار إليهم حثا على ه الاعتبار بهم، ولما كان أهلها جديرين بالبعد عنهم^٢ والحرب منهم، عبر عنهم بأداة البعد فقال: (تلك القرى) أى محال^٣ القبائل الخمس، ويجوز أن يكون البعد لعظمة ما حصل لأهلها من العذاب، ويؤيده قوله مينا لحالها: (نقص عليك) .

- ولما كان العاقل من يكفيه أدنى شيء، هول الأمر بأن أخبرها ١٠
تقوت الحصر، وأن ما قص منها يكفى المعتبر، فقال: (من أنبأها ج) أى أخبرها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد شيء كما يفعل من يتبع^٤ الأثر، وأنت الضمير لأن لرؤية القرى أنفسها مدخلا فى معرفة أخبار أهلها.
ولما كان المقام مقام العجب من التكذيب بعد ذلك البيان، كان ربما تخيل متخيل أنهم لم يؤتوا^٥ بالبيان الشافى، فشهد الله تعالى للرسول ١٥ عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم: قد جاءكم بيته، بقوله: (ولقد) أى والحال أنه قد (جاءتهم) أى أهل القرى لأنهم المقصودون بالذات (ورسلهم) أى الذين أرسلناهم إليهم (باليقت ج) أى فلم يتسبب عن
(١) من ظ، وفى الأصل: المضارع (٢) فى ظ: عنه (٣) فى ظ: محل (٤) من ظ، وفى الأصل: يتبع (٥) من ظ، وفى الأصل: لم يؤمنوا (٦) من ظ، وفى الأصل: لم .

ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم إلا أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ موقنين ﴿ ليؤمنوا ﴾
 أى عند مجيئها، وقد أكد منافاة حالهم الإيمان باللام، والكون أتم تأكيد
 ﴿ بما ﴾ أى بالذى ﴿ كذبوا ﴾ أى به، [وحذفها أدل على الزجر من
 مطلق التكذيب وأوفق لمقصود السورة - ٢] .

٥ ولما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان الماضى، أدخل الجار فقال:

﴿ من قبل ١ ﴾ أى قبل مجيء الرسل إليهم أو بتكذيبهم الواقع [منهم - ٢]
 للرسل فيما أتوا به عن الله من قبل الأخذ بغتة، أو من قبل مجيء الرسل
 بالآيات، فانهم أول ما جاؤهم فاجأؤهم بالتكذيب، فجزوا على تكذيب الحق
 من غير نظر فى دليل بالطبع [على قلوبهم فأتوهم بالمعجزات فأصروا على ذلك
 ١٠ التكذيب ووقفوا لذلك الطبع - ٢] مع حظوظهم، ومنعتهم شماختهم

وشدة شكائهم عن الإيمان ٢ ثلثا يقال: إنهم خافوا، أولا فيما وقع منهم
 من التكذيب فكانوا فيه على / غير بصيرة، أو إنهم خافوا ثانيا ما قرعتهم
 به الرسل من الوعيد، فدخلوا جبنا فيما يعلون بطلانه، فكان تزيين ٣ هذا
 لهم طبعاً على قلوبهم. فكانه قيل: إن هذا العجب هل يقع فى مثل ذلك

١٥ أحد؟ قليل: نعم، مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت مع الفهم
 لا تنفع، فكانها لا تفهم، فكانها لا تسمع، ﴿ كذلك يطبع الله ﴾
 أى الجامع لصفات الكبر ونعوت الجلال بما يجعل من الرين بما له

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحازرين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:
 الايمن - كذا (٤) فى الأصل: خلفوا، وفى ظ: خفوا (٥) فى ظ: قرين (٦) من
 ظ، وفى الأصل: لا ينتفع (٧) من ظ، وفى الأصل: لا يفهم (٨) من ظ،
 وفى الأصل: لا يسمع (٩ - ٩) فى ظ: انما تجعل .

من العظمة ﴿ على قلوب الكافرين ٥ ﴾ أى كل من يغطى ما أعطاه الله من نور العقل بما تدعوه إليه نفسه من الهوى عريقا فى الاتصاف [بذلك - ١] فترك آيات الله .

ولما كان نقض العهد أظنع شئ . ولا سيما عند العرب ، قال عاطفا على " فما كانوا " : ﴿ وما وجدنا ﴾ أى فى عالم الشهادة ﴿ لا كثرتم ﴾ ٥ أى الناس ، وأكد الاستغراق فقال : ﴿ من عهد ٤ ﴾ طبق ما كان عندنا فى عالم الغيب ، وهذا إما إشارة إلى الميثاق يوم " الست بربكم " إن كان ذلك على حقيقته ، أو إلى ما يفعلون حال الشدائد من الإقلاع عن المعاصى والمعاودة^٢ على الشكر^٣ " لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشكرين " أو إلى إقامة الحجج^٤ بافاضة العقول و نصب الأدلة ، فصار بنصبها وإيضاحها^٥ ١٠ للعقول كأنه أخذ العهد على من عقل أنه يبذل الجهد فى التأمل ولا يتجاوز ما أبداه له صحيح النظر ﴿ وان ﴾ أى وإنا ﴿ وجدنا ﴾ أى علمنا فى عالم الشهادة ﴿ اكثرم لفسقين ٥ ﴾ أى خارجين عن دائرة^٦ العهد مارقين بما أوقفهم عند الحد عريقين فى ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم فى عالم الغيب ، وما أبرزناه فى عالم الشهادة لإلالتقيم عليهم به الحجة على ١٥ ما يتعارفونه بينهم فى مجارى عاداتهم ومدارك عقولهم .

ولما انقضى بيان هذا الإجمال الخالع لقلوب الرجال ، أتبعه الكشف

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : على (٣) من ظ ، وفى الأصل : المعاهد .
(٤) سورة ١٠ آية ٢٢ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحجج - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : ايضاها (٧) فى ظ : دائر .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٣ و ١٠٤) ج - ٨

عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام
[مع - ١] فرعون وقومه ، وهى كالدليل على آيات الإجمال كما كانت
القصص الماضية كالدليل على ما فى أول السورة من الإجمال ، فان قصة
فرعون مشتملة على الأخذ بالبأساء والضراء ، ثم الإنعام بالرخاء والسراء ،
ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافى
والبيان لما على قلوبهم من الطبع وما قادت إليه^١ الحظوظ من الفسق ،
و كأنه^٢ فصلها عن القصص الماضية تنويها بذكرها وتنديها على [على - ١]
قدرها ، لأن معجزات صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله ، وجهل
من عاجلهم^٣ كان أعظم وأجش من جهل تلك الأمم ، ولذلك عطفها
بأداة البعد مع قرب زمنها من التى قبلها إشارة إلى بعد رتبته بما فيها
من العجائب وما اشتملت عليه من^٤ الرغائب والغرائب ، ولذلك مد لها
الميدان وأطلق فى سياقها للجواد^٥ العنان فقال : ﴿ ثم بعثنا ﴾ أى على
عظمتنا ﴿ من بعدهم ﴾ أى الرسل المذكورين والأمم المهلكين
﴿ موسى بآيتنا ﴾ أى التى يحق لها العظمة باضافتها إلينا فتثبت بها النبوة
﴿ الى فرعون ﴾ هو علم جنس الملوك مصر كيكسرى الملوك فارس وقصر
الملوك الروم ، وكان اسم فرعون^٦ موسى عليه السلام قابوس ، وقيل :
الوليد بن مصعب [بن - ١] الريان ﴿ وملائته ﴾ أى عظماء قومه ، وخصهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الى (٣) فى ظ : كان (٤) بسقط من ظ (٥) فى ظ :
عاجلهم (٦) من ظ ، وفي الأصل : بين (٧) زيدت الواو بعدهم فى ظ (٨-٨) سقط
ما بين الرقين من ظ (٩) زيد من ظ و تاج العروس - راجع " تفرعن " .

لأنهم

لأنهم إذا أذعنوا أذعن من دونهم ، فكأنهم المقصودون و الإرسال إليهم
إرسال إلى الكل .

ولما سببت لهم الظلم قال: ﴿ فظلموا ﴾ أى وقعوا فى مثل الظلام
حتى وضعوا الأشياء فى غير مواضعها فوضعوا الإنكار موضع الإقرار
﴿ بهاج ﴾ أى بسبب رؤيتها خوفا على رئاستهم وملككتهم القانية أن تخرج^٥
من أيديهم ؛ ولما كان ذلك من أعجب العجائب . و هو أن سبب العدل
يكون / سبب الظلم ، و كان هذا الظلم أعظم الفساد ، سبب عنه قوله معجبا :
٣٢٩ / ﴿ فانظر ﴾ أى بعين البصيرة ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر
﴿ المفسدين ﴾ فلخص فى هذه الآية على وجازتها جميع قصتهم على طولها ،
و قدم ذكر الآيات اهتماما بها ولأنها الدليل على صحة دعوى البعث . ١٠
ولما كان التقدير عطفًا على ” فظلموا بها “ : و وضعها موسى مواضعها ،
عبر عنه بقوله : ﴿ وقال موسى يفرعون ﴾ خاطبه بما يعجبه امتثالا لأمر الله
تعالى له أن يلين فى خطابه ، و ذلك : لأن فرعون لقب مدح لمن
ملك مصر .

ولما أتاهم عليه السلام و هم عارفون بأمانته و صدقه و عظم مكاته ١٥
و بكارم أخلاقه و شريف عنصره و عظيم مخبره ، و فرعون أعظمهم معرفة
به لأنه رضى فى حجره ، كان هذا حالا مقتضيا لأن يلقي إليهم الكلام
غير مؤكد ، لكن لما كان الإرسال من الله أمرا عظيما جدا ، و كان المقصود

(١) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٢) من ظ ، و فى الأصل : يخرج (٣) فى ظ ؛
بعد (٤) فى ظ : لذلك (هـ) من ظ ، و فى الأصل : إن و

[به - ١] تخلية سيل بنى إسرائيل . وكان فرعون ضئيلا بذلك . أكده بعض التأكيد فقال : ﴿ انى رسول ﴾ ثم بين مرسله بقوله : ﴿ من رب العالمين ﴾ أى المحسن إليهم أجمعين - وأتم منهم - بإيجادهم وتربيتهم . فهو تنبيه لمن سمعه على أن فرعون مربوب مقهور .

٥ ولما خلفه بهذا مما بدعيه من الربوبية دلالا على تسويته ببقية العالمين : ناطقهم وصامتهم ، و كان لذلك بعيدا من الإذعان لهذا الكلام . أتبعه قوله على وجه التأكيد . مستأنفا بيان ما يلزم للرسول : ﴿ حقيق ﴾ أى بالغ فى الحقيقة ، . هى الثبات الذى لا يمكن زواله ﴿ على أن لا أقول على الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال . ولا عظمة لسواه ولا جلال ﴿ الا الحق ﴾ أى الثابت الذى لا يمكن المهاراة فيه أصلا لما يصدق من المعجزات ، وحاصل العبارة ومآلها : حق على قولى الذى أطلقه على الله أن لا يكون إلا الحق أى غير الحق ، ولذلك عبر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، وقراءة نافع بتشديد ياء الإضافة فى " على " بمعنى هذا سواء ، لأن من حق عليه شيء حق على كلامه .

١٥ ولما كان الحال إذ ذاك يقتضى توقع إقامة موسى عليه السلام البينة على صحة رسالته ، كان كأنه قيل : ما دليل صدقك ؟ فقال مفتحا بحرف التوقع والتحقيق : ﴿ قد جشتم ﴾ أى كلتم ، لا أخص أحدا منكم ﴿ ببينة ﴾ (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بنه (٣) فى ظ : فكان (٤) زيد بعده فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : حقيقا (٦) فى ظ : يصدر (٧) من ظ ، وفى الأصل : قول . (٨) فى ظ : أطلقته (٩) من ظ ، وفى الأصل : التخفيف (١٠) تأخر فى الأصل عن " قول الحق " والترتيب من ظ .

دليلا على رسالتى وقولى الحق (من ربكم) أى المحسن إليكم بكل نعمة
ترونها لديكم من خلقكم ورزقكم وكف الامم عن اتزاع هذا الملك
منكم وإهلاككم، وتلك البينة هى المعجزة، فكرر البيان فى هذا الكلام
على أن فرعون ليس كما يدعى لأنه مريبوب، لا فرق بينه وبين بقية
العالمين فى ذلك .

- ولما كان من المعلوم أن مثله فى تمام عقله وشرف خلافته لا يدعى
فى تلك المجامع إلا حقا مع ما نبه عليه من البيان على تفرد الله بالإلهية كما
تفرد بالإحسان . كان كأنه أظهر البينة التى أفلها كفهم عن إهلاكهم .
فأتبع ذلك طلب النتيجة إعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسييا عن مجرد
هذا الإخبار الذى كان قد أوقع مضمونه: (فارسل) أى يا فرعون ١٠
(معى بنى إسرائيل) أى فسيب^٢ عن إقامتى الدليل على صحة ما قلته أن
أمر بما جئت له - وهو إرسلهم معى - أمر من صار له سلطان بإقامة
البينة لنذهب كلنا إلى [بيت - ٢] المقدس موطن^٣ آباءنا التى أقسم الله لهم
أن يورثها أبناءهم^٤، وفى جعل ذلك نتيجة الإرسال إليه تنبيه على أن
رسالته مقصورة على قومه، فكأنه قيل: فاذا قال فرعون فى جواب ١٥
هذا الأمر الواضح؟ فقيل: (قال) معرضا عنه معنيا له خوفا من غائلته
عند من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا بأداة / الشك إيقافا لهم:
(ان كنت جئت بآية) أى علامة على صحة رسالتك (فأت بها) فأوهم
-
- (١) من ظ، وفى الأصل: زكاته (٢) فى ظ: قضيب (٣) زيد من ظ (٤) فى
ظ: مواطن (٥) من ظ، وفى الأصل: إبناءها .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٠٦ - ١٠٩) ج - ٨

أنه لم يفهم إلا أن المراد أنه^١ سيقمها من غير أن يكون في كلامه السابق دلالة على صدقه. وأكد الإيهام والشك بقوله: ﴿ان كنت﴾ أي جيلة وطبعا ﴿من الصديقين﴾ أي في عداد أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك عندي وثبت^٢.

و لما ساق هذا الطلب مساقا دالا على أنه شك في أمره، أخبر تعالى أنه فاجأه باظهار الآية دالا على ذلك بالفاء المسبية المعقبة من غير مهلة فقال عن^٣ فعل موسى عليه السلام: ﴿فألقى عصاه﴾ وعن فعله هو سبحانه ﴿فاذا هي﴾ أي العصا ﴿ثعبان مبین﴾ أي ظاهر في كبره وسرعة حركته بحيث أنه لشدة ظهوره كأنه^٤ ينادى الناس فيظهر لهم ١٠ أمره، وهو موضح لصدق من تسبب^٥ عن فعله في جميع مقالاته؛ روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان ثعبانا أشعر فاغرا فاه، بين لحية ثمانون ذراعا، وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا وأحدث، وحمل على الناس فأنهزموا وصاحوا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا، قتل بعضهم ١٥ بعضا، وصاح فرعون: يا موسى خذه^٦ وأنا أومن [بك - ٩] فأخذه^٧ فعاد عصا. ثم قال: هل معك^٨ آية أخرى؟ قال: نعم ﴿ونزع يده﴾

(١) في ظ: به (٢) من ظ، وفي الأصل: عدد (٣) من ظ، وفي الأصل: ثبت. (٤) من ظ، وفي الأصل: الطيب (٥) من ظ، وفي الأصل: من (٦) في ظ: كان (٧) من ظ، وفي الأصل: سبب (٨) من ظ، وفي الأصل: خذوه. (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ، وفي الأصل: فأخذه (١١) سقط من ظ.

أى أخرجها من جيبه بعد أن أراه إياها محترقة أدما كما كانت و هو عنده
 ﴿فاذا هى بيضاء﴾ و نه على ثبات ياضها وزيادة إعجابه بقوله: ﴿لأنظرين﴾
 قال أبو حيان: أى للظارة^١، و فى [ذكر - ٢] ذلك تنبيه على عظم ياضها
 لأنه لا يعرض العجب لهم إلا إذا كان ياضها خارجا عن العادة، و قال
 ابن عباس: صارت نورا ساطعا يضىء ما بين السماء و الأرض، له لمعان مثل هـ
 لمعان البرق غفروا على وجوههم، و ما^٢ أعجب أمر هذين الخارقين العظميين:
 أحدهما فى نفسه و ذلك اليد البيضاء، و الآخر فى غير نفسه و هى العصا التى
 بمسكها يده^٣، و جمع^٤ بدينك تبديل^٥ الذوات من الخشبية^٦ إلى الحيوانية .
 و تبديل^٦ الأعراض من السمرة إلى البياض الساطع، فكانا دالين على
 جواز الأمرين - انتهى .

١٠

و لما أتى بالبيان و أقام واضح البرهان، اقتضى الحال السؤال عما أبرزوه
 من المقال فى جوابه فقال: ﴿قال الملا﴾ أى الأكبر ﴿من قوم فرعون﴾
 ما تلقفوه من فرعون^١ واحدا بعد واحد، يلقيه أكبرهم إلى أصغرهم
 ﴿ان هذا لسحر﴾ أى فهذا الذى رأيتموه أيها الناس من تخيله ما لا
 حقيقة له، فلا تبادروا إلى متابعتة .

١٥

و لما كان ذلك^٢ خارجا عما آلفوه من السحرة قالوا: ﴿علم لا﴾

(١) فى النهر: للنظار - راجع البحر المحيط ٣٥٨/٤ (٢) زيد من النهر (٣) من
 ظ و النهر، و فى الأصل: اما (٤-٤) ليس ما بين الرقين فى النهر (٥) من ظ و النهر،
 و فى الأصل: جميع (٦) فى النهر: تبدل (٧) فى النهر: الخشبية (٨) فى ظ: هذا .

أى 'بما هم' فيه، بالغ^٢ في علمه إلى حد عظيم. فلذلك جاء ما رأيتم منه فوق العادة، فكان فرعون قال ذلك ابتداء - كما في سورة الشورى - فتلقفوه منه وبادروا إلى قوله. يقوله بعضهم لبعض إعلاما بأنهم على غاية الطواعة له خوفا على رئاستهم تحقيقا لقوله تعالى "فاستخف قومه فاطاعوه"^٣ واختير هنا إسناده إليهم، لأن السياق للاستدلال على فسق الأكثر، وأما هناك فالسياق لأنه إن أراد سبحانه أنزل آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما رأى من موسى عليه السلام حتى رضى لنفسه بأن يخاطب عبيده - على ما يزعم - بما يقتضى أن يكون لهم عليه أمر، فلذا كان إسناد القول إليه أحسن، لأن النصرة في مقارعة الرأس أظهر، ١٠. وخضوع عنقه أضخم وأكبر.

ولما خيلوهم^٤ حتى أوقفوهم عما فهموا عنهم^٥ من المبادرة إلى المتبعة بادعاء أنه ساحر^٦؛ نفروهم من ذلك و خوفوهم / بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم و يزيجوهم من ديارهم التي هي لأشباحهم مثل أشباحهم لأرواحهم بقولهم^٧: ﴿يريد أن يخرجكم﴾ أى أبها القبط ١٥ ﴿من أرضكم ج﴾ أى هذه التي أثلها لكم آباؤكم و بها قوامكم؛ ولما كان السياق لبيان فسقهم، أسقط قولهم في الموضع الآخر "بسحره" إيهاما لعجلتهم في إبرام الأمر في ضره [إشارة إلى تغاليهم في الفسق بعلمهم

(١ - ١) فى ظ : بإمرهم (٢) فى ظ : عليم (٣) سورة ٣، آية ٤٤ (٤) فى ظ : أنزل (٥) فى ظ : بأن (٦) فى ظ : خيلهم (٧) فى ظ : عنه (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : بقوله .

أنه محق وليس بساحر - '] .

ولما كان المقصود بهذا الكلام استعظاف المخاطبين ، استعطفوهم
بعد أن أوقوهم ، ثم خوفوهم بما سيؤا عن الخطاب السابق من قولهم :
(فما ذا تأمرؤن هـ) أى تقولون فى هذه المشورة أيتها السادة ليمثّل .
ولما كان كأنه قيل : فعلى أى شىء استقر رأيهم ؟ فقول : على هـ
تأخير الأمر إلى حشر^١ السحرة للغارضة ، أخبر^٢ تعالى - دلالة على أن
أصل قول الملائكة منه - أنهم أقبلوا^٣ عليه مخاطبين له ملفتين^٤ من أبلنهم
عنه تعظيماً له مسندين الأمر إليه بقوله : (قالوا) أى [الملائكة - ']
لفرعون [بعد ما استقر فى أذهانهم ما نصبوه إليه من الإرادة - ']
(أارجح) أى موسى عليه السلام (وأخاه) أى أخيهما^٥ تقيساً لما من
هذا الخناق إلى وقت ما حتى^٦ نظروا^٧ فى أمرهما (وأرسل فى المدائن)
أى [من - '] ملك مصر (حشرين^٨) يحشرون لك^٩ السحرة ويجمعونهم
من كل فج عميق^{١٠} ، والحشر : الجمع بكثرة^{١١} (باتوك بكل) [ولما
كانت دلالة السياق على رغب فرعون أقل بما فى الشعراء لما اقتضاه الحال
فى كل منهما ، قرأ الجمهور - '] : (سحر عليهم هـ) أى بالغ العلم فى السحر ، ١٥
وفى قراءة [حمزة والكسائى - '] " سحر " زيادة مبالغة أيضاً [لما
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : شجر (٣) فى الأصل و ظ : فآخبر (٤) فى ظ :
لاقبلوا (٥) فى ظ : ملتين - كذا (٦) فى ظ : أخرجهما (٧) من ظ ، وفى الأصل :
عين (٨) فى ظ : نظروا - كذا (٩) فى ظ : كل (١٠) - قط من ظ (١١) من
ظ . وفى الأصل : بكثرة .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١١٣-١١٦) ج ٨ -

رأوا من قلق فرعون في الجملة - [١] ، وهذا يدل على أن السحرة كانوا في ذلك الزمان عندهم في غاية الكثرة ، ويدل على [٢] أن في طبع الناس المعارضة [٣] ، ففهما أمكنت بطلت دعوى النبوة ، وإذا تعذرت صحت الدعوى .
ولما كان التقدير : فأخر أمرهما وأرسل كما قالوا ، فجمعوا من وجدوه منهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و جاء السحرة فرعون ﴾ ولما تشوف السامع إلى خبرهم ، قال مجيبا له استثناء : ﴿ قالوا ﴾ أي لفرعون عندما حضروا بين يديه متوثقين لنفع أنفسهم مفهمين [٤] له أنهم غالبون ، لا مانع لهم من ذلك إلا عدم إنصافهم ، سائقين للكلام في قراءة الجماعة مساق الاستفهام أدبا معه في طلب الإكرام : ﴿ ان لنا لاجرا ﴾ وأكديا طلبا لإخراج الوعد على حال التكذيب [٥] ﴿ ان كنا نحن ﴾ أي خاصة ﴿ الغلبين ﴾ ومن أخبر أراد الاستفهام وهم نافع [٦] وابن كثير [٧] وحفص عن عاصم ﴿ قال ﴾ أي فرعون ﴿ نعم ﴾ أي لكم أجر مؤكد الخبر به ، وزاد بيان التأكيد بما زادهم به رغبة في قوله : ﴿ وانكم ﴾ أي زيادة على ذلك ﴿ لمن المقربين ﴾ أي عندى في الحضرة .

ولما فرغوا من محاورته ، تشوف السامع إلى قولهم لموسى عليه السلام ، فاستأنف قوله جوابا : ﴿ قالوا ﴾ بادئين باسمه ﴿ بموسى ﴾ مخبرين له أدبا معه كما هي عادة عقلاء الأخصام قبل وقوع الخصام في سياق مفهم أن قصدهم الإلقاء أولا ، وذلك قولهم : ﴿ اما ان تلقى ﴾ أي أنت أولا
(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : النبر منه - كذا (٤) في ظ : مفهومون (٥) في ظ : التأكيد (٦) من ظ ، وفي الأصل : هو (٧-٧) سقط ما بين الرقنين من ظ .

ما تريد أن تلقيه للغالبية في إظهار صحة دعواك ﴿وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ﴾
أى خاصة ﴿الملقين ه﴾ أى لما معنا أولا .

و لما فهم موسى عليه السلام مرادهم بما عبر هذا النظم عن حقيقة
معناه من تأكيد ضميرهم المتصل بالمتفصل و تعريف الخبر و إقحام الفصل ،
و^٢ كان واثقا من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده ، لا فرق بين ه
أن يتقدم أو يتأخر ؛ أجابهم إلى سؤالهم^٣ . و هو أوقع ؛ في ازدراء شأنهم ،
فاستأنف سبحانه الخبر عنه بقوله : ﴿قال القوا ج﴾ أى أتم أيها السحرة
ما تريدون إلقاءه ، و هو أمر تعجيز .

و لما أذن لهم بادروا إلى ذلك كما أفهمه العطف بالفاء في قوله :
﴿فلآ القوا﴾ أى ما أعدوه للسحر^٤ ﴿سحرًا اعين الناس﴾ أى / عن ١٠ / ٣٣٢
صحة إدراكها حتى خيلوا إليها ما لا حقيقة له ، و هى أن جبالهم و عصيهم -
و كانت كثيرة جدا - صارت تتحرك و يلتوى بعضها على بعض ، و بعثوا
جماعة ينادون : أيها الناس احذروا ﴿و استرهبهم﴾ أى و أوجدوا رهبتهم
إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب .

و لما قيل ذلك ، كان ربما ظن أنهم خافوا مما لا يخاف من مثله ، ١٥
فقال تعالى مبينا أنهم معذرون^٥ في خوفهم : ﴿و جاءو بسحر عظيم ه﴾
قال صاحب كتاب الزينة : و السحر على وجوه كثيرة ، منه الاخذ بالعين ،
(١) زيد بعده في ظ : حقيقيا (٢) في ظ : (و) من ظ ، و في الأصل : سولهم .
(٤) من ظ ، و في الأصل : دافع (ه) من ظ ، و في الأصل : للسحرة (٦) من ظ ،
و في الأصل : يلتوى (٧) من ظ ، و في الأصل : معذرون .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١١٧ - ١٢٠) ج - ٨

ومنه ما يفرق به بين المرء وزوجه ، ومنه غير ذلك . وأصله مأخوذ من
التعلل بالباطل وقلب الأمر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب .
ولما تنهى الأمر واشتد التشوف إلى ما صنع موسى عليه السلام ،
قال معلما عنه عطفا على " وجاءو " : ﴿ و اوحينا ﴾ أى مظهرين لعظمتنا على
ه رؤس الأشهاد بما لا يقدر أحد أن يضاهيه ﴿ الى موسى ان الق عصاك ج ﴾
أى فאלقها ﴿ فاذا هي ﴾ من حين إلقائه لها ﴿ تلفف ﴾ أى تلتقم التقاما
حقيقيا شديدا سريعا جدا بما دل عليه حذف التاء ، ودل على كثرة
ما صنعوا بقوله : ﴿ ما يافكون ج ﴾ أى يحددون حين إلقائهم في تزويره
و قلبه عن وجهه ، فابتلعت ما كان ملء الوادى من الغصى والحبال ،
١٠ ثم أخذها موسى عليه السلام فاذا هي كما كانت لم يزد شيء من مقدارها على
ما كانت عليه ، وفى هذا السياق المعلم بتثبت موسى عليه السلام بعد
عظيم ما رأى من سحرهم إلى الإيحاء إليه بيان لادبه عليه السلام فى ذلك
المقام الضحك وسكونه تحت المقاربة مع مرسله سبحانه إلى برز
أوامره الشريفة .

١٥ ولما علم أن ما صنعوه إنما هو خيال ، وما صنعه موسى عليه السلام
أثبت من الجبال ، سبب معقبا قوله : ﴿ فوق الحق ﴾ أى الذى لا شيء
أثبت منه ، فالواقع يطابقه لأن باطن الأمر مطابق لما ظهر منه من ابتلاءها

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : اليها (٢) من ظ ، وفى الأصل : به (٣) من ظ ،
وفى الأصل : كان (٤) فى ظ : بتثبيت (٥) من ظ ، وفى الأصل : سحرتهن .
(٦) فى ظ : سكون (٧) فى ظ : المقادير (٨) من ظ ، وفى الأصل : اتباعها - كذا .

لأمتعتهم

(٧)

٢٨

لأمتعتهم فالإخبار عنه صدق، وفيه تنبيه على أن فعلهم إنما هو خيال بالنسبة إلى ظاهر الأمر، وأما في الباطن والواقع فلا حقيقة له، فالإخبار عن تحرك ما ألقوه كذب.

ولما أخبر عن ثبات الحق، أتبعه زوال الباطل فقال: ﴿و بطل﴾ بحيث عدم أصلا و رأسا ﴿ما كانوا يعملون﴾ فدل بكان والمضارع على أنهم - مع بطلان ما عملوا - نسوا عليهم بحيث أنه أسند عليهم باب العمل بعد أن كان لهم به ملكة كملكه ما هو كالجللة - والله أعلم؛ ثم سبب عن هذا قوله: ﴿فغلبوا هنالك﴾ أى عند هذا الأمر العظيم العالى الرتبة ﴿وانقلبوا﴾ أى جزاء على قلوبهم لتلك الحقائق عن وجوهها حال كونهم ﴿صغرين﴾ أى بعد أن كانوا - عند أنفسهم ومن يقول بقولهم وهم ١٠ الأغلب - عالىين، ولا ذل ولا صغار أعظم في حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا يكون فيه حيلة.

ولما كان الأدب وذل النفس لا يأتى إلا بخير، لأنه اللائق بالعبد، قاد كثيرا منهم إلى السعادة الأبدية، فلذلك قال: ﴿والتي السحرة﴾ أى ألقاهم ملقى الخوف من الله والشوق إلى الخضوع بين يديه والذل لديه ١٥ حين عرفوا أن ما فعله موسى عليه السلام أمر سماوى، صدق الله تعالى به موسى عليه السلام في أنه رسوله، ولم يتأخروا بعد ذلك أصلا حتى كأنهم خروا من غير اختيار ﴿سجدين﴾ شكرا لله تعالى وانسلاخا عن الكفر ودليلا على أقصى غايات الخضوع، فعل الله ذلك بهم حتى

(١) من ظ، وفي الأصل: عملهم (٢) من ظ، وفي الأصل: وجهها (٣) من ظ، وفي الأصل: حتى (٤) سقط من ظ.

تبهر^(١) به فرعون وملاؤه وتخير^(٢) عقولهم .

ولما كانوا بمعرض التشوف العظيم إلى معرفة قوْلهم بعد فعلهم ،
أخبر عن ذلك سبحانه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى / حال إلقاءهم للسجود
﴿ آمناء ﴾ أى كلنا ﴿ رب العلين ﴾ أى الذى خلق فرعون ومن قبله
وما يعيشون به ؛ ثم خصوا من هدام الله على أيديهما تصرّحا بالمراد
أو تشريفا لهما فقالوا : ﴿ رب موسى ﴾ ثم أزالوا الشبهة بخدافيرها - لأن
فرعون ربما ادعى بترية موسى عليه السلام أنه المراد - بقولهم : ﴿ وهرون ﴾
وفى الآية دليل على أن ظهور الآية موجب للإيمان عند من ظهرت له ،
ولو أن الرسول غير^(٣) مرسل إليه .

ولما صرحوا بالذى آمنوا به تصرّحا منع فرعون أن يدلس معه
بما يخيل به على قومه ، شرع فى تهديدهم على وجه يمكر فيه بقومه ويلبس
عليهم إيقافا لهم عن المبادرة إلى الإيمان - كما بادر السحرة - إلى وقت
ما . فاستأنف الخبر عنه سبحانه بقوله [مصرحا باسمه غير مضمّر له كما فى غير
هذه السورة لأن مقصود السورة الإنذار ، وهو أحسن الناس بالمناداة عليه
١٥ فى ذلك المقام . وقصته مسوقة لبيان فسق الأكثر ، وهو أفسق أدل
ذلك العصر - °] : ﴿ قال فرعون ﴾ منكرا عليهم [موبخا لهم - °]
بقوله : ﴿ آمنتم ﴾ أى صدقتم ﴿ به ﴾ أى بموسى تصديقا آمنه من رجوعكم

(١) فى ظ : يهبر (٢) فى ظ : يحير (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من
ظ . وفى الأصل : عن (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) زيد بعده فى الأصل :
الى . ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

عنه. و من أخبر أراد الاستفهام. و أَوْهم فرعون من فهم عنهم من القبط إرادة الإيمان لأجل ما رأوا من دلائل صدق موسى عليه السلام و اقتداء بالسحرة [بقوله: ﴿ قُلْ إِنْ أَنْتُمْ لَكُمْ عِلْمٌ ﴾] ليوقفهم من خطر المخالفة له بما رجاهم فيه من إذنه، فلما ظن أنهم وقفوا خيلهم بما يذهب عنهم ذلك الحاطر أصلاً و رأساً بقوله مؤكداً نقياً لما على قوله من هـ
لوائح الكذب - [: ﴿ إِنْ هَذَا لَمَكْرٌ ﴾] أى عظيم جداً، و طول الكلام تبيننا لما 'أرادوا' و تنسية الحاطر الإيمان فقال: ﴿ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ أى على ميعاد بينكم و بين موسى، و حيلة احتلتموها قبل اجتماعكم، و ليس إيمانكم لأن صدقه ظهر لكم؛ ثم علل بما يتعلق به فكرهم و تشوش قلوبهم فقال: ﴿ تَخْرُجُوا ﴾ أى أتم و موسى عليه السلام ﴿ مِنْهَا أَهْلُهَا ﴾ ١٠ و تسكنوها^{١٠} أتم و بنو إسرائيل.

و لما استتب له ما أراد من دقيق المكر، شرع في تهديدهم بما يمنع غيرهم و ربما ردهم، فقال مسيئاً عن ذلك: ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ هـ ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ما أفعل بكم^{١١} من عذاب لا يحتمل. ثم فسر ما أجمل من هذا الوعيد^{١٢} بقوله: ﴿ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ ﴾ أى اليمى مثلاً ﴿ وَ أَرْجُلَكُمْ ﴾ ١٥ أى اليسرى، و لذلك فسر^{١٣}ه بقوله: ﴿ مِنْ خِلَافٍ ﴾ أى يخالف^{١٤} الطرف

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢-٢) في ظ: أراد و تنشئة - كذا (٣) - فقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل: يملق (٥) في ظ: يشوش (٦) في ظ: تسكنونها (٧) في ظ: به (٨-٨) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن « اليسرى و لذلك » و الترتيب من ظ (٩) تقدم في الأصل على « فسر ما » و الترتيب من ظ (١٠) في ظ: بخلاف.

- الذى تقطع^١ منه اليد - الطرف الذى تقطع^٢ منه^٣ الرجل .
 و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار ، فذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام و السحرة على وجه يهول ذكر ما كان من أمر فرعون على وجه^٤ يقرب من ذلك ، فعبر بحرف التراخي لأن فيه - مع الإطناب الذى يكون شاغلا لأصحابه عما أدهشهم بما رأوه - تعظيما لأمر الصلب .
 فيكون أدهب للسحرة و لمن تزلزل بهم من قومه فقال : ﴿ ثم لاصلبنكم ﴾ أى أعلقنكم بمدودة أيديكم لتصيروا على هيئة الصليب ، أو حتى يتقاطر صليكم وهو الدهن الذى فيكم ﴿ اجمعين ﴾ أى لا أترك منكم أحدا لأجعلكم نكالا لغيركم .

١٠ و لما كان حالا يشوق النفوس إلى جوابهم ، استأنفه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى أجمعون ، لم يرتع منهم إنسان ولا تزلزل عما منحه الله^٥ به من رتبة الإيمان ﴿ أنا إلى ربنا ﴾ أى الذى مازال يحسن إلينا بنعمه الظاهرة و الباطنة حتى جعل آخر ذلك أعظم النعم ، لا إلى غيره ﴿ منقلبون ﴾ أى بالموت انقلابا ثابتا لا انفكاك لنا عنه إن صلبنا أو تركتنا ، لا طمع لنا ١٥ في البقاء فى الدنيا ، فنحن لا نبالي - بعد علمنا بأننا على حالة السعداء - بالموت على أى حالة كان ، أو المراد أنا تنقلب إذا قتلنا^٦ إلى من يحسن إلينا بما منه الانتقام منك ، ولذلك اتبعوه بقولهم : ﴿ وما تنقم ﴾ أى تنكر ﴿ منا ﴾ أى فى فعلك ذلك بنا و تعيب علينا^٧ ﴿ إلا ان آمننا ﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : يقطع (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) من ظ ، وفى الأصل : من (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : « و » (٥) من ظ ، وفى الأصل : يتقاطر (٦) من ظ ، وفى الأصل : تشوف (٧) فى ظ : قتلنا (٨) فى ظ : عنا .

أى إلا ما هو أصل المفاخر كلها وهو الإيمان ﴿بأنيت ربنا﴾ أى التى عظمت بكونها صادرة^١ عنه ولم يزل محسنا إلينا فوجب علينا شكره ﴿لما﴾ [أى حين -^٢] ﴿جاءتنا﴾ لم تأخر عن معرفة الصدق [المصدق -^٣]، وهذا يوجب الإكرام لا الانتقام؛ ثم آذنه بأنهم مقدمون على كل ما عساه أن يفعل بهم فقالوا: ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن ٥ إلينا القادر على خلاصنا ﴿افرغ﴾ أى صب صبا غامرا ﴿علينا﴾ أى فيما تهددنا به هذا الذى قوته علينا ﴿صبرا﴾ أى كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يروعا ما يخوفنا به: ﴿وتوفنا﴾ أى اقبض أرواحنا وافية حال كوننا ﴿مسليين﴾ أى عربقين فى الانقياد بالظاهر و الباطن بدلائل الحق، و الظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سأله ١٠ تلويحا بذكر الرب فلم يقدره^٤ عليهم لقوله تعالى "اتموا و من اتبعكم الغلبون"، ولم يأت فى خبر يعتمد أنه قتلهم، و سيأتى فى آخر الحديد^٥ عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح فى خلاصهم .

ولما قنع فرعون فى ذلك الوقت الذى بهرت^٦ قومه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذى لم يدع فيه حيلة إلا^٧ خيل بها، ١٥ وخلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن، و كان السياق

(١) فى الأصل: صادرها، وفى ظ: صارت (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: صبرنا .
 (٤) -قط من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: فلم يقدر (٦) سورة ٢٨ آية ٣٥ .
 (٧) فى ظ: الحديث (٨) من ظ، وفى الأصل: يهرب (٩) فى ظ: الى .

ليان أن أكبر الخلق فاسق ، أخبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد [ما - ']
 رأوا من المعجز القاهر ' دليلا على ذلك ، فقال عاطفا على " والى السحرة
 سجدين " ، وما بعده ، أو على قول فرعون : ﴿ وقال الملا ﴾ أى الاشراف
 ﴿ من قوم فرعون ﴾ أى ظنين أن فرعون متمكن بما يريد بموسى
 ه عليه السلام [من - '] الذى ، منكرين لما وصل إليه الحال من أمر موسى
 عليه السلام حين فعل ما فعل وآمن به السحرة ، وما عمل فرعون شيئا ،
 لا قتله ولا حبسه . لأنه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه
 ﴿ اتذر موسى وقومه . ﴾

و لما كان ما كان فى أول مجلس من إيمان السحرة جديرا بأن يحمر
 ١٠ إليه أمثاله ، سموه فسادا و جعلوه مقصودا لفرعون إحماء له و استغضابا
 فقالوا : ﴿ ليفسدوا ﴾ أى يوقعوا الفساد و هو تغيير الدين ﴿ فى الارض ﴾
 أى التى هى الأرض كلها ، وهى أرضنا هذه ، أو الأرض كلها ، لكون مثل
 هذا الفعل جديرا برد أهل الأرض كلهم عن عقائدهم ﴿ ويذكرك والهلك ﴾
 قيل : كان أمر قومه أن يعبدوا الأصنام تقربا إليه ، وقال الإمام :
 ١٥ الأقرب أنه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ، و كان يقول : مدير
 هذا العالم السفلى هو الكواكب ، وأنه المخدوم فى العالم للخلق أو لتلك
 الطائفة و المربى لهم ؛ ثم قال : وإذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال :
 إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب و يعبدها على ما هو دين عبدة
 الكواكب [انتهى - '] . و لذلك قال : " انا ربكم الاعلى " ، - هكذا قيل ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الباهر (٣) فى ظ : الساجدين (٤) سقط من ظ .
 (٥) فى ظ : الاقرب (٦) فى ظ : صبرنا ،

وهو ظاهر عبارة التوراة الآتية في آية القمل، ولكن إرادته غير ملائمة لهذه المعادلة، بل الظاهر أنه كان سمي أمراء آلهة^١، وسمى لكل أمير قوما يتألهونه أى يطيعونه، فانه نقل عنهم أنهم كانوا يسمون الحاكم بل والكبير إلها كما سيأتى عن عبارة التوراة، فحيث وقعت الموازنة بين^٢ موسى عليه السلام وقومه^٣ وبين فرعون وقومه^٤، عبر بالآلهة تعظيماً لجانبه ٥ بالإشارة إلى أنه إله أى حاكم معبود، ليس وراءه منتهى وملاؤه كلهم آلهة أى حكام دونه^٥، وموسى عليه السلام ليس بآله ولا فى قومه إله بل عم محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون! وحيث نفى الإلهية عن غيره فبالنظر إلى خطابه للآله^٦ " ما علمت لكم من آله غيري^٧ " وحيث حشر الرعية ناداهم بقوله " انا ربكم الاعلى^٨ " وكان ذلك كان^٩ يطلق على الحاكم ١٠

/ مجازاً . فجعلوه حقيقة و صاروا يفعلون ما يختص به الآلهة [- من التحليل ٣٣٥ /
والتحريم كما قال تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله^{١١} "]
فكفروا بادعاء^{١٢} الربوبية بمعنى العبودية^{١٣} ، ونفى المعبود الحق بدليل آية
" ما علمت " ، والحاصل أنهم عيروهم بالرضى بأن يكون رئيسا على القبط
وموسى عليه السلام [رئيسا - ^{١٤}] على بنى إسرائيل فيكونوا^{١٥} بهذه المشاركة

- (١) من ظ ، وفى الأصل : الهى (٢) زيد بعده فى ظ : يدى (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : و ملاؤه كلهم آلهة ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٥) سورة ٢٨ آية ٢٨ (٦) سورة ٧٩ آية ٢٤ (٧) سقط من ظ . (٨) زيد من ظ (٩) سورة ٩ آية ٣١ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : باليعاء . (١١) فى ظ : العبودية (١٢) فى ظ : فيكون .

أكفاء للقط .

ولما أعجزه الله سبحانه أن يفعل بهم أكثر مما كان يعمل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج إلى الهلاك ، أخبر عنه سبحانه بما يفهم ذلك فقال مستأنفا: ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ سنقتل ﴾ ه أى تقيلا كثيرا ﴿ أبناءهم ﴾ أى كما كنا نفعل ﴿ ونستحي نساءهم ﴾ أى نبيهم أحياء إذ لا لهم وأما من غائلتهم في المستقبل ﴿ وانا فوقهم ﴾ أى الآن ﴿ قهرون ه ﴾ ولا أرلغلة موسى لنا في هذه المناظرة لثلاثتهم العامة أنه المولود الذى تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فيبطئهم ذلك عن الطاعة ، موهما بهذا أن تركه لأذى موسى عليه السلام ادمم التفاته إليه ، لا يعجزه شيء عنه .

ولما كان هذا أمرا يزيد من قلق بنى إسرائيل لما شنوا من راحة الفرج ، استأنف سبحانه الخبر عما ثبتهم به موسى عليه السلام قائلا : ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى بنى إسرائيل الذين فيهم قوة وقيام [فيما - ٦] يريدون من الأمور لو اجتمعت قلوبهم ﴿ استعينوا ﴾ أى ألقوا طلب العون ﴿ بالله ﴾ الذى لا أعظم منه بما يرضيه من العبادة ﴿ واصبروا ج ﴾ ثم علل ذلك بأنه فعال لما يريد ، لا اعتراض عليه ولا مفر من حكمه فقال :

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ ولا في القرآن الكريم فحذفناها (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتوهم (٣) في ظ : لا تحدث (٤) من ظ ، وفي الأصل : توها (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ .

(ان الارض) أى كلها مصر و غيرها (لله) أى الذى لا أمر لاحد معه ، كرهه تذكيرا بالعظمة و تصريحاً و تبركاً ؛ ثم استأنف قوله :
(يورثها من يشاء من عباده) .

ولما أخبر أن نسبة الكل إليه واحدة ، أخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال : (والعاقبة) أى والحال أن آخر الأمر وإن حصل بلاء ه (للثقلين) أى الذين يقون أنفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترون فى العاجل فانه قد يكون استدراجاً .

ولما تشوف السامع إلى ما كان من جوابهم ، أشار تعالى إلى أن قلفهم كان وصل إلى حد لا صبر معه بقوله مستأنفاً : (قالوا) ولما كان الموجه هو الآذى ، لا كونه من معين ، بنوا للفعل قولهم : (اؤذينا) ١٠ أى بالقتل والاستعباد .

ولما كان أذاهم غير مستغرق للزمان ، أثبتوا الجار فقالوا :
(من قبل ان تاتينا) أى كما تعلم (ومن بعد ما جئتنا) أى فما الذى أفادنا بجيتك (قال) مسلياً لهم وداعياً و مرجياً ، بما رمز إليه من قبل (عسى ربكم) أى الذى أحسن إلى آبائكم بما تعرفون وإليكم بأرسالي ١٥ إليكم (ان يهلك عدوكم) فلا يهولنكم ما ترون (و يستخلفكم) أى و يوجد خلافتكم لهم متمكين ، لا يحكم عليكم غيركم (فى الارض) أى جنسها إن كنتم متقين ؛ ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكراً لهم بحذرا من

(١) سقط من ظ (م) من ظ ، وفى الأصل : الاذى (م-م) فى ظ : ادخل .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : مصرحاً .

سطواته سبحانه: ﴿فَينظر﴾ أى و أتم خلفاء متمكنون^١ ﴿كيف يعملون﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر و هو فى الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال، ولكنه يفعل ذلك لتقوم^٢ الحجة [عليكم -^٣] على مجارى عاداتكم.

٥ و لما رجاهم موسى عليه السلام بذلك، أخبر سبحانه أنه فعل ما أخبرهم به، فذكر مقدماته فقال: ﴿ولقد﴾ أى قال لهم ما قال و الحال أنا و عزتنا قد ﴿أخذنا﴾ أى قهرنا ﴿الفرعون﴾ و لنا عربيتهم و سهلنا شكيتهم ﴿بالسين﴾ أى بالقحط و الجوع، فان السنة يطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام؛ و لما كانت السنة تطلق على نقص الحبوب، صرح بالثمار فقال: ﴿و نقص من الثمرت﴾ أى بالعاهات إن كان الماء كثيرا، أو السنة للبادية و النقص للحاضرة ﴿لعلهم / يذكرون﴾ أى ليكون^٤ حالهم حال من يرجو ناظره أن^٥ يتذكر فى نفسه و لو بأدنى وجوه التذكر - بما^٦ أشار إليه الإدغام، فان الضريزىل الشاخرة التى هى مظنة الوقوف مع الحظوظ و يوجب^٧ للانسان الرقة فيقول: هذا إنما حصل لى بسبب تكذيبى ١٥ لهذا الرسول و عبادى من لا يكشف سوء عن نفسه و لا غيره .

و لما لم يتذكروا و لا لانوا، سبب عن أخذهم قوله معرفا بغيادتهم

- (١) فى ظ: متمكنين (٢) من ظ، وفى الأصل: ليقوم (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ: من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: قد (٧) فى ظ: لتكون (٨) فى ظ: او (٩) فى ظ: كما (١٠) من ظ، وفى الأصل: توجب .

معبرا في الخير بأداة التحقيق إشارة إلى أنه أغلب من الشر^٢، حثا على الشكر :
 ﴿ فاذا ﴾ أى فـا تسبب عن ذلك إلا أنهم كانوا إذا ﴿ جاءتهم الحسنة ﴾
 أى الحالة الكاملة التى يحبونها من الخصب وغيره ، وعرفها بعد تحقيقها
 إشارة إلى إكمالها ﴿ قالوا لنا هذه ج ﴾ أى نحن حقيقون بها ، ودل على أن
 الخير أكثر من غيره بقوله بأداة الشك مع التكرير : ﴿ وان تصبهم سيئة ﴾ ٥
 أى حالة يكرهونها .

[ولما كانت الإصابة بالسينات تخصهم ولا يلحق بنى إسرائيل منها
 شيء ، فكان إظهارهم للتطير بهم ظاهرا فى ردهم عليهم وتكذيبهم فيه ،
 أشار سبحانه بادغام التاء إلى أنهم كانوا إنما يدسونه إلى من يمكنهم
 اختداعه من الجهلة والأغبياء على وجه الحيلة والخفاء ، بخلاف ما فى ١٠
 يسّ فقال - ٢] : ﴿ يطبروا ﴾ أى يتشاءموا ﴿ بموسى ومن معه ﴾
 أى بأن يقولوا : ما حصل لنا هذا السوء إلا بشؤمهم ، وهو تفعل من الطير ،
 وهو تعمد قصد الطير لأن يطير للتفاؤل به من خير أو شر ، وأصله
 أن العرب كانوا إذا مر الطائر من ميامنهم إلى جهة مياسرهم قالوا :
 بارح ، أى مشؤم ، من البرح وهو الشدة ، فاذا طار من جهة اليسار ١٥
 إلى جهة اليمين عدوه مباركا ، قالوا : من لى بالسائح بعد البارح ، أى
 بالمبارك بعد المشؤم ، وعرف أن المراد هنا التشاؤم لا قترانه بالسيئة .
 ولما كذبوا فى الموضعين ، قال مستأنفا على وجه التأكيد :

(١) من ظ ، وفى الأصل : بارادة (٢) فى ظ : السوء (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٤) من روح المعانى ١٠٢/٣ ، وفى الأصل : بالسائح ، وفى ظ :
 بالسائح - كذا .

﴿الْأَنَّمَا ظَنَرْتُمْ﴾ أى قدرهم الذى سبق فى الأزل من الخير والشر فلا يزداد ولا ينقص ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لغيره وقد قدر كل شيء، فلا يقدر على المحي به غيره أصلاً ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم أصلاً فهم لا يهتدون إلى ما ينفعهم ويظنون أن للعباد مدخلا ه فى ذلك، فلذلك تراهم يضيفون الأشياء إلى أسباب يتوهمونها .

ولما كان هذا الذى قالوه يدل على سوء المزاج و جلالة الطباع بما لا يقبل العلاج ، أتبعه ما هو شر منه ، وهو أنهم جزموا بأنه كلما أتاهم شيء فى المستقبل قابله بالكفر فقال : ﴿وقالوا مهما﴾ هى مركبة من 'ما' مرتين : الأولى الشرطية والثانية تأكيد ، قلبت ألف الأولى هاء^١ استقلالا ، وقيل : [مه --^٢] هى الصوت الذى يكون للكف وما الشرطية ، أى كف عنك ما أنت فيه ، ثم استأنفوا 'ما' : ﴿تأتنا به﴾ أى فى أى وقت وعلى أى حالة كان ؛ ثم بينوا^٣ المأتى به بقولهم : ﴿من آية﴾ أى علامة على صدقك ، وهذا على زعمه ، ولذلك عللوه بقولهم : ﴿لتسحرنا﴾ أى لتخيل^٤ على^٥ عقولنا ﴿بها﴾ و تلفتتا عما نحن عليه إلى ما تريد فتحن نسبها سحرا وأنت تسميها آية ؛ ثم أجابوا الشرط بقولهم : ﴿فما نحن﴾ أى كلنا ﴿لك﴾ أى خاصة ﴿بمؤمنين﴾ أى من أن نكذبك .

ولما بارزوا بهذه العظيمة ، استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله :

(١) من ظ ، وفى الأصل : فلا يزداد (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ما (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : يُفسر - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يخيل - كذا (٧) سقط من ظ .

(فارسلنا عليهم) أى عذابا لهم - لما يفهمه حرف الاستعلاء (الطوفان)
 أى الرعد و البرق و النار مع المطر و البرد الكُبار الذى يقتل البقر فما
 دونها، و الظلمة و الريح الشديدة التى عمت أرضهم و طافت بها، و لما
 كان ذلك ربما أخصبت به الأرض، أخبر أنه أرسل^٢ ما يفسد ذلك
 فقال: (و الجراد) .

و لما كان الجراد ربما طار و قد أبقي شيئا، أخبر بما يستمر لازقا فى
 الأرض حتى لا يدع بها شيئا فقال: (و القمل) قال فى القاموس:
 القمل كالسكر^٣: صغار الذر و الدبى الذى لا أجنحة له - و هو أصفر الجراد
 أو شيء صغير، بجناح أحمر، و شيء يشبه الحلم خبيث الرائحة أو دواب
 صغار كالقردان^٤ - / بغنى القرداد . و قال البخارى فى بنى إسرائيل من ١٠ / ٣٣٧
 صحيحه: القمل: الحنان^٥ يشبه صغار الحلم .

و لما كان ربما كان عندهم^٦ شيء مخزون لم يصل إليه ذلك، أخبر
 بما يسقط نفسه فى الأكل فيفسده أو ينقصه فقال: (و الضفادع) فانها
 عمت جميع أماكنهم، و كانت تتساقط فى أطعمتهم، و ربما وثبت إلى
 أفواههم حين يفتحونها للأكل .

و لما تم ما يضر بالماكل، أتبعه ما أفسد المشرب فقال: (و الدم)
 فان مياههم اقلبت كلها دما منتنا، و عم الدم الشجر و الحجارة و جميع
 (١) فى ظ: طارت (٢) سقط من ظ (٣) فى القاموس: كسكر (٤) من
 القاموس، و فى الأصل و ظ: صغار (٥) أقحمت صفحة الأصل فى « كالقردان »
 به « كالقرد » (٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: الحنان - كذا .
 (٧) فى ظ: عنده .

الأرض في حق القبط ، و أما بنو إسرائيل فسالون من^١ جميع ذلك .
ولما ذكر تعالى هذه الآيات العظيمة ، نبه على عظمتها بذكر حالها
فقال: ﴿أَيُّت﴾ أى علامات على صدقه عظيمة ﴿مفصلت﴾ أى^٢
يتبع بعضها بعضا ، و بين كل واحدة و أختها^٣ حين يختبرون فيه مع^٤ ان
مغايرة كل واحدة لأختها^٥ في غاية الظهور ، وكذا العلم بأنها من آيات الله^٥
التي لا يقدر عليها غيره .

ولما كانت حقيقة بأن يتسبب عنها الإيمان عند سلامة القلب ،
سبب عنها قوله: ﴿فاستكبروا﴾ مبينا أن الذي منعهم من الإيمان مرض
القلب بالكبر و الطغيان ﴿و كانوا قوما مجرمين ه﴾ أى في جبلتهم قطع
١٠ ما ينبغي وصله مع قوتهم على ما يحاولونه .

ولما كان هذا في الحقيقة نقضا لما أخذه الله على العباد بعهد العقل ،
أتبعه نقضا حقيقيا^٦ ، فقال مبينا لحالهم عند كل آية ، و لعله عبر بما يشملها
و لم ينص على التكرار لأن ذلك كاف فيما ذكر من النقض و الفسق :
﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ يعنى العذاب المفصل الموجب للاضطراب
١٥ ﴿قالوا يُمُوسَى ادع لنا ربك﴾ أى المحسن إليك ، و لم يسمحوا كبرا
وشماخة أن يعرفوا به ليقولوا: ربنا ﴿بما عهد عندك ه﴾ أى من التوبة
التي منها هذا البر الذي تراه^٧ يصنعه بك ؛ ثم أكدوا العهد بقولهم استئنفا

(١) من ظ ، و في الأصل: في (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل :
أخيها (٤) من ظ ، و في الأصل : لآخيها (٥) زيد بعده في ظ : يختبرون فيه على
ان مغايرة الله (٦) من ظ ، و في الأصل : حقيقا (٧) في ظ : تراه .

أو تعليلاً: ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ أى العذاب الذى اضطربت قلوبنا
و جميع أحوالنا له ﴿لئؤمنن لك﴾ أى لنجعلنك آمناً من التكذيب بإيقاع
التصديق، و يكون ذلك خالصاً لأجلك و خاصاً بك ﴿و انرسلن معك﴾
أى فى صحبتك، لا نجيب أحداً منكم عن الآخر ﴿بنى اسراءيل ج﴾ أى
كما سألت؛ و دل على قرب الإجابة بالفاء فى قوله: ﴿فلما كشفنا﴾ أى هـ
بعظمتنا ﴿عنهم الرجز﴾ كرره تصريحاً و تهويلاً، و مددنا الكشف
﴿إلى أجل﴾ أى حد من الزمان ﴿هم بلغوه﴾ أى فى علمنا ﴿إذا هم﴾
[أى - ١] بضائرهم التى تجرى ظواهرهم على حسبها ﴿ينكثون هـ﴾
و لما أخبر أنهم فاجأوا النكت و كرروه، سبب عنه قوله: ﴿فاتقمنا منهم﴾

أى انتقاماً ليس كذلك الذى كنا نؤذيهم^٢ به، بل انتقام إهلاك عبرة^{١٠}
لوصولهم بعد كشف جميع الشبه إلى محض العناد؛ ثم فسره بقوله:
﴿فاغرقهم﴾ بما لنا من العظمة ﴿فى اليم﴾ أى فى^٢ البحر الذى يقصد
لنأفقه ﴿بانهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿كذبوا بآيتنا﴾ أى على ما لها من
العظمة بما عرف من صحة نسبتها إلينا، و دل سبحانه على أنهم كذبوا
بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله: ﴿وكانوا﴾ أى جلبة و طبا^{١٥}
﴿عنها غفلين هـ﴾ أى يكون حالهم بعد ما كآلمهم قبلها، فكأنها لم تأتهم
أصلاً فاستحقوا^{١٥} الأخذ لوقوع العلم بأن الآيات لا تفيدهم
و لما أخبر عن إهلاكهم، عطف عليه ما صنع بنى إسرائيل فقال:

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: نؤذيهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل:
لهم (هـ) من ظ، وفى الأصل: فاستحق.

﴿ واورثنا ﴾ أى بعد إهلاكهم بما لنا من العظمة ﴿ القوم ﴾ ولما أشار
 بهذه العبارة - التى معناها أنه كانت فيههم قوة وكثرة وشدة عزم على
 ما يحاولونه ويقومون به - إلى أنه هو الذى أذلهم لافرعون ، أتبعه
 ما يدل عليه / فقال : ﴿ الذين كانوا يستضعفون ﴾ أى يطلب ضعفهم
 ٣٣٨ / و يوجد بالشوكة واجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته فى القلوب
 التى الوهم غالب عليها ، وهم بنو إسرائيل ﴿ مشارق الارض ﴾ أى
 الكاملة لبركاتها ﴿ ومغارها ﴾ أى أرض الشام من الفرات إلى بحر سوف :
 الموضع الذى خرجوا منه من البحر وغرق فيه فرعون وآله - كما مضى
 نقله فى المائدة عن التوراة ، يعنى حكما بإيراثهم ذلك وأنجزناه لأبناء
 ١٠ الذين خرجوا من مصر بعد إهلاكهم فى التيه ؛ ثم وصفها تنبيها بها
 بقوله : ﴿ التى بركننا فيها ﴾ أى فى أرضها بالمياه والأشجار والثمار
 والخصب ، وفى أرزاقها بالكثرة والطيب ، وفى رجالها بالعلم والنبوة
 وفى طباعهم بالاستقامة ، وفى عزائمهم بالنجدة والشجاعة والمكارم ،
 وفى جميع أحوالهم بأنه لا يبيغهم ظالم إلا عوجل بالنقمة ﴿ وتمت ﴾ أى
 ١٥ وجدت صحتها لوجود مضمونها فى عالم الشهادة وظهوره من ستور الغيب
 ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذه الأنباء على هذه الوجوه المفيدة
 مع إنجازها لغاية العلم والحكمة ﴿ الحسنى ﴾ مستعلية ﴿ على بنى إسرائيل ﴾
 (١) فى ظ : يوموت - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : على (٣) فى ظ : تغليظا .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يبيغهم (٦) فى
 ظ : الغيوب .

أى^١ التى هى أحسن الكلام وهى وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية وإيراثهم مساكن آبائهم كما كانوا يسمعون من أسلافهم، وإذا استعلت عليهم منعت أعداءهم من الوصول إليهم ﴿بما صبروا^٢﴾ أى بسبب صبرهم على الاستبعاد وذبح الأولاد وما حصل بعد ذلك من طول الانكاد ﴿ودمرنا^٣﴾ أى أهلكنا إهلاكا عظيما جعل يدمره كالرماد، هـ لا خير فيه أصلا ﴿ما كان يصنع^٤﴾ أى صنعا بغاية الإقبال عليه حتى كأنهم خلقوا لهم ﴿فرعون وقومه^٥﴾ أى من الصنائع الهائلة المعجبة لكل من^٦ يراها أو يسمع بها مع^٧ أنهم قد مرنوا عليها فصارت أسهل شئ^٨ عندهم ﴿وما كانوا^٩﴾ أى بما هو كالجبلية والطبع ﴿يعرشونه^{١٠}﴾ أى من الجنان والقصور العالية الأركان، وكفى بهذه الآية حانة على الصبر ١٠ وضامنة على كل^{١١} حائر للأجر^{١٢} بالتفريج عن المظلوم ونصره وإهلاك الظلوم وقهره .

شرح ما يحتاج إلى شرحه هنا من التوراة الموجودة الآن بين أظهر اليهود، قال مترجمها فى الإصحاح الثالث من السفر الثانى ما نصه: وقال الرب لموسى فى مدين: انطلق^١ راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا ١٥ يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا، فانطلق موسى بامراته وبنيه^٢ وحملهم

(١) - ققط من ظ (٢-٢) فى ظ: راءا وسمع بها من - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن^٤ كالجبلية والطبع، والترتيب من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: هذه. (٥-٥) فى ظ: حال الاجل (٦) من ظ، وفى الأصل: انطلقوا (٧) من التوراة، وفى الأصل: ابنته، وفى ظ: ابنيه.

على حمارة وأخذ بيده عصا الرب ، وقال الرب لموسى : انظر كل آية
أجريتها على يدك فاصنعها أمام فرعون وأنا أقسى قلبه فلا يرسل الشعب
وقل لفرعون: هكذا يقول الرب : 'ابنى بكري' إسرائيل ، أرسل^٢ ليعبدنى ،
فإن آيت أن ترسل ابنى فأنى أقتل ابنك بكرك^٣ ، فلما صار موسى فى الطريق
ه فى الميت لقيه ملاك الرب فأخذت صفورا^٤ حجرا^٥ من حجارة المرة
فخشت غرلة ابنها وأخذت^٦ برجليه - وفى نسخة السبعين : ووقعت عند
رجليه - وقالت : إن اليوم عرس الدم - تعنى الختان ، فقال الرب لهارون :
اخرج فتلق أخاك فى القفر ، فخرج فلقيه فى جبل الله فى حوريب^٧ فعانقه
وقبله ، فأخبر موسى هارون بجميع قول الرب الذى أرسله فيه وما أمره به
١٠ من الآيات ، و انطلق موسى و هارون ، فجمع أشياخ بنى إسرائيل ، فقص
عليهم جميع ما قال^٨ الرب لموسى^٩ ، و جرح جرائح وآيات قدام الشعب -
وفى نسخة السبعين : فجمعوا مشايخ بنى إسرائيل و تكلم هارون بجميع الكلام
الذى كلم الله به موسى و عمل الآيات قدام الشعب - فأمن الشعب و سمعوا
(أن الرب قد ذكر بنى إسرائيل و أبصر إلى خضوعهم ، و جشأ^{١٠} الشعب
١٥ و سجدوا للرب ، و من بعد هذه الآيات و الخطوب دخل موسى و هارون

/ ٣٣٩

(١-١) فى ظ : انه بنى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : بكري
(٤) فى ظ : صافورا (٥) من ظ ، وفى الأصل : صفورا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
اخذ (٧) فى ظ : لمروة (٨) من ظ ، وفى الأصل : حورت - كذا (٩-٩) سقط
ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : خما - كذا .

و قالوا

و قالوا لفرعون: هكذا يقول الله رب إسرائيل: أرسل شعبي يحجون إلى القفر - وفي نسخة السبعين: ليعبدوني^١ في البرية - عوض: يحجون إلى القفر، فقال^٢ فرعون: ومن هو الرب حتى أطيعه؟ لا أعرف الرب ولا أرسل بنى إسرائيل، وقالوا له: الرب إله العبرانيين اعتن^٣ لنا، فنتطلق مسيرة^٤ ثلاثة أيام في القفر ونذبح^٥ الذبائح لله ربنا لكيلا ينزل بنا الحزن والوباء - ه وفي نسخة السبعين: لئلا يفاجئنا موت أو قتل - قال فرعون: ما بالكما تبطلان^٦ الشعب من أعمالهم؟ فأمر فرعون ولاية الشعب وكتبهم وقال لهم: لا تعودوا أن تعطوا الشعب تبن^٧ لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم، بل هم ينطلقون فيجمعون لأنفسهم التبن^٨، وخذوهم بحساب اللبن على ما كنتم تأخذونهم به^٩ أمس وأول من أمس - وفي نسخة السبعين: ١٠ في كل يوم ولا تنقصوهم^{١١} شيئا من عملهم لأنهم بطروا لذلك يصيحون "فيقولون: تنطلق فنذبح" للرب إلهنا - فليشتد^{١٢} العمل على الرجال - وفي نسخة السبعين - فليضاعف عمل هؤلاء القوم - حتى يهتموا به ولا يهتموا بكلام الباطل، فخرج ولاية الشعب وكتبهم^{١٣} بما قال فرعون،

(١) من ظ ، وفي الأصل: ليعبدني (٢) من ظ ، وفي الأصل: وقال (٣) من ظ ، وفي الأصل: اعلق - كذا (٤) في ظ : مسافة (ه) من ظ ، وفي الأصل: يذبح (٦) في ظ : يبطلان (٧) من ظ . وفي الأصل: لبناً (٨) من ظ ، وفي الأصل: اللبن (٩) زيد بعده في ظ : قبل (١٠) من ظ ، وفي الأصل: لا ينقصوهم . (١١ - ١٢) من ظ ، وفي الأصل: يقولون ينطلق ويذبح - كذا (١٣) في ظ : فليشهد (١٤) من ظ ، وفي الأصل: كهنتهم .

ففرق الشعب في جميع أرض مصر في جمع^١ التبن، وجعل ولائهم بلحون
عليهم ويقولون: ارفضوا إلينا العمل كما كنتم ترفضون من قبل حيث كنتم
تعطون التبن^٢، فزادت كفة بني إسرائيل وعوقبوا من الذين ولوم عليهم
وقالوا: لم^٣ لم ترفضوا إلينا حساب التبن كما كنتم ترفضون، فأنى كفة
ه بني إسرائيل فشكوا إلى فرعون وقالوا: ما بال عبيدك يصنع بهم هذا
الصنيع؟ قال فرعون: أتم قوم بطرون، تقولون: ننتقل لنذبح لربنا،
فار - أى الكفة - في بني إسرائيل وقالوا لهم: لا تنقصوا من لبنكم
شيئا، بل ارفضوا إلينا كما كنتم ترفضون كل يوم، فلقوا موسى وهارون
وهما واقفان أمامهم - وفي نسخة السبعين: وهما يجيئان^٤ نحوهم إذ خرجوا
١٠ من بين يدي فرعون - فقالوا لهما^٥: الله يحكم بيننا وبينكما لأنكما حرصتما
علينا فرعون وعبيده حتى ضيق علينا بأن يضع السلاح فينا فيقتلنا^٦، فرجع
موسى إلى الرب وقال: يا رب ألم أسأت بشعبك وأضررت به؟ لآنى
ساعة أن أتيت^٧ فرعون قد ذكرت اسمك أساء بهذا الشعب وشق عليهم
وأنت ظم تخلص^٨ شعبك، فقال الرب لموسى: الآن^٩ ترى ما أصنع
١٥ بفرعون لأنه سيرسلهم - وفي نسخة السبعين: و^{١٠} سوف ترى ما أصنع

(١) من ظ، وفي الأصل: جميع (٢) من ظ، وفي الأصل: التبن (٣) من ظ،
وفي الأصل: لو (٤) من ظ، وفي الأصل: تبيان - كذا (ه) من التوراة، وفي
الأصل و ظ: لهم (٦) من ظ، وفي الأصل: فيقتل (٧) من ظ، وفي الأصل:
ثبت (٨) من ظ، وفي الأصل: ظم - يحصل - كذا (٩) من التوراة، وفي الأصل
و ظ: الا (١٠) سقط من ظ.

فرعون وكيف يرسلهم يد منيعة و بذراع عظيمة يخرجهم من أرض مصر^١
 أنا الرب الذي اعتلت^٢ لإبراهيم وإسحاق ويعقوب و سميت باله المواعد
 ولم أعلمهم اسم الرب - وفي نسخة السبعين: واسمى الرب فلم أظهره لهم -
 وأثبت عهدي أيضا و وعدتهم أن أعطيهم^٣ أرض كنعان أرض غربتهم
 التي سكنوها؛ وقد سمعت ضجيج بني إسرائيل من تعبد^٤ أهل مصر،^٥
 وأنجيكم من أعمالهم؛ وأخلصكم يد منيعة وذراع عالية و بأحكام عظيمة،
 واختصكم لي شعبا و أكون لكم إلها، و تعرفون أني أنا الرب إلهكم الذي
 أخرجكم^٦ من تعبد المصريين و أقبل بكم إلى الأرض التي رفعت يدي
 لأعطيها آباءكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب و أجعلها لكم ميراثا إلى الدهر،
 أنا الرب^٧ فقال موسى لبني إسرائيل هذه الآقاويل فلم يسمعوا من موسى^٨
 ولم يطيعوه من شدة حزنهم واستيقاد^٩ نفوسهم من السكد الشديد،
 و كلم الرب [موسى وقال له: انطلق إلى فرعون ملك مصر و قل له
 فيرسل بني إسرائيل -^{١٠}] من أرض مصر، فقال موسى للرب: إن
 بني إسرائيل لا يسمعون ولا يطيعوني، و أنا أرت المنطق ثقيل اللسان
 فكيف يطيعني فرعون و يسمع مني^{١١} فقال الرب / لموسى: انظر، إني ١٥ / ٣٤٠
 قد جعلتك^{١٢} إلها لفرعون، و هارون أخوك يكون نيا عليك، أنت تقضى

(١) من ظ، وفي الأصل: اغتيت - كذا (٢) من التوراة، وفي الأصل و ظ:
 اعطيهم (٣) من ظ، وفي الأصل: بعيد (٤) في ظ: اصالحكم (٥) في ظ:
 اخرجتكم (٦) في ظ: استشفاف - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفي الأصل:
 جعلت لك .

جميع ما أمرك به ، و هارون أخوك يقول لفرعون - وفي نسخة السبعين :
 و هارون أخوك يكون لك نيا و أنت تتكلم بجميع ما أمرك^١ به و هارون
 أخوك يكلم فرعون - يرسل بنى إسرائيل من أرضه و أنا أقسى قلب
 فرعون فأكثر آياتي و عجائبي بأرض مصر ، فلا يطيعكما فرعون ولا يسمع
 منكما فأمديدي على مصر و أخرج جميع جنودى و شعى بنى إسرائيل
 من أرض مصر بالأحكام العظام ، فيعرف أهل مصر أنى أنا الرب ،
 فصنع موسى و هارون كما أمرهما الرب و انتهيا إلى أمره ، وكان قد أتى
 على موسى ثمانون سنة ، وكان هارون ابن ثلاث و ثمانين سنة إذ كلما فرعون ،
 فقال الرب لموسى و هارون : إن قال لكما فرعون : أظهر^٢ لى آية
 ١٠ و جريحة^٣ ، قل لهارون : [خذ عصاك و ألقها بين يدي فرعون فتكون تينا
 عظيما ، فأتى موسى و هارون - ^٤] إلى فرعون فصنعا كما أمرهما الرب ،
 فألقى عصاه - و فى نسخة السبعين^٥ : فألقى هارون عصاه - بين يدي فرعون
 و أمام أمرائه - و فى نسخة السبعين^٥ : و عبيده - فصارت تينا عظيما ،
 فدعا فرعون بالحكماء و السحرة^٦ ، فصنع سحرة مصر أيضا بسحرهم^٧ كذلك ،
 ١٥ فألقى كل امرئ منهم عصاه فصارت تينا ، فابتلعت عصا هارون عصيهم ،
 فقسا قلب فرعون و أبى أن يرسلهم كما قال الرب ، و قال الرب لموسى : إن
 قلب فرعون قد قسا و أبى أن يرسل الشعب ، انطلق إلى فرعون بالغداة ، هو ذا
 يخرج ليغتسل على شاطئ البحر ، و خذ العصا التى تحولت فى يدك ثعبانا

(١) فى ظ : امرتك (٢) من ظ ، و فى الأصل « ١ » (٣) من ظ ، و فى الأصل :
 صريجة (٤) زيد من ظ. (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ : السحرا .
 (٧) من ظ ، و فى الأصل : سحرهم .

وقل : إن الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك ، يقول لك : أرسل شعبي حتى يعبدنى فى البرية لأنك^١ حتى الآن لا تسمع ولا تطيع ، هكذا يقول الرب^٢ : بهذا تعلم^٣ أنى أنا الرب ، هأنذا أضرب ماء النهر بعصاى فيصير دما ، وتموت الحيتان التى فى النهر وينتن - وفى نسخة السبعين : ولا يقدر أهل مصر أن يشربوا الماء من هذا النهر - وقال الرب لموسى : مر هارون ه أن يأخذ عصاه ، و ارفع يدك على ماء المصريين على أنهارهم وعلى غدراتهم^٤ وعلى آجامهم وعلى دواليب مياههم - وفى نسخة السبعين : وقال الرب لموسى : قل لهارون : خذ عصاك ومد يدك على ماء مصر وعلى أنهارها وآجامها ونقارها وعلى كل مائها المستنقع - فيتحول دما ، فيصير الدم فى جميع أهل مصر فى الأرض والخشب والحجارة ، فصنع موسى ١٠ و هارون كما أمرهما الرب ، فرفع هارون العصا التى فى يده فضرب بها ماء النهر وفرعون وعبيده ينظرون^٥ ، فتحول ماء النهر فصار دما ، وماتت الحيتان التى بالنهر^٦ ، ففسد ماء النهر وأنتن ، ولم يقدر أهل مصر على شرب الماء من الدم ، فصار الدم فى جميع أرض مصر وقسا قلب فرعون فلم يطعهما كالذى قال الرب ، فانصرف فرعون فدخل منزله ولم يفكر ١٥ فى شىء من ذلك وتهاون به ، و كملت^٧ سبعة أيام من بعد ما ضرب الرب النهر ، وقال الرب لموسى : انطلق إلى فرعون و قل له : هكذا يقول

(١) من ظ ، وفى الأصل : لانه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :

يعلم (٤) من ظ ، وفى الأصل : عذارتهم (٥) فى ظ : ينظران (٦) فى ظ : فى

النهر (٧) من ظ ، وفى الأصل : كانت .

الرب: أرسل شعبي حتى يعبدوني^١، فإن آيت أن ترسله فاني أضرب جميع
 حدودك بالضفادع قذب / الضفادع فتصعد فتدخل إلى بيتك و قيطونك^٢
 وفي مبيتك و على مضجعك وأسرتك و في بيوت عبيدك و شعبك و محادعك
 و بيوت طعامك ، و تدب الضفادع عليك و على جميع شعبك ، و قال
 ٥ الرب لموسى: قل لهارون أخيك أن مد يدك بعصاك على الأنهار و على
 الدواب و على الآجام فأصعد الضفادع على أرض مصر، فرفع هارون
 يده على مياه المصريين فأصعد الضفادع^٣ فغشيت أرض مصر، فدعا
 فرعون موسى^٤ و هارون [و - ^٥] قال لها: صليا بين يدي الرب فتصرف^٥
 الضفادع غنى و عن شعبي حتى أرسل الشعب فيذبجوا بين يدي الرب ،
 ١٠ فقال موسى لفرعون: سل وقتا أصلى عليك فيه و على عبيدك و شعبك
 فتصرف^٥ الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة السبعين: عنك و عن
 قومك و عن بيوتك - فقال له: غدا ، فقال له موسى: سيكون كما سألت
 فتعلم أنه لا إله غير إلها، فيصرف^٦ الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة
 السبعين: بيوتك و عن عبيدك و عن شعبك ما خلا الضفادع التي في
 ١٥ النهر - فخرج موسى و هارون من بين يدي فرعون ، فصلى موسى بين يدي
 الرب فاستجاب الرب لموسى ، فماتت الضفادع في الدور و البيوت و الرياض
 (١) من ظ ، و في الأصل: يعبدني (٢) من ظ ، و في الأصل: مطونك - كذا ،
 و في اللسان: القيطون: المنحدر (٣) سقط من ظ. (٤) زيد من ظ (٥) من
 ظ ، و في الأصل: فينصرف (٦) من ظ ، و في الأصل: لما (٧) في ظ :
 فينصرف .

فجمعوها أنايير أنايير فأصلّت الأرض وأجنت - وفي نسخة السبعين :
 فجمعوها صيا صيا فأننت الأرض - فرأى فرعون الفرج والراحة وجفا
 قلبه فلم يطعها كالذى قال الرب ، فقال الرب لموسى :^١ مر هارون فيرفع^٢
 عصاه ليضرب ثرى الأرض فيكون القمل فى جميع^٣ أرض مصر ، ففعل
 ذلك فذب القمل فى الناس والبهائم وصار جميع ثرى الأرض قملا فى ٥
 جميع أرض مصر ، فصنع مثل ذلك السحرة بسحرم فلم يقدروا أن يصرفوا
 القمل فى الناس والبهائم ،^٤ فقالت السحرة لفرعون : إن هذا فعل رب العالمين ،
 فقسا قلب فرعون ولم يطعها كما قال الرب ، فقال الرب لموسى : أذبح^٥
 باكرا وقف بين يدى فرعون ، وهو ذا يخرج يغتسل - وفي نسخة السبعين :
 فانه يخرج إلى الماء - فقل^٦ [له - °] : هكذا يقول الرب : أرسل شعبي ١٠
 فيعبدونى ، فان أنت أيت فهاذا مرسل - وفي نسخة السبعين : فاني مرسل -
 عليك وعلى شعبك وعلى أهل بيتك هوام وحشرة من كل جنس^٧
 فتمتلى - وفي نسخة : ذباب الكلب^٨ فتمتلى - يوت المضربين من الهوام
 والحشرة مثل ثرى الأرض التى هم عليها ، وأميز فى ذلك اليوم أرض
 جاسان^٩ التى يسكنها شعبي ، فلا يكون فيها من الهوام والحشرة شئ ١٥
 تعلم أنى أنا الرب ، وأميز بين شعبي^{١٠} وشعبك ، وتكون^{١١} هذه الآية غدا ،

(١) زيد بعده فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٢) فى ظ :
 ليرفع (٣) زيد بعده فى ظ : عمل (٤) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٥) زيد من
 ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : فيعبدنى (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٨) من التوراة ، وفى الأصل : جعثان ، وفى ظ : جشان (٩) من ظ ، وفى
 الأصل : يكون .

و فعل الرب كذلك و أنزل الهوام على بيت - و في نسخة: يوت - فرعون
و عبيده و على جميع أرض مصر، ففسدت الأرض بالهوام، فدعا فرعون
موسى و هارون و قال لهما: انطلقوا فاذبحوا الذبائح لله ربكم في هذه
الأرض، فقال موسى: لا يحسن بنا أن نفعل ذلك لأننا إنما ندبح للرب
إلهنا من نجاسة المصريين و بدعهم، فان نحن ذبحنا أمام آلهة المصريين
رجونا، بل نطلق مسيرة ثلاثة أيام في القفر فنذبح هنالك للرب إلهنا
على ما يأمرنا و يقول لنا، فقال فرعون: أنا أرسلكم فتذبحوا الذبائح
للرب إلهكم في البرية، و لكن لا تطلقوا فتواتوا، بل صلوا على أيضا -
و في نسخة السبعين: و لكن لا تبعدوا و صلوا / على أيضا إلى ربكم - فقال

/٣٤٢

١٠ موسى لفرعون: هاأنذا أخرج من بين يديك فأصلي بين يدي الرب،
فيصرف الهوام و الحشرة عن فرعون و عن عبيده و [عن - ٢] شعبه
غدا، و لكن لا يعود فرعون أن يكذب^٢ في قوله و يأبى أن يرسل الشعب
ليذبحوا الذبائح، فخرج موسى من بين يدي^٣ فرعون و صلى بين يدي الرب،
فقبل الرب صلاة موسى و صرف الهوام فلم يوجد منها و لا واحد، فقسا
١٥ قلب فرعون^٤ بعد هذا أيضا و لم يرسل الشعب، فقال الرب لموسى: انطلق
إلى فرعون و قل له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين: أرسل شعبي حتى
يعبدوني^٥، فان آيت أن ترسله - و في نسخة السبعين^٦: و تمسكت به، فان

(١) في ظ: هناك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: يكون (٤) سقط
من ظ (٥) في ظ: موسى (٦) من ظ، وفي الأصل: يعبدني (٧) زيد في ظ:
و تمسك به حتى الآن فهذه يد الرب و في نسخة السبعين .

يد الرب تضرب ماشيتك التي في القفر من الخيول والحير والبقر والغنم، فيقع فيها الوباء العظيم الصعب الشديد، ويميز^١ الرب بين دواب^٢ بنى إسرائيل وبين بهائم أهل مصر، فلا يموت^٣ من بهائم آل إسرائيل ولا واحد، ووقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الأرض، فأكمل الرب هذا الأمر من غد ذلك اليوم، فمات جميع بهائم المصريين ولم يموت^٤ من دواب بنى إسرائيل^٥ ولا واحد، وأرسل فرعون فاذا أنه لم يموت من دواب بنى إسرائيل^٦ ولا دابة، فقسا قلب فرعون^٧ بعد هذا أيضا^٨ فأبى أن يرسل الشعب، فقال^٩ الرب لموسى وهارون: خذا في حقيبتكما من رماد الآتون فيذره موسى إزاء السماء نحو فرعون، فيكون العجاج في أرض مصر، فيضرب الناس والبهائم جميعا قروح ناتية رخوة في أرض مصر^{١٠} كلها، فأخذ^{١١} رماد الآخود ووقف بين يدي فرعون فذره موسى نحو السماء أمام فرعون^{١٢} فظهرت قروح ناتية^{١٣} رخوة، فاستعلت في الناس والبهائم، فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدي موسى من كثرة القروح التي ظهرت^{١٤} في السحرة وفي جميع أهل مصر، فقسى الرب قلب فرعون فلم يسمع لها ولم يطعها كالذي قال الرب لموسى، فقال الرب لموسى: ١٥ أدلج باكرا وقف بين يدي فرعون وقل له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين:

(١) من ظ، وفي الأصل: تميز (٢) من ظ. وفي الأصل: ادرب (٣) من ظ، وفي الأصل: فلا تموت (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) في ظ: وقال. (٦) من التوراة، وفي الأصل: فاخذ، وفي ظ: فاخذوا (٧) سقط من ظ. (٨) زيد بعده في ظ: في.

أرسل شعبي فيعبدوني^١ وإلا فأنا مرسل في هذا الوقت ضربتي على قلبك^٢
 و على عبيدك و على شعبك لتعلم أنه لا إله غيري على الأرض كلها، لأنني
 جمع من الآن أن أمد يدي فأضربك و شعبك بالوباء و تبيد^٣ عن جديد
 الأرض، و إنما بغيتك بهذا الأمر لأظهر لك^٤ عزي و قدرى و لينادي
 ٥ باسمي في الأرض كلها، و أنت حتى الآن تتمسك بالشعب و تأتي أن
 ترسله، و غدا في هذا الوقت أهبط البرد العظيم الشديد ما لم يكن - و في
 نسخة السبعين : الذي لم يكن مثله - بمصر منذ اليوم الذي أسست فيه
 قواعدها^٥ إلى يوم الناس هذا، و الآن أرسل فأدخل جميع دوابك و كل
 مالك في الحقل لأن كل بهيمة أو إنسان يلقى في الحقل و لا يدخل البيت
 ١٠ يهبط عليهم البرد فيموتون، و كل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل
 عبيده و بهائمهم إلى البيوت، و الذي لم يفكر في كلمة الله و تهاون بها^٦
 ترك دوابه و عبيده في الحقل، و قال الرب لموسى : ارفع يدك إلى السماء
 يهبط البرد على جميع أرض مصر على الناس و البهائم و جميع الحقول -
 و في نسخة السبعين : على الناس و الدواب و جميع نبات الصحراء - فرفع
 ١٥ موسى عصاه نحو السماء فأرجفهم الرب بالرعد و البرد^٧، و جعلت النار
 تضطرم على الأرض، فأهبط الرب البرد و كان البرد يهبط و النار تضطرم
 / في البرد، و كان شديدا عظيما، و لم يكن مثله في جميع أرض مصر
 منذ اليوم الذي سكنها بنو البشر، فضرِب البرد جميع أرض مصر لكل من

/ ٣٤٣

(١) من ظ، و في الأصل : فيعبدني (٢) في ظ : بيتك (م) في ظ : تبيت (٤) في
 ظ : بك (٥) في ظ : قواعده (٦) سقط من ظ (٦) من ظ، و في الأصل : البرق .

كان في الحقل من الناس و البهائم ، و أهلك الرب جميع عشب الحقل
و حطم جميع أشجار الغياض ، فأما أرض جاسان^٢ التي كانت آل إسرائيل
يسكنونها فلم يهبط عليها البرد ، فأرسل فرعون فدعا موسى و هارون
فقال لهما : قد خطئت في هذه المرة أيضا ، و الرب بار و أنا و شعبي منافقون -
و في نسخة السبعين : إني قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبي فجار - فصليا ه
بين يدي الرب فانه ذو إمهال و أناة فيصرف عنا الرجفة و^٥ الرعد و البرد
فأرسلكم فلا تعودوا أن تتأخروا - و في نسخة السبعين : و أنا أرسلكم
و لا أعود أن أؤخركم - فقال موسى لفرعون : إذا ما خرجت من القرية
أبسط يدي للرب فيصرف عنكم صوت الرعد و الرجفة ، و لا يعود البرد
يهبط أيضا لكي تعلم^٦ أن الأرض و ما عليها لله . و أنا أعلم أنك و عبيدك
إلى الآن لم ترهبوا الله و لم تخافوا^٧ عقابه ، و قد هلك الكتان و الشعير -
و في نسخة السبعين : و ضرب البرد الشعير و الكتان - لأن الشعير كان
قد بدأ أن يسيل ، و الكتان قد بدأ أن يبزر . فأما زرع الخنطة و الكتيب
فلم يهلك لانه كان متأخرا ، فلما جاء موسى من القرية من بين يدي فرعون
بسط - و في نسخة السبعين : فأما زرع الخنطة و الذرة فانه لم يضرهما لأنهما د
كانا لقسا ، و خرج موسى من عند فرعون خارج المدينة فبسط - يديه
بين يدي الله نحو السماء فصرف عنهم الرعد و البرد ، و انقطع المطر عن
(١) في ظ : شعب (٢) من التوراة ، و في الأصل و ظ : خشان (٣) في ظ : كان .
(٤) في ظ : المرأة (ه - ه) في ظ : البرد و الرعد (٦) - قط من ظ (٧) من ظ ،
و في الأصل : يعلم (٨) من ظ ، و في الأصل : لم يخافوا (٩) من ظ ، و في
الأصل : البرق .

الأرض، فرأى فرعون أن القطر و البرد و الرعد قد انقطع و سكن فداد
و خطأ و قسا قلب فرعون و عبيده - و في نسخة السبعين: و قسا قلبه
و قلب عبيده و جفا - و لم يرسل بنى إسرائيل كرسالة الرب - و في نسخة
السبعين: على ما تكلم به الرب على يد موسى - فقال الرب لموسى: انطلق
ه إلى فرعون لأني أنا الذى أقسى قلبه و قلوب عبيده، فأظهر هذه الآيات
لتجربتك و بنى بك بما صنعت بأهل^١ مصر من الآيات الكثيرة التى
أظهرت، فاعلموا أنى أنا الرب، فأتى موسى و هارون إلى فرعون و قالوا له:
هكذا يقول الرب إله العبرانيين: [حتى -^٢] متى تأتى أن تخافنى
و ترهبنى! أرسل شعبي ليعبدونى^٣، فإن آيت أن ترسل شعبي فلهاذا محدر^٤
١٠ على جميع تخومك الجراد - [و -^٥] فى نسخة السبعين: فأتى أجلب عليك غدا
هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك - فيغطى عين الأرض
فلا يقدر إنسان على النظر إلى الأرض، فهما أبقي لكم البرد^٦ أكله،
و يأكل جميع الشجر التى تنبت لكم فى الحقل، و يمتلئ^٧ منه بيوتك
و بيوت عبيدك و بيوت جميع المصريين ما لم^٨ ير مثله آباؤك و أجدادك من
١٥ اليوم الذى أسست الأرض إلى يوم الناس هذا، و رجعا من بين يدي
فرعون فقال لعبيده: حتى متى يكون^٩ لنا هذه العثرة! يرسل القوم
يعبدون - و في نسخة السبعين: فقال عبيد^٩ فرعون لفرعون: حتى متى يكون

(١) فى ظ: بارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ايعبدنى (٤) فى
الأصل: تمحدوا، و فى ظ: محدرا (٥) فى ظ: ما (٦) فى ظ: تمتلئ (٧) فى ظ: فلم -
(٨) فى ظ: تكون (٩) من ظ، و فى الأصل: عبيدك .

لنا^١ هذا البلاء ! أرسل^٢ القوم فيعبدوا^٣ - الرب إلههم أما تعلم - وفي نسخة
السبعين : أو ما علمت - أن مصر قد خربت ، فردوا موسى وهارون إلى فرعون
فقال لهم : انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب إلهكم ، ولكن من منكم ينطلق ؟
فقال / له موسى : إنا نطلق بشباننا وشيوخنا وبنينا^٤ ، بناتنا وبغتنا وبقرنا ،
لأنه عيد لنا للرب ، فقال لهما : ليس كما قلتما ، والله يصحبكما إذا ما
أرسلتكم وحشمكم ، لعله أن يعرض لكم في الطريق آفة ، ولكن ليس هكذا ،
انطلقوا الآن معاشر الرجال ! اعبدوا بين يدي الرب لأنكم إنما تطلبون
بذلك الراحة ، فأخرجوهما من بين يدي فرعون ، فقال الرب لموسى :
ارفع يدك على أرض مصر فيأتي الجراد فيصعد على أرض مصر فيأكل
عشب الحقل وجميع ما نجا من البرد ، فرفع موسى عصاه على أرض مصر ،
فأهب الرب على الأرض ريح السموم جميع ذلك اليوم - وفي نسخة
السبعين : و الرب جلب ريحا قبلية على الأرض نهار ذلك اليوم^٥ - و تلك
الليلة ، فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد ، فصعد الجراد -
وفي نسخة السبعين : أخذت الريح القبيلة الجراد وأصعدته - على جميع
أرض مصر ، فسقط على جميع تخوم أرض المصريين ، وكان منيعا عظيما^٦
جدا ، ولم يكن مثل ذلك الجراد فيما خلا ولا يكون مثله فيما بعده ، فغطى
جميع عين الأرض فأظلمت الأرض ، وأكل جميع عشب الحقل وجميع
الشجر التي نجت من البرد ، ولم يبق في الشجر غصن ولا ورق ولا في
(١) سقط من ظ (٢) في ظ : أرسل (٣) في ظ : فيعبدون (٤-٥) سقط ما بين
الرقمين من ظ .

الحقل تشب في جميع أرض مصر ، فاستعجل فرعون ودعا موسى وهارون وقال لهما : قد خطت بين يدي الله إلهكما ، و الآن اغفوا عن ذنبي وجهلي هذه المرة ، و صليا بين يدي الرب إلهكم فيصرف عني هذه الآفة و الموت ، فخرج موسى من بين يدي فرعون و صلى بين يدي الرب ، فعاد الرب بريح السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفت^١ به في بحر سوف - و في نسخة السبعين : فغير الرب تلك الريح بريح من البحر^٢ شديدة فأخذت الجراد^٣ وألقته في البحر الآخر - و لم يبق في جميع تخوم المصريين شيء من الجراد ، فقتى الرب قلب فرعون فلم يرسل بني إسرائيل ، فقال الرب لموسى : ارفع يدك إلى السماء فليكن الدجى و الحنادس على جميع أرض مصر فتذهب^٤ الظلة ، ١٠ فرفع موسى يده إلى السماء فكانت الظلة و الدجى - و في نسخة السبعين : فصارت ظلة و زوبعة - على جميع أرض مصر - و لم ير المرء منهم صاحبه ثلاثة أيام ، فأما جميع بني إسرائيل فكان لهم الضياء و النور فمساكنهم ، فدعا فرعون [موسى - :] فقال له : انطلقوا فاعبدوا بين يدي^٥ الرب إلهكم ، فأما بقركم و غنمكم فدعوها ههنا ، و أما حاشيتكم فانطلقوا بها معكم ، ١٥ فقال موسى لفرعون : و أنت أيضا تعطينا من الذبائح فنذبح لله ربنا ، و بهائمنا أيضا نطلق^٦ بها معنا ، و لا يبقى منها فهنا ظلف على الأرض لأننا إنما نأخذ من مالنا لنذبح بين يدي الرب إلهنا ، و لسانا نعلم بما ذا نعبد الله إذا بلغنا هناك ، فقتى الرب قلب فرعون و أبى أن يرسلهم ،

(١) قد ظ : فقذف (٢-٣) تكرر ما بين الرقعين في ظ (٣) في ظ : فتذلهم - (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : ينطلق ،

فقال (١٥) ٦٠

فقال فرعون لموسى: اخرج من بين يدي واحذر أن تتراعى لى أيضا
 لأن اليوم الذى تتراعى لى بين يدي تموت فيه ، قال له موسى : ما أحسن
 قولك^١ ! لست بعائد أن أرى وجهك ، قال الرب لموسى : إني أعود أيضا
 فانزل بفرعون و المصريين ضربة واحدة ، و عند ذلك أرسلكم من
 ههنا ، فاذا أرسلتكم فاخرجوا كلكم ، و أمر الشعب و قال لهم : ليستعروا
 المرة منكم من صاحبه و المرأة من جارتها حلى ذهب و فضة - و فى نسخة
 السبعين : / ائنة الفضة و ائنة الذهب - و الكسوة ، و جعل الرب للشعب
 فى قلوب المصريين محبة و رحمة ، و موسى كانت له هبة و كرامة عظيمة
 فى جميع أرض مصر - و فى نسخة السبعين : عند المصريين و عند فرعون
 و عند جميع عبيده - فقال موسى : هكذا يقول الرب : إني خارج نصف ١٥
 الليل فأجوز فى أرض مصر فأتوى جميع أبكار مصر من بكر^٢ فرعون
 الجالس على منبره إلى بكر الأمة^٣ التى فى بيت الرجل ، و تموت جميع
 أبكار البهائم قسما الولولة العظيمة و الصراخ و الأنين الفظيع ما لم يسمع
 مثله أيضا - و فى نسخة السبعين : و لا يعود أيضا أن يكون مثلها - فأما
 آل إسرائيل فلا يصاب منهم و لا الناس و لا البهائم و لا الكلب بلسانه - ١٥
 و فى نسخة السبعين : و لا يعوى من جميع بنى إسرائيل كلب بلسانه - لعلوا
 أن الرب^٤ ميز بين المصريين^٥ و آل إسرائيل ، فهبط جميع عبيدك هؤلاء
 فيسجدون لى و يقولون^٦ : اخرج أنت و جميع الشعب معك ، و عند

(١) من ظ ، و فى الأصل : قوتك (٢) من ظ ، و فى الأصل : تكبر (٣) من ظ ،
 و فى الأصل : الآية (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : قرب (٥) فى ظ : مصريين .
 (٦) من ظ ، و فى الأصل : عبيدى (٧) من ظ ، و فى الأصل : تقولون .

ذلك أخرج ، فخرج موسى من بين يدي فرعون^١ بغضب شديد ، فقال
 الرب لموسى : إن فرعون لا يطيعكما ، ذلك أنى مكثرت آياتى و عجائبي
 بأرض مصر ، و إن موسى و هارون جرحا هذه الجرائح و أظهرها هذه
 الآيات كلها بين يدي فرعون^١ ، فقسى الرب - و فى نسخة السبعين :
 ٥ و أقسى الرب - قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل عن أرضه ، وقال
 الرب لموسى و هارون بأرض مصر : هذا الشهر - أى نيسان - يكون
 لكم رأس الشهور ، و يكون هذا أول شهور السنة ، قل لجميع جماعة بنى
 إسرائيل فى عشر من هذا الشهر فليأخذ^٢ الرجل منهم حملا - و فى
 نسخة السبعين : خروفا - ليته و حملا لآل آيه ، و إن كان آل البيت
 ١٠ قليلا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك هو و جاره القريب إلى بيته على
 عدة الناس ، و عدوا كل امرئ منهم على قدر أكله من الحمل ، حملا
 بلا عيب فيه ذكرا بينا ، يكون الحمل حويلا من الخراف و الجدى
 و تأخذونه^٣ ، و يكون محفوظا لكم حتى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ،
 و يذبحه كل جماعة من كنيسة بنى إسرائيل أصيلا ، و يأخذون^٤ من دمه
 ١٥ [و يضعونه على القائمين و العتبة من البيت الذى تأكلون فيه ، أى
 علامة - ٥] للملائكة الذين يؤمرون^٦ بقتل أبكار المصريين ، و تأكلون اللحم
 فى هذه الليلة مشويا بفطير ، و لا تأكلوا منه نيئا^٧ و لا مطبوخا بالماء ،

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) فى ظ : فليأخذ (٣) من ظ ، و فى الأصل :
 يأخذونه (٤) فى ظ : ياحون - كذا (٥) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٦) من ظ ،
 و فى الأصل : يرمون (٧) النبى و النبى : اللحم الذى لم تمسه النار أو لم ينضج .

و لا تبقوا^١ منه شيئا لغد ، و لا تكسروا^٢ منه عظما ، و ما فضل منه إلى غد
فأحرقوه بالنار ، و كلوه و أنتم قيام و قد شددتم أوساطكم و نعالكم في
أرجلكم و عصيكم في أيديكم و كلوه بججلة^٣ ، فانه فصح للرب ، و أنا فاني
أعبر في أرض مصر في هذه الليلة و أضرب كل بكر بأرض مصر من
الناس و البهائم ، و أعمل نقمة من جميع آلهة^٤ المصريين ، أنا الرب^٥ ! ه
و يكون لكم هذا اليوم ذكرا و تعيدونه عيدا للرب لدهوركم [إلى
الابد -^٦] و تعيدونه سبعة أيام ، و تأكلون فطيرا و تمرلون^٧ الخبز من بيوتكم
من أول يوم^٨ ، و كل من يأكل خميرا^٩ فان تلك النفس^{١٠} تنيد من إسرائيل
من اليوم الأول إلى اليوم السابع ، و كل عمل يعمل فلا تعملوه فيها ،
و احفظوا هذه الوصية ، ففي هذا اليوم خرج عسكريكم من مصر ، فاجعلوا^{١١}
هذا اليوم لدهوركم سنة ، فاذا بدأ اليوم الرابع عشر^{١٢} من الشهر الأول
من العشي كلوا فطيرا إلى يوم إحد و عشرين من الشهر إلى العشاء ،
و لا يوجد حمير في بيوتكم سبعة أيام ، و كل من يأكل مخمرا فان تلك النفس
تنيد من جماعة [بنى -^{١٣}] إسرائيل من الملة و الذمة و من سكان الأرض ،
ما كان خميرا فلا تأكلوه و كلوا فطيرا^{١٤} في جميع مساكنكم ، فدعا موسى^{١٥}
جميع أشياخ / بنى إسرائيل و قال لهم : عجّلوا اغذوا غنما لقبائلكم و اذبحوا الفصح

٣٤٦ /

- (١) من ظ ، و في الأصل : لا يبقوا (٢) من ظ ، و في الأصل : لا يكسروا .
(٣) في ظ : الهية (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ،
و في الأصل : تمرمون - كذا (٧-٧) في ظ : سبعة ايام (٨) في ظ : نخمرا .
(٩) العبارة من هنا إلى « فان تلك النفس » - ساقطة من ظ (١٠) في الأصل
و ظ : يوم الأربعة عشرة (١١) في ظ : فطيرة .

وخذوا^١ حزمة من ریحان الآداب^٢ و اغسوها بدم الحمل و رشوا على معاقم أبوابكم و معاضدها - و فی نسخة السبعین : علی العتبة و كلا القائمین - من الدم الذی فی الإناء ، و لا یخرج أحد منكم من باب یتته إلى غدوة - و فی نسخة السبعین : إلى الصباح - فحفظون هذه السنة و الوصية أنتم و بنوكم إلى الأبد ، و إذا^٣ دخلتم الأرض التي يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العمل ، و إذا سأل بنوكم فقالوا لكم : ما هذا الفعل ؟ فقولوا لهم : هذه ذبيحة فصّح الرب إذ أفصح على يوت بنی إسرائيل بمصر^٤ إذ قتل^٥ المصريين و خلص يوتنا ، فركع الشعب كله ساجدا لله و انطلق بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الله موسى و هارون ، و فی يوت بنی إسرائيل فلما كان عند نصف الليل قتل الرب أبكار أرض مصر - و فی نسخة السبعین : كل بكر بأرض

مصر - من بكر فرعون الجالس على منبره - و فی نسخة السبعین : على كرسيه - و حتى بكر السبي المحبوس فی السجن و جميع أبكار البهائم فوثب فرعون فی تلك الليلة هو و جميع عبيده و كل أرض مصر - و فی نسخة السبعین^٥ : و جميع المصريين - و كانت ولولة عظيمة فی جميع أرض مصر لأنه لم يوجد بيت^٦ لم يكن فيه ميت ، فدعا فرعون بموسى و هارون فی تلك الليلة و قال لهما : انهضا فاخرجا من بين شعبي أتيا و بنو إسرائيل أيضا و انطلقوا فاعبدوا بين يدي الرب كقولكما ، و سوقوا غنمكم

(١) من ظ ، و فی الأصل : جدا - كذا (٢) كذا ، و لعله : الأريسان ، و فی التوراة : زوفا (٣) في ظ : ان (٤ - ٤) من ظ ، و فی الأصل : اوقيل - كذا . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) من ظ ، و فی الأصل : يثبت .

و بقرکم أيضا کما قلاتما ، وانطلقوا و صلوا علی أيضا و ادعوا لی ، فألح
المصريون علی الشعب لیخرجوهم عن الأرض مسرعین لأنهم قالوا : إنا جميعا
سنموت ، فحمل الشعب عجینهم قبل أن یختمر ، و البارد من فطیرهم مشدودا
فی عمامتهم ملتی علی أعناقهم ، و صنع بنو إسرائيل کما أمرهم موسى ،
و استعاروا من المصريين حلی ذهب و فضة و کسوة - و فی نسخة السبعین : ٥
آنية الفضة و الذهب و الکسوة - و جعل الرب للشعب فی أعین المصريين
محبة و رحمة فأعاروهم ، فحربوا المصريين ، و ظعن بنو إسرائيل من رعمیس
- و علی حاشية نسخة السبعین أنها عین شمس - یطلبون ساخوت ستمائة ألف
رجل سوى الحشم و العیال ، و صعدا معهم من الغرباء أيضا من کل خلط
و من البقر و الغنم و الماشية کثیر جدا ، فاختبزو العجین الذی أخرجوه ١٠
معهم من مصر رغفا - و فی نسخة السبعین : فرائی - فطیرا لم یختبزوہ - و فی
نسخة السبعین : لم یختمر - و ذلك لأن المصريين أخرجوه فلم یقدروا
أن یلبثوا ، ولم یتزودوا إذا للطریق أيضا ، و کان مسکن بنی إسرائيل فی
أرض مصر أربعمائة و ثلاثین سنة ، فی هذا اليوم خرج جمیع جنود الرب من
أرض مصر - و فی نسخة السبعین : لیلا - کان الرب وقت فی سابق علیه ١٥
حفظ تلك اللیلة الی خرجوا فیها من مصر ، و كانت هذه اللیلة محفوظة
معروفة لدى الرب لهلاك أبکار مصر و لإخراج جمیع بنی إسرائيل لیكون
ذكر ذلك فی جمیع أحقابهم و خلوفهم ، و قال الرب لموسی و هارون : هذه

(١) من ظ ، و فی الأصل : اصعد (٢) من ظ ، و فی الأصل : الذین (٣) ف
ظ : تلك .

سنة الفصح،^١ لا يأكل منه غريب، وكل عبد لرجل إشتراه إذا ختته عند ذلك فأطعمه الفصح،^٢ والājir و الساكن فلا يأكل منه، في بيت واحد فليؤكل - وفي نسخة السبعين: وكل عبد لرجل إشتراه^٣ فليختن ثم يأكل منه، الملجئ و الājir [لا يأكلان منه -^٤]، وليؤكل في بيت واحد - ولا تخرجوا^٥ من اللحم خارجا / من البيت شيئا ولا تكسروا^٦ فيه عظاما، وإذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر في بيته عند ذلك فليقترب - وفي نسخة السبعين: وليختن منهم كل ذكر ثم يدنون - من بعد ذلك إلى أكل^٧ الفصح، وليكن عند ذلك بمنزلة أهل الأرض، ولا يأكل منه أغرل، وليتكن^٨ سنة واحدة لأهل الأرض والغرباء الذين يسكنون معكم،^٩ و صنع جميع بني إسرائيل كما أمر موسى و هارون، وفي هذا اليوم أخرج الرب بني^{١٠} إسرائيل من أرض مصر و جميع جنودهم^{١١}، وقال الرب لموسى: طهر لي كل ذكر ويفتح كل رحم من بني إسرائيل من الناس و البهائم يكونون لي، فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذي خرجتم فيه من مصر من العبودية و الرق^{١٢}، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة - إلى آخر ما مضى في سورة البقرة؛ ثم ذكر في الخامس علة الفصح فقال: احفظوا شهر البهار اعملوا فصحا لله ربكم لأنه إنما أخرجكم من أرض مصر في

(١-١) -قط ما بين الرقین من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بيت واحد » ساقطة من ظ (٣) زيد من التوراة (٤) من ظ، وفي الأصل: لا تخرجوا (ه) من ظ، وفي الأصل: لا تكسروا (٦) من ظ، وفي الأصل: كل (٧) من ظ، وفي الأصل: ليكن (٨) من ظ، وفي الأصل: لبني (٩) من ظ، وفي الأصل: جنوده (١٠) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ لحذفها .

شهر^١ البهار ليلاً^٢، فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر والغنم في الموضع الذي يختار الله ربكم، فلا تأكلوا فيه خميراً بل كلوا فطيراً سبعة أيام خبزاً يدل على التواضع لأنه إنما خرجتم من أرض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذي أخرجتم فيه من مصر كل أيام حياتكم. ولا يرى^٣ الخنير في حدودكم سبعة أيام، ولا يحل لكم أن تأكلوا الفصح^٤ في قرية من القرى التي يعطيكم الله ربكم، ولكن في الموضع الذي يختار الله ربكم أن يصير فيه اسمه ففيه اذبحوا الفصح، ويزبح عند غروب الشمس في الوقت الذي خرجتم من أرض مصر، ثم قال: وأحصوا سبعة سوايع من بعد عيد الفصح، ثم اعملوا^٥ عيد السوايع واثتوا بخواص غلاتكم للرب، كما بارك لكم الله ربكم في الموضع الذي يختار الرب أن تصيروا اسمه فيه واذكروا^٦ أنكم كنتم عبيداً بأرض مصر، فاحفظوا هذه السنن كلها^٧ واعملوا بها، واعملوا^٨ عيد المظال سبعة أيام إذا ما دخلتم^٩ بيادركم وخرنتم معاصركم ليبارك الله ربكم في جميع غلاتكم وفي كل عمل أيديكم، وتكونوا^{١٠} فرحين، ويروى^{١١} ذكركم أمام الله ربكم في الموضع الذي يختار ثلاث مرات في السنة: عيد الفطير و عيد السوايع و عيد المظال - انتهى . ١٥ وفيه مما لا يجوز إطلاقه [في شرعنا إضافة - "] الابن في قوله:

- (١) في ظ: الأرض (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: لا ترى .
 (٤) من ظ، وفي الأصل: الفصح (٥) في ظ: الذي (٦) في ظ: اعملوا .
 (٧-٧) في ظ: اعملوا بها و اعملوا - كذا (٨) من ظ، وفي الأصل: ادخلتم .
 (٩) من ظ، وفي الأصل: يكونوا (١٠) من ظ، وفي الأصل: ترى (١١) زيد من ظ .

ابنى بكرى، وهو مأول بأنه يكرمه إكرام الولد، وإطلاق الإله على غير الله سبحانه مراد^١ به الحاكم، ولا يجوز هذا الإطلاق^٢ عندنا.

ولما انقضى ما أراهم سبحانه من الأفعال الهائلة التى استخلصهم بها من ذلك الجبار، شرع يذكر ما قبلوه^٣ [به - ^٤] من الجهل به سبحانه

٥ وما قبلهم به من الحلم، ثم ما أحل بهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة و المسخ بصورة القردة، فقال عاطفا على قوله "فاغرقهم فى اليم" أو قوله "ثم بعثنا من بعدهم موسى" : (و'جوزنا) أى قطننا بما لنا من [العظمة - ^٤]، وساقه على طريق المفاعلة تعظيما له، روى أن جوازهم كان يوم^٥ عاشوراء، وأن موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى

١٠ على إنجائهم وإهلاك عدوهم (بنى إسرائيل) بعد الآيات التى شاهدوها^٦ (البحر) وإنما جعلته معطوفا على أول القصة^٧ لأن هذه القصص^٨ كلها بيان لأن فى الناس السبى الجوهر الذى لا يغنيه الآيات كما مضى عند قوله "و البلد الطيب" و يان لقوله "اخذنا أهلها بالبأساء والضراء" - إلى آخرها، ويدل على ذلك - مع ما ابتدئت به القصص^٨ -

١٥ ختمها بقوله "ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا" وقوله "ولقد ذرانا للجهنم" و حسن موقعها بعد قوله "و تمت كلمت ربك الحسى"

(١) فى ظ : مرادا (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ لحذفها .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : قبلوه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بعد (٦) من ظ ، وفى الأصل : شاءدناها (٧) زيد بعده فى ظ : لأن هذه القصة (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

لأنه لما قيل " بما صبروا " تشوفت النفس إلى فعلهم حال الرخاء
 هل شكروا؟ فبين أن كثيرا منهم كفروا / تصديقا لقوله " و ما وجدنا
 ٣٤٨ / لا أكثرهم من عهد " و ما شاكله ، و ما أحسن تعقيب ذلك - بقوله :
 ﴿ فاتوا ﴾ أى مروا - بفاء التعقيب ﴿ على قوم ﴾ أى ذرى قوة ، قيل :
 كانوا من لحم ﴿ يعكفون ﴾ أى يدورون و يتحلقون ملازمين مواظبين ٥
 ﴿ على اصنامهم ﴾ أى لا قوة فيها ولا نفع ، فهم فى عكوفهم عليها
 مثل فى الغباوة ، و قيل : إنها كانت تماثيل بقر ، و كان ذلك أول
 أمر العجل .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، علم السامع أنهم بين أمرين ٢ : إما شكر
 و إما كفر ، فتشوف إلى ما كان منهم ، فأجاب سبحانه سؤاله ٢ بقوله : ١٠
 ﴿ قالوا ﴾ أى لم يلبث ذكرهم لما أراهم سبحانه من عظمتهم و شكرهم
 لما أفاض عليهم من نعمته إلا ريثما أمنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر
 و إغراقهم ١ فيه حتى طلبوا إلها غيره بقولهم ٣ : ﴿ يموسى ﴾ سموه كما ترى
 باسمه جفاء و غلظة اعتمادا على ما عندهم من بره و حلمه غير متأدين
 بما بهرهم ٦ من جلالة حظه من الله و قسمه ﴿ اجعل لنا إلها ﴾ أى شيئا ١٥
 نراه و نظوف به تقيدا بالوهم ﴿ كما لهم الهة ٤ ﴾ و هذا منهم قول من
 لا يعد الإله - الذى فعل معهم هذه الأفاعيل - شيئا ، و لا يستحضره بوجه .

(١) من ظ ، و فى الأصل : مرابطين (٢) فى ظ : امرهم (٣) من ظ ، و فى
 الأصل : سوله (٤) من ظ ، و فى الأصل : اغراقه (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 بقوله (٦) من ظ ، و فى الأصل : يهدهم .

ولما كان هذا منهم عظيما، استأنف جواب من تشوف إلى قول موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله: ﴿قال انكم قوم﴾ أى ذوو قيام فى شهوات النفوس، و قال: ﴿تجهلون﴾ مضارعا إشعارا بأن ذلك منهم كالطبع و الغريزة، لا يتقلون عنه^٢ فى ماض و لا مستقبل، و اعلم أنه لا تكرير فى هذه القصص فان كل سياق منها لامر لم يسبق [مثله^٣].

هـ فالمقصود من قصة موسى عليه السلام و فرعون - عليه اللعنة و الملام - هذا الاستدلال الوجودى على قوله ”و ان وجدنا اكثرهم لفسقين“ و من هنا تعلم أن سياق قصة بنى إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم ليان إسرائيلهم فى الكفر و نقضهم للعهد، و استمر سبحانه فى هذا الاستدلال

١٠ إلى آخر السورة، و ما أنسب ”واذ اخذ ربك من بنى ادم“ - الآية، لقوله ”و ما وجدنا لاكثرهم من عهد“^١ و ذكر فى أول التى تليها تنازعهم فى الإنفال تحذيرا لهم من أن يكونوا من الأكثر المذومين فى هذه، هذا بخلاف المقصود من سياق قصص بنى إسرائيل فى البقرة فانه هناك للاستحلاب^٤ للإيمان بالذكر بالنعمة، لان ذلك فى سياق خطابه سبحانه لجميع الناس بقوله: ”اعبدوا ربكم الذى خلقكم“، ”كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم“^٥ و ما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم و دفع النقم - و الله أعلم .

(١) من ظ ، وفى الأصل : ذو (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين فى ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٥) فى ظ : اذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يليها (٧) فى ظ : الاستحلاب (٨) آية ٢١ (٩) آية ٢٨ .

ولما استفيد من كلامه لهم غاية الإنكار عليهم، علل هذا الإنكار بقوله: ﴿ان هَؤُلَاءِ﴾ أى القوم ﴿متبر ما هم فيه﴾ أى مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة، وإذا فسد الظرف فسد المظروف، وإليه الإشارة بجعل "هؤلاء" اسما لإن، وإيلاته خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدأه .

ولما كان الشيء قد بهلك فى الدنيا [أوفى الآخرة -^١] وهو حق، هـ أعلمهم بأن هذا الهلاك^٢ إنما هو [الهلاك -^١] عند الله أعم من كونه فى الدنيا أو فى الآخرة لبطلان ما هم فيه، فقال معبرا بالاسمية إشارة إلى أنه الآن كذلك وإن رنى بخلافه: ﴿و بطل﴾ أى مضمحل زائل ﴿ما كانوا﴾ أى جلبة وطبعا ﴿يعملون^٣﴾ أى مواظبين عليه من الأصنام والكوف وجميع أعمالهم لأجله^٤، لا وزن لشيء منها أصلا ولا اعتبار، ١٠ [و -^١] فيه إشارة إلى أن العبادة لا تنبغى^٥ إلا للباقي الذى لا يجوز عليه التغير، فاذا كان كذلك^٦ كان / العمل له أيضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان، وفى تعقيها لتدمير آل فرعون إشارة إلى موجب ذلك، وأن كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير الله كانت عاقبته الدمار .

ولما كان [هذا -^١] استدلالا على أن مثل هذه الأصنام التى مروا عليها ١٥ لا تصلح لأن تعبد، كان ذلك غير كاف لهم [لما -^١] تقرر من جهلهم، فربما ظنوا أن غيرها بما سوى الله تجوز^٢ عبادته، فكأنه قيل: هذا لا يكفى جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك؟ فقيل: نعم! ﴿قال﴾ منكرا معجبا

- (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الاهلاك (٣) فى ظ : يعملون (٤) فى ظ الاجلة - كذا (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لا ينبغى (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذلك . (٧) من ظ ، وفى الأصل : يجوز .

(اغير الله) أى الذى له جميع العظمة، فهو المستحق للعبادة (ابغىكم) أى
أطلب لكم (إليها) فأنكر أن يتأله غيره، و حصر الأمر فيه ثم بينه بقوله:
(وهو) أى و الحال أنه هو وحده (فضلكم) دون غيركم ممن هو
فى زمانكم أو قبله (على العالمين) أى^٢ لو لم يكن لوجوب اختصاصهم
له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفصيل على سائر عباده الذين بلغهم
علمهم ممن هو أقوى منهم حالا و أكثر عددا و أموالا لكان كافيا^٣.

و لما أثبت أن الإلهية لا تصلح لغيره، و أن غيره لم يكن يقدر
على تفضيلهم، و كان المقام للعظمة، و كان كأنه قيل إيدانا بغلظ أكبادهم
و قله فطنتهم^٤ و سوء مقابلتهم^٥ للنعم: اذكروا ذلك، أى تفضيله لكم باصطفاء
١٠ آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و ما تقدم له عندهم و عند أولادهم من
النعم لا سيما يوسف عليه السلام الذى حكمه فى جميع الأرض التى
استدلكم^٦ أهلها؛ عطف عليه إشارة إليه قوله التفاتا إلى مظهر العظمة تذكيرا
بعظمة مدخوله: (واذ) أى و اذكروا^٧ إذ (انجئناكم) أى على
ما نحن عليه من العظمة التى أنتم لها عارفون^٨، و لها [فى -^٩] كل وقت
١٥ فى تلك الآيات مشاهدون^{١٠} (من آل فرعون) و ما أفضنا عليكم بعد
الإنجاء من النعم الجسام و أريناكم من الآيات العظام تعرفوا أننا فضلناكم

(١) من ظ : وفى الأصل : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) فى ظ : وافيًا .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : استدلهم (٦) فى ظ : اذكروا .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عاكفون (٨) زيد من ظ (٩) فى الأصل : يشاهدون ،
وفى ظ : تشاهدون .

على جميع الأنام ؛ ثم استأنف بيان ما أنجاهم^١ منه بقوله : ﴿ يسومونكم ﴾
أى ينزلون بكم دائماً ﴿ سوء العذاب ع ﴾^٢ .

ولما كان السياق - كما مضى - لبيان إسرائهم في الكفر و شدة
عساوتهم في قسوتهم و جلافتهم ، و كان مقصود السورة إنذار المعرضين
و تحذيرهم من القوارع التى أحلها بالماضين ؛ بين سوء العذاب عادلا في هـ
بيانه عن التذيع - لأنه لا يكون عند الاندباح ، و هو فى الأصل لطلق
الشق - إلى التعبير بالقتل لأنه أدل على الإمامة و أهر ، لأنه قد يكون على
هيئة شديدة بشعة كالتقطيع و النخس و الخبط و غير ذلك مع أنه لا بد
فيه من تفويت ذلك فقال^٣ : ﴿ يقتلون ﴾ [أى تقتيلا كثيرا - ٢]
﴿ أبناءكم ﴾ و دل على حقيقة القتل بقوله : ﴿ ويستحيون ﴾ . ١٠

ولما كان المعنى أنهم لا يعرضون للأناث صفارا و لا كبارا ، [و كان
إنكار ما يكون إبقاء النساء بلا رجال لما يخشى من الضياع و العار ، و كان
مظنة العار أكبر - ٢] ، عبر عنهم بقوله : ﴿ نساءكم ﴾^٤ و تنبيهها على أن
قتل الأبناء إنما هو للخوف من صيرورتهم رجالا لئلا يسلبهم واحد منهم
أعلمهم به كهانهم ملكهم ؛ و أشار إلى شدة ذلك بقوله : ﴿ وفى ذلكم ﴾ ١٥
أى الأمر الصعب الم هول ﴿ بلاء ﴾ أى اختبار لكم و لهم ﴿ من ربكم ﴾
أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخا ، فانه أخفى عنهم^٥ الذى قصدوا
القتل لأجله ، و أنقذكم به بعد أن رباه عند الذى^٦ هو مجتهد فى ذبحه
﴿ عظيم ع ﴾ .

(١) فى ظ : أنجاهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : ثم نسر بقوله (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : عنكم (هـ) فى ظ : الله .

و لما ذكرهم بنعمة إنجاء الأبدان، أتبعها التذكير بأكبر منها إذ^١
 كانت لحفظ الأديان و صيانة جوهرة الإيمان بما نصب^٢ لهم من الشرع
 في التوراة، فقال معجبا من حالهم إذ كان في الإنعام عليهم بنصب الشرع
 الهادي لهم من الضلال و اختصاص نبيهم بمزيد القرب بالمناجاة، و هم
 ه في اتخاذ إله سواه، لانفع فيه أصلا، و لا يرضى قلب أو عقل أن
 يعبد، عاطفا له على ما سبق تعجيبه به منهم في قوله ”و لجوزنا بني
 إسرائيل“ : (و وعدنا) أى على ما لنا من باهر^٣ العظمة (موسى ثلثين)
 أى مناجاة ثلاثين (ليلة) أى عقبها (و أتممناها) أى المواعدة
 (بعشر) / أى ليال، و ذلك لأنه^٤ لما مضت ثلاثون ليلة، و هو شهر^٥
 ١٠ ذى القعدة فيما قيل، و كان موسى عليه السلام قد صامها ليلا^٦ و نهارها،
 أدرك من فيه خلوقا فاستاك^٧، فأعلمه الله أنه قد أفسد ريم^٨ فيه، و أمره
 بصيام عشرة أيام أخرى [و - ٦] هى عشر ذى الحجة ليرجع ما أزاله
 من ذلك، و ذلك لأن^٩ موسى عليه السلام كان^{١٠} و عد بنى إسرائيل -
 و هو بمصر - أنه إذا أهلك سبحانه عدوهم، أتاهم بكتاب من عنده فيه
 ١٥ يان ما يأتون و ما يذرون، فلما أهلك الله عدوهم سأل موسى عليه السلام
 الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوما ثم أمره بالعشر .

و لما كان من الممكن أن يكون الثلاثون هى النهاية، و تكون مفصلة
 إلى عشرين ثم عشر، أزال هذا الاحتمال - بقوله^١ : (فم ميقات ربه)
 (١) من ظ ، و فى الأصل : اذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : انه (٤) فى ظ :
 عشر (٥) فى ظ : ليتهما (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) من ظ ، و فى
 الأصل : بقولكم .

أى الذى قدره فى الأزل لأن ينجيه بعده - بالفاء (أربعين) و لما كانت^١
العشر غير صريحة فى اللبالي، قال: (ليلة^٢) فاتنى أن تكون^٣ ساعات مثلا،
و عبر بالميقات لأنه ما قدر فيه عمل من الأعمال، و أما الوقت فزمان
الشيء سواء كان مقدرًا أم لا، و عبر بالرب إشارة إلى اللطف به و العطف
عليه و الرحمة له، و الميقات هو الأربعون - قاله الفارسي فى الحجة،
و قدر انتصاب أربعين بـ "معدودا هذا العدد" كما تقول^٤: تم القوم
عشرين، أى معدودين هذا العدد، و أجمل سبحانه الأربعين فى البقرة
لأن المراد بذلك السياق تذكيرهم^٥ بالنعم الجسام و المثل إليهم بالإحسان
و الإكرام، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم^٦ إلى الإيمان و أمكن
فى نزوعهم عن الكفران بدليل^٧ ما سبق قصتهم من قوله "يا أيها
الناس اعبدوا ربكم^٨"، "كيف تكفرون بالله^٩" و ما اكتنفها
أولاً و آخرًا من قوله "يبنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم^{١٠}" -
الآيتين المبدوء بها و المختوم بها، و فصل هنا الأربعين إلى ثلاثين و عشر،
لأن المراد بهذا السياق - كما تقدم - بيان كفرهم و مردودهم على خزيمهم
و مكرمهم وأنه لم ينفعهم سؤال المعجزات، و لا أغنى عنهم شيئًا تواتر^{١١}
النعم و الآيات، كما كان ذلك فى قصص الأمم الخالية و القرون الماضية
عن ذكر فى هذه السورة استدلالاً - كما تقدم - على أن المفسد أكثر

(١) فى ظ: كان (٢) من ظ، وفى الأصل: يكون (٣) من ظ، وفى الأصل:
يقول (٤) من ظ، وفى الأصل: و تذكروهم (٥) من ظ، وفى الأصل: و جرمهم.
(٦) فى ظ: بذلك (٧) آية ٢١ (٨) آية ٢٨ (٩) آية ٤٠.

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧ : ١٤٢ - ١٤٣) ج - ٨

من المصلح - إلى غير ذلك عما^١ أجمل في قوله تعالى ” وما أرسلنا في قرية من نبي إلا اخذنا أهلها “ - إلى آخره ، و تسلياً لهذا النبي الكريم و ترهيباً لقومه لما وقع لهم من العقاب الأليم ، و الفصل بين السياقين يدق إلا عن أولى البصائر - و الله أعلم ، فيكون^٢ المراد بتفصيل الأربعين هنا بيان أن إبطاء موسى عليه السلام عما^٣ علوه من الميعاد إنما كان لعشرة أيام .
 ٥ فارتكبوا فيها هذه الجريمة التي هي أعظم الجرائم ، وأشار تعالى إلى عظيم جرأتهم^٤ و عرافتهم في السفه بقوله عاطفاً على ” وعدنا - “ : (وقال موسى) أي لما واعدناه (لآخيه) ثم بينه تصريحاً باسمه فقال : (هرون اخلفني) أي كن خليفتي فيهم تفعل ما كنت أفعل ، و أكد الارتسام بما يحده له ١٠ بقوله : (في قومي) وأشار إلى حثه على الاجتهاد بقوله : (واصلح) أي كن على ما أنت عليه من إيقاع الإصلاح .

ولما كان عالماً بأنه^٦ صلى الله عليه وسلم مبرأ من سوء غير أن عنده لينا ، قال : (ولا تتبع) أي تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بأن تتبع (سبيل المفسدين) أي استصلاًحاً لهم و خوفاً من تنفيرهم ، فاختلفوا ١٥ / ٣٥١ عن الطريق كما تفرس فيهم موسى عليه السلام ولم يذكروا عاقبة / فلا هم خافوا بطش من بطش بمن كان يسومهم^٧ سوء العذاب ، و لا هم سمعوا لآخيه في الصلاح ، و لا هم انتظروه عشرة أيام ، فلا أخف منهم أحلاماً و لا أشد على المعاصي إقداماً .

(١) في ظ : بما (٢) زيد بعده في ظ : ان (٣) في ظ : ما (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) في ظ : وعدنا (٦) من ظ . وفي الأصل : بان (٧) في ظ : يسومونهم .

ولما ذكر سبحانه مواعده و احتياظه في إصلاح قومه ، شرح أمره
 حال المواعدة و حالهم بعد غيبته عنهم فقال : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا ﴾
 أى^١ عند أول الوقت الذى قدرناه للناجاة ؛^٢ ولما كان مقام الجلال
 مهولا لا يستطاع وعى الكلام معه ، التفت إلى مقام الإكرام فقال^٣ :
 ﴿ وكله ﴾ أى^٤ من غير واسطة ﴿ ربه لا ﴾ أى المحسن إليه بأنواع الإحسان ه
 المتفضل على قومه بأنواع الامتنان . و الذى سمعه موسى عليه السلام عند
 أهل السنة من الأشاعرة^٥ هو الصفة الأزلية من غير صوت ولا حرف ،
 ولا بعد في ذلك كما لا بعد في رؤية ذاته سبحانه وهى ليست بحسم
 و^٦ لا عرض لا جوهر^٧ ، وليس كمثل شئ^٨ ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما
 أنه سبحانه كلمه في جميع الميقات وكتب له الألواح ، و قيل : إنما كلمه ١٠
 في أول الأربعين ، و الأول أولى .

ولما كلمه بصفة الربوبية الناضرة إلى العطف و اللطف ، وكانت
 الرؤية جائزة ، اشتاق إلى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من
 لذاذة^٩ الخطاب فسالها لعل له أنها جائزة ﴿ قال ﴾ [مسقطا الأداة
 كعادة أهل القرب - ٦] ﴿ رب ارنى ﴾ أى ذاتك الأقدس^{١٠} بأن ترفع ١٥
 عنى الحجاب فتجعلنى متمكنا من النظر ، و هو معنى قول الخبر ابن عباس :
 أعطى ، [وحق أنها رؤية العين بقوله في جواب الأمر - ٦] ﴿ انظر ﴾
 [أى أصوب تحديق العين - ٧] وأشار إلى عظمته سبحانه و علو شأنه

- (١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : الآيات .
 (٤ - ٤) في ظ : لا جوهر ولا عرض (٥) في ظ : لذات (٦) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٧) في ظ : المقدس .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٤٣ و ١٤٤) ج - ٨

[علو العظمة لا المسافة -^١] بالتعدية بحرف النهاية [بعد أن أشار بحذف أداة النداء إلى غاية القرب بالإحسان -^٢] فقال : (اليك ط)
أى فأراك .

و لما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه في الدنيا ﴿ قال ﴾
٥ نافيا المقصود ، و هو الرؤية لامقدمتها ، و هو النظر الذى هو التحديق بالعين ﴿ لن ترنى ﴾ و دل سبحانه بهذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل : لن أرى ، أو لن يراى أحد ؛ ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن .
فقال : ﴿ ولكن انظر الى الجبل ﴾ إشارة إلى جبل بعهد ، و هو أعظم جبل هناك ، [وزاد فى الإشارة إلى إمكان الرؤية بالتعير بأداة الشك
١٠ و اتباعها بأمر ممكن فقال -^١] : ﴿ فان استقر مكانه ﴾ أى وجد قراره وجودا تاما ، و أشار إلى بعد الرؤية أيضا و جلالة المطلوب منها بقوله :
﴿ فسوف ترنى ج ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ فلما تجلى ربه ﴾ أى المحسن إليه^٢ بكل عطاء و منع ، [و بين بتعبيره باللام أنه تجلى قربه و خصوصيته ،
و لو عبر بعلى مثلا لكان أمر آخر فقال -^١] : ﴿ للجبل ﴾ أى بأن
١٥ كشف للجبل عما شاء من حجب عظمته ﴿ جملة دكا ﴾ أى مدكوكا ،
و الدك و الدق أخوان ﴿ و خر ﴾ أى وقع ﴿ موسى صعقا ج ﴾ أى مغشيا عليه مع صوت هائل ، فلم أن معنى الاستدراك أنك لن تثبت لرؤيتى فى هذه الدار و لا تعرف ذلك الآن ، و لكنك تعرفه بمثال أريكه
و هو الجبل ، [فان الفاق - كما نقل عن الإمام مالك - لا ينبغي له أن يرى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يعرف .

الباقى

الباقى - ١ [(فلما افاق) أى من غشيته (قال سبحنك) أى تنزيها لك
عن أن أطلب منك ما لم تأذن فيه (تبت اليك) أى من ذلك
(وانا اول المؤمنين) أى مبادر غاية المبادرة إلى الإيمان بكل ما^٢ أخبرت
به كل ما تضمنته هذه الآيات ، زفتعيه بالإيمان فى غاية المناسبة لعدم الرؤية
لأن شرط الإيمان أن يكون بالغيب ، فقد ورد فى نبينا صلى الله عليه
وسلم آيتان : إحداهما يمكن أن تشير إلى الرؤية بالتعبير بالمسلمين دون
المؤمنين فى قوله ” وانا اول المسلمين “^٣ والثانية تؤمى إلى عدمها وهى
” امن الرسول - إلى قوله - كل امن بالله “^٤ - والله أعلم -] ، وكل هذا
تبكى على قومه و تبكى لهم فى عبادتهم العجل و ردع لهم عن ذلك ،
وتنبيه لهم على أن الإلهية مقرونة بالعظمة و الكبر بعيدة جدا عن ذوى ١٠
الأجسام لما يعلم سبحانه من أنهم سيكررون عبادة الأصنام ، فأثبت للاله
الحق الكلام^٥ و التردى عن الرؤية بحجاب الكبر و العظمة و اندك الجبل
عند تجليه و نصب الشرع الهادى إلى أقوم سبيل تعريضا بالعجل ، و إلى
ذلك يرشد / قوله تعالى ” الم يروا انه لا يكلمهم “ - الآية .

٣٥٢ /

و لما منعه الرؤية بعد طلبه إياها ، و قابل ذلك بمحاسن الأفعال ١٥
و الأقوال ، تشوف السامع إلى ما قوبل به من الإكرام ، فاستأنف سبحانه
الإخبار بما منحه به تسلياً له عما منعه و أمراً^٦ بشكره بقوله : (قال يعوسى)
(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ آية ١٦٣ .
سورة ٢ آية ٢٨٥ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : الانعام (٧) من ظ ، وفى
الأصل : امر .

مذكراته نعمه في سباق دال على عظيم قدرها وإيجاب شكرها مسقطا عنه
 مظهر العظمة تأنيسا له ورققا [به - '] ﴿ انى اصطفتك ﴾ أى اخترتك
 اختيارا بالغاً كما يختار ما يصفى من الشئ عن كل دنس ﴿ على الناس ﴾
 أى الذين في زمانك ﴿ برسلنى ﴾ أى الآيات المستكثرة التى أظهرتها
 ٥ وأظهرها على يدك^٢ [من أسفار التوراة وغيرها -^١] ﴿ وبكلامى ﴾
 أى من غير واسطة ، وكأنه أعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك ، كما
 اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على الناس عامة في كل زمان برسالاته^٣
 العامة وبكلامه المعجز وبتكليمه من غير واسطة في السماء التى قدست دائما
 ونزهت عن التدنيس بمصية .

١٠ ولما كان ذلك مقتضيا لغاية الإقبال والنشاط ، سبب عنه قوله :
 ﴿ نخذ ما أتيتك ﴾ أى مخصصا لك ؛ به ﴿ وكن من الشكرين ٥ ﴾ أى
 العريقين في صفة الشكر المجولين عليها .

ولما انقضى ما أنسه سبحانه به^٤ ، لفت الكلام - في الإخبار لنا عن
 عظيم ما آتاه - لى مظهر العظمة ، فقال مفصلا لتلك الرسالة ومبينا بعض
 ١٥ ما كان من الكلام : ﴿ وكتبنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ له في الألواح ﴾ عرفها
 أعظمها تنبيها على أنها لجلالة ما اختصت به كأنها المختصة بهذا الاسم ،
 وأعظم من هذا جعل قلب النبي الأمى لوحا قابلا لما يلقى إليه جامعا لعلوم
 الأولين والآخرين ﴿ من كل شئ ﴾ أى يحتاجه بنو إسرائيل ، وذلك
 هو العشر الآيات التى نسبتها إلى التوراة نسبة الفاتحة إلى القرآن ، فقيها

(١) زيد من^١ ط (٢) في ظ : يدك (٣) زيد بعده في ظ : اى (٤) في ظ : له .
 (٥) سقط من ظ .

أصول الدين و أصول الأحكام و التذكير بالنعم و الأمر بالزهد و الورع
و لزوم محاسن الأعمال و البعد عن مساوئها ، ولذا قال مبدلاً :
(موعظة و تفصيلاً) أى على و جازتها بما كانت سبباً (لكل شيء ج)
أى لأنها - مع كونها أمهات و جوامع - مفصلة ترجع إليها بحور العلم
و تنشق منها ينابيعها .

و لما كان هذا هكذا ، تسبب عنه حتماً قوله تعالى التفاتا إلى خطاب
موسى عليه السلام بخطاب التأنيس إشارة إلى أن التزام التكليف صعب :
(نلخذها) أى الألواح (بقوة) أى بجد و عزيمه فى العلم^٢ و العمل
(و امر قومك) أى الأقوياء على محاولة ما يراد (ياخذوا باحسنها^٣)
كانه سبحانه أطلق لموسى عليه السلام الأخذ بكل ما فيها لما عنده من ١٠
الملل الحاجة له^٤ عن شيء من المجاوزة^٥ ، ولذلك قال له ” بقوة “
و قيدهم بالاحسن ، ليكون الحسن جداً مانعاً لهم من الوصول إلى القبيح ،
و ذلك كالاقتصاد^٦ و العفو و الانتصار و الصبر .

و لما كان كأنه قيل : و هل يترك الأحسن أحد ؟ فقيل : نعم ،
الفاسق يتركه ، بل و يتجاوز الحسن إلى القبيح ، بل و إلى أقبح القبيح ، ١٥
و من تركه أهلكته و إن جل آله و عظمت جنوده و أمواله ، قال كالتلليل
لذلك : (ساوركم دار الفسقين ه) أى الذين يخرجون عن أوامرى إلى
ما أنهاهم عنه فأنصرمكم عليهم و أمكنكم بفسقهم من رقابهم و أموالهم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينشق (٢) فى ظ : العمل - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : كالاقتصاد .

الكنعانيين و الحثانيين وغيرهم من سكان الاراضى المقدسة لتعلموا
 أن من أغضبني وترك أمرى أمكنت منه ، وإنما ذكر الدار لثلاثتهم
 منعها إذا استقروا بها فيظنوا أن / لا غالب [لهم -^١] فيها بوعورة أرضها
 و شهوق جبالها و إحكام أسوارها ، وإذا تأملت ما سيأتى في^٢ شرح هذه
 الآيات من التوراة لاح لك هذا المعنى ، وكذا ما ذكر من التوراة عند
 قوله في المائدة " قل هل انبئكم بشر من ذلكم مشوبة عند الله^٣ " ،
 و في هذه الجملة المختصرة بشارة بانمام الوعد بنصرتهم عليهم بطاعتهم و نذارة
 على تقدير معصيتهم ، فكأنه قيل : إن أخذوا بالاحسن أريتهم دار
 الفاسقين ،^٤ و أتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر ، و إن لم يأخذوا
 ١٠. أهلكتهم كما أهلك الفاسقين من بين أيديهم^٥ ، فحذرهم لثلاث يفعلوا أفعلهم
 إذا استقرت بهم الدار ، و زالت عنهم الأكدار ، و يؤيد كون المراد
 القدس لا مصر قراء من قرأ : سأورثكم - من الإرث . لأنها هي المقصودة
 باخراجهم من مصر و بعث موسى عليه السلام ، و لا ينفي ذلك احتمال
 مصر أيضا - والله أعلم .

١٥ و لما انقضى ذلك ، كان كأنه قيل : و كيف يختار عاقل ذلك ؟
 فكيف بمن رأى الآيات و شاهد المعجزات ؟ فقال : (ساءرف عن البنى)
 أى المسموعة و المرتبة على عظمتها بما أشارت إليه الإضافة بالصرف عن
 فهمها^٦ و اتباعها و القدرة على الطعن فيها بما يؤثر في إبطالها

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : من (٣) آية ٦٠ (٤-٥) سقط ما بين الرقین من ظ .
 (٥) في ظ : انها (٦) من ظ : وفى الأصل : نصها .

(الذين يتكبرون) أى يظليون الكبر عما ليس لهم و يعملون قوام فيه
 (فى الارض) أى جنبها الذى أمرت بالتواضع فيه .
 ولما كان من رفعة الله بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها ولم يهنها
 نظرا لما أنعم الله به عليه و منحه إياه ربما سمي ذلك 'كبرا' ، وربما سمي
 طلبه لتلك الأخلاق التى توجب رفعة تكبرا ، [وليس كذلك وإن وافقه ه
 فى الصورة ، لفارقه له فى المعنى فانه صيانة النفس عن الذل ، و هو إنزال
 النفس دون منزلتها صنعة لا تواضعا ، و الكبر رد الحق و احتقار الناس ،
 فى التقييد هنا إشارة خفية لإثبات العزة بالحق و الوقوف على حد التواضع
 من غير انحراف إلى الصنعة وقوفا على شرط العزم المنسوب على من
 نار الكبر ؛ قال الإمام السهروردى : ولا يؤيد فى ذلك و ثبت عليه ١٠
 إلا أقدام العلماء الراضين - ٢] . قال تعالى احترازا عنه و مدخلا كل كبر
 [خلا - ٢] عن الحق الكامل : (بغير الحق) أى إنما يختار غير الأحسن
 من يختاره بقضائى الذى لا يرد و أمرى العالى على أمر كل ذى جد فأزين
 لمن علت خباثة ٢ عنصره و رداة جوهره ما أريد حق' يرتكبوا' كل
 قبيحة و يتركوا ٦ كل مليحة ، فيصرفون عن الآيات و يعمون عن الدلالات ١٥
 الواضحات .

و لما أخبر بتكبرهم فى الحال ، عطف عليه فعلهم فى المال فقال :
 (وان يروا كل اية) أى مرئية أو مسموعة (لا يؤمنوا بها ج) أى لتكبرهم

(١) زيد فى ظ : منه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 جناية (٤) فى ظ : على (٥) من ظ ، وفى الأصل : يرتكبوا (٦) من ظ ، وفى
 الأصل : تركوا (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم .

عن الحق ﴿وان يروا سيل﴾ أى طريق ﴿الرشد﴾ أى الصلاح والصواب الذى هو 'أهل للسلوك' ﴿لا يتخذوه سيلا﴾ أى فلا يسلكونه بقصد منهم ونظر وتعمد، بل إن سلكوه فغن غير قصد ﴿وان يروا سيل الغي﴾ أى الضلال ﴿يتخذوه سيلا﴾ أى بغاية الشهوة والتعمد والاعتمال لسلكه.

ولما كان هذا محل عجب، أجاب من يسأل عنه بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الصرف العظيم [الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الإيمان واتخاذ الرشاد - ٢] ﴿بانهم﴾ أى بسبب أنهم ﴿كذبوا بآيتنا﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿وكانوا عنها﴾ [أى - ٢] خاصة جبلة وطبعا ١٠ ﴿غفلين﴾ أى كان دأبهم وديندهم معاملتهم لها بالإعراض عنها حتى كأنها مغفول عنها فهم لذلك يصرون على ما يقع منهم.

ولما ذكر أحوال المتكبرين الذين أدام كبرهم إلى التكذيب فى الدنيا، ذكر أحوالهم فى الآخرة فقال: ﴿والذين ٢﴾ أى كذبوا بها والحال أن الذين ﴿كذبوا بآيتنا﴾ أى فلم يعتبروا عظمتها ﴿ولقاء الآخرة﴾ ١٥ أى ولقائهم إياها أو ولقائهم ما وعدوا به فيها، اللازم من التكذيب بالآيات الحامل التصديق بها على معالى الأخلاق ﴿حبطت﴾ أى فسدت فسقطت ﴿اعمالهم ١﴾ [والآية من الاحتباك: إثبات الغفلة أولا يدل على إرادتها ثانيا، واللقاء ثانيا يدل على إرادته أولا - ٢].

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل: كذبوا، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفناها (٤) فى ظ: عظمتنا (هـ) من ظ، وقد الأصل: به.

٢٥٤ /

ولما كان كأنه / قيل : لم بطلت ؟ قيل : ﴿ هل يحزون الا ما ﴾ أى
 جزاء ما ﴿ كانوا يعملون ٤ ﴾ أى ' بابطال أعمالهم وإن عملوا كل حسن
 سوى الإيمان بسبب أنهم أبطلوا الآيات والآخرة بتكذيبهم بها ، أى
 عدوها باطلة ، والجزاء من جنس العمل ، والحاصل^٢ أنهم لما عموا عن
 الآيات لأنهم لم^٣ ينظروا فيها ولا انتقادوا مع ما دلت عقولهم عليه من ٥
 أمرها ، بل سدوا باب الفكر فيها ؛ زادهم الله عمى نختم على مداركهم ،
 فصارت لا يتفتح بها فصاروا لا يعون ، وهذه الآيات أعظم زاجر^٤ عن
 التكبر ، فانها يفت أنه يوجب الكفر والإصرار عليه والوهن في جميع
 الأمور ؛ ولما كان ذلك^٥ كله مما يتعجب الموفق^٦ من ارتكابه ، أعقبه
 تعالى مينا^٧ ومصورا ومحققا لوقوعه ومقررا قوله عطفا على " فاتوا ١٠
 على قوم يكفون " مينا^٨ لإسراعهم في الكفر : ﴿ واتخذ ﴾ أى بغاية
 الرغبة ﴿ قوم موسى ﴾ أى باتخاذ السامري ورضاهم ، ولم يعتبروا شيئا
 مما أتاها به من تلك الآيات التي لم يرمثلها ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد
 إبطائه عنهم بال عشرة^٩ الأيام التي آتمنا بها الأربعين ﴿ من حلهم ﴾ أى
 التي كانت معهم من ملهم ، وما استعاروه من القبط ﴿ عجلا ﴾ ولما ١٥
 كان العجل اسما لولد البقر ، بين أنه إنما يشبه صورته فقط ، فقال مبدلا
 منه : ﴿ جسدا ﴾ .

ولما كان الإخبار بأنه جسد مفهوما لأنه خال مما يشبه الناس^{١٠}

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الظاهر (٣) من ظ ، وفي الأصل : لا (٤) في
 ظ : زاجرا (٥) في ظ : هذا (٦) في ظ : الموقف (٧-٧) سقط ما بين الرقین
 من ظ (٨) في ظ : بالعشر (٩) في ظ : الناس .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٤٨ - ١٥٠) ج - ٨

عن الروح ، قال : ﴿ له خوار ﴾ أى صوت كصوت البقر ،
والمعنى أنه لا أضل ولا أعمى من قوم كان معهم حلى أخذوه من كانوا
يستعبدونهم و يؤذونهم وهم مع ذلك أكفر الكفرة^١ فكان جدرا
بالغضب^٢ لكونه من آثار^٣ الظالمين الأعداء فاعتقدوا أنه بالصوغ صار
إلها و بالغوا في حبه و العبودية له وهو جسد يرونه و يلسونه ، و نبيهم
الذى هدام الله به و اصطفاه لكلامه يسأل رؤية الله فلا يصل إليها .
و لما لم يكن في الكلام نص باتخاذها إلها ، دل على ذلك بالإنكار
عليهم في قوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى الذين اتخذوه إلها ﴿ انه لا يكلمهم ﴾
أى كما^٤ كلم الله موسى عليه السلام ﴿ ولا يهديهم سبيلا ﴾ كما هدام الله
١٠ تعالى إلى سبيل النجاة ، منها سلوكهم في البحر الذى كان^٥ سببا لإهلاك
عدوهم كما كان سببا لنجاتهم ؛ قال أبو حيان : سلب عنه هذين الوصفين
دون باقى أوصاف الإلهية لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، و انتفاء
الهداية إلى سبيل [يستلزم -^٦] انتفاء القدرة ، و انتفاء هذين الوصفين
يستلزم انتفاء باقى الأوصاف .

١٥ و لما كان هذا أمرا عظيما جدا مستبعد الوقوع و لاسيما من قوم نبيهم
[بينهم -^٧] و لاسيما و قد أراهم من النعم و الآيات ما ملأت أنواره الآفاق ،
كان جدرا بالتأكيد فقال تعالى : ﴿ اتخذوه ﴾ أى بغاية الجد و النشاط
و الشهوة ﴿ و كانوا ﴾ أى جبلة و^٨ طبعا مع ما أثبت لهم من الأنوار^٩

(١) في ظ : الكفر (٢) في ظ : بالغضب (٣) من ظ ، وفي الأصل : اياه - كذا .
(٤) في ظ عليه (هـ) سقط من ظ (٦) زيد من البحر المحيط ٣/٤٦٣ (٧) زيد من
ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : او (٩) في ظ : الأنواع .

(ظلمين هـ) أى حالهم حال من يمشى فى الظلام ، أو أن المقصود أن الظلم وصف لهم لازم ، فلا بدع إذا فعلوا أمثال ذلك .

ولما كان هذا فى سياق "ذلك بانهم كذبوا بآيتنا وكانوا عنها غفلين"

فأتيج ' أن من كذب على هذه الصفة أهلك ، فانتظر السامع الإخبار بتعجيل

هلاكهم ، أخبر بأنه منفعهم من ذلك وحرصهم المبادرة بالتوبة ؛ ولما اشتد هـ

من تشوف / السامع إليه ، قدمه على سببه و هو رجوع موسى عليه السلام

إليهم و إنكاره عليهم ، ولأن السياق فى ذكر إسرعهم فى الفسق لم يذكر

قبول توبتهم كما فى البقرة ؛ ولما كان من المعلوم أنهم تبين لهم عن

قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما أفهم أن التقدير : فسقط

فى أيديهم ، وعطف عليه [قوله - ٢] سائقه مساق ما هو معروف : ١٠

(ولما سقط) أى سقطت أسنانهم (فى أيديهم) بعضها ندما سقوطاً

كأنه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد والأسف الذى أزال تأملهم

ولذلك بناه للفعول (وراوا أنهم قد ضلوا) أى عن الطريق الواضح

(قالوا) توبة ورجوعاً إلى الله كما قال أبوهم آدم عليه السلام

(لئن لم يرحمنا ربنا) أى الذى لم يقطع قط إحسانه عنا فيكيف غضبه ١٥

و يديم إحسانه (ويغفر لنا) أى يمحو ذنوبنا عنا وأثراً لثلا ينتقم منا فى

المستقبل (لنكون من الخسرين هـ) أى فينتقم منا بذنوبنا .

ولما أخبر بالسبب فى تأخير الانتقام عنهم مع مساواتهم لمن أوقعت

(١) من ظ ، وفى الأصل : انتج (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيقول (٣) زيد

من ظ (٤) فى ظ : سقطاً (هـ - هـ) فى ظ : إبراهيم (٦) زيد بعده فى الأصل : أى ،

ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

بهم النعمة في موجب الانتقام. أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله و التبكيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة و التواضع فقال: ﴿ ولما رجع موسى ﴾ أى من المناجاة ﴿ الى قومه غضبان ﴾ أى فى حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿ اسفلا ﴾ أى شديد الغضب و الحزن ﴿ قال بنسأ ﴾ أى خلافة خلافتكم التى ﴿ خلقتونى ﴾ أى قتم مقامى و فعلتم خلقى .

و لما كان هذا ربما أوهم أنهم فعلوه من ورائه و هو حاضر فى طرف العسكر ، قال : ﴿ من بعدى ﴾ أى حيث عبدتم غير الله ' أيها العبد ، ١٠ و حيث لم تكفؤهم ' أيها الموحدون بعد ذهابى الى الجبل للواعدة الإلهية و بعد ما سمعتم منى من التوحيد لله تعالى و إفراده عن خلقه بالعبادة و نفى الشركاء عنه ، و قد رأيتم حين كففتكم و زجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم " اجعل لنا الها كما لهم الهة " و من حق الخلفاء أن يسيروا سيرة^٢ المستخلف و لا يخالفوه فى شئ .

١٥ و لما كان قد أمرهم أن لا يحدثوا حدثا حتى يعود إليهم ، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال : ﴿ اعجلتم ﴾ قال الصغانى^٣ فى المجمع : سبقتم ، و قال غيره : عجل عن الأمر - إذا تركه غير تام ، و يضمن معنى سبق ، فالمعنى :

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ : سير (٣) هو الحسن بن محمد ابن الحسن القرشى اللاهورى له جمع البحرين فى اللغة - راجع معجم المؤلفين ٢٧٩/٣ (٤) فى ظ : تركته .

سابقين^١ ﴿ امر ربكم ج ﴾ أى ميعاد الذى ما زال محسنا إليكم، أى فعلتم هذا قبل بلوغ أمر الموعد الذى زاد فيه ربي وهو العشرة الأيام برجوعى إليكم إلى حده، فظننتم أنى مت فغيرتم كما غيرت الأمم بعد موت أنبيائها؛ وقال الإمام أبو عبد الله القزاز أيضا: عجلم: سبقتهم، ومنه تقول: عجلت فلانا: سبقتهم، وأسندته ابن التيانى إلى الأصمعى ﴿ و القى الالواح ﴾ أى ه التى فيها التوراة غضبا لله وإرهابا لقومه، و دل هذا على أن الغضب بلغ منه حدا لم يتمالك معه، و ذلك فى الله تعالى ﴿ واخذ براس اخيه ﴾ أى بشعره ﴿ يجره إليه^٢ ﴾ أى بناء على أنه قصر وإعلاما لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يحل عن الوصف، لأنه اجتنات^٣ للدين من أصله.

١٠

ولما كان هارون عليه السلام^٢ غير مقصر فى نهيمهم، أخذ فى إعلام موسى عليه السلام^٣ بذلك [مخصصا الام و إن كان شقيقه -^٤] تذكيرا له بالرحم الموجبة للعطف والرقوة ولا سيما وهى مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: ﴿ قال ابن^٥ ام ﴾ وحذف أداة النداء وياه الإضافة لما يقتضيه الحال من الإيجاز، و فتح الجمهور^{١٥} الميم تشبيها [له -^٦] بخمسة عشر وعلى حذف الالف المبدلة من ياء الإضافة، و كسر الميم ابن عامر و حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم بتقدير حذف ياء الإضافة تخفيفا / ﴿ ان القوم ﴾ أى عبدة العجل الذين

٣٥٦/

(١) فى ظ: سابق (٢) من ظ، و قد الأصل: اجنياز (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: يابن .

يعرف قيامهم في الأمور التي يريدونها ﴿استضعفوني﴾ أي عدوني ضعيفا
وأوجدوا ضعفي بارهابهم لي ﴿وكدوا يقتلونني﴾ أي قاربوا ذلك
لإنكارى^١ ما فعلوه [فسقط عن الوجوب - ٢].

ولما تسبب عن ذلك إطلاقه، خاف أن يمنعه الغضب من ثبات
ذلك في ذهنه وتقرره في قلبه فقال: ﴿فلا تشمت بي الأعداء﴾ أي
لا تسرهم بما تفعل بي فأكون ملوما منهم ومنك؛ ولما استعطفه بالتذكير
بالشامة التي هي شامة به أيضا، أتبعه ضررا يخصه فقال: ﴿ولا تجعلني﴾
أي بمؤاخذتك لي ﴿مع القوم الظالمين﴾ أي فقطعن بعدك لي معهم
وجعلني في زمرتهم عن أحبه من الصالحين، وتصلني^٢ بمن أبغضه من
الفاسدين الذين^٣ فعلوا فعل من هو في الظلام، فوضعوا العبادة في غير
موضعها من غير شبهة ولا لبس أصلا.

ولما تبين له ما هو اللائق بمنصب أخيه الشريف من أنه لم يقصر^٤
في دعائهم إلى الله ولا وفي في نهيمهم عن الضلال، ورأى أن ما ظهر
له^٥ من الغضب مرهب^٦ لقومه وأزع لهم عما ارتكبوا، دعاء له ولنفسه
١٥ مع الاعتراف بالعجز وأنه لا يسع أحدا إلا العفو، وساق سبحانه ذلك
مساق الجواب لسؤال بقوله: ﴿قال رب﴾ أي أيها المحسن إلى ﴿اغفر لي﴾
أي ما حملني عليه الغضب لك من إيقاعى بأخى ﴿ولا خي﴾ أي في
كونه لما يبلغ ما كنت أريده منه من جهادهم.

ولما دعا بمحو التقصير، أتبعه الإكرام فقال: ﴿وادخلنا﴾ أي

(١) في ظ: لانكار (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: تسرلي (٤) في ظ: الذي (ه) في
ظ: لم يقتصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: موجب.

أنا وأخى وكل من انتظم معنا (في رحمتك) لتكون غامرة لنا محيطة بنا ؛
ولما كان التقدير: فانت خير الغافرين ، عطف عليه : (وانت ارحم الراحمين)
أى لأنك تنعم بما لا يحصره الجد ولا يحصيه العد من غير نفع يصل إليك
ولا أذى يلحقك بفعل ذلك ولا تركه .

ولما كان السؤال له ولأخيه وهما معصومان من الذنوب ، طوى ه
ما يتعلق بالمغفرة وذكر متعلق الرحمة بخلاف ما يأتي في السؤال له
وللسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ؛ ولما صحت براءة الخليفة ،
وأشير إلى أنه مع ذلك فقير إلى المغفرة ، التفت^١ النفس إلى حال
المفسدين فقال مخبراً عن ذلك : (ان الذين اتخذوا العجل) أى رغبوا
رغبة تامة فى أخذهم إليها مع المخالفة لما ركز^٢ فى الفطرة الأولى ودعاهم ١٠
إليه الكليم عليه السلام (سينالهم) أى بوعد لا خلف فيه (غضب)
أى عقوبة فيها طرد أو إبعاد ، وألله ما أمروا به من قتل أنفسهم ، وأشار
إلى أنه فيه رفق بهم وحسن تربية لتوبة من يبق منهم بقوله : (من ربهم)
أى الذى لا يحسن إليهم غيره ، يلحقهم فى الدنيا ويتبعهم فى الآخرة
(وذلة فى الحياة الدنيا) أى جزأهم على اقترائهم وكذلك^٣ من رضى ١٥
فعلهم ولا سيما إن كان من أولادهم كقريظة والنضير وأهل خيبر
(وكذلك) أى ومثل جرائمهم (نجزى المقترين) أى المتعمدين
للكذب ، وهذا نص فى أن كل مفتر ذليل - كما هو المشاهد - وإن
أظهر الجراءة بعضهم .

(١) من ظ ، وفى الأصل : التفت (٢) فى ظ : ذكر (٣) فى ظ : ذلك .

ولما ذكر المصيرين على المعصية، عطف عليه التائبين ترغيباً في مثل حالهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ عبر بالعمل إشارة إلى بالغفو وإن أقدموا عليها على علم، وجمع إعلاماً بأنه لا يتعاضده ذنب وإن عظم وكثر وإن طال زمانه، ولذلك عطف بأداة البعد فقال: ﴿ثُمَّ تَابُوا﴾
 ٥ وحقق الأمر ونفى المجاز بقوله: ﴿(من بعدها)﴾ ثم ذكر الأساس الذي لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم أنه لا فرق بين أن يكون في السيئات ردة أو لا فقال: ﴿(وَأَمْنُوا)﴾ ثم أجاب المبتدأ بقوله: ﴿(إن ربك)﴾
 أى المحسن إليك بقبول توبة التائبين لما / سيرك^١ من ذلك لأنك بهم رؤوف رحيم ﴿(من بعدها)﴾ أى التوبة ﴿(لغفور)﴾ أى محاء لذنوب التائبين
 ١٠ عينا وأثراً وإن عظمت وكثرت ﴿(رحيم)﴾ أى فاعل بهم فعل الرحيم من البر والإكرام واللاطف والإنعام، وكان المصيرين هم الذين قتلوا لما أمرهم موسى عليه السلام بقتل أنفسهم، فلما أهلك المصير وتاب الباقي، وصحت براءة أخيه وبقاؤه على رتبته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتهاد في أمر الله، زال موجب الغضب فأخبر سبحانه
 ١٥ عما يعقبه^٢ فقال: ﴿(ولما سكت)﴾ أى كف، شبه الغضب بمتكلم كان يحث موسى عليه السلام ويغريه على ما يوجب ويقتضيه، فلما^٣ شفى غيظه سكن وقطع كلامه فخلفه ضده وهو الرضى ﴿(عن موسى الغضب)﴾ وهو غليان القلب بما يتأذى به النفس ﴿(أخذ الألواح)﴾ أى التى جاء
 (١) من ظ، وفى الأصل: سرك (٢) فى ظ: تعقبه (٣) من ظ، وفى الأصل: على - كذا (٤) فى ظ: تناذى .

بها من عند الله بعد ما ألقاها ﴿ وفي ﴾ أى و الحال أنه فى ﴿ نسختها ﴾
 أى الأمر المكتوب فيها ، فعلة بمعنى مفعولة ، و عن ابن عباس أنه لما
 ألقاها صام - 'مثل ما كان صام' للناجاة - أربعين يوما أخرى ، فردت
 عليه فى لوحين مكان ما تكسر^١ . ﴿ هدى ﴾ أى شيء^٢ موضع للقاصد
 ﴿ ورحمة ﴾ أى سبب الاكرام ﴿ للذين هم لربهم ﴾ أى لا غيره^٣
 ﴿ يرهبون ﴾ أى هم أهل لأن يخافوا خوفا عظيما مقطعا^٤ للقلوب موجبا
 للهرب و يستمرون على ذلك .

شرح ما فى هذه الآيات من عند قوله "ساوريكم دار الفسقين"
 من البدائع من التوراة - قال المترجم فى السفر الخامس منها بعد أن بكتهم
 بعض ما فعلوه بما أوجب لهم الغضب و العقوبة بالتيه و حثهم على لزوم^{١٠}
 أمر الله لينصرهم : و أما الوصايا التى أمركم بها اليوم فاحفظوها و اعملوا
 بها لتحيا و تكثروا و تراثوا الأرض التى أقسم الله لآبائكم فتذكروا كل
 الطريق الذى سيركم الله ربكم فيه ، و دبركم منذ أربعين سنة فى البرية ليواضعكم
 و يجربكم و ليعلم^٥ ما فى قلوبكم هل تحفظون^٦ وصاياهم أم لا ، فواضعكم
 و أجاعكم^٧ و أطعمكم من لم تعرفوه أتم و لا آباؤكم ليبين لكم أنه ليس إنما^{١٥}
 يعيش الإنسان بالخبز فقط ، بل إنما يعيش بما يخرج من فم الله ، و لم تبل ثيابكم
 و لم تحف أقدامكم منذ أربعين سنة ، احفظوا وصايا الله ربكم و سيروا فى
 (١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) فى ظ : تسكر - كذا (٣) سقط من ظ .
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : معطما (٥) من ظ ، و فى الأصل : يعلم (٦) من ظ ،
 و فى الأصل : يحفظون (٧) فى ظ : اجاعكم - كذا .

طرقه و اتقوه ، لأن الله ربكم هو الذى يدخلكم إلى الارض المخصبة ،
 أرض كثيرة^١ الاودية و البنايع و العيون التى تجري فى الصحارى و الجبال ،
 أرض الحنطة و الشعير ، فيها الكروم و التين و الرمان و الزيتون و الدهن
 و العسل ، أرض لا تحتاجون^٢ فيها و لا تأكلون خبزكم بالفقر ، و لا يعوزكم
 ٥ فيها شيء ، أرض حجارتها حديد تستخرجون^٣ النحاس من جبالها ، فاحفظوا^٤ ،
 لا تنسوا الله ربكم ، و احفظوا وصاياه و شرائعه التى أمركم بها اليوم ،
 لا تبطروا ، فاذا أكلتم و بنيتم بيوتا و سكنتموها و كثر غنمكم
 و بقركم و كثرت أموالكم فتعظم قلوبكم و تنسوا الله ربكم الذى أخرجكم
 من أرض مصر و أنقذكم من العبودية و دبركم فى البرية المرهوبة العظيمة
 ١٠ حيث الحيات الحردات و العقارب و فى مواضع العطش و حيث لم يكن
 لكم ماء ، أخرج لكم من ماء الظران^٥ ، و أطعمكم منا لم يعرفه^٦ آباؤكم
 ليواضعكم و يجربكم و يحسن إليكم آخر ذلك ، و انظروا ، لا تقولوا فى قلوبكم
 إنا إنما استفدنا هذه الاموال بقوتنا و عزة قلوبنا ، و لكن اذكروا الله ربكم
 الذى قواكم أن تستفيدوا هذه الاموال ليثبت العهد الذى أقسم لآبائكم ،
 ١٥ و إن أنتم نسيتم الله ربكم و تبعتم آلهة أخرى و عبدتموها و سجدتم لها
 أشهدت عليكم / اليوم فأعلمتكم^٧ أنكم تهلكون^٨ هلاك سوء ، كما أهلكت
 الشعوب التى أباد الرب بين أيديكم كذلك تهلكون^٩ ، اسمعوا يا بنى إسرائيل !

/ ٣٥٨

- (١) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يحتاجون .
 (٣) من ظ ، و فى الأصل : يستخرجون (٤) فى ظ : فاحفظوا (٥) جمع الظر
 و الظرر و الظرة : الحجر (٦) فى ظ : لم تعرفه (٧) من ظ ، و فى الأصل :
 أعلمتم - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

بل أتم تجوزون اليوم نهر الأردن و تطلقون^١ لتملكوا^٢ الشعوب التي
هي أقوى و أعظم منكم و تظفروا^٣ بالقرى الكبار المشيدة إلى السماء^٤ و بشعب
كبير^٥ عظيم بنى^٦ الجبارة، و قد علمتم و سمعتم أنه ما يقدر إنسان أن يقوم
بين يدي الجبارة، و تعلمون يومكم هذا أن الله ربكم يحوز أمامكم و هو نار
محرقة، و هو يهلكهم و يهزمهم أمامكم. و لا تقولوا في قلوبكم إنه إنما أدخلنا
الرب ليرث هذه الأرض من أجل برنا، لأنه إنما يهلك الرب هذه الشعوب
من أجل خطاياهم، و ليثبت الأقوال التي وعد بها آباءكم إبراهيم و إسحاق
و يعقوب، فاعلموا أنه ليس من أجل بركم يورثكم الله هذه الأرض المخصصة،
لأنكم صلاب الرقاب، اذكروا و لا تنسوا أنكم أسخطتم الله ربكم في البرية منذ
يوم خرجتم من أرض مصر حتى انتهيت إلى هذه البلاد، و لم تزالوا مسخطين لله^{١٠}
ربكم و بحوريب^{١١} أيضا أغضبتم الرب، و غضب الرب عليكم و أراد هلاككم
حيث صعدت إلى الجبل و أخذت لوحى العهد الذى عاهدكم الرب، و مكثت
في الجبل أربعين يوما بليلاتها لم أذق خبزا و لم أشرب^{١٢} ماء، و أعطاني الرب
لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع^{١٣} الله، و كانت كل الآيات
التي كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة و من بعد الأربعين، و أعطاني^{١٥}
(١) في ظ: تنطقون (٢) من ظ، وفي الأصل: بذلك (٣) من ظ، وفي الأصل:
نطقوا - كذا (٤-٤) من ظ، وفي الأصل: شعب كثير (٥) من ظ،
وفي الأصل: من (٦) من ظ، وفي الأصل: نحورب - كذا (٧) في ظ:
لم اشرف - كذا (٨) في ظ: اصبع.

لوحى العهد، قال لى الرب: قم فانزل من^١ هاهنا سريعا، لأن شعبك
الذى أخرجه من أرض مصر قد فسدوا ومالوا عن الطريق الذى
أمرتهم^٢ عاجلا، وعملوا لهم إلها مسبوكا. وقال لى الرب: رأيت هذا
الشعب^٣ فاذا هو شعب قاسى القلب، فدعنى الآن حتى أهلكهم وأبدي
أسماءهم من تحت السماء وأصيرك مدبر الشعب^٤ أنظمت وأعز منهم،
وأقبلت فزلت من الجبل والجبل يشتعل نارا ولوحا العهد يبدى^٥،
ورأيت أنكم أذنبتم أمام الله ربكم سريعا، وعمدت إلى لوحى الحجارة
فرميت^٦ بهما من يدي وكسرتها قدامكم، وصليت أمام الرب كما صليت
أولا أربعين يوما بلباليها، لم أذق طعاما ولم أشرب شرابا من أجل جميع
الخطايا التى^٧ ارتكبتم وما علمتم من الشر بين يدي الرب وأغضبتموه:
لأنى^٨ فرقت وخفت غضب الله وزجره أنه أراد إهلاككم،
واستجاب الله [لى -^٩] فى ذلك الزمان، وأما عجلى خطاياكم الذى
علمتموه^{١٠} فأخذته وأحرقته بالنار وسحقته وطحته جدا حتى صار مثل
التراب وطرحته ترابه فى الوادى الذى ينزل فى الجبل، وبالحرىق
والبلايا وبقبور أصحاب الشهوة، أغضبتم الرب، وإذ أرسلكم ربكم من
رقام الحى وقال لكم: اصعدوا ورثوا الأرض^{١١} التى أعطىكم^{١٢}، اجتنبتهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: امرهم (٣-٢) سقط ما بين الرقيين
من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: يدك (٥) فى ظ: فرمى (٦) فى ظ: الذى.
(٧) فى ظ: كانى (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، وفى الأصل: علمتموه.
(١٠-١٠) فى ظ: الذى اعطيتكم.

قول الرب وأغضبتموه ولم تؤمنوا به ولم تسمعوا قوله ، ولم تزالوا الله
مستخطين منذ يوم عرفكم . وصليت أمام الرب أربعين يوما بلياليها ، لأن
الرب أمر بهلاككم ، وقلت في صلاتي : يا رب لا تهلك شعبك وميراثك
الذي خلصته بعظمتك وأخرجتهم^١ من أرض مصر يد عزيزة ، ولكن
اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ولا تنظر إلى معصية هذا الشعب ه
وإنهم وخطاياهم ، لئلا يقول سكان تلك الأرض التي أخرجتهم منها :
إن الرب لم يقو أن يدخلهم الأرض التي قال لهم ، وإنما أخرجهم من
عندنا لبغضه لهم ليضلهم في البرية ، وهو شعبك / وميراثك الذي أخرجتهم
بقوتك العظيمة وذراعتك^٢ العزيزة ، فقال لي الرب في ذلك الزمان أن
انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الأولين واصعد^٣ إلى الجبل إلى^{١٠}
وأعمل تابوتا من خشب الشمشاد - وفي نسخة : السنط - وفقرت اللوحين
من الحجارة مثل اللوحين [الأولين وصدت إلى الجبل واللوحة في
يدي ، وكتب على اللوحين -^٤] الكتاب الأول^٥ ، وهي العشر الآيات التي
كلّمك الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ، ودفعها الرب إلى^٦ فأقبلت
نازلا من الجبل ووضعت اللوحين في التابوت الذي عملت وتركتهما فيه ١٥
كما أمر الرب ، وارتحل بنو إسرائيل من ثروات^٧ بني يعقان وموسار ،
وتوفي هارون هناك ، وصار اليعازر ابنه حبرا مكانه ، وارتحلوا من هناك
إلى جدجد ، ومن جدجد إلى يطبت^٨ أرض مسابيل الماء ، في ذلك الزمان
أفرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب ، وأن

(١) في ظ : أخرجهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : ذراعتك (٣) في ظ : اصعدوا .
(٤) زيد ما بين الحازرين من ظ (٥) في ظ : الأولين (٦) في ظ : بروات .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : يطب .

يقوموا أمام الرب ويخدموه وأن يتركوا^١ باسم الرب إلى اليوم،
ولذلك ليس لبنى لاوى حصه مع بنى إسرائيل في ميراثهم، لأن ميراثهم
لله ربهم [كا - ٢] قال لهم، وأنا قمت بين يدي الرب في الجبل مثل
الأيام الأولى أربعين يوما بلياليها، واستجاب لي الرب في ذلك الزمان
٥ أيضا، ولم يخذلكم الله ربكم ولم يفسدكم، وقال [لى - ٢] الرب: قم فارتحل
وسر أمام الشعب^٢ ليدخلوا ويرثوا^٣ الأرض التي أقسمت لأبائهم أن
أعطيهم، والآن يا بنى إسرائيل ما الذى يطلب الله ربكم منكم^٤ ما يطلب
الآن إلا أن تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم وتسبخوا^٥ في طريقه وتعبوه،
وأن تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم وأنفسكم، وأن تحفظوا وصايا الله ربكم
١٠ التي أمركم بها اليوم ليحسن إليكم لأن السماء وسماء السماء هما لله ربكم والأرض
وجميع ما فيها، وبآبائكم وخدم سر الرب وأجهم وانتخب نسلهم^٦
من بعدهم وفضلهم على جميع الشعوب كالיום، اختنوا غلفة^٧ قلوبكم،
ولا تقسوا رقابكم أيضا^٨، لأن الله ربكم هو إله الآلهة ورب الأرباب،
إله عظيم جبار مرهوب لا يحابى ولا يرتشى، ينصف^٩ للأيتام والأرامل،
١٥ ويحب الذى يقبل إليه برزقه^{١٠} طعاما وكسوة، فأجوا الذين يقبلون إليه
واذكروا أنكم كنتم سكانا^{١١} بأرض مصر، فاتقوا الله ربكم واتبعوه واعبدوه^{١٢}

- (١) من ظ، وفي الأصل: يتركوا (٢) زيد من ظ (٣-٣) من التوراة، وفي
الأصل وظ: لتدخلوا وترثوا (٤) من ظ، وفي الأصل: سيروا (٥) من ظ،
وفي الأصل: سيلاهم (٦) في ظ: غلفة (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: ينتصف.
(٩) في ظ: يرزقه (١٠) في ظ: سكننا (١١) في ظ: اعبدوا.

و أقسموا باسمه ، لأنه إلهكم ومريحكم ، وهو الذى أكل لديكم العجائب
 التى رأت^١ أعينكم ، واعلموا أنه إنما أنزل آباءكم إلى مصر سبعين رجلا .
 والآن فقد كثركم الله ربكم مثل نجوم السماء ، أحبوا الله ربكم و احفظوا سنه
 وأحكامه كل الأيام ، واعلموا يومكم^٢ هذا أنه ليس لبنىكم الذين لم يعاينوا
 ولم يعلموا ما رب الرب وعظمته^٣ ويده^٤ المنية وذراعه العظيمة^٥
 وآياته وأعماله التى عمل بمصر وفرعون ملك مصر وكل أرضه وما صنع
 بأجناده ملك مصر وما فعل بالخيول والمراكب وفرسانها الذين^٦ قلب
 عليهم ماء بحر سوف حيث خرجوا فى طلبكم وأهلكهم الرب إلى اليوم
 وجميع ما صنع بكم فى البرية حيث اتهمتم إلى هذه البلاد وما صنع بدائتان^٧
 وأيرم ابني ألب بن رويل اللذين^٨ فتحت الأرض فاها وابتلعتهما وبيتهما ،^٩
 وخيامهم وكل شيء هو لهم إذا^{١٠} كانوا قياما على أرجلهم بين يدي جميع
 بنى إسرائيل ، ولكن قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل ،
 فاحفظوا جميع الوصايا التى أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون
 إليها لترونها وتطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لأبائكم أن يعطيهم^{١١}
 ويرثها نسلهم - وستأتى تمتته إن شاء الله تعالى عند^{١٢} " ولقد بوأنا بنى اسرائيل^{١٣}

(١-١) فى ظ : الذى رايت (٢) من ظ ، وفى الأصل : ابويكم (٣-٣) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : باخبار (٥) فى ظ : التى .
 (٦) من التوراة ، وفى الأصل : بدابان ، وفى ظ : بدابان - كذا (٧) من
 التوراة ، وفى الأصل و ظ : الذين (٨) فى ظ : اذا (٩) من ظ ، وفى الأصل :
 تعطيمهم .

مبوء صدق"، وفيه من المتشابه قوله: فم الله، وإصبع الله، و الأول
- لكونه لا يجوز إطلاقه في شرعنا - مأول بالكلام، والثاني بالقدرة .

ولما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالميات المقصود به سعى الكلم

/ ٣٦٠ عليه السلام فيما يهديهم إلى صراط الله، وذكر سعيهم هم فيما أضلهم عن

الطريق باتخاذهم العجل، و كان ختام ذلك ما بدا من موسى عليه السلام من

الشفقة على أخيه ثم على الكافة بأخذ الألواح عند الفراغ مما يجب من

الغضب لله، رد الكلام على ذكر شيء فعله في الميات مراد به عصمتهم في

صراط الله بنقلهم - بمشاركته^٢ في سماعهم لكلام الله - من علم اليقين إلى

عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم، ليكون إخبارهم عما رأوا

١٠ مؤيدا لما يخبر به، فيكون ذلك سببا^٣ لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة

العجل، ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغي لهم من الرؤية

على وجه التعنت، فقال: ﴿واختار﴾ أى اجتهد في أخذ الخيار

﴿موسى قومه﴾ ثم أبدل منهم قوله: ﴿سبعين رجلا﴾ إشارة إلى أن

من عداهم عدم، لا يطلق عليهم اسم القوم في المعنى الذى أرادته، وهو

١٥ نحو ما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن ابن عمر

رضى الله عنهما: الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة، ثم ذكر

علة الاختيار فقال: ﴿لمياتنا﴾ أى* فما اختار إلا من رأى أنه يصلح

لما نريد من عظمتنا في الوقت الذى حددناه^٤ له، ودنا بهم من الحضرة

(١) في الأصل وظ، كونه (٢) من ظ، وفي الأصل: بمشاركتهم (٣) من

ظ، وفي الأصل: ميبا (٤) من ظ، وفي الأصل: مما (٥) سقط من ظ .

(٦) في ظ: جددناه .

الخطاية في الجبل^١ هو و هارون عليهما السلام ، و استخلف على بني إسرائيل
يوشع بن نون عليه السلام ، كل ذلك عن أمر الله له ، و [في - ٢] هذا
الكلام عطف على قوله ” و وعدنا^٢ موسى ثلثين ليلة ” فيكون الميقات
هو الأول و هو ظاهر التوراة كما مر بيانه في البقرة ، و يجوز أن يكون
عطفا على قوله ” و اتخذ قوم موسى ” أو على قوله ” اخذ الألواح ” ه
و حيثئذ يكون هذا الميقات غير الميقات الأول ، و يؤيده ما نقل من أن
هارون عليه السلام كان معهم ، و كأنهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم
الرؤية جاعليها شرطا لإيمانهم فقالوا ” لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ”
كما فعل النقباء الاثنا عشر حين أرسلهم لجس أحوال الجبارين فقص^٣
أكثرهم . فأخذتهم الرجفة فأتوا ، فخشى موسى عليه السلام أن يتهمة ١٠
بنو إسرائيل في موتهم كنفس^٤ واحدة (فلما أخذتهم) أى أخذ قهر
و غلبة (الرجفة) أى التى سببتها الصاعقة التى تقدمت فى البقرة ،
فزالت قلوبهم فأماتتهم . و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هؤلاء
غير السبعين الذين قالوا ” ارنا الله جهرة فآخذتهم الصعقة^٥ ” و أن أولئك
كانوا قبل هؤلاء ، فالظاهر أن سبب الرجفة ما رأوا عند سماع الكلام ١٥
من جلال الله و عظيم هيئته من الغمام^٦ الذى تغشى الجبل و القطار و البروق
و أصوات القرون و غير ذلك بحيث كادت الرجفة - و هى رعدة^٧ -
تفرق أوصالهم بعضها من بعض (قال) أى موسى تملقا لربه سبحانه
(١) فى ظ : الجبل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اوعدنا - كذا (٤) سورة ٢
آية ٥٥ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لنقص (٦) فى ظ : كموت (٧) سورة ٤
آية ١٥٣ (٨) فى ظ : العظام (٩) زيد فى ظ : كانت .

﴿ رب ﴾ أى أيها ' المحسن إلى ﴿ لو شئت اهلكتهم ﴾ أى أمّتهم .
 ولما لم يكن إهلاكهم مستغرقا للماضى ، أدخل الجار فقال :
 ﴿ من قبل و اياى ﴾ أى قدرتك على و عليهم قبل أن نقرب من هذه
 الحضرة المقدسة ونحن بحضرة قومنا كقدرتك علينا حين تشرفنا بها ، وقد
 أسبغت علينا ذيل عفوك وأسبغت علينا نعمتك ونحن فى غير هذه الحضرة
 ه فلم تهلكنا ، فانعامك علينا ونحن فى حضرة القدس و بساط القرب
 والانس ائلى .

ثم لما كان الحال مقتضيا لأن يقال : ألم تر إلى ما اجترؤا عليه ،
 وكان كأنه قال : إنما قال ذلك قوم منهم سفهاء ، دل [على - ٢] ذلك
 ١٠ بقوله استعظافا : ﴿ اتهلكنا ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن
 رجفتهم كانت بسبب أنهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع أنهم لم يرضوا
 بذلك . وكان موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لإهلاك
 الجميع لأنه جوز أنه كما أهلك هؤلاء يهلك غيرهم / لتقصير آخر بسبب
 ذلك كعدم الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك ﴿ بما فعل السفهاء منا ﴾
 ١٥ فكأنه صلى الله عليه وسلم رضى أنه إن لم يشملهم العفو أن يخص العفو
 بمن لم يذنب بالفعل و يعفو عن قصر بالسكوت ، وعلى تقدير كون الميقات
 غير الأول يجوز أن يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس
 رضى الله عنهما ، فيكون موسى عليه السلام خاف أن يكون إهلاكهم
 قته لبنى إسرائيل و سببا لكفرهم كما كان إبطاؤه عنهم بزيادة عشرة أيام

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تقرب (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى
 الأصل : جواز (ه) من ظ ، وفى الأصل : يغفر .

على الثلاثين في الميقات الأول سيداً لاتخاذهم العجل ، و يجوز حينئذ أن يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ، و يؤيده التعبير بالفعل دون القول وقد تقدم [نقله - ١] عن ابن عباس رضى الله عنهما .

ولما كان قوله هذا ربما أفهم رضاه بهلاك المذنبين^٢ ، قال معرضاً بالسؤال في العفو عن الجميع : ﴿ ان هى ﴾ أى الفتنة التى أوقعها^٣ السفهاء هـ ﴿ الا فتنتك^٤ ﴾ أى ابتلاؤك و اختبارك ﴿ تضل بها من تشاء ﴾ أى تظهر^٥ فى عالم الشهادة من ضلاله ما كان معلوما لك فى عالم الغيب ﴿ و تهدى من تشاء^٦ ﴾ أى تظهر^٥ ما فى علمك من ذلك .

ولما أثبت أن الكل بيده ، استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الأصالح فقال : ﴿ انت ﴾ [أى وحدك - ١] ﴿ ولينا ﴾ أى نعتقد أنه لا يقدر^٧ ١٠ على عمل مصالحنا غيرك ، و أنت لا تقمع لك فى شىء من الأمرين ولا ضرر ، بل الكل بالنسبة إليك على حد سواء ، ونحن على بصيرة^٨ من أن أفعالك لا تعطل بالأغراض ، و عفوك عنا ينفعنا و انتقامك منا يضرنا ، ونحن فى حضرتك قد انقطعنا إليك و حططنا رحال افتقارنا لديك .

ولما أثبت أنه الفعال لما يشاء وأنه لا ولى لهم غيره ، وكان من ١٥ شأن الولى جلب النفع و دفع الضرر ، سبب عن كونه الولى وحده قوله بادئا بدفع الضرر : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أى امح ذنوبنا ﴿ و ارحمنا ﴾ أى ارفعنا ؛ و لما كان التقدير : فأنت خير الراحمين ، عطف عليه قوله : ﴿ و انت خير الغفرين هـ ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الماسين - كذا (٣) فى ظ : واقعها .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : يظهر (هـ) فى ظ : ضلالة (٦) فى ظ : لا تقدر .

(٧) فى ظ : بصير .

أى لأن غيرك يتجاوز عن الذنب للثناء أو الثواب أو دفعا للصفة الحسنة
وهى صفة الحقد ونحوه ، وأنت منزّه عن ذلك ، وكأنه أحسن العفو عنهم
فقال عاطفا على سؤاله فيه : ﴿ واكتب لنا ﴾ أى فى مدة إحيائك لنا
﴿ فى هذه الدنيا ﴾ أى الحاضرة والدنية ﴿ حسنة ﴾ أى عيشة راضية
و حياة طيبة ﴿ وفى ﴾ الحياة ﴿ الآخرة ﴾ أى كذلك ؛ ثم علل ذلك
بقوله : ﴿ انا هدنا ﴾ أى تبنا ﴿ اليك ﴾ أى عما لا يليق بجناحك كما
أمرتنا أن نجهز ما عساه يقع منا بالمبادرة إلى التوبة ، فبدأ بذكر عزة الربوبية
وثنى بذلة^١ العبودية وهما أقوى أسباب السعادة ، وهذا تلقين لهم
وتعليم وتحذير^٢ من مثل ما^٣ وقعوا فيه وحث على التسليم ، وكأنه لما
كان ذنبهم الجهر بما لا يليق به سبحانه من طلب الرؤية ، عبر بهذا اللفظ
أو ما يدل على مغناه تنبيها لهم على أن اسمهم يدل على التوبة والرجوع
إلى الحق والصيرورة إلى الصلاح واللين والضعف فى الصوت والاستكانة
فى الكلام والسكوت عما لا يليق ، وأن يهودا^٤ الذى أخذ اسمه من ذلك
إنما سموا به ونسبوا إليه تفاؤلا لهم ليتبادروا إلى التوبة .

١٥ ولما كان فى كلامه عليه السلام [إنكار - '] إهلاك الطائع بذنب
العاصي وإن كان ذلك^٥ إنما كان على سبيل الاستعطاف منه والتعلق مع
العلم بأنه عدل منه تعالى وله أن يفعل ما يشاء بدليل قوله ” ولو شئت
اهلكتهم من قبل وإياي “ استأنف سبحانه الإخبار عن الجواب عن
كلامه على وجه منه للجماهير على أن له التصرف المطلق بقوله :

(١) فى ظ : بذكر (٢-٢) فى ظ : لا (٣) من ظ ، وفى الأصل : يهود (٤) زيه
من ظ (٥) فى ظ : تلك .

(قال عذابي) أي انتقامي الذي يزيل كل عذوبة عن وقع به (أصيب به)
 أي في الدنيا والآخرة (من أشاء ج) أي / أذنب أو لم يذنب
 (و رحمتي) أي إنعامي وإكرامي .

ولما كان الإيجاد من الرحمة فانه خير من العدم فهو إكرام في
 الجملة ، قال : (وسعت كل شيء^١) أي هذا شأنها وصفتها في نفس ه
 الامر وإن بلغ في القبايح ما عساه أن يبلغ^٢ ، وهذا هو معنى حديث
 أبي هريرة في الصحيح ه إن رحمتي سبقت - وفي رواية : غلبت - غضي^٣ ،
 سواء قلنا : إن السبق بمعنى الغلبة ، أو قلنا : إنه على بابه ، أما الأول فلأن
 تعلق الرحمة أكثر ، لأن كل من تعلق به الغضب تعلقت به الرحمة بإيجاده
 وإفاضة الرزق عليه ، ولا عكس كالحيوانات العجم والجمادات^٤ وأهل ١٠
 السعادة من المؤمنين والملائكة والحوار وغيرهم من جنود الله التي لا تحصى .
 ولما^٥ أعلم أن رحمته واسعة وقدرته شاملة ، وكان ذلك موسعا للطمع ،
 سبب عن ذلك قوله ذاكرة شرط إتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن
 تحصيل ذلك الشرط : (فساكتبها) أي أخص بدوامها بوعده لاخلف فيه
 لأجل تمكيني^٦ بتمام القدرة مما أريد مبتوتا أمرها بالكتابة (للذين يتقون) ١٥
 أي يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير ولا يخل^٧ بوسعها
 أن أمنع دوامها بعد الإيجاد من غيرهم ، فإن الكل لو دخلوا فيها دائما
 [ما -^٨] ضاقت بهم ، فهي في نفسها واسعة و^٩ لكنني أفعل ما أشاء .

(١-١) في ظ : اذنبت اولم تذنب (٢) من ظ ، وفي الأصل : تبلغ (٣-٣) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٤) في الأصل : يمكن ، وفي ظ : تمكين (٥) من ظ ،
 وفي الأصل : لا يخل (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٥٦ و ١٥٧) ج - ٨

ولما ذكر نظرهم إلى الخالق بالانتهاء عما نهى عنه والالتزام بما أمر به ، أتبعه النظر إلى الخلائق فقال : ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ ولعله خصها لأن فرضها كان في هذا الميقات كما تقدم في البقرة ولأنها أمانة فيما بين الخلق و الخالق كما أن صفات النبي صلى الله عليه وسلم التي كتبها لهم و شرط قبول أعمالهم باتباعه كذلك ؛ ثم عمم بذكر ثمرة التقوى فقال مخرجاً لمن يوجد منه ذاك الوصفان في الجملة على غير جهة العموم : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا ﴾ أى كلها ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ أى يصدقون بالقلب و يقرون باللسان و يعملون تصديقا لذلك بالأركان ، فلا يكفرون ببعض و يؤمنون ببعض .

١٠ [ولما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة ، أوضح غاية الإيضاح بقوله - ٢] : ﴿ الَّذِينَ يَقْبَعُونَ ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ الرُّسُولَ ﴾ ولما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد ولا صريح في الرسالة عن الله ولا في كونه من البشر ، قال : ﴿ النَّبَى ﴾ أى الذى يأتية الوحي من الله ، فبدأ بالأشرف وثنى بما خصه برسالة الله و كونه من الآدميين لا من الملائكة .

١٥ ولما لم يتم المراد ، قال مبيناً لأعظم المعجزات ، وهى أن عليه بغير معلم من البشر : ﴿ الْإِنَّمَا ﴾ أى الذى هو مع ذلك العلم المحيط على [صفة - ٢] الأم ، وأمة العرب لا يكتب ولا يقرأ ولا يخاطب العلماء للتعليم منهم بل لتعليمهم . فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه

(١) في ظ : اعلمها (٢) من ظ ، وفي الأصل : عهمم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ والقرآن الكريم ، وفي الأصل : الرسل (٥) من ظ ، وفي الأصل : جر - كذا .

بجلالة

بجلالة الأوصاف و التشويق إلى الموصوف ، [ولم يعطف لثلا يوم تعداد الموصوف - ١] ؛ والمعنى أنى لا أغفر لأحد من بنى إسرائيل ولا من غيرهم إلا إن اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه ، وتارة يخرج من القوة إلى الفعل من لحق زمان دعوته ، فمن علم^٢ الله منه أنه لا يتبعه إذا أدركه لا يغفر له ٥ ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك ، وعرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق إليه عند مجيئه ريب ولا يتعلل في أمره بعلّة ، ولذلك أتبعه بقوله : (الذى^٣ يجدونه) أى علماء بنى إسرائيل ؛ ولما اشتد تشوف السامع بذكر الوجدان ، قال : (مكتوبا) ثم قرب الأمر بقوله : (عندهم) ثم بين أنه مما لا يدخله شك بقوله : (فى التوراة و الانجيل) أى ١٠ الذين يعلمون أنهما من عند الله ، بصفته البينة كما تقدم بيانه عما عللوا^٤ عن تبديله منهما فى البقرة عند ” واذ ابتلى إبراهيم ربه “ و فى آل عمران عند ” ان الله اصطفى آدم و نوحا^٥ “ - الآيات ، و فى النساء عند ” وما قتلوه يقينا^٦ “ و فى التوراة أيضا من ذلك فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : و إذا دخلتم الأرض التى يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل ١٥ أعمال تلك الشعوب / ولا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ، ثم قال : ٣٦٣ / لأن هذه الشعوب التى ترثونها كانت تطيع العرافين والمنجمين ، فأما أنتم فليس هكذا يعطيكم^٧ الله ربكم ، بل يقيم لكم نيا من إخوتكم مثلى ،

(١) زيد من ظ (٢-٢) فظ : فعلم (٣) من ظ و القرآن الكريم ووفى الأصل : الذين (٤) فظ : غفلوا (٥) آية ١٢٤ (٦) آية ٣٣ (٧) آية ١٥٧ (٨) فظ : يطيعكم .

فأطيعوا ذلك النبي كما طلبتم إلى الله ربكم في حوريب^١ يوم الجماعة^٢ وقلتم:
لا تسمع صوت الله ربنا ولا تعان هذه النار العظيمة لثلاث^٣ نموت،
فقال الرب: ما أحسن ما تكلموا، إني سأقيم لهم^٤ نيا من إخوانهم مثلك،
أجعل كلامي في فيه ويقول لهم ما أمره به، والذي لا يقبل قول ذلك
النبي الذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن^٥ سبطه - انتهى . هكذا رأيته
مترجما في بعض نسخ التوراة، ثم رأيت السموأل بن يحيى المغربي ترجمه
في كتابه الذي ذكر فيه سبب إسلامه وكان من أكبر علمائهم
بل العلماء فقال: نيا أقيم لهم من وسط إخوانهم مثلك، به فليؤمنوا -
انتهى . وهو يعنى أن يكون هذا النبي محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه من
١٠ بنى إسماعيل أخى إسحاق وقد آتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها^٦ بشريعة قبلها
ولا توقف^٧ لها عليها، وذلك أن في^٨ العبارة كلمتين: مثل وإخوة،
وحقيقة^٩ الأخ ابن^{١٠} أحد الأبوين، وهو لا يتأتى في أحد من أنبيائهم،
فأقرب المجاز^{١١} إلى حقيقته الحمل على أخى الأب، وهو إسماعيل عليه السلام،
والشائع في الاستعمال في نحو ذلك على تقدير إرادة أحد منهم أن يقال:
١٥ من أنفسهم، لا من إخوانهم، وحقيقة المثل المشارك في أخص الصفات،

(١) من التوراة، وفي الأصل: تحوريب، وفي ظ: خويب (٢) من ظ، وفي
الأصل: الجمعة (٣) من ظ، وفي الأصل: كيلا (٤) في ظ: لكم (٥) من ظ،
وفي الأصل: منه - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: بها (٧) من ظ، وفي
الأصل: توصف (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: شقيقة (١٠) في ظ: بنى .
(١١) من ظ، وفي الأصل: المجازة .

وأخص صفات موسى عليه السلام الرسالة و الكتاب بشريعة مستقلة ،
و لم يأت منهم بعده من هو بهذه الصفة ، لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ
من شريعة موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام ، و على تقدير دعوى ذلك
فيه لكونه نسخ في الجملة و تسليم ذلك لا يتأتى قصده بهذا النص لوجهين :

أحدهما أنه ليس من رجالهم إلا بواسطة أمه ، فحق العبارة فيه : من نبي ه
أخواتهم - جمع أخت ، و إذا أريد آباء أمه كان المجاز فيهم أبعد من
المجاز في نبي إسماعيل لما تقدم ' ، و لا ينتقل إلى الأبعد إلا بقريته تصرف
عن الأقرب - والله أعلم . و قال السموأل بن يحيى أحد أحبارهم في
سبب إسلامه : إن اليهود يقولون : إن هذه البشارة نزلت في [حق - ٢]

سموأل ٢ أحد أنبيائهم الذين بعد موسى لأنه كان ١ مثل موسى عليه السلام ١٠
في أنه من سبط لاوي ، و قال : إنه رأى سموأل ٢ عليه السلام في المنام
و أنه دفع إليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له : هنيئا لك يا نبي الله
ما خصك الله به ! فظن مغضبا و قال : أو إياي أراد الله بهذا يا ذكي !
ما أفادتك إذن البراهين الهندسية ، فقلت : يا نبي الله ! فمن أراد الله بهذا ؟
قال ٣ : الذي أراد في قوله : هوفيع ميهار فاران ، و تفسيره إشارة إلى نبوة ٤ ١٥

وعد بنزولها على جبال فاران ، فعرفت أنه يعنى المصطفى صلى الله عليه و سلم ،
لأنه المبعوث من جبال فاران و هي جبال مكة ، ثم قال : أو ما علمت أن الله
لم يعنى بنسخ شيء من التوراة ، وإنما بعثي أفركرم بها و أحيى شرائعها

(١) في ظ : يقدم (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : سموأل ، و في التوراة : صموئيل .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : فقال (٦) من ظ ، و في الأصل : نسخ .

وأخلصهم من أهل فلسطين ، قلت : بلى يا نبي الله ! قال : فأى حاجة بهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم ولم يغير شريعتهم ، أرايتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال^١ أو يرميا أو حزقيل ؟ قلت : لا لعمرى ! فأخذ الكتاب من يدي^٢ وانصرف مغضبا فارتعبت لغضبه وازدجرت لموعظته واستيقظت مذعورا . وقال في كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود : إن الله يطلق الإخوة على غير بني إسرائيل / كما قال في بنى العيص بن إسحاق عليه السلام في الجزء الأول من السفر الخامس ما تفسيره^٣ : أتم عابرون في تخم^٤ إخوتكم بنى العيص . فاذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل لأن العيص و إسرائيل ولدا^٥ ١٠. إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم عليهم السلام . قال : وفي الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة في ذكر البشارة لإبراهيم عليه السلام ما تفسيره : وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك ، ها قد باركت فيه وأتمره وأكثره جدا جدا ، وقال : إن جدا^٦ جدا بلسان العبراني مفسر " بماد ماد " وهاتان الكلمتان إذا عددنا حروفهما بحساب الجمل كان اثنتين^٧ ١٥. وتسعين ، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه وسلم ، يعنى فتعين أن يكون مرادا بها لأنها في البشارة بتكثير إسماعيل عليه السلام ، وليس في (١) فظ : رسول (٢) من ظ ، وفي الأصل : دنيا (٣) فظ : بيدي (٤) من ظ ، وفي الأصل : يفسره (٥) من التوراة ، وفي الأصل : غم ، وفي ظ : نجم - كذا (٦) فظ : واد (٧) فظ : جد (٨) فظ : اثنين .

أولاده من كثره الله به وعدد اسمه هذا العدد^١ غير محمد صلى الله عليه وسلم ،
قال : و إنما جعل ذلك في هذا الموضع ملغزا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود
أو أسقطته من التوراة كما عملوا^٢ في غيره - انتهى . وفي آخر فصول
التوراة : دعا موسى عبد الله لبنى إسرائيل قبل وفاته ، قال : أتى^٣ ربنا من
سيناء وشرق لنا من جبل ساعير وظهر لنا من جبل - وفي نسخة : جبال - ه
فاران ، معه^٤ ربوات الأطهار على يمينه ، أعطاهم وحيهم إلى الشعوب
و بارك على جميع أطهاره^٥ ، و [هم - ٦] يتبعون آثارك و^٧ يتناقلون
كلماتك^٨ . وفي نسخة بدل : معه ربوات الأطهار - إلى آخره : و أتى
[من - ٩] ربوات القدس بشريعة نوره من يمينه لهم ، واصطفى أيضا
شعبا . فجميع خواصه في طاعتك و هم يقفون آثارك و يتناقلون كلماتك - ١٠
انتهى . فالذى ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه وسلم ، لأنهم
معترفون أنها مكة ، و معه ربوات ، أى جماعات الأطهار ، و أمته حبيت إلى
الشعوب ، لأن كلا من فريق أهل الكتاب يقدمهم على الفريق الآخر ،
و لم يقبل أحد جميع كلام موسى عليه السلام و يتبع جميع آثاره في بشارته من
يأتى بعده غيرهم - هذا و أما الإنجيل فالبشائر فيه أكثر و قد تقدم كثير منها ، ١٥
و هى تكاد^{١٠} أن تكون صريحة في سورة النساء في قصة رفعه عليه السلام ،

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) في ظ : عملوه (٣) في ظ : اانا (٤) من ظ ،
و في الأصل : بعد - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : أطهارهم (٦) زيد من ظ .
(٧ - ٧) من ظ ، و في الأصل : يقبلون كلامك (٨) زيد من التوراة (٩) في
ظ : لا تكاد .

وما فيه أيضا ما في إنجيل متى وغيره وأغلب السياق له: كثيرا أولون يصيرون آخرين و آخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج بالعداء يستأجر فعلة لكرمه فشارط الأكرة على دينار واحد في اليوم وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج في ثالث ساعة ٥ فأبصر آخرين قياما في السوق بطالين، فقال لهم: امضوا أتم إلى كرمي وأنا أعطيك ما تستحقون، فمضوا، وخرج أيضا في الساعة السادسة والتاسعة فصنع^١ كذلك، وخرج في الحادية عشرة فوجد آخرين قياما، فقال لهم: ما قيامكم^٢ كل النهار بطالين؟ فقالوا له: لم يستأجرنا أحد، فقال لهم: امضوا أتم بسرعة إلى الكرم وأنا أعطيك ما تستحقون، فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطهم الأجرة ١٠ وابدأ بهم من الآخرين إلى الأولين، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة فأخذوا دينارا كل واحد، فجاء الأولون فظنوا^٣ أنهم يأخذون أكثر فأخذوا دينارا كل واحد، و [لما أخذوا -^٤] تعمقوا على رب البيت وقالوا: إن هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة، جعلتهم أسوتنا ونحن حملنا ثقل^٥ النهار وحره فقال لواحد منهم: يا صاحب! ما ظلمتك، ألسنت بدينار شارطتك، خذ شيك وامض، أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك، أو مالي أن أفعل ما أردت بمالي؟ وأنت عينك شريرة^٦، كذلك يكون الآخرون أولين^٧، والأولون آخرين^٨، ما أكثر المدعويين^٩ وأقل المستخين؛

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ: قيامهم (٣-٣) في ظ: جاوا الأولين وظنوا.
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: نعمل - كذا (٦) في ظ: شرير.
(٧) في ظ: أولون (٨) في ظ: آخرون (٩) في ظ: الموعودين.

وقال : ودخل إلى الهيكل فجاء إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وقالوا له وهو يعلم : بأي سلطان تفعل^١ هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان ؟ أجاب يسوع وقال لهم : أنا أسألكم عن كلمة واحدة ، فإن أنتم قلتم لي قلت لكم بأي سلطان أفعل هذا ، معمودية يوحنا من أين هي ؟ من السماء أو من الناس ؟ ففكروا في نفوسهم قائلين : إن قلنا : من السماء ، ه قال لنا : لما ذا لم تؤمنوا به ؟ وإن قلنا : من الناس ، خفنا من الجمع ؛ وقال لوقا : وإن قلنا من الناس فإن جميع الشعب يرجئنا لأنهم قد يتقنوا أن يوحنا نبي ؛ وقال متى : لأن^٢ يوحنا كان عندهم مثل نبي ؛ وقال مرقس : لأن جميعهم كان يقول : إن يوحنا نبي ؛ قال متى^٣ : فقالوا : لا نعلم ، فقال : ولا أنا أيضا أعلمكم بأي سلطان أفعل هذا . قال مرقس ؛ وبدأ يكلمهم ١٠ بأمثال قائلا ؛ قال متى ؛ ما ذا تظنون بانسان كان له ابنان فجاء إلى الأول فقال له : يا بني اذهب اليوم واعمل في الكرم ، فأجاب وقال : ما أريد . وبعد ذلك ندم ومضى ، وجاء إلى الثاني وقال له^٤ مثل هذا فأجاب وقال : نعم يا رب ! أنا أمضي - ولم يمض ؛ من منهما فعل إرادة الأب ؟ فقالوا له : الأول ، فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ! إن العشارين ١٥ والزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ، جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به ، والعشارون والزناة آمنوا به ، فأما أنتم فرأيتم ذلك ولم تندموا^٥ أخيرا لتؤمنوا به . اسمعوا مثلاً آخر : إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاط^٦

(١) من ظ ؛ وفي الأصل : يفعل (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) في ظ : لهم (٤) في ظ : بالطريق (٥) من ظ ، وفي الأصل : لم يندموا (٦) في ظ : أحاط .

به سياجا وحفر فيه معصرة وبنى فيه برجاً ودفعه إلى فعلة وسافر - قال
 لوقا: زمانا كثيرا - فلما قرب زمان الثمار أرسل عبيده إلى الفعلة ليأخذوا
 ثمرته، فأخذ الفعلة عبيده، ضربوا بعضا وقتلوا بعضا ورجعوا بعضا،
 فأرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم كذلك، وفي
 ٥ الآخر أرسل إليهم ابنه وقال: اعلمهم يستحيون من ابني، فلما رأى الفعلة
 الابن قالوا: هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونأخذ ميراثه، فأخذوه
 وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه، فإذا جاء رب البيت ما ذا يفعل بهؤلاءك
 الفعلة؟ قالوا له: يهلكهم ويدفع الكرم إلى فعلة آخرين ليعطوه ثمرته
 في حينه، قال لهم يسوع: أما قرأتم [قط - ٢] في الكتب أن الحجر
 ١٠ الذي رذله البناءون صار رأس الزاوية، هذا كان من قبل الرب وهو
 عجب في أعيننا، من هذا أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى
 لأمم يصنعون ثمرتها، ومن سقط على هذا الحجر ترضض، ومن
 سقط عليه طحنه. فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيين أمثاله علموا
 أنه يقول من أجلهم، فهموا أن يمسكوه وخافوا من الجموع لأنه كان
 ١٥ عندهم مثل نبي. وقال أيضا: يشبه ملكوت السماء رجلا صنع عرسا
 لابنه، فأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا،
 ثم أرسل عبيدا آخرين وقال: قولوا للمدعوين: إن طعماي معد،
 وعجولي المعلوفة قد ذبحت وكل شيء معد، فتعالوا إلى العرس، فتكاسلوا
 (١) في ظ: أرسلوا (٢) من ظ، وفي الأصل: ناخذ (٣) زيد من ظ (٤) في
 ظ: امثالهم (٥) في ظ: فلما.

٣٦٦ / و ذهبوا فتنهم إلى حقله و منهم إلى تجارته و البقية أمسكوا عيده
 و شتموه^١ و قتلوه، فلما بلغ الملك غضب و أرسل جنده و أهلك
 هؤلاء القتل و أحرق مدينتهم؛ حيثذ قال لعيده: أما العرس فستعد،
 و المدعوون فغير مستحقين، اذهبوا إلى مسالك الطريق و كل من وجدتموه
 ادعوه إلى العرس، فخرج أولئك العيد إلى الطرق^٢ فجمعوا كل من
 وجدوا أشرا و صالحين، فامتلا العرس من المتكئين، فلما دخل الملك
 لينظر إلى المتكئين رأى هناك رجلا ليس عليه ثياب العرس [فقال:
 يا هذا! كيف دخلت ههنا و ليس عليك ثياب العرس؟^٣] فسكت،
 حيثذ قال الملك للخدام: شدوا يديه ورجليه و أخرجوه^٤ إلى الظلة
 البرانية، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان، ما أكثر المدعوين و أقل
 المنتخبين. و عبارة لوقا عن ذلك: إنسان صنع وليمة عظيمة و دعا
 كثيرا، فأرسل عبده^٥ يقول للمدعوين يأتون فهو ذا كل شيء معد، فبدأوا
 بجمعهم يستعفون، فالأول قال: قد اشترت كرما، و الضرورة تدعوني
 إلى الخروج و نظره^٦، فأسألك أن تعفني^٧ فما أجىء، و قال آخر:
 قد اشترت خمسة أزواج بقر و أنا ماض أجر بها، أسألك أن تعفني^٨
 فما أجىء، و قال آخر^٩: قد تزوجت امرأة، لأجل ذلك ما أقدر أجىء،
 فأتى العبد و أخبر سيده، فحيثذ غضب رب البيت و قال لعيده: اخرج
 (١) من ظ، و في الأصل: شتموه (٢) من ظ، و في الأصل: الطريق (٣) زيد
 من ظ (٤) في ظ: اخرجوا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: نظيره (٧) في ظ:
 يعفني (٨) في ظ: الآخر.

مسرعا إلى الطريق و شوارع المدينة و ادع المساكين و العور و العميان
و المقعدين^١، اخرج إلى الطريق و السياجات و ألح عليهم حتى يدخلوا
و يمتلئ^٢ يتي و لا أجد من هؤلاءك يذوق لي عشاء . و قال يوحنا : الحق
أقول لكم^٣ إن من^٤ لا يدخل من الباب إلى حظيرة^٥ الخراف ، بل يتسور
من موضع آخر فان ذلك لص ، الذي يدخل من الباب هو راعي
الخراف ، و البواب يفتح له ، و الخراف تسمع^٦ له ، و كباشه تتبعه^٧
لأنها تعرف صوته^٨، و الراعي الصالح يذل^٩ نفسه عن الخراف ، فأما الآخر
الذي ليس براع و ليست^{١٠} الخراف له ، فاذا رأى الذئب قد أقبل يدع
الخراف و يهرب ، فيأتى الذئب و يخطف و يبدد الخراف ، وإنما يهرب
الاجير لأنه مستأجر و ليس يشفق على الخراف ، أنا الراعي الصالح ، ولى
كباش آخر ليست من هذا القطيع ، فينبغي^{١١} لي أن آتى بهم أيضا ، فتكون^{١٢}
الرعية واحدة ، فوقع أيضا بين اليهود خلف من أجل هذا القول و قال
كثير منهم : إن به شيطانا قد جن ، فاستماعكم منه^{١٣} و قال آخرون : إن
هذا ليس كلام مجنون . و^{١٤} في أوائل السيرة الهشامية^{١٥} : قال ابن إسحاق :

(١) زيد بعده في الإنجيل لوقا : فقال العبد : يا سيد ! قد صار كما أمرت ، و يوجد
أيضا مكان (٢) في ظ : تمتلئ (٣) في ظ : ما (٤) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ :
حظر (٥) من ظ ، وفي الأصل : يسمع (٦) من ظ ، وفي الأصل : يتبعه .
(٧) في ظ : صورته (٨) في ظ : يبدأ (٩) في ظ : ليس (١٠) سقط من ظ .
(١١) من ظ ، وفي الأصل : و يكون (١٢) زيد في ظ : قال (١٣) في ظ :
الهشامية .

و قد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه^١ من الله في الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحواري لهم حين^٢ نسخ لهم الإنجيل أنه قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، ولو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني وأيضاً للرب، ولكن ه لا بد من أن تتم الكلمة التى فى التاموس^٣ أنهم أبغضوني^٤ بجانا - أى باطلا، فلو قد جاء المنحمننا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس^٥، هذا الذى من عند الرب خرج، فهو شهيد على^٦ وأتم أيضاً لأنكم قديما كنتم معى، هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا^٧. فالمنحمننا بالسريانية محمد، وهو بالرومية / البارقليطس - انتهى .

١٠ / ٣٦٧

ولما دل سبحانه عليه صلى الله عليه وسلم بأوصافه فى نفسه وفى الكتب الإلهية، دل عليه بشريعته فقال: ((يامرهم بالمعروف)) أى بكل ما يعرفونه من التوراة والإنجيل وما يعرفونه فيها أنه ينسخ شرعهم ويأتى من عند الله بهذا المذكور ((وينههم عن المنكر)) أى عن كل ما ينكرونه فيها، فثبت^١ بذلك رسالته، فانه لكونه أمياً لا يعرف^{١٥} المعروف والمنكر فيها إلا وهو^٢ صادق عن علام الغيوب؛ ثم شرع

- (١) من ظ والسيرة ٨٠/١، وفى الأصل: جاء (٢) من السيرة، وفى الأصل وظ: حتى (٣-٣) فى ظ: انتم ابغضتموني (٤) من السيرة، وفى الأصل وظ: القسط (٥) من ظ والسيرة، وفى الأصل: لاتسلكوا - كذا (٦) فى ظ: تثبت . (٧) فى ظ: هى .

بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما في رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم بإباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه ، فكانوا لا يزالون يعصون الله بانتهاك حرمانه والإعراض عن تبعاته فقال : ﴿ ويحل لهم الطيبات ﴾ أى التى كانت حُرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم^(١) ﴿ ويحرم عليهم ﴾ [و عبر بصيغة الجوع إشارة إلى أن الخبث أكثر من الطيب فى كل مائى الأصل فقال -^(٢) : ﴿ الخبث ﴾ أى كل ما يستخذه الطبع السليم أو يؤدى [إلى -^(٣)] الخبث كالخمر المؤدية إلى الإسكار و الرشى المؤدية إلى النار بعد قبيح العار ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾ أى ثقلهم الذى كان حمل عليهم فجعلهم لثقله كالمحبوس الممنوع من الحركة ﴿ والاعغل التى كانت عليهم ﴾ أى جميع ما حملوه من الأثقال التى هى لثقلها^(٤) و كراهة النفوس لها كالغل الذى يجمع اليد إلى العنق فيذهب القوة ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ أى أوجدوا بسببه الأمان من التكذيب بشئ من آيات الله ﴿ وعزروه ﴾ أى منعه من كل من^(٥) يريد^(٦) بسوء وقوا يده تقوية عظيمة على^(٧) كل من يكيد^(٨)؛ قال فى القاموس : و التعزير : ضرب دون الحد أو هو^(٩) أشد الضرب ، ١٥ و التفضيم و التعظيم ضد ، و الإعانة كالعز و التقوية و النصر - انتهى . و قال عبد الحق : العز : المنع ، تقول : عزرت فلانا عن كذا ، أى منعته - انتهى . فالمادة كلها تدور على هذا المعنى و الضرب واضح فيه . و التعظيم و ما فى معناه منع من يكيد^(١٠) و نصره ﴾ أى أيدوه

(١) من ظ ، وفى الأصل : بالشحوم (٢) زيد ما بين الحاجر من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ليعلمها - كذا (٤) فى ظ : ما (٥) زيدت الواو بعده فى ظ . (٦) فى ظ : عن (٧) من القاموس ، وفى الأصل و ظ : عن .

وقموا مخالفه ﴿ واتبعوا النور ﴾ أى الوحي من 'القرآن والسنة'
 ﴿ الذى أنزل معه^١ ﴾ أى مصاحبا إنزاله إرساله ، سمي نوراً لأنه يجعل
 المقتدى به ببيان طريق الحق كالماشي في ضوء النهار ﴿ أولئك هم ﴾ أى
 خاصة ﴿ الفلاحون^٢ ﴾ أى الفائزون بكل مأمول .

ولما ترأست الآي و طال المدى^٣ في أقاصيص موسى عليه السلام ه
 و^٤ بيان مناقبه العظام ومآثره الجسام ، كان ذلك ربما أوقع في بعض
 النفوس أنه أعلى المرسلين منصبا وأعظمهم رتبة ، فساق سبحانه هذه الآيات
 هذا السياق على هذا الوجه الذى بين أن^٥ أعلام مراتب وأزكاهم
 مناقب الذى خص برحمته من يؤمن به من خلقه قوة أو فعلا ، وجعل
 سبحانه ذلك في أثناء قصة بنى إسرائيل اهتماما به وتعجيلا له مع ما سيذكر بما
 يظهر أفضليته ويوضح أكليته بقصته مع قومه في مبدأ أمره وأوسطه
 ومنتهاه في سورتي الأنفال وبراءة بكاملها .

ذكر شيء من الأضرار التى كانت عليهم وخفت عنهم
 لو دخلوا في الإسلام ببركته صلى الله عليه وسلم غير ما أسلفت في آخر
 البقرة عند قوله تعالى " ولا تحمل علينا إصرا " وفي المائدة عند ١٥
 قوله تعالى " وليحكم أهل الانجيل^٦ " قال في السفر الثانى من التوراة :
 [و-^٧] قال الرب لموسى : اعمد فخذ طيبا - إلى أن قال : وليكن معجوننا
 طيبا للقدس ودقه واسحقه وبخر منه قدام تابوت الشهادة في قبة الزمان
 (١-١) في ظ : القرا - كذا (٢) في ظ : المذعى (٣) سقط من ظ (٤) في ظ :
 سورة (٥) آية ٢٨٦ (٦) آية ٤٧ (٧) زيد من ظ .

لأواعذك إلى هناك ، ويكون عندكم طهرا مخصوصا ، وأما رجل
 اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك ذلك الرجل من شعبه ؛ وقال في الثالث :
 ثم كلم الرب موسى قال له : كلم هارون وبنه وجماعة بني إسرائيل وقل
 لهم : هذا ما أمرني به الرب أن أخبركم ، أي رجل من بني إسرائيل يذبح
 ٥ في محلة بني إسرائيل أو يذبح خارجا من المعسكر ولا يحىء بقربانه إلى باب
 قبة الزمان ليقربه / يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلًا ؛ وكلم الرب
 ٣٦٨ / موسى وقال له : كلم هارون وقل له : من كان فيه عيب من نسلك
 - أي من الأحرار - في جميع الأحقاب لا يدنو من مقدسي ، لا يقرب قربانا
 مثل الرجل الأعرج والاعمى والافطس والأصم الأذن أو رجل
 ١٠ مكسور اليد أو رجل قصير أو منحن أو رجل قد أشتت حاجباه أو أجهر
 العين أو من في عينه يابض أو أبرص أو أحدب أو رجل له خصية
 واحدة ، أي رجل كان فيه عيب [من - ٢] نسل هارون الكاهن لا يدنو
 من المذبح ليقرب قربان الرب لأن فيه عيب ؛ وقال في السفر الرابع
 وهو [من - ٢] الحجج على أن ٢ التوراة لم تنزل جملة : وكلم الرب
 ١٥ موسى في بركة سيناء في السنة الثانية لخروج بني إسرائيل من مصر في
 الشهر الأول وقال : تعمل بنو إسرائيل الفصح في وقته في أربعة عشر
 يوما من هذا الشهر - إلى أن قال : وعملوا الفصح ، والقوم الذين تنجسوا
 بأنفس الناس لم يقدرُوا أن يعملوا الفصح فقالوا : قد تنجسنا بأنفس
 الناس ، أي مسسنا ميتا ، فهل يحرم علينا عمل الفصح ؟ فقال لهم موسى :

(١) زيد في ظ : أي (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بني .

قوموا

(٣٠)

١٢٠

قوموا في مواضعكم حتى تسمعوا ما يأمر الرب فيكم ، وكلم الرب موسى وقال له : قل لهم : الرجل إذا تنجس منكم لميت أو كان في مكان بعيد يعمل فصحا للرب في أربعة عشر يوما من الشهر الثاني ، ومن كان زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح في وقته تهلك تلك النفس من بين بني إسرائيل ، وقال قبل ذلك : وكلم الرب موسى وقال له : هـ
مر بني إسرائيل أن يخرجوا^١ من عسكرهم كل من به برص أو سلس وكل من كان نجسا بنفسه ذكرا كان أو أنثى ، يخرجونهم خارج العسكر ، ولا تنجسوا عساكركم^٢ لأنني نازل بينكم ؛ ثم ذكر : الرجل إذا غار على امرأته واتهمها ، إنه يأتي السكاهن فيقيمها ويلقنها لعنا ، فإذا قالته كته وأخذ ماء مقدسا في وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذي أسفل المذبح وسقاه لها ، فإن كانت خانت انتفخ بطنها وفسد نخذاها وتصير لعنة^٣ في شعبها ، وإن كانت لم تخن تطهرت وولدت ذكرا ، ثم أمرهم بذبح بقرة وإحراقها حتى تصير رمادا ، ويغسل الحبر الذي ذبحها ثيابه ويديه ، فكل من يقترب إلى ميت أو ميتة^٤ يكون نجسا سبعة أيام ، وينضح عليه من ذلك الماء في اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر^٥ ، وإن لم يرش عليه كذلك فلا يتطهر ، وكل من دنا من إنسان ميت ولا ينضح عليه من ذلك الماء فقد نجس جناب^٦ الرب ، فلهلك تلك النفس لأنه لم ينضح عليه من ماء الرش شيء ، فلذلك يكون نجسا ولا يفارقه^٧ نجاسته ، وهذه

(١) من ظ ، وفي الأصل : يقولوا - كذا (٢) من ظ ، وفي الأصل : عساكرهم .

(٣) من ظ ، وفي الأصل : لعنها (٤) في ظ : يمسكه (هـ) من ظ ، وفي الأصل : يتطهرون (٦) في الأصلين : جنا - كذا (٧) في ظ : لا تفارقه .

سنة الإنسان إذا مات في قبة الزمان ، فكل^١ من [كان -^٢] هناك في القبة وكل من يدخلها يكون نجسا [سبعة أيام ، وكل وعاء يكون مكشوبا غير مغطى يكون نجسا -^٣] ، وكل من دنا من قتيل أو يميس عظم إنسان أو يدخل القبر يكون نجسا سبعة أيام ويؤخذ للتنجس من رماد البقرة ويصب في وعاء ماء عذب وينضح منه - على كيفية ذكرها - ليكون زكيا ، ومن تنجس^٤ ولم يرش عليه من ذلك الماء تهلك نفسه من جماعتها ، ومن دنا من ماء الرش يكون نجسا^٥ إلى الليل ، [ومن اقترب إلى ذلك الذي تنجس يكون نجسا إلى الليل -^٦] ؛ ثم قال : ثم كلم الرب موسى وقال له : مر بنى إسرائيل وقل لهم : قرايتي^٧ تكون محفوظة^٨ في أوقاتها - ثم ذكر له كثيرا من أمر القرايين ، ثم ذكر من أوقاتها يوم السبت ورؤس الشهور ، ثم قال : وفي أربع عشرة ليلة من الشهر الأول^٩ هو فصح الرب ، ويوم خمسة عشر اتخذه عيدا ، وكلوا الفطير سبعة أيام ، [وصيروا -^{١٠}] / أول يوم من السبعة يمزا^{١١} مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا ، واليوم السابع يكون يمزا^{١٢} مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، ١٥ وأول يوم من الشهر السابع يكون محتصا مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا^{١٣}

(١) في ظ : كل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ينجس (٤) زيد في ظ : إلى الرش (٥-٥) من ظ ، وفي الأصل : يكون يحفظه - كذا . (٦) زیدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ فحذفناها (٧) من ظ ، وفي الأصل يابض (٨) في ظ : متميزا (٩) من ظ ، وفي الأصل : شيئا .

ما يعمل ، بل صروه يوما يهتف فيه بالقرون ، و قربوا ذبائح كاملة -
ثم وصفها وكذا غيره من الايام ثم قال: وكذلك فافعلوا في أول الشهر
أبدا ، وفي عشر من الشهر السابع اجعلوه يوما مختصا ، مطهرا لا تعملوا فيه
عملا ،^١ ولكن قربوا ، ويوم خمسة عشر من هذا الشهر السابع ، ويكون
مدعوا ، لا تعملوا فيه عملا ،^٢ بل اتخذوه عيدا للرب سبعة أيام ؛ ثم قال: هـ
حتى إذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا^٣ بأجمعكم ، ولا تعملوا شيئا مما يعمل ،
وقربوا قرايين كاملة - وأطال في ذلك جدا على كفيات حفظها فضلا
عن العمل بها في غاية المشقة ؛ ثم قال: وقربوا للرب في أيام أعيادكم غير
نذوركم وغير خواصكم التي^٤ تحتصون للرب ؛ ثم قال مخاطبا للجاهدين في مدين:
وأما أنتم فأنزلوا خارجا من^٥ العسكر سبعة أيام ، كل من قتل نفسا أو مس
قبلا ينضح عليه من ماء التطهير في الثالث والسابع - وأمرهم^٦ بأشياء
من الآصار ثم قال: وتطهروا^٧ بالماء في اليوم السابع ، ثم بعد ذلك تدخلون^٨
العسكر ؛ ثم قال في الخامس: هذه السنن والاحكام^٩ التي يجب^{١٠} عليكم أن
تعملوها وتحفظوها في الأرض التي^{١١} يعطيكم الله ربكم ميراثا كل أيام حياتكم ،
خربوا كل البلدان التي ترونها ، والآلهة^{١٢} التي عبدها أهلها فيها على الجبال ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل: فاختلفوا (٣) في
ظ: الذي (٤) في الأصل: عن (٥) في الأصل: امر (٦) من ظ ، وفي الأصل:
يطهروا (٧) في ظ: يدخلون (٨-٨) في الأصل: الذي يجب (٩) في الأصل:
الآلة - كذا .

الرفيعة والآكام [و- ١] تحت كل شجرة كبيرة تظل ، واستأصلوا
 مذابحهم وكسروا [أنصابهم ، وأحرقوا أصنامهم المصنوعة و- ٢] أوثانهم
 المنحوتة^٢ ، ولا تصنعوا أنتم مثل ما^٢ صنع أولئك في عبادتكم الله ربكم^٢ ،
 ولكن المواضع التي يختار الله ربكم أن تصيروا^١ اسمه فيها من جميع قبائلكم ،
 ٥ وافحصوا عن محله ، وانطلقوا بجمعكم بقراينكم الكاملة ، كلوا هناك
 أمام الله ربكم أتم وأهاليكم ، ولا تعملوا كما يعمل هاهنا اليوم . أى قبل
 الوصول إلى أرض الميراث ؛ ثم قال^٥ : انظروا لا تقربوا قراينكم في
 المواضع التي تريدون^٦ ، لكن في الموضع الذي يختار الرب ، في حد سبط
 من أسباطكم ؛ ثم قال : وإذا بنيت بيتا جديدا فحجر على البيت لثلا يقع
 ١٠ إنسان من فوقه فليلزموه دمه ، ولا تزرعن^٧ في حرثك خلطا^٨ لثلا
 تفسد غلة زرعك وكرمك ، لا تحرث^٩ بالثور والحمار جميعا ، ولا تنسج^{١٠}
 ثوبا من قطن وصوف جميعا ، اعمل خيوطا في أربعة أطراف رداك
 الذي تلبس ؛ ثم قال : وإن وجد رجل فتاة عذراء لم تملك ، فيظفر بها
 ويضاجعها ويوجد^{١١} ، يدفع إلى أبيها خمسين مثقالا^{١٢} من فضة ، وتصير
 ١٥ امرأته لأنه فضحها ، ولا يقدر أن يطلقها حتى يموت . ولا يدخل

(١) زيدت الواو من التوراة - الأصحاح الثاني عشر (٢) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في الأصل : يصيروا (٥) في الأصل : قيل (٦) من
 ظ ، وفي الأصل : يريدون (٧) من ظ ، وفي الأصل : يزرعن (٨) في ظ : خطأ .
 (٩) من ظ ، وفي الأصل : لا يحرث (١٠) من ظ ، وفي الأصل : لا ينسج .
 (١١) من ظ ، وفي الأصل : يوخذ (١٢) في ظ : مثقال .

ولد الزنا إلى بيت الرب ، ولا يدخل نسله من بعده إلى عشرة
أحقاب ، ولا يدخل عمانى ولا موآب إلى بيت الرب ، ولا يدخل نسلهما
من بعدهما إلى عشرة أحقاب ، لأنهم لم يضيفوكم ولم يعشوكم بالخبز
والماء حيث خرجتم من أرض مصر ، ولأنهم اكتروا^٢ بلعام بن بعور
من قنوزام^٣ من بين النهرين^٤ - وهى حران - ليلعنكم ، ولم يجب الرب أن ه
يسمع قول بلعام بن بعور ، وقلب الله لعنه إلى الدعاء ، لأن الله ربكم
أحبكم ، فلا تريدوا لهم الخير أيام حياتكم ، لا تدفعوا الأذى عنكم لأنه
أخوكم ، ولا تبعدوا المصرى أيضا لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر . وإن
كان فى معسكركم^٦ رجل^٥ أصابته جنابة ، يخرج خارج العسكر ، ولا يجلس
بين أصحابه فى العسكر ، وإذا كان العشى فليستحم بالماء ، وإذا غابت الشمس ١٠
وأمسى يدخل العسكر ، وليكن لكم موضع معروف خارج العسكر
تخرجون^٨ إليه إلى الخلاء ، ويكون على سلاحكم وتد من حديد ، فإذا
جلستم للخلاء^٩ احفروا موضعا^٧ للخلاء وغطوا رجيعكم ، لأن الله ربكم
معكم فى العسكر لينقذكم ويدفع عنكم^{١٠} أعداءكم ، فليكن عسكركم مطهرا

(١) العبارة من هنا إلى « عشرة أحقاب » ماقطة من ظ (٢) من التوراة -
الأصحاح الثالث والعشرين ، وفى الأصل : موالى - كذا (٣) من ظ ، وفى
الأصل : كروا - كذا (٤) فى ظ : قنتورا - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل :
النهر (٦) فى ظ : عسكركم (٧) من ظ ، وفى الأصل : رجلا (٨) من ظ ،
وفى الأصل : يخرجون (٩) من ظ ، وفى الأصل : الخلاء (١٠) تكرر فى ظ .
(١١) من ظ ، وفى الأصل : اليكم .

مزكيا^١ لثلا يرى فيكم أمرا قبيحا، فيرتفع عنكم ولا يصحبكم؛ ثم قال:
 وإن سكن أخوان جميعا ومات أحدهما ولم يخلف ولدا، لا يتزوج^٢
 امرأته من رجل غريب، ولكن يتزوج بها وارثه ويقيم زرعاً، وأول
 ولد تلد ينسب إلى أخيه الذي مات، ويقال: إنه ابن ذلك الذي مات
 ٥ ولم يخلف ولداً. لثلا يبيد اسمه من بني إسرائيل، وإن لم يعجب^٣
 الرجل أن يتزوج امرأة أخيه، ترتفع^٤ امرأة أخيه إلى المشيخة فيدعونه،
 فإن ثبت على قوله تتقدم إليه المرأة بين يدي المشيخة وتخلع^٥ خفيه من
 قدميه وتبصق في وجهه وتقول: كذلك يصنع بالرجل الذي لا يجب
 أن يبنى بيتاً لأخيه، ويدعى اسمه بين بني إسرائيل: صاحب خلع الحقيقين،
 ١٠ وإن شاجر الرجل صاحبه فدفنت امرأة أحدهما لتخلص^٦ زوجها من
 الذي يقاتله^٧، فتمد يدها إلى مذاكير الرجل، يقطع يدها ولا يشفق عليها
 ولا يترحم^٨ - انتهى . وكل هذه الآثار على النصارى أيضاً ما لم يرد في
 الإنجيل نسخها .

ولما تم ما نظمه تعالى في أثناء هذه القصص من جواهر أوصاف
 ١٥ هذا النبي الكريم حثا على الإيمان [به - ٩] وإيجاباً له على وجه علم منه
 أنه رسول الله إلى كل مكلف تقدم زمانه أو تأخر؛ أمره سبحانه أن

(١) في ظ: زكيا (٢) من ظ، وفي الأصل: لا يتزوج (٣) من ظ، وفي
 الأصل: لم تعجب (٤) من ظ، وفي الأصل: يرتفع (٥) من ظ، وفي الأصل:
 يخلع (٦) من ظ، وفي الأصل: ليحصل (٧) من ظ، وفي الأصل: يقابله (٨) في
 ظ: لا ترحم (٩) زيد من ظ .

يصرح بما تقدم التلويح إليه، ويصرح بما أخذ ميثاق الرسل^١ عليه تحقيقاً لعموم رسالته وشمول دعوته فقال: ﴿ قل ﴾ و أتى بأداة البعد لأنه محلها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس ﴾ وقد مضى في الانعام أن اشتقاقهم^٢ من النوس، وأن الإمام السبكي قال: إن ذلك يقتضى دخول الجن والملائكة فيهم. وتقدم عند "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" في هذه السورة ما ينفع هنا هـ

﴿ انى رسول الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ اليكم جميعا ﴾ أى لا فرق بين من أدركنى ومن تأخر عني أو^٣ تقدم على أن السكل يشترط عليهم الإيمان بى والاتباع لى؛ وهذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه حين رفع إليه الذراع فنهش منها فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. وللدارمى فى أوائل مسنده ١٠

عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم [قال - ١] "أنا قائد المرسلين ولا نفر، وأنا خاتم النبيين ولا نفر، وأنا أول شافع [أول - ٢] مشفع ولا نفر، وللترمذى فى المناقب عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا مستشفعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أسوا^٤، لواء الحمد يومئذ يبدى، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا نفر^٥، وقال: حديث حسن غريب؛ وله فى المناقب أيضاً عن أبى

(١) من ظ، وفى الأصل: الرجل (٢) من ظ، وفى الأصل: انشقاقهم (٣) فى ظ "و" (٤) زيد من أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ (٥) العبارة من "قال أنا" إلى هنا ساقطة من ظ (٦) فى الأصل: يبسوا - كذا (٧) وهذا الحديث فيما =

ابن كعب رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبين و خطيهم و صاحب شفاعتهم غير نخر ، وقال : حسن صحيح غريب ؛ و للترمذى و الدارمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ألا ! و أنا حبيب الله و لا نخر ، و أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه و لا نخر . و أنا أول شافع و أول مشفع يوم القيامة و لا نخر ، و أنا أكرم الأولين و الآخرين و لا نخر . و للترمذى - وقال : حسن - عن ' أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم / قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة و لا نخر ، و يبدى لواء الحمد و لا نخر ، و ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى . . الفخر : ادعاء العظمة و الكبر و الشرف ، أى لا أقوله تبجحا ، ولكن شكرا و تحديثا بالنعمة ؛ و ما اجتمع بهم فى مجمع إلا كان إمامهم قبل موته و بعده ، اجتمع بهم ليلة الإسراء فى بيت المقدس فصلى بهم إماما ، ثم اجتمع بهم فى السماء فصلى بجميع أهل السماء إماما ، [و أما - °] يوم الجمع الأكبر و الكرب^٦ الأعظم فيحيل الكل عليه و يؤمنون بالرسالة^٧ ، و ما^٨ أحال بعض الأكابر على بعض إلا علما منهم بأن الختام يكون به ، ليكون أظهر للاعتراف بأمانته و الانقياد لطاعته ، لأن المحيل على المحيل

== عندنا من نسخة الترمذى أخصر مما هنا ، و راجع أيضا أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اى (٣) فى ظ : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : دعاء (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لكرب (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالرياسة . (٨) من ظ ، و فى الأصل : اما .

على الشيء محيل على ذلك الشيء، ولو أحال أحد من قبل عيسى عليه السلام عليه لطرقه احتمال، والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم يظهر^٢ في ذلك الموقف^٣ رسالته بالفعل إلى الخلق كافة، فيظهر سر هذه الآية "الذين يتبعون الرسول" - والله الموفق .

ولما دل بالإضافة إلى اسم الذات الدال على جميع الصفات على عموم^٥ دعوته وشمول رسالته حتى للجن والملائكة، أيد ذلك بقوله: ﴿الذى له﴾ أى وحده ﴿ملك السموات والارض﴾ أى فلا بدع أن يرسله إلى جميع من فيها، بل وما فيها .

ولما كان مما بالغه في الدنيا أنه ربما كان في ملكه الملك من بناظره أو يقرب منه من ولى عهد أو نحوه، فربما رد بعض أمره في صورة^{١٠} نصح أو غيره؛ نفي ذلك بقوله مبينا تمام ملكه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى فالكل متقادون لأمره خاضعون له، لأنه لا موجود بالفعل ولا بالإمكان من يصلح للالهية سواه؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿يحيى ويميت﴾ أى له هاتان الصفتان مختصا بهما، ومن كان كذلك كان منفردا بما ذكر، وإذا راجعت^{١٤} ما يأتى إن شاء الله تعالى في أول الفرقان مع ما مضى^{١٥} في أوائل الأنعام، لم يبق عندك شك في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة .

ولما تقرر أنه لا منازع له، تسبب عن ذلك توجيه الأمر بالانقياد

(١) من ظ، وفي الأصل: قتل (٢) في ظ: تظهر (٣) في الأصل: لموقف، وفي ظ: الوقت (٤) في ظ: لا (٥) في الأصل: لو (٦) في ظ: ملكه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفي الأصل: رجعت .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١٥٨ و ١٥٩) ج - ٨

لرسوله فقال: ﴿قامنوا بالله﴾ أى لما ثبت له من العظمة والإحاطة بأوصاف الكمال وبكل شيء فإن الإيمان به أساس لا ينبنى شيء من الدين إلا عليه .

و لما كان أقرب الفروع الأصلية إليه^٢ الرسالة قال: ﴿ورسوله﴾
 ه أى لانه رسوله؛ ثم وصفه بما دل على قربة فقال: ﴿النبى﴾ أى الذى يخبره بما يريد من الأمور العظيمة غيبا وشهادة، ويعليه عن كل مخلوق باخباره بأرساله؛ ولما كان علوه على كل عالم - مع أنه لم يتعلم من آدمى - أدل شيء على صدقه قال: ﴿الامى﴾ أى الذى هو - مع كونه لا يحسن كتابة ولا قراءة، بل هو على الفطرة الأولى السليمة التى لم يخالطها هوى،
 ١٠ ولا دنسها حظ ولا شهوة - بحيث يؤم ويقصد للاقتداء^٢ به، لما حوى من علوم الدنيا والآخرة والتخلق بأوصاف الكمال .

و لما أشار بهذه الصفة إلى أن سبب الإيمان الخلاص من الهوى بالكون على الفطرة الأولى، قال منها على وجوب الإيمان به، لكونه أول فاعل لما يدعو إليه: ﴿الذى يؤمن بالله﴾ أى لأجل ما يقتضيه^٣
 ١٥ ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة، فكلم^٦ تجدد له علم من علوم^٢ الذات بحسب ترقيه^٤ فى رتب الكمال من^٥ رتبة كاملة إلى أكمل منها إلى ما لا نهاية له، جدد له إيمانا بحسبه، لا تنعريه / غفلة ولا يخالطه سهو

/ ٢٧٢

(١) زيد بعده فى الأصل: عليه، ولم تكن فى ظ فخذفناها (٢) سقط من ظ .
 (٣) فى الأصل: الانتراء (٤) من ظ، وفى الأصل: الخلو (٥) فى الأصل: تقتضيه (٦) من ظ، وفى الأصل: فكما (٧) فى ظ: العلوم (٨) من ظ^٢ وفى الأصل: بوفيته - كذا .

ولا

ولا شائبة فتور ﴿ وكلمته ﴾ كذلك أيضا ، كلما^١ تجدد له علم بصفة منها جدد لها إيمانا ، ومنها المعجزات التي جرت على يديه^٢ ، كل واحدة منها كلمة لأن ظهوره بالكلمة ، كما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام كلمة لذلك .

ولما تقرر أنه امتثل ما أمر به ، فثبت بذلك رسالته ، استحق أن ه يكون قدوة فقال : ﴿ واتبعوه ﴾ أى فى كل ما يقول و يفعل بما ينهى عنه أو يأمر به أو يأذن فيه ﴿ اعلمكم تهتدون ه ﴾ أى ليكون^٢ حالكم [حال - '] من يرجى له حصول ما سأل فى الفاتحة من الاهتداء ، أى^٥ خلق الهداية فى القلب مع دوامه .

ولما كثر عد مثالب بنى إسرائيل ، وختم بتخصيص المتبع لهذا النبي ١٠ الكريم بالهداية والرحمة المسبية عنها ، وكان فيهم المستقيم على ما شرعه له ربه ، المتمسك بما لزمه أهل طاعته وحزبه ، سواء كان من صفات النبي صلى الله عليه وسلم أو غيرها ، مع الإذعان لذلك كله ؛ نبه عليه عائدا إلى تميم أخبارهم ، ثم ما وقع فى أيام موسى عليه السلام وبعدها من شرارهم ، تعزية لهذا النبي الكريم وتسلية ، و تطيبا لنفسه الزكية وتأسية ، وهو مع ١٥ ما بعده من أدلة " ساحرف عن 'اينتى" - الآية ، فقال تعالى عاطفا على " واتخذ قوم موسى من بعده " - : ﴿ ومن قوم موسى^٣ أمة ﴾ أى قوم يستحقون أن يؤموا لأنهم لا يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، بل

(١) من ظ ، وفى الأصل : كما (٢) فى ظ : يده (٣) فى الأصل : لتكون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : شرارها .

(يهدون) أى يوقعون الهداية وهى البيان (بالحق وبه) أى خاصة
(يعدلونه) أى يحملون القضايا المختلفة المتنازع فيها معادلة^١ ليقع
الرضى بها، لا يقع^٢ منهم جور فى شئ منها، ومنهم الذين اتبعوا النبى
صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام و مخيريق رضى الله عنهما .

٥ ولما مدحهم، شرع يذكرهم شيئا مما أسبغ عليهم من النعم لأجل
هؤلاء المهتدين من انتكثير بعد^٣ القلة والإعزاز بعد الدلة بجعلهم من
يَوْم استعطافا غيرهم، ويذكر بعض عقوباتهم ترهيبا فقال: (وقطعتهم)
أى فرقنا بينهم بالأشخاص؛ بعد أن كانوا ماء واحدا من شخص واحد،
وهو إسرائيل عليه السلام؛ وصرح^٤ بالكثرة بعد أن لوح بها بالتقطيع
١٠ بقوله: (اثنتى عشرة) وميزه - موضع المفرد الذى هو ميمز العشرة -
بالجمع للإشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثرتة على عدة قبائل بقوله:
(اسباطا) والسبط - بالكسر: ولد الولد، والقبيلة من اليهود، وهذه
المادة تدور على الكثرة والبسط؛ وبين عظمتهم وكثرة انتشارهم
وتشعبهم بقوله: (امما^٥) أى هم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من
١٥ الكثرة والقوة والدين، أو أن كل أمة منهم تؤم^٦ خلاف ما تؤمه^٧
الأخرى^٨ من غيرهم ديننا^٩.

(١) من ظ، وفى الأصل: متعادلة (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يتفع (٣) فى
ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: خرج (٦) من ظ، وفى
الأصل: يوم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

ولما وصفهم بهذه الكثرة، وكان ذلك محرّى^١ لذكر الإنعام عليهم بالكفاية^٢ في الأكل والشرب، ذكر نعمة خارقة للعادة في الماء، وبدأ به لأنه الأصل في الحياة، وهى من نوع تقسيمهم من نفس واحدة مشيرة إلى ظلهم وإسراعهم في المروق فقال: ﴿واوحينا إلى موسى^٣ اذ﴾ أى حين ﴿استسقى قومه﴾ أى طلبوا منه في بركة لا ماء بها^٤ أن يسقيهم، ٥ و ذلك في التيه، والتعبير بالقوم إشارة إلى تسكينهم بكونهم أهل قوة ولم يتأسوا بموسى عليه السلام في الصبر إلى أن يأتي الله الذى أمرهم بهذا المسير بالفرج، بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور في البقرة من إظهار القلق والدمدمة ﴿ان اضرب بعصاك﴾ أى التى جعلناها لك آية وضربت بها البحر فانفلق ﴿الحجرج﴾ أى أى حجر أردته من هذا الجنس؛ وبين ١٠ سبحانه سرعة امتثال موسى عليه السلام وسرعة التأثير عن ضربه بحذف / فضربه^٥، وقوله مشيرا إليه: ﴿فانبجست﴾ أى فانشقت وظهرت ونبعت، [وذلك كاف في تعنيفهم وذمهم على كفرهم بعد المن به، وهذا السياق الذى هو لبيان إسراعهم في المروق هو لا ينافى أن يكون على وجه الانفجار، ويكون التعنيف حيث أشد - ٥] ﴿منه اثنتا عشرة عينا^٦﴾ ١٥ على عدد الأسباط، وأشار إلى شدة تمايزها بقوله: ﴿قد علم كل اناس﴾ أى من الأسباط ﴿مشرهم^٧﴾ ولما لم يتقدم للأكل ذكر ولا كان هذا سياق الامتتان، لم يذكر ما أتم هذه الآية به في البقرة^٨.

(١) أى حرّيا، وفى الأصل: محرا، وفى ظ: مجرا - كذا (٢) فى ظ: بالكناية.

(٣) من ظ، وفى الأصل: هنا (٤) فى ظ: وضربه (٥) زيد ما بين الحاجزين

من ظ (٦) فى ظ: اثنتى (٧) راجع آية ٦. منها.

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١٦٠ و ١٦١) ج - ٨

و لما ذكر تبريد الأكباد بالماء، أتبعه تبريدها بالظل فقال :
 ﴿ و ظللنا ﴾ أى فى التيه ﴿ عليهم الغمام ﴾ أى لثلا يتأذوا بالشمس ؛
 و لما أتم تبريد الأكباد ، أتبعه غذاء الأجساد فقال : ﴿ وانزلنا عليهم المن ﴾
 أى خبزا ﴿ و السلى ﴾ [أى - ١] إداما ؛ و قال السموأل بن يحيى : و هو
 طائر صغير يشبه السمان^١ ، و خاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية ،
 يموت^٢ إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد ، فيلهمه الله
 عز وجل أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون بها مطر و لارعد إلى
 انفصال أوان المطر و الرعد ، فيخرج من الجزائر و ينتشر^٣ فى الأرض .
 و لما ذكر عظمتة فى ذلك ، ذكر نتيجته فقال : ﴿ كلوا من طيبات
 ١٠ ما رزقنكم ﴾ أى بصفة العظمة القاهرة لما نريد مما لم تعالجوه^٤ نوع معالجة ،
 و دل على أنهم قابلوا هذا الإحسان بالطغيان و الظلم و العدوان بقوله عطفاً^٥
 على^٦ ما تقديره : فعدلوا عن الطيبات المأذون فيها ، و أكلوا الحباثت التى
 حرمانها عليهم بالاصطياد يوم السبت - كما يأتي - و فعلوا غير ذلك من
 المحرمات ، فطلبوا أنفسهم بذلك : ﴿ و ما ظلمونا ﴾ أى بشئ مما قابلوا
 ١٥ فيه الإحسان بالكفران ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائماً جلبة و طبعاً ﴿ انفسهم ﴾
 أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ و هو - مع كونه من أدلة " ساصر ف عن
 اليتى " الآية - دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبي ، فان من علم
 هذه الدقائق من أخبارهم مع كونه أمياً و لم يخالط أحداً من أخبارهم ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : السمان (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، و فى الأصل : يسير (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يعالجوه (٦) فى ظ : عاطفاً .

كان

١ كان صادقا عن علام الغيوب من غير مؤيد وكذا ما بعده .
ولما ذكر ما جابهم^١ به في القفار ، أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول
إلى الدار فقال : ﴿ واذا ﴾ أى اذكر لهم هذا ليصدقوك أو يصيروا في غاية
الظلم كأصحاب السبت فيتوقعوا مثل عذابهم ، و اذكر لهم ما لم تكن
حاضره ولا أخذته عنهم ، و هو وقت إذ ، [و عدل عن الإكرام بالخطاب ه
ونون العظمة ، لأن السياق الاسراع في الكفر فقال - ٢] :
﴿ قيل لهم اسكنوا^٢ ﴾ أى ادخلوا مطمئنين على وجه الإقامة ، [ولا يسمى
ساكنا إلا بعد التوطن بخلاف الدخول ، فانه يكون بمجرد الولوج في
الشيء على أى وجه كان - ٣] ﴿ هذه القرية ﴾ فهو دليل آخر على
الأميرين : الصرف والصدق ؛ و عبر هنا بالمجهول في " قيل " إعراضا عن ١٠
تليذهم بالخطاب إيذانا بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم في الكفر
وإعراضهم عن الشكر ، من أى قائل كان وبأى صيغة ورد القول و على
أى حالة كان ، وإظهارا للعظمة حيث كانت ، أدنى إشارة منه كافية في
سكناهم^٤ في البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لأهلها الذين ملأوا قلوبهم
هية حتى قالوا " انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها^٥ " . ١٥

ولما خلت نعمة الأكل في هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة

-
- (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٢-٢) تأخر ما بين الرقين في الأصل - مع تقديم " اسكنوا " على " لهم " - عن
« أى وجه كان » (٤) من ظ ، وفي الأصل : اعراض (٥) في ظ : لعظمة .
(٦) من ظ ، وفي الأصل : مساكنهم (٧) سورة ه آية ٢٤ .

من التعقيب وهو الاستعطاف، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع، وهي لا تنافي تلك، فقال: ﴿وكلوا منها﴾ أي القرية ﴿حيث شئتم﴾ وأسقط الرغد لذلك، وقدم ﴿وقولوا حطة﴾ ليكون أول قارع للسمع بما أمروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما تحملوه من الآثام، إيدانا بما سيق^٥ له هذه القصص في هذه السورة من المقام.

ولما أمروا بالحطة قولاً، أمروا أن يشفعوها بفعل، لتحط عنهم ذنوبهم، ولا ينافي التقديم / هنا^٢ التأخير في البقرة، لأن الواو لا ترتب، فقال: ﴿وادخلوا الباب﴾ أي باب بيت المقدس حال كونكم ﴿سجداً نغفر^٢ لكم﴾ ولما كان السياق هنا^٢ لبيان إسرائهم في الكفر، ناسب ذلك جمع الكثرة في قوله: ﴿خطاياكم^١﴾ في قراءة أبي عمرو، وأما^٤ قراءة ابن عامر "خطيتكم" بالإفراد وقراءة غيرهما "خطياتكم" جمع قلة فلاشارة^٥ إلى أنها قليل في جنب عفوه تعالى، وكذا بناء "تغفر" للجهول تأنيثاً وتذكيراً، كل ذلك ترجية لهم واستعطافاً إلى التوبة، ولذلك^١ ساق سبحانه ما بعده مساق السؤال لمن كأنه قال: هذا الرجاء قد حصل، فهل مع المغفرة من كرامة؟ فقال: ﴿سنزيد﴾ أي بوعده لا خلف فيه عن قريب، وهو لا ينافي إثبات الواو في البقرة ﴿المحسنين^٥﴾ أي العريقين في هذا الوصف،

(١) في ظ: سقيت (٢) من ظ، وفي الأصل: هذا (٣) من ظ، وفي الأصل: يغفر، وفي روح المعاني ٣/ ١٤٤: وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء والبناء للمفعول (٤) زيد بعده في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها. (٥) في ظ: فلاشارة (٦) في ظ: لذا.

و للسياق الذى وصفت قيد قوله: ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ بقوله: ﴿ منهم ﴾
 لئلا يتوهم أنهم من الدخلاء فيهم ﴿ قولاً غير الذى ﴾ .
 ولما كان من المعلوم أن القائل من له إلزامهم ، بناء للجهول فقال :
 ﴿ قيل لهم ﴾ وقال : ﴿ فارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾
 بالإضمار تهويلاً لاحتمال العموم بالعذاب ﴿ رجزاً من السماء ﴾ و لفظ هـ
 الظلم - فى قوله: ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ بما يقتضيه من أنهم لا ينفكون
 عن الكون فى الظلام إما مطلقاً وإما مع تجديد فعل فعل^٢ من هو فيه -
 أهول من لفظ الفسق المقتضى لتجديد الخروج مما ينبغى الاستقرار
 فيه ، كما أن لفظ الإرسال المعدى بـ " على " كذلك بالنسبة إلى لفظ
 الإنزال .

١٠

ولما فرغ من هتك أستارهم فيما عملوه أيام موسى عليه السلام
 وما يليها ، أتبعه خزيًا آخر أشد مما قبله ، كان بعد ذلك بمدة لا يعلمه
 أحد إلا من جهتهم أو من الله ، وإذا اتقى الأول ثبت الثانى ، فقال :
 ﴿ وسئلهم ﴾ أى بنى إسرائيل مبكتاً^٢ لهم ومقرراً ﴿ عن القرية ﴾
 أى البلد الجامع ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ أى على شاطئه وهى أيلة ، ١٥
 ولعله عبر بالسؤال ، ولم يقل : وإذ تعدو القرية^٢ التى - إلى آخره ، ونحو
 ذلك ، لأن كراهم للاطلاع على هذه الفضيحة أشد مما مضى ، وهى
 دليل على الصرف والصدق . ولما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال
 (١) فى ظ : يساق (٢) فى ظ : كفعل (٣) فى ظ : مبتلياً (٤) زيد بعده فى
 ظ : أى .

مبدلا بدل اشتمال من انقرية: ﴿اذ﴾ أى حين ﴿يعدون﴾ أى يجوزون الحد الذى أمرهم الله به ﴿فى السبت اذ﴾ أى العدو حين ﴿تاتيه﴾ وزاد فى التبكيت بالإشارة إلى المسارعة فى الكفر بالإضافة فى قوله: ﴿حيثانهم﴾ إيماء إلى أنها مخلوقة لهم، فلو صبروا نالوها وهم مطيعون، كما فى حديث جابر رضى الله عنه رفعه: بين العبد وبين رزقه حجاب، فان صبر خرج إليه، وإلا هنك الحجاب ولم ينل إلا ما قدر له. ﴿يوم سبتهم﴾ أى الذى يعظمونه بترك الاشتغال فيه بشئ غير العبادة ﴿شرعا﴾ أى قرية مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة، جمع شارعة وشارع أى دان ﴿ويوم لا يستتون﴾ أى لا يكون سبت، ولله عبر بهذا إشارة إلى أنهم لو عظموا الأحد على أنه سبت جاءتهم فيه، وهو من: سبت اليهود - إذا عظمت سبتها ﴿لا تاتيه﴾ أى ابتلاء من الله لهم، ولو أنهم صبروا أزال الله هذه العادة فأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم.

ولما كان هذا بلاء عظيما، قال / مجيبا لسؤال من كأنه قال^١ لشدة ما بهره من هذا الأمر: هل وقع مثل هذا؟ مشيرا إلى أنه وقع، ولم يكتف به، بل وقع لهم أمثاله لإظهار ما فى عالم الغيب منهم إلى عالم الشهادة: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا البلاء العظيم ﴿نبلوهم﴾ أى نجدد اختبارهم كل قليل ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا﴾ [أى -^٢] جلة وطبعا ﴿يفسقون﴾ أى يحددون فى علنا من الفسق، وهو الخروج عما هو

(١) من ظ: وفى الأصل: اليهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ.

أهل للتوطن من الطاعات .

ولما أخبر أن الفسق ديدنهم ، أكدّه بقوله عطفًا على " اذ يعدون " :
 ﴿ واذ ﴾ أى وأسألهم عن خبرهم حين ﴿ قالت امة منهم ﴾ أى جماعة
 ممن يعتبر و يقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى أسوا^۱ لامة
 أخرى منهم لا يقلعون عن الوعظ^۲ تخويفًا للوعوظين^۳ بما يتجاوزون به ه
 ﴿ لم تعظون قوما ﴾ أى معتمدين على قوتهم ﴿ الله ﴾ أى الذى له الملك
 كله ﴿ مهلكهم ﴾ أى لا محالة لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون
 بالمواعظ ﴿ او معذبهم عذابا شديدا ﴾ أى بعظيم ما يرتكبونه وتماديهـم فيه
 ﴿ قالوا ﴾ أى الامة الأخرى من الواعظين : وعظنا ﴿ معذرة الى ربكم ﴾
 أى المحسن إليكم بالحفظ^۴ عما وقعوا فيه من الذنب و الإقبال على الوعظ ۱۰
 حتى إذا سئلنا عن أمرنا فى عصيانهم نقول : فعلنا فى أمرهم جهدنا ، هذا
 إن^۵ لم يرجعوا ﴿ و لعلمهم يتقون ه ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى
 خوفه لله فيرجع عن غيه .

ولما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين فلم يرجعوا ، أخبر
 أنه صدق ظنهم بايقاع الأمرين معاً : العذاب الشديد و الإهلاك ، فقال : ۱۵
 ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أى فعلوا فى إعراضهم عنه فعل الناسى و تركوه
 ترك المنسى ، وهو أن الله لا يهملهم كما أن الإنسان لا يمكن أن يهمل

- (۱) من ظ ، وفى الأصل : يسوا كذا (۲) من ظ ، وفى الأصل : الوغض - كذا .
 (۳) من ظ ، وفى الأصل : للوعظين (۴) من ظ ، وفى الأصل : لحفظ (هـ) فى
 ظ : اذا (۶) من ظ ، وفى الأصل : مع .

أحدا تحت يده ، ليفعل ما يشاء من غير اعتراض (انجينا) أى بعظمتنا
 (الذين ينهون) أى استمروا على النهى (عن السوء) أى الحرام
 (واخذنا) أى أخذ غلبة وقهر (الذين ظلموا) أى بالعدو فى السبت
 (بعذاب بئيس *) أى شديد جدا (بما كانوا) أى جبلة وطبعا
 (يفسقون *) أى بسبب استمرارهم على تجديد الفسق .

ولما ذكر ما هدهم به من العذاب الشديد ، أتبعه الهلاك فقال :
 (فلما عتوا) أى تكبروا جلالة ويسا عن الانتهاء (عن ما نهوا عنه)
 أى بعد^٢ الأخذ بالعذاب الشديد ، وتجاوزوا إلى الاجترار على جميع
 المعاصى عنادا و تكبرا بغاية الوقاحة وعدم المبالاة ، كان موافقتهم لذلك
 ١٠ الذنب وإمهالهم مع الوعظ أكسبتهم ذلك و غلظت أكبادهم عن الخوف
 بزاجر العذاب ، من عتاي عتوا - إذا^٣ أقبل على الآثام^٤ ، فهو عات ،
 قال عبد الحق فى كتابه الواعى : وقيل إذا أقدم^٥ على كل أموره ، ومنه
 هذه الآية ، وقيل : العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى ، وقيل^٦ : المتمرد
 الذى لا ينفع فيه الوعظ والتنبه ، ومنه قوله سبحانه " فعتوا عن امر ربهم " ،
 ١٥ أى جاوزوا المقدار والحد فى الكفر - انتهى . وحقيقته : جاوزوا الأمر

إلى النفى ، أو جاوزوا الاتمار بأمره ، والمادة ترجع إلى الغلظ والشدّة
 والصلابة (فأنالهم) أى بما لنا من القدرة العظيمة (كونوا قردة)
 أى فى صورة^٧ القردة حال كونكم^٨ (خستين *) أى صاغرين مطرودين

(١) من ظ ، وفى الأصل : شديدا (٢) من ظ ، وفى الأصل : ابد (٣-٢) فى
 ظ : قدم على الآثار (٤) فى ظ : قدم (٥) سقط من ظ (٦) سورة ١٥ آية ٤٤ .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : صور (٨) من ظ ، وفى الأصل : كونهم .

بعيد^١ عن الرحمة كما يبعد الكلب . ولما تبين بما مضى من جرأتهم على المعاصي وإسراهم فيها استحقاقهم لدوام الحزى والصغار، أخبر أنه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع بأنهم مرتكبون^٢ في الضلال، مرتكبون / سبي^٣ الأعمال، ما دام عليهم ذلك النكال، فقال: ﴿ واذ ﴾ ٣٧٦ / وهو عطف على " و سئلهم " [أى - ٢] و اذكر لهم حين ﴿ تاذن ﴾ ٥ أى أعلم إعلاما عظيما جهرا معنى به ﴿ ربك ﴾ أى المربي لك والممهد لآدلة شريعتك و الناصر لك على من خالفك .

ولما كان ما قيل جاريا مجرى القسم ، تلقى بلامه^٤ ، فكان كأنه قيل : تاذن مقسما بعزته وعظمته وعلوه وقدرته : ﴿ ليعثن ﴾ أى من مكان بعيد ، وأنهم أنه بعث عذاب بأداة الاستعلاء المفهومة لأن المعنى : ١٠ لیسلمن ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود ، ومد زمان التسليط فقال: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ الذى هو الفصل^٥ الأعظم ﴿ من يسومهم ﴾ أى ينزل بهم دائما ﴿ سوء العذاب^٦ ﴾ بالإذلال والاستصغار وضرب الجزية والاحتقار ، وكذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الأمم^٧ و مرقهم في الأرض كل ممزق من حين أنكروا رسالة المسيح عليه السلام ، كما أتاها به الوعد ١٥ الصادق في التوراة ، و ترجمة ذلك موجودة بين أيديهم الآن في قوله في آخر السفر الأول : لا يزول القضيبي من آل يهودا ، لا يعدم سبط يهودا ملكا مسلطا واتخاذة نيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - وفي نسخة :

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : مرتكبون (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : كلامه (٥) في ظ : الفصل (٦) في ظ : الامة .

الكل - وإياه تنتظر الشعوب، يربط بالحبل جحشه؛ وقال السموأل في أوائل كتابه غاية المقصود: نقول لهم: فليس في التوراة التي في أيديكم ما تفسره^١: لا يزول الملك من آل يهودا والراسم^٢ بين ظهرانيهم إلى أن يأتي المسيح. فلا يقدرّون على جحده، فنقول لهم: إذا علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة وملك إلى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم - انتهى. ومن أيام رسالة المسيح^٣ سلط الله عليهم الأمم ومزقهم في الأرض، فكانوا مرة تحت حكم البابليين، وأخرى [تحت أيدي المجوس، وكرة تحت قهر الروم من بني العيص، وأخرى - ^٤] في أسر غيرهم إلى أن أتى النبي صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم الجزية هو وأمته من بعده.

١٠. ولما كان السياق للعذاب وموجباته، علل ذلك مؤكداً بقوله: (ان ربك) أي المحسن إليك باذلال أعدائك الذين هم أشد الأمم لك ولمن آمن بك عداوة (لسريع العقاب ج مله) أي يعذب عقب الذنب بالانتقام. باطنا بالنكتة السوداء في القلب، وظاهراً - إن أراد - بما يريد، وهذا بخلاف ما في الانعام فانه في سياق الإنعام يجعلهم خلائف.

١٥. ولما رهب، رغب بقوله: (وانه لغفور) أي محاء للذنوب عينا وأثراً لمن تاب^٢ وآمن^٣ (رحيم ه) أي مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سبباً له من الإعلاء في الدنيا والآخرة.

(١) من ظ، وفي الأصل: يفسره (٢) من ظ، وفي الأصل: المراسم. (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: والانتقام (٦) في ظ: الأعلى.

ذكر شيء مما هددوا به في التوراة على العصيان والبغى والعدوان
غير ما تقدم في المائدة عند "من لعنه الله و غضب عليه" ١ " وغيرها من
الآيات - قال في السفر الخامس : وإن لم تحفظ وتعمل ٢ بجميع الوصايا والسنن
التي ٣ كتبت في هذا الكتاب و تتق الله ربك وتهب ٤ اسمه المحمود المرحوب ،
يخصك الرب بضربات موجعة و يتليك بها ، و يتلى نسلك من بعدك ٥
و تدوم ٦ عليك ، و يبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التي كانت
قد صارت مثل نجوم السماء ، و تجلون عن الأرض [التي - ٦] تدخلونها
لثروتها ، و يفرقكم الرب بين الشعوب ، و تعبدون هنالك الآلهة الأخرى ٧
التي عملت من الحجارة والخشب ، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب ،
و لكن يصير الله قلوبكم هناك فرعة مرتجفة ، بالغداة ٨ تقولون : متى نمسى ؟ ١٠
و بالعشى تقولون : متى نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و قلة
حيلكم ، و يردكم الله إلى أرض مصر في ألوف في الطريق الذي قال الرب :
لا تعودوا ٩ أن تروه ، و تباعون هناك [عبيدا - ٦] وإماء ، و لا يكون
من يشتريكم - هذه أقوال العهد ١٠ التي أمر الله بها موسى أن يعاهد بنى إسرائيل
في أرض موآب سوى العهد ١١ الذي عاهدكم بحوريب ؛ ثم دعا موسى ١٥
جميع بنى إسرائيل و قال لهم : قد رأيتم ما صنع الله بأرض مصر بفرعون
(١) آية ٦٠ (٢-٢) من ظ ، و في الأصل : لم يحفظ و يعمل (٣) في ظ : الذي .
(٤) في الأصل : بهاب ، و في ظ : تهاب (٥) من ظ ، و في الأصل : يدوم .
(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : بالعذاب (٩) في الأصل و ظ :
لا يقودوا - كذا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .

و جميع عبيده وكل شعبه^١ و البلايا العظيمة التي رأت أعينكم و الآيات
و الاعاجيب التي شهدتموها، و لم يعطكم الرب قلوبا تفهم و تعلم، و لا أعينا
تبصر و لا آذانا تسمع إلى يومنا هذا، و دبركم في البرية أربعين سنة،
لم تبل ثيابكم عليكم و لم تخلق خفافكم أيضا و لم تأكلوا خبزا، لتعلموا
٥ أني أنا الله ربكم، و أنا الذي أتيت بكم إلى هذه البلاد، فاحفظوا وصايا
هذه التوراة و اعملوا بها و اتموا جميع الاعمال في طاعة الله و أكملوها،
لأنكم قد عرقتم جميعا أنا كنا سكانا بأرض مصر و جزنا بين الشعوب،
و رأيتم نجاستهم و أصنامهم، لعل فيكم اليوم رجلا أو امرأة أو قبيلة
أو سبطا يميل قلبه عن^٢ عبادة الله ربنا و يطلب عبادة آلهة^٣ تلك الشعوب،
١٠ فيسمع أقوال هذا العهد فيقول: يكون لي^٤ السلام فأتبع مسرة قلبي،
هذا لا يريد الرب أن يفرله، و لكن هناك يشتد غضب الرب و زجره
عليه و ينزل [به - °] كل اللعن الذي في هذا الكتاب، و يستأصل
الرب اسمه من تحت السماء و يفرزه الرب من جميع أسباط بني إسرائيل
للشر و البلايا، و يقول الحقب الآخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم
١٥ و الغرباء، و ينظرون إلى ضربات تلك الأرض و الاوجاع أنزل الله بها
و يقول الشعب^٥: لما ذا صنع الرب هكذا؟ و لما ذا^٦ اشتد غضبه على هذا
الشعب العظيم؟ و يقولون: لأنهم تركوا عهد الله إله آبائهم، فاشتد غضب
الرب على هذه الأمة و أمر أن ينزل بها كل اللعن الذي كتب في هذا

(١) من ظ، و في الأصل: تسعة (٢) في ظ: من (٣) سقط من ظ (٤) من

ظ، و في الأصل: إلى (٥) زيد من ظ.

الكتاب، ويجليهم الرب عن بلادهم بغضب وزجر شديد ويعدم إلى أرض غريبة كما ترى^١ اليوم، فأما الخفايا والسرائر فهي لله ربنا، والأمور الظاهرة المكشوفة هي لنا.

ولما أخبر سبحانه بالتأذن، كان كأنه قيل: فأسرعنا في عقابهم بذنوبهم وبعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب بالقتل والسبي، فعطف ه عليه قوله: (وقطعناهم) أى بسبب ما حصل لهم من السبي المترتب على العذاب بما لنا من العظمة تقطيعا كثيرا بأن أكثرنا تفريقهم^٢ (في الارض) حال كونهم (اما ج) يتبع بعضهم بعضا، فصار في كل بلدة قليل منهم ليست^٣ لهم شوكة ولا يدفعون عن أنفسهم ظلما.

ولما كان كأنه قيل: فهل أطبقوا [بعد - ٤] هذا العذاب على الخير؟ ١٠ قيل: لا، بل فرقتهم الأديان نحو فرقة* الأبدان (منهم الصالحون) أى الذين^٦ ثبتوا على دينهم إلى أن جاء الناسخ له فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم (ومنهم دون ذلك د) أى بالفسق تارة وبالكفر أخرى (وبلوثهم) أى عاملناهم معاملة المبلى ليظهر للناس ما نحن به منهم عالمون (بالحسنة) أى النعم (والسيات) أى النقم (لعلهم يرجعون *) ١٥ أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن غيه رغبة أو رهبة.

ولما كان العذاب الذى وقع التأذن بسببه [ممتدا - ٤] إلى يوم القيامة،

(١) من ظ، وفي الأصل: يرى (٢) في ظ: تفرعهم (٣) من ظ، وفي الأصل: كسبت (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: فارقوا. (٦) زيد بعده في الأصل: من، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها.

تسبب عنه قوله: ﴿خلف﴾ أى نشأ؛ ولما كانوا غير مستغرقين لزمان
 البعد، أتى بالجاء فقال: ﴿من بعدهم خلف﴾ أى قوم هم أسوأ حالا منهم
 ﴿ورثوا الكُتُب﴾ أى الذى هو نعمة، وهو التوراة، فكان لهم نعمة
 لشهادته عليهم بقبح أفعالهم، لأنه بقى في أيديهم بعد أسلافهم يقرؤنه
 ولا يعملون بما فيه؛ قال ابن فارس: والخلف ما جاء من بعد، أى / سواء
 كان محركا أو ساكنا، وقال أبو عبيد الهروى في الغريين^٢: ويقال:
 خلف سوء - أى بالسكون - وخلف صدق، وقال الزيدى في مختصر العين:
 والخلف: خلف السوء بعد أبيه، والخلف: الصالح، وقال ابن القطاع
 في الأفعال: وخلفَ خلفُ سوء: [صاروا بعد قوم صالحين، وخلفَ
 ١٠ سوء، قال الأخفش: هما سواء^٢، أى بالسكون - ^٤]، * منهم من يسكن
 ومنهم من يحرك فيها جميعا، ومنهم من يقول: خلف صدق - أى
 بالتحريك - وخلف سوء - أى بالسكون * - [يريد بذلك الفرق بينهما،
 وكل ذلك إذا أضاف، يعنى فإذا لم يضاف كان السكون - ^٤] للفساد،
 والتحريك للصالح؛ وقال فى القاموس: خلف تقيض قدام، والقرن
 ١٥ بعد القرن، ومنه: [هؤلاء - ^٦] خلف سوء، والردىء من القول؛
 وبالتحريك الولد الصالح، فإذا كان فاسدا أسكنت^٧ اللام، وربما استعمل
 كل منهما مكان الآخر، يقال: هو خلف صدق من أبيه - إذا قام مقامه،

(١) فى ظ: له (٢) من ظ، وفى الأصل: الغريين - كذا (٣) من كتاب
 الأفعال - خلف، وفى ظ: سوء (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٦) زيد من القاموس (٧) من القاموس، وفى الأصل
 وظ: سكنت.

أو^١ الخلف بالسكون وبالتحريك^٢ سواء، الليك : خلف الأشرار خاصة،
والتحريك ضده . والمادة ترجع إلى الخلف الذى هو تقيض قدام،
كما يفت ذلك فى فن المضطرب من حاشيق على شرح ألفية العراق .
ولما كان المظنون بمن^٣ يرث الكتاب الخير، فكان كأنه قيل :
ما فعلوه^٤ من الخير فيما^٥ ورثوه ؟ قال مستأنفا : (ياخذون) أى يحددون ه
الآخذ دائما ، وحق^٦ ما أخذوه بالإعلام بأنه مما يعرض ولا يثبت بل
هو زائل فقال : (عرض) وزاده حقارة بإشارة الحاضر فقال :
(هذا) وصرح بالمراد بقوله : (الادنى) أى من الوجودين ، وهو
الدنيا (ويقولون) أى دائما من غير توبة .

ولما كان النافع الغفران من غير نظر إلى معين ، بنوا للفعل قولهم : ١٠
(سيفقر لناج) أى^٧ من غير شك ، فأقدموا على السوء وقطعوا بوقوع
ما يبعد [وقوعه فى المستقبل حكما على من يحكم ولا يحكم عليه ، وصرح
بما أفهمه ذلك من -^٨] إصرارهم معجبا منهم فى جزمهم بالمغفرة مع
ذلك بقوله : (وان) أى والحال أنه إن (ياتهم عرض مثله)
[أى فى الدناءة والخسة -^٩] والحرمة كالرشى (ياخذوه^{١٠}) . ١٥
[ولما كان هذا عظيما ، أنكر عليهم مشددا -^{١١}] للتكثير بقوله^{١٢}

(١) فى ظ و ه (٢) من ظ والقاموس ، وفى الأصل : التحريك (٣) فى ظ :
عن (٤) فى ظ : فعلوا (٥) فى ظ : بما (٦) من ظ ، وفى الأصل : حقق (٧) سقط
من ظ (٨) زيد ما بين الحাজزين من ظ (٩) زيد من ظ والقرآن الكريم .
(١٠-١١) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « والحرمة كالرشى » والترتيب
من ظ .

مستأقفا^١: (الم يؤخذ عليهم) بناءً للفعول إشارة إلى أن العهد يجب الوفاء به على كل حال، ثم عظمه بقوله: (ميثاق الكتب) أى الميثاق المؤكد [فى التوراة - ٢] (ان لا يقولوا) [أى قولاً من الأقوال وإن قل - ٢] (على الله) أى الذى له كمال العظمة (إلا الحق) أى المعلوم ثباته، وليس من المعلوم ثباته إثبات المغفرة على القطع بغير توبة، بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب.

ولما كان ربما وقع فى الوم أنه أخذ على أسلافهم ولم يعلم هؤلاء به، نفى ذلك بقوله: (و درسوا ما فيه^٢) أى ما فى ذلك الميثاق بتكرير القراءة للحفظ (والدار الآخرة) أى فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى والحال أن الآخرة (خير) أى بما يأخذون (لذين يتقون^٣) أى وهم يعلمون ذلك بإخبار كتابهم، ولذلك أنكر عليهم^٤ بقوله: (أفلا يعقلون*) أى حين أخذوا ما يشقيهم ويفنى بدلاً مما يسعدهم ويبقى، وعلى قراءة نافع وابن عامر وحفص بالخطاب يكون المراد الإعلام بتناهى الغضب.

ولما بين ما للفسدين من^٥ كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم، بين ما للصالحين^٦ المذكورين فى قوله "و من قوم موسى أمة يهدون بالحق ومنهم الصالحون" فقال عاطفاً على تقديره: أولئك حبطت أعمالهم فيما

(١) تأخر فى الأصل عن «الميثاق المؤكد» والترتيب من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ: أكد فى الكتاب والكتاب (٤) فى ظ: عليه (٥) فى ظ: عما (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: للصالحين.

درسوا من الكتاب ، ولا يغفر لهم ما أتوا من الفساد : ﴿ والذين يمسون ﴾
 أى يمسون إمساكا شديدا يتجدد على [كل - '] وجه الاستمرار ،
 وهو إشارة إلى أن التمسك بالسنة في غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور
 الفساد ﴿ بالكُتب ﴾ أى فلا يقولون على الله إلا الحق ، ^٢ ومن جملة
 تمسيكهم / المتجدد انتقلهم عن ذلك الكتاب عند إتيان الناسخ لأنه ناطق ٥ / ٣٧٩
 بذلك - والله الموفق .

ولما كان من تمسيكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام انتقلهم
 عن دينهم إلى الإسلام كما وقع الأمر به في المواضع التي تقدم بيانها ،
 عبر عن إقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضي دون المضارع لئلا يجعلوه
 حجة في الثبات على دينهم ، فيفيد ضد المراد فقال : ﴿ واقاموا الصلوة ^١ ﴾ ١٠
 وخصها إشارة إلى أن الأولين تركوها كما صرح به في آية مريم ،
 وتنويعا^٢ بشأنها بيانا لأنها من أعظم شعائر الدين ، ولما كان التقدير إخبارا
 عن المبتدئين : ستؤتيهم أجورهم^٣ لإصلاحهم ، وضع موضعه للتعميم قوله :
 ﴿ انا لا نضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المصلحين ٥ ﴾ .

ولما ذكر الكتاب أنه رهبهم من مخالفته و رغبهم في مؤلفته . ١٥
 وكان عذاب الآخرة مستقبلا وغائبا ، وكان ما هذا شأنه لا يؤثر
 في الجامدين ، أمره أن يذكرهم^٤ بترهيب ذنبوى مضى إبقاعه بهم ،
 ليأخذوا موائق الكتاب لغاية الجد مع أنه لا يعلمه إلا علماؤهم ، فيكون

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 نبوتها (٤) في ظ : اجرهم (٥) في ظ : يذكره .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧ : ١٧١ و ١٧٢) ج - ٨

علم الآمى^١ له من أعلام نبوته الظاهرة فقال: ﴿واذ﴾ أى اذكر لهم هذا ، فان لم يتعظوا اذكر لهم إذ ﴿تقنا^٢﴾ أى قلنا^٣ ورفعنا ، [و-^٤] أتى بنون العظمة لزيادة الترهيب ﴿الجبل﴾ عرفه لمعرفتهم به ، [و عبر به لدلالة لفظه على الصعوبة والشدّة دون الطور - كما فى البقرة - لأن السياق لبيان نكدهم بإسراعهم فى المعاصى الدالة على غلط القلب -^٥] .

ولما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازية لمساكرم ، حذف الجار فقال : ﴿فوقهم﴾ [ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله -^٦] : ﴿كانه ظلة﴾ أى سقف ، وحقّق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله : ﴿وظنوا﴾ هو على حقيقته ﴿انه واقع﴾ ولما كان ما تقدم ١٠ قد حقق العلو ، لم يحتاج إلى حرف الاستعلاء ، فقال مشيرا إلى السرعة واللصوق : ﴿بهم﴾ أى إن^٧ لم يأخذوا عهد^٨ التوراة ، قالوا : ولما رأوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ، و صار ينظر بعينه النبى^٩ إلى الجبل^{١٠} فرعا من سقوطه ، وهى سنة لهم فى سجودهم إلى الآن ، يقولون : هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة .

١٥ ولما كان كأنه قيل : فقالوا : أخذنا يا رب عهدك ، قال مشيرا إلى عظمتهم ليشد إقبالهم عليه إشارة إلى أنه علة رفع الجبل : ﴿خذوا ما آتيتكم﴾ أى بعظمتنا ، فهو جدير بالإقبال عليه وأن يعتقد فيه الكمال ، و أكد ذلك بقوله : ﴿بقوة﴾ أى عزم عظيم على احتمال

(١) فى ظ : الادنى (٢) تقدم فى ظ على « أى اذكر » (٣) فى ظ : قطعنا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (د) سقط من ظ (٦) فى ظ : عهد (٧-٧) فى ظ : اليه . مشاقه

مشاقه^١؛ ولما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسيه في وقت ، قال :
 ﴿ واذكروا ما فيه ﴾ أى [من الأوامر والنواهي وغيرهما - ٢]
 فلا تنسوه ﴿ لعلم تقون ﴾ أى ليكون^٣ حالكم حال من يرجى تقواه ،
 فدل سبحانه بهذا على تأكيد الموائيق عليهم فى أخذ جميع ما فى الكتاب
 الذى من جملته^٤ ألا تقولوا^٥ على الله إلا الحق ولا تكتموا^٦ شيئاً منه ، قالوا : ه
 ولما قرأ موسى عليه السلام [الألواح] فيها كتاب الله لم يبق على الأرض
 شجر ولا جبل ولا حجر إلا اهتز ، فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوراة
 إلا اهتز وانقض رأسه - ٢] .

ولما ذكر أنه ألزمهم أحكام الكتاب على هذه الهيئة القاهرة الملمجة
 انقاسرة التى هى من أعظم الموائيق عند أهل الأخذ ، وأنه أكد عليهم ١٠
 الموائيق فى كثير من فصول الكتاب ، وكان ذلك كله خاصاً بهم ؛ أمره
 أن يذكر لهم أنه ركب لهم فى عموم هذا النوع الآدمي من العقول ونصب
 من الأدلة الموضحة للأمر إيضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه والمتهاون
 به لكان تعذيبه جارياً على المناهج ملائماً للعقول ، ولكنه سبق رحمة
 وغلبة رأفته لم يؤخذ بذلك حتى ضم إليه الرسل ، وأنزل معهم الكتب ، ١٥
 وأكثر فيها من الموائيق ، وزاد فى الكشف والبيان ، وإلى ذلك الإشارة
 باسم الرب ، فكان من عنده علم أشد ملامة من الجاهل^٧ ، فقال : ﴿ واذ ﴾
 أى واذكر لهم / إذ ﴿ اخذ ﴾ أى خلق بقوله وقدرته ﴿ ربك ﴾ أى المحسن

٣٨٠ /

(١) فى ظ : شاقه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : لتكون (٤) فى ظ :
 من (هـ) فى ظ : ان لا يقولوا (٦) فى ظ : لا يكتموا (٧) فى ظ : الكافر .

إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط^١ من الرأس .
ولما كان السياق لأخذ الموائيق والآخذ بقوة ، ذكر أخذ الذرية
من أقوى نوعي الآدمي ، وهم الذكور فقال : ﴿ من بنى آدم ﴾ و ذكر
أنه جعلها من أمتن الأعضاء فقال : ﴿ من ظهورهم ﴾ كل واحد من
٥ ظهر أبيه ﴿ ذريتهم^٢ ﴾ إشارة إلى أنه [لما - ٢] أكد عليهم الموائيق
وشددها لهم [وأمرهم - ٢] بالقوة في أمرها ، أعطاهم من القوة^٣ في
التركيب و المزاج ما يكونون^٤ به مطيعين لذلك ، فهو تكليف بما في
الوسع ، و جعل لهم عقولا عند من قال : هو على حقيقته كنملة سليمان
عليه الصلاة والسلام ﴿ واشهدهم^٥ على أنفسهم ج ﴾ أى أوضح لهم من
١٠ البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السلوات و الأرض و ما فيها على
هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية و تمام العلم و القدرة ، و من إرسال
الرسل المؤيدين بالمعجزات ما كانوا^٦ كالشهود بأنه لا رب غيره ؛
[٢ - و قد ذكر معنى هذا الإمام حجة الإسلام الغزالي في الكلام على العقل
من باب العلم من الإحياء فانه قال في معنى هذه الآية : و المراد إقرار^٧
١٥ نفوسهم ، لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا^٨ في إقرار الألسنة حيث

(١) من ظ ، و في الأصل : من المشط (٢) هذا على قراءة نافع و أبي عمرو و ابن
عامر و يعقوب ، و قرأ الباقر بالتوحيد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) في ظ : القوى (٥) من ظ ، و في الأصل : يكون (٦) من ظ و القرآن الكريم ،
و في الأصل : اشهدتهم (٧) من ظ ، و في الأصل : اتوا (٨) من إحياء العلوم
١/٦٤ ، و في ظ : افراد (٩) من الإحياء ، و في ظ : ان قسموا - كذا .

وجدت الألسنة والأشخاص؛ ثم ذكر أن النفوس فطرت على معرفة الأشياء على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك .

ولما تبين أنه فرد لا شريك له فلا راد لأمره ، وأنه رب فلا أراف منه ولا أرحم ، كان ذلك أدعى إلى طاعته خوفاً من سطوته ورجاء لرحمته ، فكانوا بذلك بمنزلة من سئل عن الحق فأقر به ، فلذلك ه قال : ﴿ الست بربكم ﴾ أي المحسن إليكم بالخلق والتربية بالرزق وغيره ﴿ قالوا بلى ﴾ شهدنا ج أي كان علمنا بذلك علماً شهودياً ، وذلك لأنهم وصلوا بعد البيان إلى حد لا يكون فيه الجواب إلا ذلك فكانهم قالوه ؛ فهو - والله أعلم - [من - ٢] وادى قوله تعالى " والله يسجد من في السموات والارض [٢ - طوعاً وكرهاً ٣] - الآية و " الله يسجد ما في السموات ١٠ والارض] من دابة والملئكة وهم لا يستكبرون " .

ولما كان كأنه قيل : لم فعل ذلك ؟ قيل : دلالة على أن المتقدم إنما هو على طريق التمثيل يجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد ، فعله كراهة ﴿ ان يقولوا يوم القيمة ﴾ أي إن لم ينصب لهم الأدلة ﴿ انا كنا عن هذا ﴾ أي وحدانيتك وربوبيتك ﴿ غفلين ﴾ أي لعدم ١٥ الأدلة فلذلك ٦ أشركنا ﴿ او يقولوا ﴾ أي لو لم نرسل إليهم الرسل ﴿ انما أشرك آبائنا من قبل ﴾ أي من قبل أن توجد ٨

(١) في الأصل وظ : ما (٢) زيد من ظ (٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) سورة ١٦ آية ٤٩ (٥) هذا وما بعده على قراءة أبي عمرو ، وقرأ الباقون بالخطاب (٦) في ظ : لم تنصب (٧) من ظ ، وفي الأصل : فان ذلك (٨) من ظ ، وفي الأصل : يوجد .

﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فلم نعرف لنا 'مرىا غيرهم فكنا لهم تبعاً فشفغلنا
اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منه^٢، فيتسبب عن ذلك إنكارهم في
قولهم: ﴿افتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أي من آباءنا؛ قال أبو حيان:
و المعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما
تضمنه العهد من توحيد الله و عبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما ' كنا
غافلين، و الأخرى ' كنا تبعاً لآسلافنا ' فكيف و الذنب إنما هو لمن
طرق لنا و أضلنا - انتهى . و بما يؤيد معنى التمثيل حديث أنس في الصحيح
' يقول الله لأهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء
كنت تفتدى به ؟ قال: نعم ، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا
١٠ و أنت في صلب آدم أن لا تشرك شيئاً، فأيت إلا الشرك^٣، و ذلك لأن
التصريح بالآباء يناق كونه الإقرار على حقيقته، و الأخذ و هو في الصلب
إنما هو بنصب الأدلة و تقرير الحق على وجه مهيئ للاستدلال بتركيب
العقل على القانون الموصل إلى المقصود عند التخلي من الحظوظ و الشوائب،
و هذا الذي وقع تأويل الآية به لا يعارضه حديث الاستنطاق في عالم
١٥ الدر على تقدير صحته، فانه روى من طرق كثيرة جداً ذكرتها في كتابي

سر الروح، منها في الموطأ و مسند أحمد و إسحاق بن راهويه و محمد بن نصر
المروزي و أبي يعلى الموصلي و مستدرك الحاكم و كتاب المائتين / لأبي عثمان

/ ٣٨١

(١) زيد بعده في الأصل: من، و لم تكن الزيادة في ظ لمحفذفاها (٢) من ظ،
و في الأصل: منته (٣) من ظ و الصحيح - الأنبياء، و في الأصل: اشرك -
(٤) في ظ: الخلق (٥) من تهذيب التهذيب، و في الأصل وظ: مضى .

الصابوني عن صحابة و تابعين مرفوعا [و موقوفا -^١] منهم عمر
و أبي بن كعب و أبو هريرة و حكيم بن حزام و عبد الله بن سلام
و عبد الله بن عمرو و ابن عباس و ابن مسعود رضی الله عنهم ، و عن محمد
ابن كعب و عطاء بن يسار و سعيد بن المسيب و أبي العالية رحمهم الله ،
و إنما كان لا يعارضه لأن في بعض طرقه عن أبي [بن -^٢] كعب رضی الله ٥
عنه^٣ أنه سبحانه قال بعد أن استنطقهم : فاني أشهد عليكم السماوات السبع
و الأرضين^٤ السبع ، و أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا [يوم القيامة -^٥] :
إنا كنا عن هذا غافلين ، فلا تشركوا بي شيئا ، فاني أرسل إليكم رسلي
بذكرونكم عهدي و ميثاقى ، و أنزل عليكم كتيبى ، فقالوا : نشهد أنك ربنا
و إلهنا ، لا رب لنا غيرك . فالاستنطاق في الحديث على بابه ، عبرة لآئينا ١٠
آدم عليه السلام و من حضر ذلك من الخلق ، و إيقافا لهم على بديع
قدرته و عظيم علمه^٦ . و إشهاد ما أشهد من المخلوقات بمعنى أنه^٧ نصب
فيها من الأدلة ما يكون إقامة الحجة به عليهم بالنقض إن أشركوا كشهادة
[الشاهد -^٨] الذى لا يرد ، و ليس فى شيء من الروايات ما ينافى هذا ؛
و الحاصل أنه أخذ علينا عهدان : أحدهما حالى تهدى إليه العقول ، و هو ١٥
نصب الأدلة ، و الآخر مقالى أخبرت به الرسل ، كل ذلك للإعلام بمزيد
الاعتناء بهذا النوع البشرى لما له من الشرف الكريم و يراد به من
(١) زيد من ظ (٢) زيد ولا بد منه (٣) العبارة من ٥ عن أبي ، إلى هنا سانطة
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الأرض (٥) من ظ ، وفى الأصل : عمله .
(٦) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها .

الامر العظيم - 'والله الموفق' .

ولما كان كأنه قيل تنبيها على جلالة هذه الآيات : انظر كيف فضلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة وأبرزناها في هذه الأساليب الرائقة ، [قال - ٢] : ﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل ذلك التفصيل البديع^٢ الجليل الرفيع ٥ ﴿ تفصل الأيت ﴾ أى كلها لثلا يواقعوا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعدم الدليل ﴿ واعلمهم يرجعون ٥ ﴾ أى وليكون حالهم حال من يرجى^٣ رجوعه عن الضلال إلى ما تدعو إليه الهداة من الكمال عن قرب إن حصلت غفلة فواقعوه ، وذلك من أدلة^٤ ”والذى“ خبث لا يخرج الانكداء “ و ”ما وجدنا لا أكثرهم من عهد“ و^٢ ”سأصرف عن ابنتى“ .

١٠ ولما ذكر لهم ما أخذ عليهم فى كتابهم من الميثاق الخاص الذى انسلخوا منه ، وأتبعه الميثاق العام الذى قطع به الأعذار ؛ أتبعها [بيان - ٢] ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات ، فأسقطه الله من ديوان السعداء ، فأمره صلى الله عليه وسلم أن يتلو ذلك عليهم ، لأنه - مع الوفاء ببيكيتهم - من أدلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه ، فذكرهم ما وقع له فى نبد العهد ١٥ والانسلخ من الميثاق بعد أن كان قد أعطى الآيات وأفرغ عليه من الروح فقال : ﴿ واتل ﴾ أى اقرأ شيئا بعد شيء ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود وسائر الكفار بل الخلق كلهم ﴿ نبا الذى ﴾ وعظم ما أعطاه بمظهر العظمة ولفظ الإيتاء بعد ما عظم خبره بلفظ الإنباء^٥ فقال : ﴿ اتينته ﴾ .

(١ - ١) تقدم فى الأصل على « والحاصل أنه » والترتيب من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : ترجى (٥ - ٥) فى ظ : وادى .

ولما كان تعالى قد أعطاه من إجابة الدعاء وصحة الرؤيا وغير ذلك بما شاء سبحانه أمرا عظيما بحيث دله^١ على الله تعالى دلالة لا شك فيها، وكانت الآيات كلها متساوية الأقدام في الدلالة وإن كان بعضها أقوى من بعض، قال تعالى: ﴿أَيْنَتْنَا﴾ وهو بلعام من غير شك للسباق والحق، وقيل: هو رجل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين فرشاه فتبع دينه^٥ فافتن به الناس، وقيل: هو أمية بن أبي الصلت الثقفى الذى قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: آمن شعره وكفر قلبه، قاله عبد الله بن عمرو^٢ سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وقيل: هو أبو عامر الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق، وقيل: نزلات فى منافق أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فأنكروه^{١٠}.

ولما كان / الذى جرائم على عظمته سبحانه ما أنعم عليهم به من إعطاء الكتاب ظنا منهم أنه لا يشقيهم بعد ذلك، رهبهم ببيان أن^٣ الذى سبب له هذا الشقاء هو إيتاء^٤ الآيات فقال: ﴿فانسئ منها﴾ أى فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها، وذلك بسبب أنه لما كان مجاب الدعوة سأل ملك زمانه الدعاء على موسى وقومه فامتنع فلم يزل يرغبه^{١٥} حتى خالف أمر الله اتباعا لهوى نفسه، فتمكن منه الشيطان، وأشار عليه أن يرسل إليهم النساء مزينات ويأمرهن أن لا يمتنعن^٦ من أحد، فأشقاء الله، وهذا معنى ﴿فاتبعه الشيطان﴾ أى فأدركه مكره فصار قرينا له

(١) من ظ، وفى الأصل: دل (٢) فى ظ: بن (٣) من ظ، وفى الأصل: هذا.

(٤) فى ظ: انه (٥) من ظ، وفى الأصل: اتيان (٦) من ظ، وفى الأصل:

لا يتبعن.

{ فكان } أتى فسبب عن إدراك الشيطان له أن كان { من الغوين }
 أى الضالين الراكبين هوى نفوسهم^١، وعبر في هذه القصة بقوله ”أتل“
 دون ”وسئلهم عن“ نحو ما مضى في القرية، لأن هذا الخبر مما يحبون
 ذكره لأن سلخه من الآيات كان لأجلهم، فهو شرف لهم، فلو سألهم
 عنه لبادروا إلى الإخبار به ولم يتلغشوا^٢ فلا تكون تلاوته صلى الله
 عليه وسلم بعد ذلك لما أنزل في شأنه^٣ واقعا موقع ما لو أخبرهم به
 [قبل -^٤]، ولعل المقصود الأعظم من هذه الآية والتي قبلها الاستدلال
 على كذب دعواهم في قولهم ”سيغفر لنا“ بما هم قائلون به، فيكون من
 باب الإلزام، وكأنه قيل: أتم قائلون بأن من أشرك لا يغفر له لتركه

١٠ ما نصب له من الأدلة حتى أنكم تقولون ”ليس علينا“ في الآمن سيل“
 لذلك، فما لكم توسعون المغفرة لكم في ترك ما أخذ عليكم به الميثاق الخاص
 وقد ضيقتموها على غيركم في ترك ما أخذ عليهم به الميثاق العام؟ ما ذلك
 إلا مجرد هوى، فان قلتم: الأمر في أصل التوحيد أعظم فلا يقاس
 عليه، قيل لكم: أليس المعبود قد حرم الجميع؟ وعلى التزل فن المسطور
 ١٥ في كتابكم أمر بلعام وأنه ضل، وقد كان أعظم من أحباركم^٥، فإنا
 آتيناه آيات من غير واسطة رسول، وكان سبب هلاكه - كما تعلمون -
 وخروجه من ربة الدين وإحلاله دمه مشورته^٦ على ملك زمانه بأن يرسل

(١) من ظ، وفي الأصل: روسهم (٢) في الأصل: لم يتعلموا، وفي ظ:
 لم يتعلموا - كذا (٣) في ظ: شأنهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ والقرآن الكريم
 سورة ٣ آية ٧٥، وفي الأصل: لنا (٦) في ظ: أحادكم (٧) في ظ: لما (٨) في
 الأصل: مستوريه، وفي ظ: مسورته - كذا.

النساء إلى عسكر بنى إسرائيل متزينات غير تمتعات ممن أرادهن ، وذلك من الفروع التى هى أخف من باب الأموال ، فقد بحتم كذبكم فى قولكم " سيفخر لنا " وأنكم لم تتبعوا فيه إلا الهوى كما تبعه بلعام فانظروا^١ ما فعل به .

ولما كان هذا السياق موها لمن لم يرسخ قدمه فى الإيمان أن ه الشيطان له تأثير مستقل فى الإغواء^٢ ، نرى ذلك غير^٣ على هذا المقام فى مظهر العظمة فقال : ﴿ ولو شئنا ﴾ أى أن نرفعه بها على ما لنا من العظمة التى من دنا من ساحتها بنير إذن محق ﴿ لرفعنه ﴾ أى فى المنزلة رفعة دائمة ﴿ بها ﴾ أى الآيات حتى لا يزال عاملا بها .

ولما علق الأمر بالمشيئة تنبيهها على أنها هى^٤ السبب الحقيقى وأن ١٠ ما لم يشأ سبحانه لا يكون ، وكان التقدير : ولكننا لم نشأ ذلك وشئنا له الكفر فأخلدناه - إلى آخره ، عبر عنه تعليما للأدب فى إسناد الخير إلى الله والشر إلى غيره وإن كان الكل خلقه [حفظا -^٥] لعقول الضعفاء من إيهام نقص أو^٦ إدخال لبس بقوله مسندا نقصه إليه :

﴿ ولكنّه اخلد ﴾ أى فعل فعل من أوقع الخلد - وهو^٧ الدوام - وأوجده^٨ ١٥ ﴿ الى الارض ﴾ أى رمى بنفسه إلى الدنيا رميا ، تهالكها على ما فيها من الملاذ الحيوانية والشهوات النفسانية ﴿ واتبع ﴾ أى اتباعا شديدا

(١) من ظ ، وفى الأصل : فانظروا (٢) من ظ ، وفى الأصل : الأغراء .

(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : من (ه) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل

« و » (٧-٧) فى ظ : دوام ووجوده - كذا .

(هو نه ج) فأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات مقدما لداعى نفسه على داعى روحه، لأن القلب الذى هو تيجتها فى عالم الأمر له وجهان: وجه إلى الروح العلوى الروحانى الذى هو الأب، وله الذكورة المناسبة للعلو؛ ووجه إلى النفس التى^١ / هى الروح الحيوانى التى هى الأم ولها المناسبة للأرض بالأنوثة وبأن أصلها من التراب الذى له الرسوب بوضع الجبلية، فالتقدير: فخط نفسه خطا عظيما، لأننا لم نشأ رفعه بما أعطيناه من الآيات، وإنما جعلناه وبالا عليه، فلا يغتر أحد بما أوتى من المعارف، وما حاز من المفاخر واللطائف، فإن العبرة بالخواتيم، ولنا بعد ذلك أن نفعل ما نشاء .

ولما كان هذا حاله ، تسبب عنه أن قال تعالى: ﴿ فثله ﴾ أى مع ما أوتى من العلم فى اتباعه^٢ لمجرد هواه من غير دليل بعد الأمر بمخالفة الهوى

١٠ ﴿ كمثل الكلب ج ﴾ أى فى حال دوام اللهث .

ولما كان [كأنه - ٢] قيل : مثله فى أى أحواله ؟ قال : فى كونه ﴿ ان تحمل عليه ﴾ أى لتضر به ﴿ يلهث او تتركه يلهث^٤ ﴾ فان أوجب لك الحمل عليه ظن أن لهته لما حاول من ذلك التعب ردك عنه لهته فى الدعة^٥،

١٥ فتعلم حيثئذ أنه^٥ ليس له^٥ سبب إلا اتباع الهوى، فتابع الهوى مثل الكلب كما بين، ومثال هذا المنسلخ الجاهل الذى لا يتصور أن يتبع غير الهوى، لأنه يتبع الهوى مع إيتاء الآيات فبعد الانسلاخ منها أولى، فقد^٦ وضع تشبيه^٦ مثله بمثل الكلب، لا^٦ تشبيه مثله^٦ بالكلب^٦ وهذه القصة تدل على

(١) تكرر فى الأصل (٢) فى ظ : اتيانه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الدعوة .
(٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : لا (٦) من ظ ، وفى الأصل : تكم (٧) سقط من ظ .
(٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : يشبه بمثله .

أن من كانت نعم الله في حقه أكثر، كان بعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم وأكبر^١.

ولما تقرر المثلان، وكان كل منهما منطبقاً على حالة^٢ كل مكذب، كانت النتيجة قوله: ﴿ذلك﴾ أي كل من المثليين ﴿مثل القوم﴾ أي الأقوياء على ما يحاولونه ﴿الذين كذبوا بآيتنا﴾ أي في [أب - ٢] ٥ تركهم لها إنما هو بمجرد الهوى، لأن لها من الظهور والعظمة بنسبتها إلينا ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة ﴿فأقص القصص﴾ أي فأخبر الإخبار العظيم الذي تتبعته به مواقع الوقائع وآثار الأعيان حتى لم تدع في شيء منها لبساً على كل من يسمع لك من اليهود وغيرهم، وهو مصدر قص الشيء - إذا تبع أثره واستقصى في ذلك ﴿لعلهم يتفكرون﴾ ١٠ أي ليكون حالهم حال من يرجي تفكره في هذه الآيات، فيعلمون أنه لا يأتي بمثلها من غير معلم من الناس إلا نبي، فيردم ذلك إلى الصواب حذراً^٣ من مثل حال هذا.

ولما ظهر بهذا أن مثل الكلب الذي اكتسب من مثوله من السوء والقذارة^٤ ما لا يعلبه حق عليه^٥ إلا الله تعالى مثل المكذبين بالآيات؛ أنتج ١٥ ذلك قوله تأكيداً لزمهم وزجرهم: ﴿سَاء مثلاً لقوم﴾ أي مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآيتنا﴾ أي فلو لم يكن عليهم درك في فعلهم أن لا تنزل هذا المثل عليهم لكان أعظم زاجراً^٦ له أدنى مروءة، لأنهم نزلوا عما

(١) في ظ: أكثر (٢) في ظ: حال (٣) زيد من ظ (٤) في ظ: لا (٥) من ظ، وفي الأصل: حلماً - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: القذرة (٧) سقط من ظ. (٨) من ظ، وفي الأصل: زجر.

لمن يتبعها من العظمة إلى ما ظهر بهذا المثل من الحسة ، فكيف وهم يضرون أنفسهم بذلك و^١ لا يضرون إلا إياها ، وذلك معنى قوله : ﴿ وانفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ كانوا يظلمون ه ﴾ أى كان ذلك^٢ فى طبعهم جبلة لهم ، لا يقدر غير الله على تغييره .

هـ ولما كان ذلك محل عجب من يميل عن^٣ المنهج بعد إيضاحه هذا الإيضاح الشافى ، قال جوابا لمن كأنه قال : فما لهم لا يؤمنون ؟ مفصلا لقوله ” ولو شئنا لرفعنه بها “ : ﴿ من يهد الله ﴾ أى يخلق الهداية فى قلبه الملك الأعظم الذى لا أمر لاحد معه ﴿ فهو المهتدى ج ﴾ أى لا غيره . ولما كان فى سياق الاستدلال على أن أكثر الخلق هالك بالفسق

١٠ ونقض العهد ، وحده ” المهتدى “ نظرا إلى لفظ ” من “ ، وجمع الضال^٤ نظرا إلى معناها فقال : ﴿ ومن يضل فاولئك هم ه ﴾ أى البعداء البغضاء خاصة لا غيرهم ﴿ الخسرون ه ﴾ إذ^٥ لا فعل لغيره أصلا ، والآية من فذلك ما مضى ، وما أحسن ختمها بالخسران فى وعظ من ترك الآخرة بأقباله على أرباح الدنيا وأعراضها ثفانية ، ثم تعقيها بذره جهنم الذين لا أخسر^٦ منهم .

/٣٨٤

ذكر^٧ قصة بلعام من التوراة - قال فى السفر الرابع منها بعد أن ساق قتالهم لسيحون ملك الأموريين : وفرق الموابيون^٨ من الشعب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مع (ه) فى ظ : الضلال (٦) تأخر فى الأصل عن ” لا غيرهم “ والترتيب من ظ (٧) فى ظ : أى (٨) فى ظ : خسر (٩) من التوراة ، وفى الأصل : الموابتون ، وفى ظ : الموابين - كذا .

فرقا شديدا لأنهم رأوه شعبا عظيما ، فاضطرب الموآبيون ورجفت قلوبهم خوفا من بنى إسرائيل ، وقال ملك موآب لأشياخ مدين : اعلما أن هذا الجمع يرتعى حرثنا ، ولا يدع أحدا إلا أهلكه ، ويرتعى كل من حولنا^١ كما يرتعى الثور عشب الأرض ، وكان ملك الموآبيين في ذلك الزمان بالاق بن صفور ، فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور^٢ هـ

العراف المعبر الأحلام الذى كان ينزل على شاطئ النهر قريبا من أرض بنى عمون ليدعوه إليه فيستعين به : أخبرك أنه [قد - ٢] خرج شعب من أرض مصر ، فغشى وجه الأرض كلها ، وقد نزلوا جبالنا ، فأطلب إليك أن تأتى وتعلن هذا الشعب لأنه أقوى وأعز منا . لعلنا نقدر أن نحارب ونهلكه عن جديد الأرض ، لأنى عارف أن الذى تباركه هو^{١٠} مبارك ، والذى تلعنه هو ملعون . وانطلق أشياخ موآب وأشياخ مدين ومعهم هدايا وجوائز ، فأتوا بلعام فقالوا له قول بالاق ، فقال لهم : يتوا ههنا ليلتكم هذه فأخبركم بما يقول الرب ، فأقام أشراف موآب عند بلعام ، فأتى ملك الله بلعام وقال له : من القوم الذين أتوك ؟ قال بلعام للملاك^٥ : بالاق بن صفور ملك موآب أرسل إلى وقال : قد^{١٥}

خرج شعب من أرض مصر فلا وجه الأرض ، فأقبل إلينا^٧ حتى تلعنه ، لعل^٨ أقدر أن أجاهده وأهلكه ، وقال الملاك^٩ لبلعام : لا تنطلق مع القوم ولا تعلن الشعب لأنه مبارك ، فقال بلعام بكرة لعظما^{١١}

(١) في ظ : حولها (٢) في ظ : فعورا (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : وأخبركم (٥) من ظ ، وفي الأصل : للملايكة (٦) في ظ : بلاق (٧) من ظ ، وفي الأصل : علينا (٨) في ظ : لعل ان (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ : الملك . (١١) في الأصل و ظ : عظما .

بالاق : انطلقوا إلى صاحبكم ، لأن الرب لم يجب أن يدعى أنطلق معكم ،
 ونهض^١ عظماء موآب فأتوا بالاق و قالوا له : لم يهو بلعام إتيانك معنا ،
 فعاد بالاق أيضا فأرسل رسلا أعظم وأكرم من الأولين ، [فأتوا بلعام
 و قالوا له : هكذا يقول بالاق بن صفور : لا تمتنع أن تأتي - ^٢] لأنى
 ه سأعظمك وأكرمك جدا ، وما قلت لى من شيء فعلت ، وأقبل إلينا
 [لتعلن لى - ^٣] هذا الشعب ، فرد بلعام على رسل بالاق قائلا : لو أن
 بالاق أعطانى ملء بيته ذهباً و فضة لم أقدر أن أتعدى قول ربى وإلهى ،
 ولا أجد عن قول^٤ صغير^٥ ولا كبير^٦ من أقواله ، فخرجوا أنتم أيضا^٦
 عندنا ليلتكم هذه حتى أنظر ما يخبرنى ملاك الله من أمركم ، فنزل وحى الله
 ١٠ على بلعام ليلا ، وقال له : إن كان هؤلاء القوم إنما أتوك ليدعوك فقم
 فانطلق معهم ، ولكن إياك أن تعمل إلا ما أقول ، فنهض^٧ بلعام بكره
 وأسرج أتاناه^٨ وانطلق مع عظماء موآب ، فقام^٩ ملاك الرب فى الطريق
 ليكون له لدادا ، فرأت الأتان ملاك الله^{١٠} قائما فى الطريق محتوطا سيفه
 ممسكه فى يده ، فخادت عن الطريق و سارت فى الحرث ، فضربها بلعام
 ١٥ ليردها إلى الطريق ، فقام ملاك الرب فى طريق^{١١} ضيق بين كرمين ،
 فرأت الأتان ملك الرب فرحمت الحائط و ضغطت^{١٢} رجل بلعام فى

(١) فى ظ : نهق (٢) زيد من ظ (٣) زيد بناء على نص التوراة و هو : فتعال
 الآن العن لى هذا الشعب - راجع الأصحاح الثانى والعشرين من السفر الرابع .
 (٤) فى ظ : قوله (هـ -) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من
 ظ ، وفى الأصل : فنزل (٨) فى ظ : اتاه (٩) فى ظ : فقال (١٠) فى ظ : الرب .
 (١١) فى ظ : سبيل (١٢) فى ظ : وضعت .

الحائط ، فعاد يضربها أيضا ، ثم عاد ملاك^١ الرب وقام في موضع ضيق حيث ليس لها موضع تحيد [منه - ٢] يمتة ولا يسرة ، فبصرت بملاك الرب وربضت تحت بلعام ، فاشتد غضب بلعام وضرب الاتان^٢ بالعصا ، وفتح الرب فم الاتان وقالت للبلعام : ما الذى صنعت بك حتى ضربتني ثلاث مرات ؟ قال بلعام : لأنك زريت^٣ بي ، ولو أنه كان في يدي ٥

٣٨٥ /

سيف كنت قد قتلتك / الآن ، فقالت^٤ : أأنتك التي^٥ تركبني منذ صباك إلى اليوم ؟ هل صنعت مثل هذا الصنع قط ؟ قال لها : لا ، وجلى الرب عن بصر بلعام فرأى ملك الله قائما في الطريق مخترطا سيفه^٦ بيده ، فجثى وخر على وجهه ساجدا ، فقال له ملاك الرب : ما بالك ضربت أتانك ثلاث مرات ، [أنا - ٢] الذى خرجت لأكون لك لدادا ، لأنك أخذت في طريق خلافا لأمري ، فلما رأته الاتان حادت عني ثلاث مرات ، ولو أنها لم تحد عني كنت قد قتلتك وأبقيت عليها ، قال بلعام لملاك الرب : أسأت وأجرمت ، لم أعلم أنك قائم بازائي في الطريق^٧ ، فالآن إن كان انطلاقي بما تكرهه^٨ رجعت ، قال ملاك

الرب للبلعام : انطلق مع القوم وإياك أن تفعل شيئا إلا ما أقول لك ! ١٥ فانطلق بلعام ، فسمع بالاق فخرج ليلقاه وقال بالاق : لم^٩ تأتني ؟ قال : قد أتيتك الآن ، لعلك تظن أني أقدر أن أقول شيئا إلا القول الذى

- (١) في ظ : ملك (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في الأصل : رزنت ، وفي ظ : زرنت - كذا (٥) في ظ : قالت (٦-٧) في ظ : أأتاك الذى (٧) في ظ : محسبا (٨) من ظ ، وفي الأصل : طريق (٩) من ظ ، وفي الأصل : تركه . (١٠) من ظ ، وفي الأصل : كيف .

يحميه الله على لسانى به أنطق ، فلما كان الغد عمد بالاق إلى بلعام وأصعده
إلى بيت بعل^١ الصنم ، فرأى من هناك أقاصى منازل شعب^٢ لإسرائيل ،
وقال بلعام لبالاق : ابن لى هاهنا سبعة^٣ مذابح ، وهى لى سبعة^٤ ثيران
وسبعة^٥ كباش ، وفعل بالاق كما قال له بلعام ، ورفع بالاق الكباش
و الثيران على المذبح قربانا ، وقال بلعام لبالاق : قم هاهنا عند قراينك
حتى أنطلق [أنا ، لعل الرب يوحى إلى ما أهواه ، وأنا مظهر لك ما يوحى به ،
فانطلق - ^٦] فظهر الله وألهمه قولاً وقال له : انطلق إلى بالاق وقل^٧
له هذا القول ، فأتاه وهو قائم عند قراينه وجميع قواد^٨ موآب معه ،
ورفع بلعام صوته بأمثاله وقال : - اقنى بالاق^٩ ملك الموآبيين من
أرام التى فى المشرق ، وقال لى : أقبل حتى تلعن يعقوب وتهلك آل
إسرائيل ، فكيف ألعنه ولم يلعنه الله ، وكيف أهلكه والرب لا يريد
هلاكه^{١٠} ، رأيت من رؤس الجبال ، ونظرت إليه من فوق الآكام وإذا
هو شعب وحده ، لا يعد مع الشعوب ، ومن يقدر يحصى^{١١} جميع عدد
يعقوب ، أو من يقدر يحصى^{١٢} عدد ربع بنى إسرائيل ، تموت نفسى موتاً^{١٣}
١٥ ويكون^{١٤} أخرى إلى آخرهم^{١٥} ، قال بالاق للبلعام : دعوتك لتلعن أعدائى

(١) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : بعلا (٢) زيد بعده فى ظ : بنى (٣) فى
الأصل و ظ : سبع (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ ، وفى الأصل :
أفراد (٧) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : بالاك (٨) فى ظ : أهلاكه .
(٩-٩) سقط ما بين الرقین من ظ (١٠) فى التوراة - الأصحاح الثالث
والعشرين : موت الأبرار (١١) فى ظ : تكون (١٢) من ظ ، وفى الأصل :
أخراهم .

فاذا أنت تباركهم و تدعو لهم ، فرد بلعام قائلاً : الذي يلهمني الرب و يجرى
على لساني إياه أحفظ ، و به أنطق : قال له بالاق : مر معي إلى موضع
آخر لترام من هناك ، و إنما أسوقك لترى آخرهم و لا ترام أجمعين ،
و انطلق به^١ إلى حقل^٢ الرية و أقامه على رأس الأكمة ؛ و ابتنى هناك سبعة^٣
مذابج ، و قرب عليها الثيران و الكباش ، و قال بلعام : قف هاهنا عند هـ
قرايينك حتى أنطلق أنا الآن ، فانظر ما الذي يقال ؟ و تجلي الرب على بلعام
و أجرى على فيه قولاً و قال له : انطلق إلى بالاق فأخبره بهذا القول ، فأتاه
و هو قائم عند قرايينه و معه أشراف موآب ، فرفع بلعام صوته بأمثاله و قال :
انهض بالاق و اسمع قولي و أصنع لشهادتي يا ابن صفور ! اعلم أن الله ليس
مثل الرجل يحلف و يكذب ؛ إذا قال الرب قولاً فعله ، و كلامه دائم إلى ١٠
الآبد ، ساقى^٤ لادعو و أبرك ، و لا أرد البركة و لا أخالف ما أمرت به ،
لست أرى في آل يعقوب إنما و لا غدرا عند بني إسرائيل و لا ظلماً ، لأن الله
ربه معه ، الله الذي أخرجهم من مصر بعزة و عظمة قوية ، و لست أرى في آل
يعقوب / طيرة ، و لا حساب مجوم أو عراف بين بني إسرائيل ، كيف
أقول و الشعب قائم مثل الضرعام لا يربض^٥ حتى يفترس^٦ فريسته و يشرب ١٥
دم القتل ، فقال بالاق لبلعام : أطلب أن لا تلغته و لا تدعو له ، فرد بلعام
على بالاق قائلاً : ألسنت قلت لك : إني^٧ إنما أنطق بما يقول لي الرب ، فقال

(١) في ظ : بي (٢) من ظ ، و في الأصل : جبل (٣) من ظ ، و في الأصل :
سبع (٤) من ظ ، و في الأصل : سادى - كذا (هـ) من ظ ، و في الأصل : لا يرتض .
(٦) من ظ ، و في الأصل : يكثرون - كذا (٧) سقط من ظ .

بالاق: انطلق بنا إلى موضع آخر، لعل الله يرضى بغير هذا فثلثه لى هناك،
 فأصعده إلى رأس فقور الذى بازاء إستمون، فأمره بمثل ما تقدم من الذبح
 والقربان، فرأى بلعام أن الرب يجب أن يدعو لبنى إسرائيل، ولم ينطلق
 كما كان ينطلق^١ فى كل وقت ليطلب الوحى، ولكن أقبل بوجهه إلى
 البرية ومد بصره، فرأى بنى إسرائيل نزولا قبائل [قبائل - ^٢] فخل
 عليه روح الله، ورفع صوته بأمثاله وقال: قل^٣ يا بلعام بن بعور^٤، قل
 أيها الرجل الذى أجلى عن بصره، قل أيها الذى سمع قول الله ورأى
 رؤيا الله وهو ملقى وعيناه مفتوحتان، ما أحسن منزلك يا يعقوب
 و منازلك يا إسرائيل! وخيمك كالآودية^٥ الجارية، ومثل الفرداس
 ١٠ التى على شاطئ النهر، ومثل الجى الذى^٦ ركزه الله، ومثل شجر الارز
 على شاطئ النهر يخرج رجل من بينه، [و - ^٧] ذريته أكثر من الماء
 الكثير^٨، ويعظم على الملك، وذلك بقوة الله الذى أخرجهم من أرض
 مصر^٩ بغير توقف رثما^{١٠}، يا كل خيرات الشعوب^{١١} أعدائه ويكسر عظامهم
 ويقطع ظهورهم، رتع وربض كالأسد ومثل شبل الليث^{١٢}، ومن يقدر
 ١٥ أن يبعثه، يبارك مباركوك ويلعن لاعنوك، فاشتد غضب بالاق على
 بلعام وصفق^{١٣} يديه ملتفها^{١٤} وقال: دعوتك للعن أعدائى، فإذا أنت
 تباركهم و تدعولهم ثلاث مرات، انصرف الآن إلى بلادك^{١٥}، قد كنت

(١) فى ظ: ينطق (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من التوراة، وفى
 الأصل و ظ: فقور (٥) فى ظ: بالآودية (٦) فى ظ: التى (٧-٧) سقط ما بين
 الرقيم من ظ (٨) فى ظ: شعوب (٩) فى ظ: الأسد (١٠-١٠) فى ظ: بيده
 ملتفها (١١) من ظ؛ وفى الأصل: بلايك - كذا.

عزمت على إكرامك وإجازتك فاذا الرب قد أحرمك^١ ذلك، فرد بلعام على
 بالاق قائلاً: قد كنت قلت لرسلك الذين أرسلتهم إلى أنه لو وهب لي بالاق
 ملء بيته من ذهب وفضة لم أقدر أتعدى عن قول الرب، ولكن إنما أنطق
 ما يلهمني الرب، فأنا أنطلق^٢ الآن إلى أرضي، فأسمع ما أشير عليك
 وأخبرك ما يصنع هذا الشعب بشعبك آخر الأيام، ثم رفع صوته بأمثاله ه
 وقال: قل يا بلعام بن بعور^٣ قل أيها الرجل المجلي عن بصره^٤ قل
 أيها الذي سمع قول الله وعلم علم العلى ورأى رؤيا الله إذ هو ملق وعيناه
 مفتوحتان^٥ أفانى رأيت^٦ وإذا ليس ظهوره الآن وإن كان متدافعا،
 ونظرت في أمره وإذا [ليس -^٧] بقريب، بشرق نجم من آل يعقوب،
 ويقوم رئيس من بنى إسرائيل، ويهلك جبابرة من موآب^٨ ويبيد^٩ ١٠
 جميع بنى شيث، وتصير أدوم ميراثه، وساعير وراثته أعدائه^{١٠} يصير له،
 ويستفيد^{١١} بنو إسرائيل قوة بقوته - ونحو ذلك من الكلام الذى فيه
 ما يكون سببا لانسلاخه من الآيات، لكن ذكر المفسرون أنه أشار
 عليه باختلاط نساء بلاده ببنى إسرائيل متزينات غير ممتعات بمن^{١٢} أرادهن
 منهم ليزنوا بهن فيحل بهم الرجز، فوقع بهم ذلك، وهو الصواب ١٥
 لأنه ستأتى الإشارة إليه فى التوراة عند فتح مدين بقوله: لما ذا أبقيتم^{١٣}
 على الإناث وهن كن عثرة^{١٤} لبنى إسرائيل عن قول بلعام ومشورته -

(١) فى ظ: حرمك (٢) فى ظ: منطلق (٣) من التوراة، وفى الأصل وظ:
 بعور (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) من ظ، وفى
 الأصل: ستفيد (٧) فى ظ: من (٨) فى ظ: بقيم (٩) فى ظ: عشير.

وسياتى ذلك قريبا ، وما فيه من ذكر الوحي فهو محمول على المنام
أو غير ذلك مما يليق ؛ ثم قال : وقام بلعام ورجع منصرفا إلى بلاده
وبالاق أيضا رجع إلى بيته ، وسكن^١ بنو إسرائيل شاطيم ، وبدأ الشعب
[أن يسفح مع بنات موآب ، ودعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم ،
٥ و أكل الشعب -^٢] من ذبائحهم وسجدوا^٣ لآلهتهم ، وكل بنو إسرائيل
لعباد^٤ بعلين^٥ الصنم ، فاشتد^٦ غضب الله على بنى إسرائيل ، / فقال الرب
لموسى : اعمد إلى جميع بنى إسرائيل فافضحهم ، فقال موسى : يقتل كل
رجل منكم كل من أخطأ وسجد لبعلين ، وإذا رجل من بنى إسرائيل
قد أتى بجمرة أمام إخوته من غير أن يستحي ، فدخل على امرأة مدينة
١٠ وموسى وبنو إسرائيل يكون فى باب قبة الآمد ، فرآه فتحاس^٧ بن
اليعازر بن هارون الحبر فنهض من الجماعة غضبا لله وأخذ يده رحما ودخل
إلى البيت الذى كانا فيه فطعنهما بالرح فقتلهما ، فكف الموت القامى
عن بنى إسرائيل ، وكان عدد الذين ماتوا فى الموت البغته أربعة وعشرين
ألفا ، وكلم الرب موسى وقال له : فتحاس صرف غضبى عن بنى إسرائيل
١٥ و غار غيرة الله بينهم^٨ و طهر بنى إسرائيل . وكان اسم القتيلى الذى
قتل مع المدينية زمرى^٩ بن سلو ، وكان رئيسا [فى قبيلة شمعون ،

- (١) من ظ ، وفى الأصل : ستكون - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : سجد (٤) فى ظ : العبادة (٥) من ظ ، وفى الأصل :
عليون (٦) فى ظ : واشتد (٧) فى ظ : فتحاس (٨) من ظ ، وفى الأصل : عنهم ،
(٩) من ظ و التوراة - الأصحاح الخامس والعشرين ، وفى الأصل : زمراى .

وكانت المرأة المدينية كزبي^١ بنت صور، وكان أبوها -^٢ [من رؤساء أهل مدين . وقال بعض المفسرين^٣ : إنه خرج رافعا الحرب^٤ إلى السماء ، قد اعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته^٥ ، فن هنالك^٦ يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة^٧ والذراع والحي والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لأنه كان بكرًا لعيزار بن هارون . ثم كلم الرب موسى وقال له : ضيق على أهل مدين وأهلكهم كما ضيقوا عليكم ولحسوكم ، ثم قال : ثم كلم الرب موسى وقال له : إني لمتقم من المدينين ما صنعوا^٩ بين بني إسرائيل ، ثم تقتص إلى شعبك ، ثم قال موسى للشعب : يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا للرب من المدينين ، وليكونوا اثني عشر ألفا ، فانتخب^{١٠} موسى من بني إسرائيل ألفا من كل سبط ، اثني عشر ألفا أبطالًا متسلحين وأرسلهم ، وصير قادم فنحاس بن اليعازر الحبر ومعه أوعية القدس وقرون ينفخ بها ، وتقووا على مدين كما أمر الرب موسى وقتلوا كل ذكر فيها وقتلوا ملوك مدين مع القتلى ، وقتل بلعام بن بعور^{١١} معهم في الحرب ، وسمى بنو إسرائيل نساء مدين وانهبوا مواشيهم وسلبوا جميع دوابهم وأموالهم^{١٥} وأخربوا جميع قرى مساكنهم وأتوا بما انتهبوه^{١٢} إلى موسى ، وخرج

(١) من التوراة ، وفي ظ : ركشي - كذا (٢) زيد ما بين الحاجر من ظ .
(٣) راجع تفسير البغوي حول آية الانسلاخ (٤) في ظ : للحرب (٥) في ظ : لحيته .
(٦) من ظ ومعالن التنزيل ، وفي الأصل : هناك (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقي من ظ (٩ - ٩) في ظ : بني (١٠) في ظ : فانتج (١١) من ظ ، وفي الأصل : يفور (١٢) من ظ ، وفي الأصل : انتهبوا .

موسى وجميع عظماء الجماعة قتلهم خارج العسكر، وغضب موسى على رؤساء
الاجبار و رؤساء الألوف و المثين الذين أتوه من الحرب فقال لهم : لما ذا
أبقيتم على الإناث و هن كن عثرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته،
و فتتوا و غدرتوا و تمردوا^١ على الرب فى أمر فغور^٢ - و فى نسخة السبعين :
ه فان هؤلاء كن شينا لبنى إسرائيل لقول بلعام^٣ أن يتباعدوا و يتهاونوا
بكلمة الرب من أجل فغور - فوافقت السخطة جماعة الرب - [و فى
النسخة الأخرى : و تسلط الموت على جماعة الرب -^٤] - بغته ، فاقتلوا
الآن جميع الذكورة من الصبيان ، و كل امرأة أدركت و عقلت و عرفت
الرجال فاقتلوها ، و أبقوا على جميع النساء اللواتى لم يعرفن الرجال ، و أما^٥
١٠ أنتم فانزلوا خارجا عن^٦ العسكر سبعة أيام - إلى آخر ما مضى قريبا
فى الآصار .

و لما انقضت هذه القصص فأسفرت^٧ عن أن أكثر الخلق هالك ،
صرح بذلك فقال مقسما لأنه لا يكاد يصدق أن الإنسان [يكون -^٨]
أضل من البهائم ، عاطفا على ما تقديره : هؤلاء الذين قصصنا عليكم
١٥ أخبارهم ذرأنهم للجهنم : (و لقد) و عزتنا و جلالنا (ذرانا) أى
خلقنا بعظمتنا و أنشأنا و بثنا و نشرنا^٩ (للجهنم كثيرا) أى و ألقناهم
(١) فى ظ : مردوا (٢) من ظ و التوراة - الأصحاح الحادى و الثلاثين ،
و فى الأصل : يفور (٣) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : بلعم - كذا (٤) زيد
ما بين الحازرين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ما (٦) فى ظ : من (٧) من
ظ ، و فى الأصل : فأسرف (٨) فى ظ : انشروا .

إليها ولم يجعل بينهم و بينها حائلا .

ولما كانوا يعظمون الجن و يخافونهم و يضلون بهم ، بدأ بهم فقال :
 (من الجن) أى بنصبهم أنفسهم آلهة باضلالهم / الإنسان في تزوين
 ٣٨٨ / عبادتهم ' غير الله ، فهم في الحقيقة المعبودون لا الحجارة ' ونحوها
 (و الإنسان) أى بعبادتهم لمن لا يصلح ، و علم أن الآية صالحة لأن
 تكون معطوفة على الجملة التي قبلها فهي من فذلك ما تقدم .

ولما كان كأنه قيل : ما لهم رضوا لأنفسهم بطريق جهنم ؟ قيل :
 (لهم) ولما كان السياق للتفكر ، بدأ بالقلوب فقال : (قلوب لا يفقهون بها)
 أى الفقه الذى كلفوا به ، و هو النظر في أدلة التوحيد و ثبوت النبوة
 و ما تفرع عن ذلك ، و هو الفقه المسعد ، عد غيره عدما لأنه لم ينفعهم
 ١٠ النفع المقصود في الحقيقة ، و ما أحسن التعبير بالفقه في سياق إقامه الأدلة
 التي منها إرسال الرسل و إنزال الكتب .

ولما كان البصر أعم من السمع ، لأنه ينتفع به الصغير الذى لا يفهم
 القول ، و كذا [كل - °] من في حكمه ، قدمه فقال : (ولهم اعين)
 ولما لم يترتب عليها الإبصار النافع في الآخرة الباقية ، نفى إبصارهم و إن
 ١٥ كانوا أحد الناس إبصارا فقال : (لا يبصرون بها) أى الآيات المرئية
 إبصار تفكر و اعتبار (ولهم اذان) ولما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم ،
 نفاه على نحو ما مضى فقال : (لا يسمعون بها) أى الآيات المسموعة و ما

(١) في ظ : عباده (٢) من ظ ، و في الأصل : حجارة (٣) في ظ : من (٤) من
 ظ ، و في الأصل : اهم (٥) زيد من ظ .

يدل عليها سماع اذكار وافتكار . ولما سلبت عنهم^١ هذه المعاني كانت النتيجة: ﴿اولئك﴾ أى البعداء من المعاني الإنسانية ﴿كالانعام﴾ أى فى عدم الفقه ؛ ولما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع والبصر قال: ﴿بل هم اضل^٢﴾ لأنهم إما معاند وإما جاهل بما يضره وينفعه ،
 ٥ . والانعام تهرب إذا سمعت صوتا منكرا فرأت بعينها أنه يترتب عليه^٣ ضررها ، وتنتظر ما ينفعها من الماء والمرعى فتتصدده ، والانعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه . وهؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه [قزلوا عن رتبها درجة كما أن من طلب السكال وسعى له سعيه مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد -]^٤ .

١٠ . ولما تشاركوا^٥ الانعام بهذه فى الغفلة وزادوا عليها ، أتج ذلك قطعا على طريق الحصر : ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿الغفلون^٥﴾ لا الانعام ، فانها - وإن كانت غافلة عما يراد بها - غير خالدة فى العذاب ، فلم تشاركهم فى العمى والصمم عما ينفعها ولا فى الغفلة عن الخسارة الدائمة ، فقد أشارت الآية إلى تفضيل الإنسان على الملك كما
 ١٥ اقتضته سورة الزيتون ، لأنه جعل فى خلقه وسطا بين الملك الذى هو عقل صرف والحيوان الذى هو شهوة مجردة ، فان غلب عقله كان أعلى بما عالجته من جهاد الشهوات فكان فى "احسن تقويم" ، وإن غلبت شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله فكان "أسفل سافلين" .

(١) من ظ ، وفى الأصل : تسالبت (٢) فى ظ : عليهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : على (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : شاركوا (٦-٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .

ولما

ولما أنتج هذا أن لهم الأسماء السوأى و لعبوداتهم أسوأ منها،
عطف عليه^١ - دفعا لومهم من يتوهم بالحكم بالضلال و الذرء لجهنم ما لا يليق،
و تنبيهها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله^٢ و دعائه - قوله:
﴿ والله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده ﴿ الأسماء ﴾
[ولما كان الاسم إذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة ، أنث في ه
قوله - ^٢] : ﴿ الحسنى ﴾ أى كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التى
كل واحدة منها أحسن شئ و أجله و تنزهه عن شوائب النقص و سمات
الحدث ، فكل أفعاله حكمة ، [و - ^٢] إنما كان مختصا بذلك لأن الأشياء
غيره^٣ ممكنة لتغيرها ، و كل^٤ ممكن محتاج ، و أدنى ما يحتاج^٥ إلى مرجح
يرجح وجوده ، و بذلك نعلم وجود المرجح و نعلم أن ترجيحه على سبيل ١٠
الصحة / و الاختيار لا الوجوب ، و إلا لدام العالم بدوامه ، و بذلك ثبتت
قدرته ، و تكون أفعاله محكمة ، ثبت عليه فثبت حياته و سمعه و بصره و كلامه
و إرادته و وحدانيته ، و إلا لوقع التنازع فوق الخلل^٦ ، فالعلم بصفاته العلى
ليس فى درجة واحدة بل مترتبا ، و علم بهذا أن الكمال له لذاته ، و أما غيره
فكماله به و هو بذاته غرق فى بحر الفناء واقع فى حضيض النقصان ١٥
﴿ فادعوه ﴾ أى فصفوه و سموه و اسألوه ﴿ بهاص ﴾ لتنجوا من جهنم
و تناولوا كل ما تحمد عاقبته ، فان القلب إذا غفل عن ذكر الله أقبل على
الدنيا و شهواتها فوقع فى نار الحرص و زمهرير الحرمان ، و لا يزال

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ :
واحد (٥) من ظ ، و فى الأصل : غير (٦) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٧) فى
الأصل و ظ : تحتاج (٨) فى ظ : بالخلل .

نظم الدرر (سورة الأعراف ٧: ١٨٠ و ١٨١) ج - ٨

في^١ رغبة إلى رغبة حتى لا يبقى له مخلص، وإذا^٢ أقبل على^٣ الذكر تخلص عن
 نيران الآفات واستشعر بمعرفة الله حتى تخلص^٤ من^٥ رق الشهوات فيصير حرا
 فيسعد بجميع المرادات، وكثرة الأسماء لا تقدح في التوحيد، [بل -^٦
 تدل على عظم المسمى (وذروا) أي اتركوا على حالة ذريسة
 (الذين يلحدون) أي يميلون عما حد لهم [بزيادة فيشبهوا أو نقص
 فيعطلوا -^٧] (في أسمائه^٨) أي فيطلقونها على غيره بأن يسموه إلهها،
 فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصاف الإله. فقد ألدوا في البعض بالفعل
 وفي الباقي باللزوم، أو بأن يسموه بما لم يأذن فيه،^٩ وما لم يأذن فيه^{١٠} تارة
 يكون مأذونا فيه في الجملة كالضار فلا يجوز ذكره إلا مع النافع، وتارة
 لا، مثل إطلاق الأب عليه والجسم، وكذا كل ما أُرهم نقصا، فلم يكن
 أحسن، ولورود^{١١} إطلاق بعض^{١٢} اشتقاقته عليه^{١٣} مثل علم لا يجوز^{١٤} أن
 يقال لأجله: معلم، وكذا لحبهم^{١٥} لا يجوز لأجله أن يقال: يا خالق
 الديدان والقردة مثلا، وكذا لا يجوز^{١٦} أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر
 معناه ولو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو: يا أبيض
 الوجه! يا أبا المكارم! فإن ذلك كله إلحاد، وهذا الفعل يستعمل مجردا
 ومزيدا فيقال: لحد في كذا وألحد فيه - بمعنى واحد، وهو العدول عن
 (١) من ظ، وفي الأصل: من (٢) من ظ، وفي الأصل: فإذا (٣) من ظ،
 وفي الأصل: إلى (٤) من ظ، وفي الأصل: يخلص (٥) سقط من ظ (٦) زيد
 من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) في ظ: لوورد (٩ - ٩) من
 ظ، وفي الأصل: استقامة على (١٠) كذا في الأصلين.

الحق و الإدخال فيه ما ليس منه^١ - نقله أبو حيان عن ابن السكيت؛ وقال الإمام أبو القاسم علي بن جعفر ابن القطاع في كتاب الأفعال: لحد الميت لحداً و أخلده: شق له جانب القبر، و إلى الشيء^٢ عنه و في الدين: مال، و قرئ بهما كذلك.

و لما كان كأنه قيل: فما يفعل بمن أخلد؟ وكان المرهب إيقاع^٥ الجزاء، لا كونه من معين، قال بانيا للفعول: ﴿ سيجزون ﴾ أى في الدنيا و الآخرة بوعده لا خلف فيه ﴿ ما كانوا ﴾ أى^٢ بجبلاتهم ﴿ يعملون * ﴾ أى فيفعل بهم من أنواع الإهانة و العقوبة ما يوجب وصفهم بأقبح الأوصاف ضد ما كانوا يسمعون في الدنيا ممن يدانيهم^٣.

و لما أخبر تعالى عن ذرهم جهنم من القبيلتين^{١٠}، تشوف السامع إلى معرفة حال الباقيين منهما، فقال مصرحاً بالخبر عنهم عاطفاً على "ولقد ذرانا" مشيراً بمن التبعية إلى قتلهم تصديقا لقوله "و ان وجدنا اكثرهم لفسقين": ﴿ ومن خلقنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ امة ﴾ أى جماعة عرفت من هو أهل^٦ لأن يؤم و يهتدى به فقصدته فاقبست من أنواره فصارت هي أهلا لأن تنصده^٧ و يؤتم بها.

١٥

[و لما -^٨] أفهم لفظ الأمة هذا، صرح به في قوله: ﴿ يهدون بالحق ﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع ﴿ و به ﴾ أى الحق خاصة ﴿ يعدلون ٩ ﴾

(١) من البحر المحيط ٤/ ١٩٤، و في الأصل و ظ: فيه (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: يرايهم (٤) من ظ، و في الأصل: القبيلين (٥) في ظ: عطا (٦) زيد بعده في ظ: بها (٧) من ظ، و في الأصل: يقصد (٨) زيد من ظ.

أى يجعلون الأمور متعادلة، لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص،
لأننا وقفناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التي ألزمتها أولئك،
قال أكثر المفسرين: هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ورواه بعضهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم، وأبهم الأمر بعد تعيين قوم موسى عليه السلام
٥ تعظيما لهم .

ولما بين حال الهادين المهديين، وكان أصل السياق للضالين
الضالين، أتبعه بقية الحديث عنهم على وجه ملوح بأن علة الهداية
التوفيق، فقال عاطفا على ما تقديره: فنحن نعلي أمرهم ونطيب ذكركم:
/ (والذين كذبوا) أى نسبوا الرسل إلى الكذب بسبب إتيانهم

١٠ (بإيتنا) على ما يشاهد من عظمتها (سنستدرجهم) أى نستنزلهم

ونستدنيهم بوعده لا خلف فيه إلى ما نريد بهم من الشر العظيم درجة
درجة بسبب أنهم كلما أحدثوا جريمة أسبقنا عليهم نعمة، وإذا عملوا طاعة
قصرنا عنهم في الإنعام، أو ضربناهم بسوط الانتقام، فيظنون أن المعاصي
سبب النعم فينسلخون من الدين، ولذلك قال: (من حيث لا يعلمون)

١٥ أى فيرتكبون ما يتعجب من مداناته فضلا عن مباشرته
ومعاناته من له أدنى بصيرة حتى يكمل ما نريد منهم من المعاصي،
وهو من أدلة "سأصرف عن إيتي" [وأتى - ١] في الاستدراج
بأداة العظمة وفي الإملاء بضمير الواحد فقال: (وأملى لهم) أى أمهلهم

(١) في ظ: المهتين (٢-٢) في الأصل: يريد بهم، وفي ظ: تريدهم (٣) في ظ:
عليهم (٤) من ظ، وفي الأصل: فيرتكبوا (٥) من ظ، وفي الأصل: يريد.
(٦) زيد من ظ.

بوعد جازم زمانا طويلا و آمد لهم و هم يعصون حتى يظنوا^١ أن الله
يحجبهم حتى يزيدوا في ذلك لأنهم لا يفعلون شيئا إلا بمرادى و لا يفوتون^٢،
و لم يأت بها على نهج واحد، لأن الاستدراج يكون بواسطة
و غيرها، فكأنه قال: سأستدرجهم بنفسى من غير واسطة تارة و بمن
أتيح لهم النعم على يده من عيسى و جنودى أخرى، و أما الإملاء ه
- "هو" تطويل الأجل - فلا يتصور أن يكون إلا من الله تعالى .

و لما كان هذا موجبا لهم - و لا بد - الإصرار على المعاصى حتى يصلوا
إلى ما حكم عليهم به من النار، قال مستأنفا: (ان كيدى) أى فعلى الذى
ظاهرة رفعة و باطنه [ضيعة -^٤]، ظاهره إحسان و باطنه خذلان (متين ه)
أى شديد قوى لا يمكن أحدا قطعه، قال الإمام بعد تأويل للمعزلة^{١٠}
حملهم عليه إيجابهم رعاية الاصلح: و أنا شديد التعجب من المعزلة،
يرون القرآن كالبحر الذى لا ساحل له^٦ علموا من هذه الآيات،
و الدلائل العقلية القاهرة مطابقة لها، ثم يكتفون في تأويلها - أى عن
أنه تعالى يريد الشر - بهذه الوجوه الضعيفة إلا أن على بما أراد الله
كأن، مزيل هذا التعجب .

١٥

و لما كان السياق من أول السورة لإندارهم، و كان لا بد في صحة
الإندار^٧ من تصحيح الرسالة، و ختم بأمر الاستدراج، و كانوا قد راقعوا
من المعاصى ما لا يجترئ عليه إلا مطفوس البصيرة، و كان عندهم أن

(١) من ظ، و فى الأصل: يظنون (٢) فى ظ: لا يفوتى (٣-٤) من ظ، و فى
الأصل: نفو (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: المعزلة (٦) سقط من ظ (٧) من
ظ، و فى الأصل: الابدان - كذا .

من قال : إنهم على حال سيء ، - مع ما هم فيه من النعم الظاهرة -
 مجنون ، وكان التقدير دلالة على صحة الاستدراج : ألم يروا أنهم يقدمون
 على ما لا يرضاه لنفسه عاقل من عبادتهم للحجر و شماختهم عن^١ أكل
 البشر و وصفه بالجنون و وصفهم أفضل الكلام بالسحر^٢ و الكذب إلى
 ٥ غير ذلك مما يغضب من ليس^٣ النفع و الضر^٤ إلا ييده ، و هو مع ذلك يراى
 عليهم النعم ، و يدفع عنهم النقم ، هل^٥ ذلك إلا استدراج ؛ قال منكرا عليهم
 عطفًا على ما أرشد السياق و العطف على غير معطوف عليه إلى تقديره :
 ﴿ أو لم تفكروا سكتة ﴾ أى يعملوا أفكارهم و يمنعوا^٦ فى ترتيب المقدمات
 ليعلموا أنه لا يتوجه لهم طعن يورث شبهة بوجه من الوجوه ، و بين المراد
 ١٠ من هذا التفكير^٧ عينه بقوله : ﴿ ما بصاحبهم ﴾ أى الذى طالت خبرتهم
 لأنه أمتهم عقلا و أفضلهم شمائل . ولم يقل : ما برسولى ونحوه ، لئلا
 يقول متعنتهم ما لا يخفى ، و أغرق فى النفي فقال : ﴿ من جنة^٨ ﴾ أى
 حالة من حالات الجنون .

ولما نفي أن يكون به^٩ شيء مما نسبوه إليه و افتروه عليه فثبتت
 ١٥ رسالته ، حصر أمره فى النذارة لأنها النافعة [لهم -^{١٠}] مع أن المقام لها فى
 هذه السورة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو الا نذير ﴾ أى بالغ فى نذارته^{١١}
 ﴿ مبين^{١٢} ﴾ أى موضح للطريق إيضاحا لا يصل إليه غيره ، و من أدلة
 ذلك عجز الخلق عن معارضة شيء مما^{١٣} يأتى به من أنه أحسن الناس
 (١) من ظ . و فى الأصل : على (٢) فى ظ : بسحر (٣-٣) فى ظ : الضر والنفع .
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى الأصل و ظ : يمنعوا (٦) سقط من ظ .
 (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : نذارته .

تَحْلَقًا وَأَعْلَامٌ خُلِقُوا وَأَفْضَلُهُمْ عَشْرَةٌ وَأَرْضَاهُمْ طَرِيقَةٌ وَأَعْدَلُهُمْ سِيرَةٌ
وَأَظْهَرُهُمْ سَرِيرَةٌ وَأَشْرَفُهُمْ عَمَلًا وَأَحْكَمُهُمْ عِلْمًا وَأَرْضَنُهُمْ رَأْيًا وَأَعْظَمُهُمْ
عَقْلًا وَأَشَدَّهُمْ أَمَانَةً وَأَظْهَرُهُمْ نَبْلًا^٢.

ولما كان النظر / في أمر النبوة مفرعا على تقرير أدلة التوحيد ، ٣٩١ /
وكان المقصود من الإنذار الرجوع عن الإلحاد ، قال منكرا عليهم عدم ه
النظر في دلائل التوحيد الراد عن^٣ كل حال^٤ سي^٥ : ﴿ اولم ﴾ ولما
كان الأمر واضحا قال : ﴿ ينظروا ﴾ أى نظر تأمل واعتبار ، ودل على
أنه بالبصيرة لا البصر بالصلة ، فقال إشارة إلى أن كل ذرة فيها دلائل
جته^٦ ﴿ في ملكوت ﴾ وعظم الأمر بقوله : ﴿ السموات والارض ﴾
أى ملكهما البالغ من حد العظمة أمرا^٦ باهرا بظاهره الذى يعرفونه ١٠
وباطنه الذى يلوح لهم ولا يدركونه .

ولما كانت أدلة التوحيد تفوت الحصر ، ففى كل ذرة برهان قاهر^٧
ودليل ساطع باهر ، قال : ﴿ وما ﴾ أى [و - أ] فيما ﴿ خلق الله ﴾
أى على ما له من الجلال والجمال ﴿ من شيء لا ﴾ أى غيرهما ، ليعلموا
أنه لا يقدر على شيء من ذلك فضلا عن ذلك غيره^٨ ، و يتحققوا أن ١٥
كتابه سبحانه^٩ مبين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه^٩ وكلامه ،
فلا يلحدوا فى أسمائه فلا يسموا بشيء منها غيره لما ظهر لهم من تمام
(١) فى ظ : اكلهم (٢) فى ظ : مثلا (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مثال (هـ) فى
ظ : جمعة (٦) من ظ ، وفى الأصل : امر (٧) فى ظ : ظاهر (٨) زيد من ظ .
(٩-١) سقط ما بين الرقین من ظ .

قدرته و تمام عجز غيره عن كل شيء و من شمول عليه و تناهى جهل
غيره بكل شيء إلى غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون أنه سبحانه
عظيم ، و بقهرة لكل شيء^١ أنه قهار شديد ، و بعجز كل شيء عن كل
شيء من أمره [أنه -^٢] عزيز ، و بأسباغه النعمة^٣ أنه رحيم كريم إلى
غير ذلك من أسمائه الحسنی و صفاته العلی التي تنطق الأشياء بها بألسنة
الاحوال و تحدث بها صدور الكائنات و إن لم يكن لها مقال ، و يشرحها
كلام التدبير بما له من الكمال ﴿ و ان عسى ﴾ أى و ينظروا فى الإشفاق
و الخوف من أنه ممكن^٤ و خلیق و جدير ﴿ ان يكون قد اقتررب ﴾ أى
[دنا دنوا عظیما ﴿ اجلهم ﴾ أى -^٥] الذى لاشك عندهم فى كونه
١٠ بموتة من موتات هذه الامم التي أسلفنا أخبارها كنفس واحدة
أو بالتدریج فیادروا بالإیمان به خشية انخرام الأجل للنجاة من أعظم
الوجل ، فان كل عاقل إذا جوز خطرا ينبغى له أن ينظر فى عاقبته
و یجتهد فى الخلاص منه .

ولما كان قد تقدم فى أول السورة النهی عن التخرج من الإنذار
١٥ بهذا الكتاب ، و بان بهذه الآيات أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بالإنذار
به حق الاتصاف ، و بان أن القرآن مباین لجميع المخلوقات ، فثبت أنه
كلام الله ؛ تسبب عن ذلك الإنكار على من يتوقف عن الإیمان به ،
(١) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخصفناها (٢) زيد من
ظ (٣) فى ظ : النعم (٤) فى الأصل : يمكن ، و فى ظ : يمكن (٥) من ظ ، و فى
الأصل « و » .

و التخويف من إحلال أجله قبل ذلك فبقع فيما لا يمكنه تداركه ، و ذلك في أسلوب دال على أن الإيمان بعد هذا البيان بما لا يسوغ التوقف فيه إلا لانتظار كلام آخر فقال : ﴿ فبأي حديث ﴾ أى كلام يتجدد له في كل واقعة يان المخلص منها ﴿ بعده ﴾ أى بعد هذه الرتبة العظيمة ﴿ يؤمنون ٥ ﴾ فقد دلت هذه الآية على أن للإيمان طريقين : أحدهما ٥ سمعى ، و الآخر عقلى ، قال الحرالى في كتاب له في أصول الفقه : الحكم إنما يتلقى من خطاب الله البالغ على السنة رسله ، و قد اتضح و اشتهر أن السمع من طرق تفهم^٢ خطاب الله الذى تبلغه الرسل ، و كذلك أيضا^١ قد تحقق لقوم^٣ من أولى الألباب أن الرؤية و سائر الحواس طريق من طرق تفهم خطاب الله أيضا ، يعنى منه اللب العقلى معنى الإرسال في ١٠ كتابه المخلوق^٤ كما يعنى العقل معنى الإرسال من مفهوم كلامه المنطوق^٥ ، و قوم ممن فهم من مرئى كتاب الله المشهود إرسالا و لقن أحكاما يسمون الحنيفيين / كقس بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل ، و قد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن^٦ كل واحد منهم يبعث أمة واحدة ، لاهتدائه من نفسه من غير رسالة هاد خارج عنه ، بل من رسول موجدته ١٥ و إحساسه للعالم ، و لانه إنما أخذ بكلية حكم الإيمان و وجوب المناصفة مع الخلق من شهود خلق الله ، و صار مع ذلك يتقرب تأكيد ما يحصل له عقلا من مسموع خطاب الله ، و على نحو هذه الحال - و آتم هى - حال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يفهم (٣) فى ظ : القوم (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فخذناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : المنطق . (٦) فى ظ : ان .

الأنبياء و الصديقين قبل مورد الوحي على النبي وقبل سماع صديقه واردة
 وحيه، وهؤلاء [هم - ١] الذين لا يتوقفون عن الإيمان بالنبي عند
 ابتداء دعوته، و^٢ كما أن النبي لا يلزم ويحكم بل يبلغ عن^٣ الله فكذلك
 نظر العقل لا يلزم ولا يحكم بل يبلغ عن الله، فيكون الحكم الذي هو تصرف
 الحق في^٤ أفعال الخلق بهذا على ضربين: شرعى أى مأخوذ من الإرسال
 الشرعى، وعقلى أى مأخوذ من الإرسال العقلى، وحاصل ذلك أن
 العالم المشهود مبين عن أمر الله، وكل مبين مبلغ، فالعالم مبلغ أى بما
 يفهمه الفاهم من كلامه عن الله، فإن النحاة قالوا - كما ذكره ابن عصفور
 فى شرح الإيضاح لأبى على وكذا غيره: إن الكلام فى الاصطلاح
 لا يقع إلا على اللفظ المركب وجوداً أو تقديراً المفيد بالوضع، قال:
 واحترزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة وليس بلفظ كالخط والإشارة
 وما فى النفس وما يفهم من حال الشيء، وقال الحرالى: نحو حال الخجل
 والغضب، وبالفعل نحو الإشارة باليد والعقد بالإنامل وبآثار الفعل
 كاصنائع والأعمال، وباللفظ الذى يلفظ به القلب إلى ظاهر اللسان،
 ١٥ وبآثار رقوم يحاذى بها حذو مفهوم اللفظ وهو الخط - انتهى.

ولما كان ذلك كله من أعجب العجب، كانت فذلكته قطعاً تعليلاً
 لما قبله من إعراضهم عما لا ينبغي الإعراض عنه دليلاً على أن الأمر ليس
 إلا بيد منزله سبحانه قوله: ﴿من يضل الله﴾ أى الذى له جميع العظمة
 ﴿فلا هادى﴾ أصلاً، ﴿له^٥﴾ بوجه من الوجوه؛ ولما دل بالإفراد^٦

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: على (٤) تأخر فى
 ظ عن «له» (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

اعلى أن كل فرد في قبضته، و كان التقدير: بل يستمر على ضلاله، عطف عليه بضمير الجمع دلالة على أن جمعهم لا يغنى من الله شيئا فقال: (و يذرهم) أى يتركهم^٢ على حالة قبيحة، و عبر بالظرف إشارة إلى إحاطة حكمه بهم فقال: (في طغيانهم) أى تجاوزهم للحدود حال كونهم (يعمهون^٥) أى يتحيرون و يترددون في الضلال لا يعرفون طريقا^٥ و لا يفهمون حجة .

و لما بين التوحيد و النبوة و القضاء و القدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب [الأربعة -^٢] التى هى أمهات مطالب القرآن، مينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تلبدهم^١ فى العمى و تلبدهم فى أشراك الشبه بقوله: (يسئلونك) أى مكررين لذلك (عن الساعة) أى عن وقتها سؤال استهزاء (إيان مرسلها^١) ١٠ أى أى وقت ثبات ثقلها و استقراره^٥، والمرسى يكون مصدرا و زمانا و مكانا، من رحمت السيفينة - إذا ثبتت بالحديد المتشعبة، و إنما كان هذا بيانا لعمههم فانهم^٣ وقوا بذلك^٤ فى الضلال من وجهين: السؤال عما غيره لهم أم، و جعله على طريق الاستهزاء مع ما قام عليه من الأدلة، و سيكرره فى هذه السورة، و كان اللاتق بهم أن يجعلوا بدل السؤال عنها^{١٥} اتقاءها بالأعمال الصالحة .

و لما كان السؤال عن الساعة عاما ثم خاصا بالسؤال عن وقتها^١، جاء الجواب عموما عنها بقوله: (قل إنما عليها) أى علم وقت إرسالها و غيره

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ : ينزلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : تلبدهم (٥) فى ظ : استقلاله (٦) فى ظ : لانهم (٧) فى ظ : به .

﴿عند ربّي﴾ أي المحسن إلى باقامتها لينعم على من / تبعي و ينتقم من تركني ، لم يطلع على ذلك أحدا من خلقه ، ولا يقيمها إلا في أحسن الأوقات وأنفعها لي ، وإخفاؤها أنفع للخلق لأنه أعظم لشأنها وأهيب ، فيكون أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية وأقرب إلى التوبة ، ثم خصصت من حيث الوقت بقوله مشيرا إلى أن لها أشرطا^١ تقدمها : ﴿لا يجلبها﴾ أي بينها غاية البيان ﴿لوقتها الا هو ط﴾ .

ولما كان قد أشار إلى ثقل الساعة بالإرساء ، وكان الشيء إذا جهل من بعض الوجوه أشكل وإذا أشكل ثقل ، قال : ﴿ثقلت﴾ أي الساعة فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد فأهمهم كلهم [على - ^٢] شأنها ، ولذلك عبر بالظرف فقال : ﴿في السموات والارض﴾ أي نسبة أهلها إلى خفائها والخوف منها على حد سواء لأن مالكتها قادر على ما يشاء ، وله أن يفعل [ما يشاء - ^٣] ؛ ثم قرر خفاءها على الكل فقال : ﴿لا تاتيكم﴾ أي في حالة من الحالات ﴿الا بغتة﴾ أي على حين غفلة .

ولما كانوا قد ألحفوا في سؤاله صلى الله عليه وسلم عنها ، وكانت صفة الربوبية المذكورة في الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعا في تعرفها^٤ من المحسن إليه ، قطع الأطماع بقوله مؤكدا^٥ للنعني : ﴿يسئلونك﴾ أي عن الساعة مطلقا في وقت وقوعها وما يحصل من أمورها ويحدث من^٦ شذائدها ، أي و يلحفون في^٧ سؤالك كلما أخبرتهم أنه لا يعلمها^٨ إلا الله^٩ .

(١) من ظ ، وفي الأصل : من (٢) من ظ ، وفي الأصل : اشرط (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : الحوا (٥) في ظ : تعريفها (٦) من ظ ، وفي الأصل : موكد . (٧) في ظ : في (٨) من ظ ، وفي الأصل : من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

(كانك حقي) أى عالم بأمرها مستفص مبالغ في السؤال (عنها^١ قل) أى قطعاً لسؤالهم (إنما عليها عند الله) أى الذى [له - ^١] جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطيع علم شئ مما عنده إلا بأذنه، ولم يأذن في علمها لأحد من الخلق (ولكن أكثر الناس) أى الذين غلبت عليهم صفة الاضطراب (لا يعلمون) أى ليسوا من أهل العلم فهم بالسؤال عنها يستهزئون، ولو كانوا من أهله ما كذبوك، فواقعوا ما لا يغنيهم من السؤال عنها وغيره من أنواع التعت، وتركوا ما ينجيهم ويغنيهم من المبادرة إلى الإيمان بهذا القرآن خوف انحرام الآجال وهم يهيمون في أودية الضلال . ولما كان علم الغيب ملزوماً لجلب الخير ودفع الضرر، وكانت الساعة أدق علم الغيب، أمره بنفى هذا اللازم فيتقن الأعم فيتقن ١٠ بانتقائه الأخص، وقدم النفع لأنه أهم إلى النفس، وليس في السياق ما يوجب تأخيرها بخلاف ما في سورة يونس عليه السلام^٢، فقال آمراً باظهار ذل العبودية: (قل لا أملك) أى في وقت من الاوقات أصلاً (لنفسى نقماً) أى شيئاً من جلب النفع قليلاً ولا كثيراً (ولا ضراً) كذلك، فإن قدرنى قاصرة وعلى قليل، وكل من كان عبداً كان كذلك . ١٥ ولما كان من المعلوم بل المشاهد أن كل حيوان يضر وينفع، أعلم أن ذلك إنما هو بالله فقال: (إلا ما شاء الله^٣) أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد سواه أن يقدرنى عليه .

(١) زيد من ظ (٢) فظ : الذى (٣) راجع آية ٤٩ (٤) من ظ، وفي الأصل : يقدر .

ولما بين لهم بهذا أن سؤالهم عن الساعة وغيرها^١ من المغيبات
 جهل منهم، لأن حاله واضح^٢ في أنه لا يعلم من ذلك إلا ما عليه الله
 الذي اختص بعلم الغيب، دل عليه بقوله: ﴿ولو كنت﴾ أي من ذاتي
 ﴿اعلم الغيب﴾ أي جنسه ﴿لاستكثرت﴾ أي أوجدت لنفسي كثيرا
 ﴿من الخير﴾ باستجلاب المنافع بنصب أسبابها.

ولما كان الضر لا يحتمل منه شيء قال: ﴿وما مني السوء﴾ أي
 هذا الجنس باقاة الموانع / له عني لأن^٣ من لازم^٤ إحاطة العلم بشمول
 القدرة كما سيقدر إن شاء الله تعالى في سورة طه، ولما بين أن علم الغيب
 رتبة الإله، ختم الآية ببيان رتبته، فقال قائل ما ادعوه فيه من الجنون
 ١٠ لما بان بقوله: ^٥ يا بني^٦ عبد مناف! اتقوا الله، يا بني فلان يا بني فلان،
 [وكذا ما لازم عن إلزامهم له بعلم الساعة من أنه يكون إلها - ٦]:
 ﴿إن انا إلا﴾ ولما كانت السورة للانداز، قدمه فقال: ﴿نذير﴾ أي
 مطلقا للكافر ليرجع عن كفره، والمؤمن ليثبت^٧ على إيمانه
 ﴿وبشير لقوم يؤمنون﴾ أي خاصة، أو الصفتان لهم خاصة بالنظر
 ١٥ إلى النفع، وأما ما لا نفع فيه فعدم.

ولما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها^٨ أول السورة^٩ بما لم يذكره

(١) من ظ، وفي الأصل: غيره (٢) من ظ، وفي الأصل: واضح (٣-٣) في
 ظ: الملازم (٤) في ظ: يقول (ه-ه) في الأصل: ما يعني، وفي ظ: يا - كذا:
 (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: فيثبت (٨) العبارة من هنا إلى
 «يذكره هناك» سائطة من ظ (٩) في الأصل: سورة.

هناك من تهكمهم واستهزائهم ، و ختم هنا بجصر العلم و القدرة في الله
الموجب لتفردة بالإلهية ، وكان الذى جرم إلى ذلك الاستهزاء إشراكهم ؛
ذكر ما ذكر قبلها 'أول السورة من ابتداء الخلق على وجه الحصر المستلزم
لتمام القدرة الموجب لنفى الشريك' و اعتقاد القدرة على الساعة و غيرها
و الصدق فى كل ما وقع الإخبار به من أمرها و غيره الموجب للاستقامة ه
فى قبول بشارته و نذارته و الإقبال بالكلية على الخالق ، فقال مقمرا
للتوحيد 'مؤكدًا لأمره': (هو) أى وحده (الذى خلقكم) أى
و لم تكونوا شيئًا (من نفس واحدة) أى خلقها ابتداء من تراب و هى
آدم عليه السلام - كما مر بيانه ، و من قدر على اختراع حى من شىء
ليس له أصل فى الحياة^٢، كان على إعادته حيا من ذلك الشىء بعد أن ١٠
صار له أصل فى الحياة^٣ أقدر .

و لما كان آدم عليه السلام بعد صيرورته لحما و دما أقرب إلى السبية
لخلق ذات لحم و دم منه ، قال [معبرا بالواو لأنه كاف فى نفي الشرك الذى
السياق للتحذير منه بخلاف الزمر^٢ فإنه للقهر ، و تأخير المسيات عن
الأسباب مدة أدل عليه لأنه خلاف الأصل - ٤] : (و جعل) لأن ١٥
الجميل - كما قال الحارثى - إظهار أمر عن سبب و تصوير (منها) أى
لأمن غيرها (زوجها) أى حواء من لحمها و دمها و عظمها .

و لما كان المراد بالنفس آدم عليه السلام و كان الزوج يقال على الذكر

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) راجع
آية ٦ (٤) زيد من ظ .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١٨٩ و ١٩٠) ج - ٨

و الآتى، استخدم ضميره فى المذكر ذاكر اعله الجعل بقوله: ﴿ليسكن﴾
 أى آدم لأنه هو المراد بالنفس هنا؛ ولما كان الزوج هنا هو المرأة،
 أنك الضمير فقال: ﴿إيهاج﴾ [وتنقلكم من ذلك السكون منه إليها - ١] لأن
 النفس إلى الجنس أميل و عليه أقبل، ولا سيما إن كان بعضا، ألا ترى إلى
 ٥ حجة الوالد لولده و القريب لقريبه، وإنما منع سبحانه من نكاح الأصل
 و الفرع لما فى ذلك من الضرر و غيره من الحكم الكبار، فيغشاها عند
 ما يسكن إليها فيحصل الحمل و الولادة فتفرع النفوس من تلك النفس .
 و لما كان [السكون هنا كناية عن الجماع، أعاده بلفظ أقرب منه - ١]
 فقال مؤذنا بقرب غشيانها بعد جعلها، [أو - ١] ناسقا له على [ما - ١]
 ١٠ تقديره: فسكن إليها فالت نفسه إليها فلم يتمالك أن غشيا: ﴿فلما تغشها﴾ أى
 غشها آدم عليه السلام المعبر عنه بالنفس بهمة عظيمة ﴿حملت حملا خفيفا﴾
 أى لأنه نطفة ﴿فمرت به ج﴾ أى فعالجت [به - ١] أعمالها و قامت
 و قعدت، لم يعقها عن شىء من ذلك، إعلاما بأن أمرها فيه كان على عادة
 النساء التى نعرفها* ﴿فلما انقلبت﴾ أى صارت ثقيلة بكبره و تحركه فى
 ١٥ بطنها ﴿دعوا الله﴾ أى آدم و حواء عليهما السلام .

ولما ذكر الاسم الأعظم استحضارا لأن المدعو هو الذى له جميع
 الكمال، فهو قادر على ما دعوا به لأنه قادر على كل ما يريد؛ ذكره صفة
 الإحسان رجاء القبول و الامتثال فقال: ﴿ربهما﴾ أى الذى أحسن إليهما،

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يعرفها (٣) فى
 ظ: أهوى (٤) من ظ، و فى الأصل: ذكره .

مقسمين ﴿لئن اتينا صالحا﴾ أى ولدا لا عيب فيه ﴿لنكونن من الشكرين ه﴾
 أى نحن و أولادنا على نعمتك علينا ، وذلك أنها جوزا أن يكون غير
 سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد ، لأنه الفاعل المختار لا الطبيعة ولا
 غيرها ، وأشار بالفاء إلى قرب الولادة من الدعاء فقال : ﴿ فلما اتنهما ﴾
 / أى أبويكم آدم و حواء ﴿ صالحا ﴾ أى جنس الولد الصالح فى تمام الخلق ه ٣٩٥ /
 بدنا وقوة و عقلا ، فكثروا فى الأرض و انتشروا فى نواحيها [ذكورا
 و إناثا - ٢] ﴿ جعلنا ﴾ أى النوعان من أولادهما الذكور و الإناث ،
 لأن ' صالحا ' صفة لولد و هو للجنس فيشمل الذكر و الأنثى و القليل
 و الكثير ، فكأنه قيل : فلما آتاها أولادا صالحا الخلق من الذكور
 و الإناث جعل النوعان ﴿ له شركاء ﴾ أى بعضهم أصناما و بعضهم
 نارا و بعضهم شمساً و بعضهم غير ذلك ، هذا على قراءة الجماعة ، و على
 قراءة نافع [و - ٢] أبى بكر عن عاصم بكسر الشين و إسكان الراء
 و التنوين التقدير : ذوى شرك ﴿ فيما اتنهما ج ﴾ أى من القوى بالعبادة
 و الرزق بالذور و نحوها .

و لما لم يضر المشركون بالإشراك إلا أنفسهم ، سبب عن ذلك ١٥
 قوله : ﴿ فتعالى الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال التى ليست لغيره
 تعاليا كثيرا ، و الدليل على إرادة النوعين قوله : ﴿ عما يشركون ه ﴾ بالجمع ،
 (١) فى الأصل : أبواكم ، و فى ظ : أبوكم (٢) فى ظ : ذلك (٣) زيد ما بين
 الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : فكأنى (ه) من ظ ، و وقع فى الأصل : صالحا -
 مكررا (٦) فى ظ : اصنام .

وكذا ما بعده من عيب عبادة الأصنام .
 ولما ذكر علوه سبحانه ، شرع يذكر من أوصافه عبارة وإشارة
 ما يدل على ذلك ، و يقيم الأدلة على عدم صلاحية ما أشركوا به للشركة^١
 بعجزها ، بأنها من جملة خلقه ولا تصرف لها تستحق^٢ به وجهها من
 التعظيم ، فقال منكرا على عبادها^٣ دالا على [أن-^٤] المراد الشرك الحقيقي ،
 لاما ذكر من قصة^٥ إبليس في تسييه في التسمية بعبد الحرث ونحوه :
 ﴿ ايشركون ﴾ أى المشركون [و-^٦] أولادهما في العبادة ﴿ ما لا يخلق ﴾
 أى من الأصنام والطبائع والكواكب وغيرها ﴿ شيئا ﴾ أى يوجد
 من العدم كما يفعل الله الذى أشركوها به .

١٠. ولما كان يلزم أن يكون^١ 'ما لا يخلق' شيئا مخلوقا^٢ لأنه لا يتكون
 عاجز بغير قادر^٣ أوجده ، صرح به في قوله مجريا للأوثان مجرى أولى
 العلم لتزلبهم منزلتهم في الاعتقاد والعبادة : ﴿ وهم ﴾ ولما كان المصنوع
 لا يكون صانعا ، اكتفى بالبناء للفعول فقال : ﴿ يخلقون^٤ ولي ﴾ أى متجددا
 خلق أعراضهم وذواتهم وأمثالهم ﴿ ولا يستطيعون لهم ﴾ أى للمشركين
 الذين يعبدونها ﴿ نصرا ﴾^٥ ' وهو المعونة ' على العدو ، ولعله عبر
 بصيغة العاقل إشارة إلى أنهم لو كانوا يعقلون ، وكانوا بهذه الصفات
 الحسيسة ما أهلوهم لأن يكونوا^٦ ' أحبائهم فضلا عن أن يجعلوهم أربابهم .

(١) من ظ ، وفي الأصل : للشرك (٢) من ظ ، وفي الأصل : يستحق (٣) في
 ظ : عبادتها (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : قضية (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من
 ظ (٧) في ظ : مخلوق (٨) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .
 (٩-٩) في ظ : هذا لما لا عوييه - كذا (١٠) من ظ ، وفي الأصل : يكون .

ولما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه ، نفي ذلك بقوله :
 ﴿ وَلَا انفسهم ينصرون ٥ ﴾ أى فى وقت من الاوقات عند ما يصيبهم
 بسوء ، بل عبدتهم يدافعون عنهم .

ولما تبين من هذا الاستفهام الإنكارى المعجب من حالهم فى
 ضلالهم فى أسلوب الغيبة أن من أشركوه ليس فيه نوع قابلية لما أهلوه ، هـ
 فان المعبود يجب أن يكون قادرا ، ومن كان عاجزا نوع عجز كان
 مربوبا^٢ ، وكان للتنبيه بالخطاب ما ليس له بالغيبة ؛ أتبع ذلك فى أسلوبه
 تعجيبا آخر منهم أشد من الأول ، وذلك أن معبوداتهم التى^٣ أشركوا
 بها كما أنها لاتفعل شيئا من تلقاء أنفسها ، لا تفعله عند دعاء الداعى
 ولا تهندى إليه فقال تعالى : ﴿ وان تدعوم ﴾ أى وإن تدعوا أيها
 المشركون أصنامكم دعاء مستمرا متجددا ﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى - °]
 الذى يدل الداعى إليه قطعا ، على^٤ أن المتخلف عنه سى^٥ المزاج ، محتاج
 إلى العلاج ، لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه من له نوع صلاح لكونه
 أشرف الأشياء ، فالتخلف عنه راض لنفسه بالدون ﴿ لا يتبعوكم^٦ ﴾
 أى فى ذلك الهدى الذى دعوتهم إليه ولو بالغتم فى الاستبعا ، ولعله ١٥
 عبر بصيغة الافعال إشارة إلى أنها لا يتصور منها قصد التبع / [فضلا - °]
 عن إيجادها ؛ ثم بين أن ذلك ليس بأمر عارض ، بل هو مستمر دائم
 بقوله مستأنفا تأكيذا للعى : ﴿ سواء عليكم ﴾ .

(١) فى ظ : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : مرأه (٣) فى ظ : الذين .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : كما .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ١٩٣ و ١٩٤) ج - ٨

ولما كان السواء^١ لا يكون إلا بين أمرين ، تشوف السامع إليهما
فقال: ﴿ ادعوتموهم ﴾ أى وجد منكم ذلك الدعاء الذى أشير إلى استمراره ،
وعبر بالاسمية إشارة إلى أنهم لا يدعونهم^٢ فى وقت الشدائد ، بل يدعون الله
فقال: ﴿ ام اتم صامتون ﴾ أى عن ذلك على الدوام على عادتكم فى
الإعراض عن دعائهم فى أوقات الملأت ، فالذين يدعون معتقديهم فى وقت
الضرورات أقبح حالا فى ذلك من المشركين^٣ ، [ويجوز أن تكون
الآية من الاحتباك ، فيكون نظمها : أدعوتموهم مرة أم أتم داعوهم دائما
أم صمتم عن دعائهم فى وقت ما أم أتم صامتون دائما عن دعائهم ، حالك
فى كل هذه الأجوبة سواء فى عدم الإجابة ، لا اختلاف فيه بوجه ،
١٠ دل بالفعل أولا على حذف مثله ثانيا ، وبالاسم ثانيا على حذف مثله
أولا - ٤] .

ولما كان اتباع من يدعى أنه أعقل الناس وأبعدهم عن النقائص
وأعرقهم فى معالى الأخلاق وأرفعهم عن سفاسفها لمن هذا سيله أخزى
أخزى وأقبح العار ، وكانوا مع العلم بهذا الذى وصفت [به - ٤]
١٥ معبوداتهم يفعلون فى الإشراك بهم وفى خوفهم ورجائهم ما هو عين
الجهل ؛ كرر تبكيتهم باتباعهم فى أسلوب آخر أوضح مما قبله فى تبين
النقائص والتنبية على المعاييب ملجئ إلى الاعتراف أو التصريح بالعناد
أو الجنون فقال مؤكداً : ﴿ ان الذين تدعون ﴾ أى أيها المشركون دعاء
(١) فى ظ : السوء (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يدعوههم (٣) من ظ ، وفى
الأصل : المشركون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

عبادة ملازمين لذلك ، أو أنه أطلق الدعاء على العبادة إشارة إلى أنه لا تصح عبادة من ليس فيه قابلية أن يدعى^١. والحاصل أن الدعاء يلزم المعبود . ولما كان دعاؤهم لهم إنما هو على سبيل الإشراف^٢ ، قال مشيراً إلى سفول رتبته باثبات الجار : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال والعظمة والجلال ﴿ عباداً أمثالكم ﴾ أى فى العجز عن كل شيء ٥ لا سيما عما وقع به التحدى من معارضة القرآن وغيرها ، [وأنتم تزيدون عليها بالحياة والعقل ، والمعبود لا يصح أن يكون مثل العابد فكيف إذا كان دونه ؛ ولما كانوا لا يسلمون أنهم أمثالهم ، سبب عن ذلك أمرهم بدعائهم لبيان دعوى المثلية بل الدونية فقال - ٦] : ﴿ فادعوم ﴾ أى إلى شيء من الأشياء .

ولما كان الإله الحق يحجب وليه عند التحدى من غير تخلف^٧ ، أشار إلى ذلك بالربط بالقاء فقال : ﴿ فليستجيبوا^٨ لكم ﴾ أى يوجدوا لكم إجابة بينة فى الإتيان بسورة تماثل شيئاً من القرآن وفى شيء من المنافع . ولما كان المقام محتاجاً إلى مزيد توبيخ وإلهاب ، قدم منه ما رأيت ، ثم زاد فى الإلهاب فقال : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة وطبعاً ﴿ صدقين ﴾ ١٥ أى فى دعوى أنهم آلهة ، فإن رتبة الإله تقتضى ذلك ، وقرأ سعيد بن جبير " ان " خفيفة و " عباداً " أمثالكم " - بنصب الدال واللام ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : يدعها (٥) فى ظ : الاشتراك (٣) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : عباداً (٤) فى ظ : كما (٥) من ظ ، وفى الأصل : عن (٦) زيد ما بين الحائزين من ظ (٧) فى ظ : تخالف (٨) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : فيستجيبوا (٩) من ظ ، وفى الأصل : قراءة (١٠) فى ظ : عباد .

و اتفق المفسرون على تخريجها على أن 'إن' هي النافية أعملت عمل
 'ما' الحجازية، فرفعت الاسم ونصبت الخبر، وإعمالها هذا العمل
 فيه خلاف، أجازته الكسائي وأكثر الكوفيين، ومن البصريين
 ابن السراج و الفارسي و ابن جني، و منع منه الفراء و أكثر البصريين،
 ٥ و اختلف النقل^١ عن سيويه و المبرد، و الصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك
 في النظم و النثر - ذكر ذلك كله أبو حيان^٢ و ذكر أنه أشبع الكلام فيه في
 شرح التسهيل، و اعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة
 المشهورة، وإنما يسلم له ذلك لو توارد النفي و الإثبات على شيء واحد،
 و ليس الأمر هنا كذلك، فالإثبات لمائلتها لهم في مطلق العجز، و النفي
 ١٠ لمساواتها^٣ لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش و نحوه، أو يكون الأمر - كما قال
 الزمخشري - أن الإثبات على سبيل التناول و النفي على الحقيقة .
 و لما أثبت عجزهم و أنهم أمثالهم، دل عليه و على أنهم دونهم بأسلوب
 إنكار و تعجيب مفصلاً لبعض ما نقاه [عنهم -^٤] فقال مقدماً الأرجل
 لأن أول ما يخشى من الشيء انتقاله : ﴿ اللهم أرجل ﴾ و لما كانت
 ١٥ لهم جوارح مصنوعة، بين المراد بقوله : ﴿ يمشون بها ذ ﴾ .

و لما كان الخشى بعد الانتقال مدّ اليد، قال^٥ : ﴿ ام لهم ايد ﴾ أي^٦
 موصوفة بأنهم ﴿ يبطشون بها ذ ﴾ أي نوعاً من البطش؛ و لما كان الخوف
 بعد البطش باليد البصر خوفاً من الدلالة [قال -^٧] : ﴿ ام لهم اعين ﴾

() سقط من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٤٤ (٣) من ظ، وفي الأصل :
 لناواتها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل : فقال (٦) سقط من ظ .

أى منعوتة بأنهم ﴿يصرّون بها﴾ أى ضربا من الإبصار؛ ولما كان الإنسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل إليه بعد ذلك إلا بالسمع قال خاتما: ﴿ام لهم اذان﴾ أى مقول^١ فيها أنهم ﴿يسمعون بها﴾ / أى شيئا من السمع .

٣٩٧/

ولما سواها بهم ونفى عنهم ما تقدم ، لزم نقصانها عنهم وأنه فى هـ الحقيقة مسلوب عنهم لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا العدم ، والقدرة فيما يقدرّون عليه إمامهى بيد^٢ الصانع لهم أشركهم^٣ معها ، وقال دالا على ذلك مستأنفا: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء المشركين ﴿ادعوا شركاءكم﴾ أى هذه التى تقدمت ومهما شتم غيرها ، واستعينوا بها فى عداوتى .

و لما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به ، نبه عليه باداة ١٠ التراخى فقال: ﴿ثم كيدون﴾ أى جميعا أنتم وهم وأنتم أكثر من حصى البطحاء و رمل الفضاء و أنا وحدى ، ولما كان المعنى : و عجّلوا ، عطف بفاء السبب قوله : ﴿فلا تنظرونها﴾ أى تمهلون لحظة فما فوقها ثلثا تعتلوا^٤ فى الإنظار^٥ بعلّة ، و علل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على

اتصاف معبوده بما نفاه عن شركائهم من الإحاطة بمنافع الدارين فيما ١٥ يتعلق بالأديان والأبدان ، و قدم الدين إشارة إلى أنه الأهم فقال مؤكدا فى مقابلة إنكارهم : ﴿ان ولّى﴾ أى ناصرى و متولى جميع أمورى ﴿الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿الذى نزل﴾ أى بحسب التدرّج

(١) فى ظ : الى (٢) من ظ ، وفى الأصل : معقول (٣) فى ظ : لله (٤) فى ظ : اشركوا (٥) من ظ ، وفى الأصل : لثلايعتلوا (٦) فى ظ : الانتصار - كذا .

متكفلا بفصل الوقائع ﴿الكُتِبَ لَهُ﴾ أى الجامع لعلوم الأولين
والآخرين و أمر المعاش و المعاد و أحوال الدارين و كل ما فيه صلاح
من أحوال القلوب و غيرها الذى عجّزتم بأجمعكم و من ادعيتم شركته
عن معارضة شيء منه .

و لما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات ، و هى الحياة التامة المستلزمة
للارادة و القدرة و العلم و السمع و البصر و الكلام ، و كان عجّزهم عن
المعارضة للكتاب دليلاً^١ شهودياً قولياً على كذبهم ، أتبع ذلك دليلاً
آخر شهودياً فعلياً فقال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ يتولى ﴾ أى يلى
ولاية تامة ﴿ الصالحين ٥ ﴾ أى كلهم بنصرهم على كل مناو و كفايتهم
١٠ لكل مهم و قد علمتم ما قدمه فى هذه السورة من وقائعه بمن كذب أنبياءه
و استهزأ برسله و أنه أنجى كل من والاه^٢ ، و أهلك جميع من عاداه
كمن عدوهم آلهة ، و هو و ما بعده و ما قبله متلفت إلى قوله تعالى ” اتبعوا
ما أنزل إليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه أويلاء “ بالشرح^٣ ، و هو دال
على أنه هو الذى فعل ما تقدم لأجل أوليائه بدليل أنه أعجزهم عن معارضة
١٥ شيء من كتابه ، و عن^٤ الوصول إلى جميع ما يريدون^٥ من أوليائه و أحبابه .
و لما صور بهذا جلاله^٦ ، و قرر عظمته و كماله ، باتصافه بجميع
الصفات العلى التى منها القدرة التى تكفهم^٧ عنه ؛ كرر التفسير عن أندادهم^٨
فى أسلوب آخر تأكيداً للمعنى السابق بزيادة بالغة فى العجز^٩ و هو تصويب^{١٠}

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) من ظ ، و فى الأصل : ولاء (٣) فى ظ :
بالشرع (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرون (٦) فى
ظ : اجلاله (٧) فى ظ : تكفلهم (٨) فى ظ : انذارهم (٩) من ظ ، و فى الأصل
» و « (١٠ - ١٠) من ظ ، و فى الأصل : هى تصوير - كذا .

النظر من غير إِبصار، مع أن الأول للتقريع، وهذا للفرق بين من
يعبد بحق و من يعبد بباطل ليرجعوا عن غيهم وعنادهم. فقال مبينا أنهم
ليسوا في شيء من صفاته مصرحا بنفي النصرة التي أثبت لها عنهم مع
المواجهة بالخطاب الذي هو أقطع في الجواب: ﴿ والذين تدعون ﴾ أى
تدعون دعاءهم ﴿ من دونه ﴾ - فأنهم يدعونه سبحانه في بعض الأوقات - ه
أو تدعونهم تاركين [له - ٢] ﴿ لا يستطيعون نصركم ﴾ أى بوجه
من وجوه النصرة بدليل عجزكم عني وأنا وحدي وأتم أهل الأرض
﴿ ولا انفسهم ينصرون ﴾ بدليل أن الكلب يبول عليهم فلا يمنعون .
ولما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد، نسق
على ما قبله قوله: ﴿ وان تدعوم ﴾ أى يا من هم أضل منهم وأعجز ١٠
﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى - ١] الذى هو أشرف الخلال ليهدوا في نصر
أنفسهم أو غير ذلك ﴿ لا يسمعون ﴾ أى شيئا من ذلك الدعاء ولا غيره؛
ولما كان حالهم في البصر بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء، قال مفردا
للخطاب: ﴿ ورنهم ﴾ أى أيها الناظر إليهم ﴿ ينظرون اليك ﴾ / أى كأنهم
٣٩٨ / ينظرون لما صنعوا لهم من الآعين ﴿ وهم لا يبصرون ﴾ أى نوعا ١٥
من الإِبصار، وما أشبه مضمون هذه الآيات بما^٢ في سفر أنبياء بنى إسرائيل
في نبوة^٣ أشعيا: هكذا يقول الرب ملك إسرائيل ومخلصه: أنا الأول وأنا
الآخر، وليس إله غيري. و من مثلي^٤ يدعى ويظهر قوته ويخبر بما كان

(١) في ظ: الذى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل:
سواء - كذا (٥) من نبوة أشعيا - الأصح الرابع والأربعين، وفي الأصل
و ظ: مثل .

منذ بسطت الدنيا إلى الأبد ، والآيات القديمة تظهر للشعوب ، فلا يفزعون
ولا يخافون ، ألم أسمعكم منذ أول الدهر وأظهرها لكم وأبين لكم الأمور
وأنتم شهدائي أن ليس إله غيري ، وليس عزيز منيع إلا وأنا أعز منه ، لأن
جميع الصانع الذين يعملون الأصنام إنما عملهم باطل وليس في أعمالهم منفعة ،
و أن^١ الصانع الذين^٢ يعملونها [هم-^٣] يشهدون عليها أنها لا تبصر ولا تسمع
ولا تعلم ، لذلك يخزي جميع صناع الآوثان المسبوكة لأن جميع ما صنعوا^٤
لا تعقل له ، فيجمعون كلهم ويخزون و يفتضحون لأن النجار نحت
بجديده وهباً صنما بمنقاره وسدده بقوة ساعده و جاع و عطش في عمله ،
و النجار اختار خشبة وقدرها و ألصق بعضها ببعض بالغراء و ركبها و عملها
كشبه الإنسان ، أقام من الخشب الذي ققطع من الغيضة كشبه رجل الذي
نبت من شرب المطر لبصير للناس للوقود فعملوه لهم إلهاً و عبوده
و سجدوا له ، الذي ينصفه خبزوا لهم خبزاً و شؤوا لهم لحماً على جمرة و أكلوا
و شربوا و اصطلوا^٥ و قالوا : قد حمينا لانا قد أوقدنا ناراً و اصطلينا ،
و الذي بقى منه اتخذوه إلهاً منحوتاً و سجدوا له و صلوا و قالوا : نجتاً لأنك
إلهنا ، ولم يخطر على بالهم فكر أن يقولوا : إنا قد أوقدنا نصفه بالنار ،
و خبزنا خبزنا و شؤينا على جمرة اللحم و أكلنا ، ولم يعلموا أن باقية قد عمل
منه صنم و سجدوا له ، لأن قلوبهم متمرغة في رماده ، و ضلت عقولهم
فلا يقدرّون ينجون أنفسهم ولا^٦ يقولون : إن أيادينا^٧ عملت الباطل

(١) من ظ ، وفي الأصل : سبل - كذا (٢-٣) في ظ : الصانع الذي (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : اصنعوا (٥) في ظ : اصطنعوا (٦) سقط من
ظ (٧) زيد بعده في ظ : التي .

و اتخذت الكذب، ثم قال: أليس أنا الرب منذ أول، و ليس إله غيرى
 ولا مخلص سوى، ادنوا إلى يا جميع الذين^١ فى أقطار الأرض لتنجوا
 لأنى أنا الرب و ليس إله غيرى، حلفت يمينى و أخرجت كلمة صدق و لست
 أرجع عنها لأنه لى تنحى كل ركبة، و بى يحلف كل إنسان و يقول:
 إنما البر بالرب، و إليه تدنو^٢ الأعزاء و يخزى جميع المبغضين، و بى يمتدح^٣
 و يتبرر، بمن شبهتمونى؟ و إلى من نسبتمونى؟ بالضالين الذين أخرجوا
 الذهب من أكياسهم [و-^٤] ووزنوا الفضة بالميزان و اكتروا الصناعات^٥
 حتى عملوا لهم آلهة يسجدون لها و يحملونها على أكتافهم و يمشون بها
 ثم يصلون لها و يدعونها لا تجيبهم و لا تخلصهم من شدائدهم ثم يحملونها
 أيضا و يردونها إلى مواضعها، اذكروا هذه الأشياء و اعقلوا أيها الأئمة^٦
 و أخطروها على قلوبكم و اذكروا الأيام التى كانت من الابتداء، إنى أنا الله
 الخالق و ليس إله غيرى و لا مثلى، فأنا^٧ أظهر العتيدات و أخبر بالذى
 سيكون قبل أن يكون، و أثبت رأى و أكمل إرادتى و هواى، و أدعو
 من فى المشارق فيأتون أسرع من الطير، و أتانى^٨ الرجل الذى قد عمل
 مسرقى من الأرض البعيدة، لأنى أنا إذا^٩ تكلمت بشىء فعلته. أنا خلقت^{١٠}
 و أنا أخلق؛ و فى الزبور فى المزمور الثالث عشر بعد المائة: إلهنا فى
 الأرض، كل ما يشاء يصنع، أو ثابن الأمم ذهب و فضة عمل أيدي
 (١) من ظ، و فى الأصل: الدنيا (٢) فى ظ: تدعو (٣) زيد من ظ (٤) من
 ظ، و فى الأصل: الصنا - كذا (٥) فى ظ: أنا (٦) فى ظ: اتى (٧) فى ظ:
 الذى (٨) و أما فيما عندنا من نسخة الزبور فالنص الآتى و ارد فى المزمور
 الخامس عشر بعد المائة.

البشر، لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تنظر، لها آذان^١ ولا تسمع،
وأنف ولا تشم، وأيد^٢ ولا تلمس، وأرجل ولا تمشي، ولا صوت
بجناجرها، ولا روح في أفواهها، فليكن صانعوها مثلها وجميع من يتوكل^٣
عليها - انتهى .

/٣٩٩

٥ ولما كان محصل أمرهم الإغراض عما أنام بالتكذيب والإقبال على
ما لم يأتهم بالطلب والتعنت كالسؤال عن الساعة، والأمر بالمنكر من
الشرك وما يلزم منه^٤ من مساوى الأخلاق، والنهي عن المعروف الذى
هو التوحيد وما يتبعه من محاسن الشرع، وذلك هو الجهل، وختم
ذلك بالإخبار بأنه سبحانه أصلح له الدين بالكتاب، والدنيا بالحفظ
١٠ من كل ما ينتاب^٥، وكان حالهم ربما كان مؤثما من فلاحهم، مفترعا عن
دعائهم إلى صلاحهم^٦، كان الداعى لهم صلى الله عليه وسلم كأنه قال:
فما أصنع فى أمرهم؟ فأجابه بالتحذير من مثل حالهم والأمر بضد حالهم
وفعالهم والإبلاغ فى الرفق بهم فقال: ﴿خذ العفو﴾ أى ما أتاك من
الله والناس بلا جهد ومشقة، وهذه المادة تدور على السهولة، وتارة
١٥ تكون من الكثرة وتارة من القلة، فعفا المال، أى كثر، فصار يسهل
إخراجه ويسمح به لزيادته عن^٧ الحاجة، وعفا المنزل، أى درس، فسهل
أمره حتى صار لا يلتفت إليه .

(١) فى ظ: اذن (٢) فى الأصل وظ: ايدى (٣) فى ظ: يتكلم (٤) من ظ، وفى
الأصل: عنه (٥) فى ظ: يشاب (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن
فى ظ لنحذفها (٧) من ظ، وفى الأصل: على .

ولما

ولما أمره بذلك في نفسه، أمره به^١ في غيره فقال: ﴿وامر بالعرف﴾
 أى بكل ما عرفه الشرع وأجازه، فانه من العفو سهولة وشرفاً،
 وقد تضمن ذلك النهى عن المنكر فأغنى بذلك عن ذكره لأن السياق
 للسهولة^٢؛ ولما أمره بالفعل^٣ في نفسه وغيره، أتبعه الترك فقال:
 ﴿واعرض عن الجهلين^٤﴾ أى فلا تكافهم بخفتهم وسفههم ولا تمارمهم
 فان ذلك أسهل من غيره، وذلك [بعد فضيحتهم بالدعاء، وذلك -^٥
 لأن محط حالهم اتباع الهوى فيدعوم إلى تكلف ضد هذه الخصال،
 وفيه إشارة إلى النهى عن أن يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة في
 الشفقة عليهم، وعن جعفر الصادق أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم
 الأخلاق منها .

١٠

ولما كان الشيطان بعداوته لبني آدم مجتهدا في التنفير من هذه
 المحاسن والترغيب في أضدادها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد نزع
 منه حظ الشيطان بطرح تلك العلقة السوداء من قلبه إذ شق جبرئيل
 عليه السلام صدره وغسل قلبه وقال^٦: هذا حظ الشيطان منك؛ شرع
 لأمته ما يعصمهم منه عند نزغه مخاطبا له بذلك ليكون أدعى لهم إلى القبول

١٥

وأجدر باشتداد الخوف المقتضى للفرار المشر للنجاة، لأنهم إذا علموا

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ : بامدل .

(٤) العبارة من «ولما أمره بالفعل» إلى هنا تأخرت في ظ عن «بخفتهم وسفههم» .

(٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : قد .

نظم الدرر (سورة الاعراف ٧: ٢٠٠ و ٢٠١) ج - ٨

قصد الشيطان لمن نزع منه^١ حظه وعصم من كل محنة علموا أنه لهم
أشد قصدا وأعظم كيدا^٢ و صدا^٣، فقال مؤكدا بأنواع التأكيد إشارة
إلى شدة قصد الشيطان^٤ للفتنة وإفراطه في ذلك، ليبالغ في الحذر منه
[وإن كان قصده بذلك في محل الإنكار لعلمه بالعصمة - ^٥]
و [لذلك - ^٦] عبر بأداة الشك إشارة إلى ضعف كيد الله للنبي صلى الله عليه
وسلم، لأن الله تعالى أعانه على قرينه فأسلم: ﴿و اما﴾ أى إن،
وأكدت بـ "ما" إثباتا للنعى ونفيا لضده ﴿ينزعك﴾ أى ينخسك
نخسا عظيما ﴿من الشيطان نزع﴾ أى نخس بوسوسته من شأنه [أن - ^٧]
يزعج فيسوق إلى خلاف ما تقدم من المحاسن في نحو غضب من جهل
الجاهل وسفه السفه [أو - ^٨] إفراط في بعض أوجه كما تساق الدابة
بما تنخس به، فيفسر ويجعل^٩ النخس ناخسا إشارة إلى شدته ﴿فاستعذ﴾
أى فأوجد أو اطلب العوذ وهو الاعتصام ﴿بالله^{١٠}﴾ أى الذى له جميع
العز والعظمة والقدرة والقهر لا تقطاعك عن الإخوان والآنصار إليه
فلا ولى لك ولا ناصر إلا هو، فانه إذا أراد إعادتك ذكرك من^{١١} عزيز
نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا ورهبا، والآية ناظرة إلى قوله تعالى ١٥ / ٤٠٠
[أولها - ^{١٢}] "لا قعدن لهم صراطك المستقيم".

ولما أبطل تعالى أن يكون أشركائهم سمع أو علم، صار إثبات ذلك

(١) من ظ، وفي الأصل: فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من
ظ، وفي الأصل: الشياطين (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: أو جب (٦) من ظ،
وفي الأصل: جعل (٧) سقط من ظ.

له كافيًا في اختصاصه به من غير حاجة إلى الحصر المتضمن لنفيه عن غيره
لتقدمه صريحًا بخلاف ما في فصلت^١ ، فقال معللاً : ﴿ انه سميع ﴾ أى بالغ
السمع فهو يسمع استعاذتك فيجيبك إن شاء ﴿ عليم ﴾ شامل العلم بما
تريد ويريد منك عدوك ، فلا يعجزه شيء ، و ختم بصفة العلم في الموضعين
لأن الوسوسة من باب ما يعلم ، و ختمها في سورة المؤمن^٢ بالبصير^٣ المشتق
من البصر^٤ و البصيرة ، لأن المستعاذ منه أمر الناس و منه ما يبصر .

ولما كان لا يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم إلا شيء خفيف جداً كما
نبه عليه بالنزغ ، و هو ليس بمحقق كما نبهت عليه أداة الشك ، و كان
لا يستعذ بالله إلا المتقون فكان كأنه قيل : افعل ذلك عند أول نزغه^٥
لتكون من المتقين ، علله بقوله : ﴿ ان الذين اتقوا ﴾ أى حصل لهم هذا ١٠
الوصف . و حقق أذاه لهم بأداة التحقيق - بخلاف ما مضى عند أفراد
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم - فقال : ﴿ اذا مسهم طيف ﴾ أى
طواف على أنه مصدر ، و يجوز أن يكون تخفيف طيف كيت و هو
بمعنى قراءة طائف على أنه فاعل كيت و مائت ، و يجوز أن يكون
مصدراً أيضاً ، و هو إشارة إلى أن الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم ، فتارة ١٥
يؤثر فيهم طوافه فيكون قد مسهم مسا هو أكبر من النزغ لكونه أطاف
بهم من جميع الجوانب ، و تارة لا يؤثر ﴿ من الشيطان ﴾ أى البعيد من
الرحمة المحترق باللجنة ﴿ تذكروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكر الله بجميع
ما ينفعهم في ذلك إقداماً و إيجاباً .

(١) راجع سورة ٤١ آية ٣٦ (٢) راجع آية ٥٦ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقيين
منظ (٤) فظ : نغمة (٥) هذه قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائي و يعقوب .

و لما كانوا باسراع التذكر^١ كأنهم لم يمهم شيء من أمره ، أشار
إلى ذلك بالجملة الاسمية مؤكدا لسرعة البصر باذا الفجائية : (فاذا هم)
أى بنور ضمائرهم (مبصرون^٢) أى ثابت إبصارهم فلا يتابعون
الشیطان ، فان المتقى من يشتهى فينتهى ، و يبصر^٣ فيقصر ، وفى ذلك تنبيه
ه على أن من تمالى مع الشيطان عمى لأنه^٤ ظالم ، و الظالم [هو -^٥] من
يكون كأنه يمشى فى الظلام .

و لما وصف المتقون الذين هم العلماء ملوحا إلى نصيح وليهم لهم ،
و عرف من حالهم أنهم أعداء الشيطان ، و عرف أن أضدادهم^٦ أولياؤه ؛
أتبعه وصف الجاهلين و غش أولياتهم لهم و الكل غير متقين ، فقال :
١٠ (و اخوانهم) أى و إخوان الجاهلين من شياطين^٧ الإنس و الجن
(يمدونهم) أى يمدون الجاهلين ، من المد و هو الإمهال و الإطالة على
قراءة^٨ الجماعة ، و هو بمعنى قراءة^٩ أهل المدينة بالضم من الإمداد ؛ [و قال
الواحدى : إن هذا أكثر ما يأتى فيما يحمد كامدثهم بفاكهة ، فهو من
استعمال الشيء فى ضده نحو " فبشرهم بعذاب " ، و كأنه يشير إلى أن الشيطان
١٥ أكثر ما يأتى الإنسان فى صورة الناصح الشفيق ، و الأوجه أن يكون
الإخوان الجاهلين لأنهم فى مقابلة " الذين اتقوا " و يكون الضمير
للشيطان المراد به الجنس ، أى و إخوان الشياطين - و هم الجاهلون الذين
لا يتقون - يمدهم أولياؤهم من الشياطين -^{١٠}] (فى الغى) و هو ضد

(١) فى ظ : التذكير (٢) من ظ ، و فى الأصل : يصبر (٣) من ظ ، و فى الأصل :
انه (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اضداده .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : شياطينهم (٧-٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

الرشاد، [و أشار-^١] إلى مزيد اعتنائهم بالإغواء و ماثرتهم على الإضلال و الإغراء بأداة التراخي فقال: ﴿ثم لا يقصرون﴾ أي لا يتركون إغواءهم و لو^٢ لحظة لجهلهم و شرهم.

ولما تقرر ما شرعه من التعفف و عدم التنطع و التكلف، و كان قد أخبر أن من عمهم تكلفهم السؤال عن^٣ الساعة، و الشياطين لا يفترون هـ عن إغوائهم، أخبره عن مطلق تكلفهم تعجبا^٤ منهم و إشهادا لتأديهم مع إغواء شياطينهم، و أمره صلى الله عليه و سلم بما يحيمهم [به -^١] فقال عاطفا^٥ على "يمدونهم": ﴿واذا لم تأتكم بآية﴾ أي على حسب اقتراحهم ﴿قالوا لولا﴾ أي هلا ﴿اجتبتها﴾ و الجبي: الجمع، و الإجابة تركه، و الاجتباء: الجد في الجمع، و يلزم منه الاصطفاء و الاختيار، ١٠ ففنى اجتبتها اجتلبتها، أي تكلفت من عند نفسك الإتيان بها مختارة. ولما كان المقام داعيا إلى السؤال في تعليم الجواب،^٦ أسعف ذلك^٧ بقوله: ﴿قل﴾ أي إذا قالوا ذلك ﴿انمّا اتبع﴾ أي أتمد و أنكلف اتباع ﴿ما يوحى﴾ أي يأتيني به الملك ﴿من ربي﴾ أي المحسن إلى بتعليمي ما ينفعني، لا أنى آتى بشيء من عند نفسي ولا أقترح ١٥ على ربي.

ولما حصر حاله في اتباع الوحي كان كأنه قيل: ما هذا الذي

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في الأصل و ظ: لا (٣) من ظ، و في الأصل: على (٤) في ظ: تعجبا (٥) في ظ: عاطفا (٦) في ظ: أسعف. (٧) من ظ، و في الأصل: بذلك.

يوحى إليك؟ فقال - ويجوز أن يكون تعليلا لاتباعه لأنه كاف في إثبات نبوته مغني عن الآيات المقترحة قاهر في وجوب اتباعه - : ﴿هذا﴾ مشيرا إلى ما يوحى إليه تنديها على أنه يجب أن يكون مستحضرا في سائر الأذهان ، حاضرا بين عيني كل إنسان ﴿بصائر﴾ أي أشياء هي ' ٥ - على حسب ما طلبتم - مجتابة ، بل هي خيار الخيار ، يكون بها نور القلب فيصير للعيون أيضا بصر يقربه^٢ مما يبحث الكتاب على نظره من الآيات المرثيات إلى علوم لم تكن لها قبل^٣ ذلك ، وهي حجج^٤ بينة قاهرة على تصديق و^٥ قبول [كل - '] ما جئت به ، و سماه بذلك لأنه سبب لبصر العقول بدلائل التوحيد و النبوة و المعاد و جميع الشريعة ١٠. أصولا و فردعا ، فهو تسمية للسبب باسم المسبب ، و على^٦ مدحها بقوله : ﴿من ربكم﴾ أي الذي لم يقطع إحسانه عنكم أصلا ، فهو جدير بأن يتلقى ما أتى منه بكل جميل .

ولما كانت البصائر جمعا ، و كانت العادة جارية بأن مفردات الجمع تكون متفاوتة ، أكدها بما يشير إلى أنها خارقة للعادة في أنها على ١٥ حد - واه في أعلى طبقات الهداية فقال : ﴿وهدى﴾ أي يان ؛ ولما كان البيان قد لا يكون على وجه الإكرام ، قال : ﴿ورحمة﴾ أي إكرام .

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يعبر به (٣) زيد بعده في الأصل : بصر ، ولم تكن
ازيادة في ظ فحذفناها (٤) في ظ : حجة (٥) في ظ : في (٦) زيد من ظ .
(٧) في ظ : أعلى .

ولما كان من لا يتفع^١ بالشئ يصح أن ينق عن الشئ النافع النفع بالنسبة إليه، قال: ﴿لقوم يؤمنون^٢﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة ويستمرّون على تجديدها فى كل وقت، وأما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا .

ولما عظم الله شأن القرآن، فكان^٣ التقدير: فأمنوا به فتلحوا، ه عطف عليه قوله: ﴿واذا قرئ القرآن﴾ أى وهو هذا الذى يوحى إلى، فتأدبوا وتواضعوا لأنه صفة ربكم ﴿فاستمعوا له﴾ أى ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين فى عدم شاغل يشغلكم عن السمع .

ولما كان بعض الفهماء يسمع وهو يتكلم، أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال: ١٠ ﴿وانصتوا﴾ أى للتأمل والتدبر لتنجلى قلوبكم فتعلموا حقيقته فتعلموا بما فيه ولا يكون فى صدوركم حرج منه؛ ولما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل أحد، رغب فيه تعظيما لشأنه؛ فقال: ﴿اعلمكم ترحون^٤﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن يكرمكم ربكم ويفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم .

١٥

ولما تقدم الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان، ومر إلى أن أمر بالاستماع لأعظم الذكر، وكان التالى ربما بالغ فى الجهر ليكثر سامعه، وربما أسر^٥ لئلا يوجب على غيره الإصغاء، عليهم^٦ أدب القراءة^٧،

(١) من ظ، وفى الأصل: لا يتفع (٢-٢) زيد ما بين الرقین من ظ والقرآن الكريم.
(٣) من ظ، وفى الأصل: كان (٤) سقط من ظ (ه) فى الأصل: اشد، وفى ظ:
اسرع - كذا (٦) فى ظ: علم (٧) من ظ، وفى الأصل: القرآن.

و أطلق ذلك في كل حال لأنه ربما فهم فاهم الاقتصار على الذكر في حالة النزغ ، ورقى' الخطاب منهم إلى إمامهم ليكون أدعى لقبولهم مع الإشارة إلى أنه لا يكاد يقوم بهذا الأمر حق قيامه^٢ غيره صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ واذكر ﴾ [أى بكل ذكر من القرآن وغيره -^٢]
 ٥ ﴿ ربك ﴾ أى الذى بلغ الغاية فى الإحسان إليك ﴿ فى نفسك ﴾ أى ذكرًا يكون راسخًا فىك مظهرًا لك لفهمك لمعانيه وتخلقك بما فيه ، وليكن سرًا لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص وأعون على التفكير . وكونه سرًا دال على أشرف الأحوال ، وهو المراقبة مع تحقق القرب ، فإذا كان كذلك أثمر قوله : ﴿ تضرعًا ﴾ أى حال كونك ذا تضرع بالظاهر
 ١٠ ﴿ وخيفة ﴾ أى لتدعو المخافة إلى تذلل قلبك لتجمع بين تضرع السر والعلن ، وبهذا^٣ يكمل ذل العبودية لعز الربوبية .

ولما أمر بالسر ، قال مقابلًا له : ﴿ ودون الجهر ﴾ أى لأنه أدخل فى الإخلاص ، ومن المعلوم أنه فوق السر . وإلا لم تقد / الجملة
 ٤٠٢ / شيئًا ؛ ولما كان الجهر قد يكون فى الأفعال ، أكد به بقوله : ﴿ من القول ﴾
 ١٥ أى فان ذلك يشعر بالتذلل^٤ والخضوع من غير صياح كما يناجى^٥ الملوك ويستجلب^٦ منهم الرغائب ، وكما^٧ قال صلى الله عليه وسلم للصحابه وقد جهروا بالدعاء فوق المقدار : إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا ، فان

(١) من ظ ، وفى الأصل : نفى (٢) من ظ ، وفى الأصل : قيام (٣) زيد من ظ .
 (٤) فى ظ : لكن (٥) فى ظ : هذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : التذلل (٧) فى ظ :
 تنابى (٨) فى ظ : تستجلب (٩) فى ظ : لا .

المقصود

المقصود حصول الذكر اللسانى ليعين الذكر القلبي، و المقصود حاصل
باسماع النفس فانه يتأثر الخيال فيتقوى الذكر القلبي، و لا تزال الأنوار
تتزايد^١ فينعكس تراجع بعضها إلى بعض حتى يزداد الترقى من ظلمات عالم
الاجسام إلى أنوار مبدع النور و الظلام .

- و لما أمر بالذكر مكيفا له بكيفيته اللائقة به، أمره صلى الله عليه وسلم ه
بالمداومة عليه ذاكرة^٢ أحسن الأوقات [له - ٣] وأحقها به، لكونها
- لما فيها من الشغل - أدل على إثارة لمزيد المحبة و التعظيم فقال: ﴿بالغدو﴾
أى أوقات البكر، ولله أفرده على جملة مصدر غدا، لأنه ما ثم^٤
إلا صلاة الصبح، و جمع ما بعده للعصرين و المغرب فقال: ﴿و الأصل﴾
أى أوقات العشاء^٥، و قيل: الغدو جمع غدوة، فيراد حينئذ مع الصبح ١٠
الضحى، و آخر كل نهار متصل بأول ليلة اليوم الثانى فسمى آخر اليوم
أصيلا لأنه متصل^٦ بما هو أصل اليوم الثانى، و خص هذين الوقتين و إن
كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم و الليل باسم جزئه، لذكر بالغدو
الاتشار من الموت، و بالأصيل السكون بالموت و الرجوع إلى حال العدم
فيستحضر^٧ بذلك جلال الله عز و جل فيكون ذلك حاويا^٨ على تعظيمه ١٥
حق تعظيمه .

و لما كان ربما أوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين و إن كان ظاهرا في

(١) في ظ : ترديد - كذا (٢) في ظ : ذاكرة (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

(٥) في ظ : العشى (٦) في ظ : متصل (٧) في ظ : مستحضر (٨) في ظ : جاذبا .

الدوام ، قال مصرحاً : ﴿ ولا تكن^١ من الغفلين^٢ ﴾ أى فى وقت غيرهما ،
بل كن ذاكره فى كل وقت على كل حال ؛ ثم علل الأمر بالمراقبة
الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقرين فقال : ﴿ ان^٣ الذين ﴾
وزاد ترغيباً فى ذلك بقوله : ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتقريبك
من جنابه وجعلك أكرم أحبائه^٤ ، وهم الملائكة الكرام أولو العصمة^٥ ،
والقرب دنو مكانة لا مكان ﴿ لا يستكبرون ﴾ أى لا يوجدون ولا يطلبون
الكبر ﴿ عن عبادته ﴾ أى الخضوع له والتلبس بانحاء التذلل مع مزيد
قربهم وغاية طهارتهم وحبهم ﴿ ويسبحونه ﴾ أى ينزهونه عن كل
ما لا يليق مع خلوصهم^٦ عن دواعى الشهوات والخطوط .

١٠ . ولما كان هذا يرجع إلى المعارف ، وقدمه دلالة على أن الأصل
فى العبادة أعمال القلوب ، أردفه بقوله : ﴿ وله ﴾ أى وحده ﴿ يسجدون ﴾
أى يخضعون باثباتهم له^٧ كل كمال ، وبالمباشرة لمحاسن الأعمال ، وقد تضمنت
الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار بثلاثة أخبار : عدم الاستكبار الذى
هو أجل أنواع العبادة إذ هو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل
على المعصية ، والتسييح الذى هو التنزيه عن^٨ كل ما لا يليق ، وتخصيصه
بالسجود ؛ ولما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار ، وكانت^٩
على قسمين : قلبية وجسائية ، أشار إلى القلبية بالتنزيه ، وإلى الجسائية
بالسجود ، وهو الحال الذى يكون العبد به عند ربه كالملائكة قرباً وزلفى

(١) فى ظ : لا تكون (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) من ظ ، وفى
الأصل : جنابه (٤) من ظ ، وفى الأصل : العظمة (٥) فى ظ : التذكر (٦) فى
ظ : خضوعهم (٧) زيد بعده فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، به عليه أبو حيان^١ على أن العبادتين مرجعهما القلب ، وإحداهما^٢ مدلول عليها بالقول والآخرى بالفعل ، وقد رجع آخر السورة في الأمر باتباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع ، ولوصف المقربين بعدم الاستكبار والمواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أمر الله في السجود/ لآدم عليه السلام ٥ / ٤٠٣

على طريق الاستكبار أي التفات ، بل شرع في رد المقطع على المطلع حين آتم قصص الأنبياء ، فقوله ” ولقد ذرانا “ هو قوله ” والذي خبت لا يخرج الانكدا “ يتضح لك ذلك إذا راجعت^٣ ما قدمته في المراد منها^٤ ” والله الاسماء الحسنى فادعوه بها “ [هو - ٥] ” ادعوا ربكم تضرعا وخفية “ و ” من خلقنا أمة [يهدون بالحق “ - ٦] هو ” والذين آمنوا ١٠ وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة “ ” والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها “ و ” ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم “ هو ” اذا جاء اجلهم لا يستأخرون “ و ” يستلونك^٥ عن الساعة “ هو ” كما بداكم تعودون “ و ” لكم في الارض مستقر و متاع الى حين “ و ” هو الذي خلقكم من نفس واحدة “ و ” لقد خلقناكم ثم صورناكم “ ١٥ و ” انما اتبع ما يوحى الى من ربي “ - إلى آخرها بعد التفسير من الانداد - هو ” كتب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه - إلى قوله : ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون “ فسيحان من هذا كلامه ، و تعالى حجاباه وعز مرامه ، و على من أنزل عليه صلاته و سلامه ، و تحيته و إكرامه .

(١) راجع البحر المحيط ٤/ ٥٤٤ (٢) في ظ : احدهما (٣) من ظ ، وفي الأصل : وجعت (٤) من ظ ، وفي الأصل : منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .

سورة الأنفال^١

و تسمى الجهاد ﴿بسم الله﴾ أى^٢ الذى له جميع الحول والقوة
والطول ﴿الرحمن﴾ الذى أحاط دائرة العقل بشموس الأدلة من كل
منقول ﴿الرحيم﴾ الذى منّ على من شاء من الاتباع بحسن الاتباع؛
٥ و^٣ مقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم
لأمر الله واعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده وأن الإنسان ليس له فعل،
ليثمر^٤ ذلك الاعتصام بأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين
وإذلال المفسدين المنتج لكل خير، والجامع لذلك كله أنه لما ثبت
بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الإله والاجتماع عليه لما ثبت من
١٠ تفرده واقتداره^٥، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعى إليه بغاية
الإذعان والتسليم والرضى والتبرؤ من كل حول وقوة إلى من أنعم بذلك
ولوشاء^٦ سلبه وأدل ما فيها على هذا قصة الأنفال التى اختلفوا فى أمرها وتنازعوا
قسمها فنتهم الله منها وكف عنهم حظوظ الانفس والزمهم الإخبات والتواضع،
وأعطاهم نبيه صلى الله عليه وسلم لأنه الذى هزمهم بما رمى من الحسابات
١٥ التى خرق الله فيها العادة بأن بثها فى أعين جميعهم وبما أرسل من جنوده،
فكان الأمر له وحده، يمنحه من يشاء، ثم لما صار له صلى الله عليه وسلم،

(١) مدينة، وهى سبع وسبعون آية فى الشامى، وست وستون فى البصرى
والحجازى، وخمس وسبعون فى الكوفى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى
الأصل: تيمم (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: لا، ولم تكن
الزيادة فى ظ فحذفناها.

رده فيهم منه عليهم وإحسانا إليهم، واسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائماً أضعاف المسلمين، وما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر^١ منهم، وتجب مصابرة الضعف، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطبق ذلك، ولهذا المقاصد سنت قراءتها في الجهاد لتنشيط المؤمنين للجلاد، وإن كثرت من الأعداء الجوع [و-^٢] الأعداد، وتوالت إليهم زمر^٣ الأمداد من سائر العباد، كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعي المغربي في فتوح البلاد من كتابه الاكتفاء في سيرة المصطفى وأصحابه الثلاثة الخلفاء، وكذا شيخه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن حبيش في كتابه الذي جمعه في الفتوح، قال في وقعة اليرموك من فتوح الشام عن حديث سيف بن عمر وهذا لفظ ابن سالم: قال: وكان ١٠ القارئ يوم ذاك^٤ المقداد، قالوا: ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء، وهي سورة الانفال، ولم يزل الناس بعد على ذلك ٤ / قالوا في وقعة القادسية من فتوح فارس ٤٠٤ / واللفظ لابن سالم أيضاً قالوا: ولما صلى سعد - يعني ابن أبي وقاص - رضى الله عنه الظهر أمر غلاماً كان عمر رضى الله عنه ألزمه إياه ١٥ وكان من القراءة يقرأ سورة الجهاد، وكان المسلمون كلهم إذا ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التي تليه، وقرئت في كل كتيبة، فهشت قلوب الناس وعرفوا الكتيبة مع قراءتها، قال مصعب بن سعد: وكانت قراءتها سنة يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الزحوف ويستقرئها، فعمل

(١) من ظ، وفي الأصل: أكثر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: ذلك.

الناس بذلك - انتهى . و مناسبتها للاعراف أنه لما ذكر تعالى - كما تقدم -
 قصص الانبياء عليهم السلام مع أنهم في تلك ، ناسب أن يذكر قصة
 هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم مع قومه ، و تقدم أنه لما اطلب
 سبحانه في قصة موسى عليه السلام كان ذلك ' ربما أوهم تفضيله على
 الجميع ، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين : الأنفال في
 أول أمره و أثائه ، و براءة في ختام أمره و انتهائه ، و فرق بين القصتين ،
 و ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا في سوء العذاب ، و كانوا يعللون^١
 عن أسلافهم أن الله سيذكرمهم و ينجيهم من أيدي القبط ، فلما أتاهاهم موسى
 عليه السلام و بين لهم الآيات التي أمره الله بهالم يشكوا في أنه الموعد
 ١٠ به من رحمة الله لهم ، و إتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل ،
 فأطبقوا على اتباعه ، و كانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل ، و مع ذلك
 فقد كانوا يخالفون عليه في كل قليل ، و لا يجدون قلوبا يواجهون بها
 القبط في الإباء عن أمثال أوامرهم ، و أما محمد صلى الله عليه وسلم فأتى
 قومه و لاحس عندهم من نبوة و لاعلم لهم بها ، و لم يكونوا تحت ذل
 ١٥ أحد ، بل كانوا ملوك العرب ، فعندهم أنه جاء يسلبهم عزهم و يصيرهم له
 تبعا خالفوا أشد المخالفة و لم يدعوا كيذا حتى باشروه في رده عما جاء به ،
 و مع ذلك فنصره الله عليهم و لم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم و غيرهم
 في دين الله أفواجا ، و أظهر دينه على الدين كله [كما - ٤] و عده سبحانه ،
 ثم أيد أمره من بعده و لم يزل أتباعه ظاهرين و لا يزالون إلى يوم الدين ،
 (١) سقط من ظ (٢) في ظ : يعملون (٣) في ظ : لم (٤) زيد من ظ .

فبين القصتين فرقاناً لأولى الإبصار والإتقان ، وأما مناسبة أولها لآخر تلك فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى عليه السلام المحتمة بقصة بلعام وأن ما بعد ذلك إنما هو تنمات لما تقدم لا بد منها وتنمات للتنمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم لعديته^٢ سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع ، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية ، اقتضى ذلك ه سؤالاً عن حال الذين عند المخاطب صلى الله عليه وسلم فأجيب بقوله تعالى : ﴿ يسئلونك ﴾ أى الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار فى الحقيقة كما علمتم ذلك - و سياتى بيانه ، فهم المستحقون للأتقال وليس لهم إليها التفات وإما همهم العبادة . والذين عندك^٣ إنما جعلتهم آلة ظاهرة ومع ذلك فهم يسألون ﴿ عن الأنفال^٤ ﴾ التى توليتهم إياها^٥ بأيدي جنودى ١٠ سؤال منازعة ينبغى الاستعاذة بالله منها - كما^٦ به عليه^٧ آخر الأعراف - لأن ذلك يفضى إلى افتراق الكلمة والضعف عن مقاومة^٨ الأعداء ، وهو جمع نقل - بالتحريك ، وهو [ما - ^٩] يعطاه الغازى زيادة على سهمه ، والمراد بها^{١٠} هنا الغنيمة ، وهى المال المأخوذ من أهل الحرب قهراً ، سميت هنا بذلك لأن أصلها فى اللغة الزيادة ، وقد فضل المسلمون ١٥ بها على سائر الأمم .

ولما كان السؤال عن حكمها ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل ؟ فقال

- (١) فى ظ : فرقاً (٢) فى الأصل : لتعديته ، وفى ظ : لعبده الله (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : عند ربك (ه) فى ظ : إياها - كذا (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ ، وفى الأصل : على (٨) فى ظ : مقامة (٩) زيد من ظ . (١٠) فى ظ : به .

- دالا على أنهم سألوا عن مصرفها و حكمها - ليطابق الجواب السؤال :
 ﴿ قل ﴾ أى لهم / فى جواب سؤالهم ﴿ الانفال لله ﴾ أى الذى ليس
 النصر إلا من عنده لما له من صفات الكمال ﴿ والرسول ج ﴾ أى الذى
 كان جازما بأمر الله مسلما لقضائه ماضيا فيما أرسله به غير متخوف من
 مخالطة الردى بمواقعة العدى ؛ قال أبو حيان^٢ : ولا خلاف أن الآية نزلت
 فى يوم بدر و غنائمه^٣ ، وقال ابن زيد : لا نسخ ، إنما أخبر أن الغنائم لله
 من حيث أنها ملكه و رزقه ، و للرسول عليه السلام من حيث هو مبین
 لحكم الله و الصادرع فيها بأمره ليقع التسليم من الناس ، و حكم القسمة نازل
 خلال ذلك - انتهى .

/ ٤٠٥

- ١٠ و لما أخبر سبحانه أنه لا شيء لهم فيها إلا عن أمر الله و رسوله ،
 و كان ذلك موجبا لتوقفهم إلى بروز أمره سبحانه على لسان رسوله
 صلى الله عليه و سلم ، و كانت التقوى موجبة للوقوف خوفا حتى باتى
 الدليل الذى يحسّر على المشى وراهه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾
 أى خافوا خوفا عظيما فى جميع أحوالكم^٤ من الذى لا عظمة لغيره و لا أمر
 ١٥ لسواه ، فلا تطلبوا شيئا^٥ بغير أمر^٦ رسول الله صلى الله عليه و سلم
 و لا تتخاصموا ، فان الله تعالى الذى رحمكم بارسال رسول لنجاتكم و إزال كتاب
 لعصمتكم غير مهمل^٧ ما يصلحكم ، فهو يعطيكم ما سبق فى علمه الحكم بأنه
 (١) من ظ ، و فى الأصل : بموانعة (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤/ ٤٠٥ .
 (٣) فى ظ : غنائمه (٤) من ظ ، و فى الأصل : أحوالهم (٥ - ٥) فى ظ : بامر .
 (٦) من ظ ، فى الأصل : مهملها .

لكم، و يمنعكم ما ليس لكم ﴿ و اصلحوا ذات بينكم ﴾ أى الحال التى هى صاحبة افتراقكم و اجتماعكم، فإن أغلب أمرها البين الذى هو القطيعة، و قد أشرفت على الفساد بطلب كل فريق الأثرة على صاحبه فأقبلوا على رعايتها بالتسليم لأمر الله و رسوله الأمرين بالإعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سواء، القوى و الضعيف سواء، فانكم إنما ترزقون و تنصرون ه بضعفائكم، لتجتمع كلمتكم فيشتد أمركم و يقوى أزركم فتقدروا على إقامة الدين و قمع المفسدين ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمتة فى كل ما يأمرانكم به من تفيل لمن يراه و إنفاذ شرط لمن شرط و وفاء لمن عاهده .

و لما أمر و نهى، هيج و ألهب فقال مبينا كون الإيمان مستلزما للطاعة: ١٠ ﴿ ان كنتم مؤمنين ه ﴾ أى صادقين فى دعوى الإيمان، فليس كل من يدعى شيئا يكون صادقا فى دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان، و لذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التأكيد لأن التخلص من الأعراض الدنيوية عشر: ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الراضون فى وصف الإيمان ﴿ الذين ﴾ أى يقيمون الدليل على دعوى الإيمان بتصدق أفعالهم لأقوالهم فيكونون ١٥ ﴿ اذا ذكر الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال من الجلال و الجمال [مجرد ذكر فى نحو قوله " الاتقال لله " - ١] ﴿ وجلت ﴾ أى خافت خوفا عظيما يتخلل صميم عظامهم و يحول فى سائر معانيهم و أجسامهم ﴿ قلوبهم ﴾ أى (١) من ظ، وفى الأصل: ليجتمع (٢) من ظ، وفى الأصل: تعكم (٣) فى ظ: الحلال (٤) زيد من ظ .

بمجرد ذكره استعظاما له ﴿ واذا نلت ﴾ أى قرئت على سبيل الموالاة
والاتصال [من أى تال كان - ١] ﴿ عليهم آيته ﴾ أى ٢ كما يأتى فى إقامة
الأدلة على ذلك [الحكم الذى ورد ذكره فيه - ١] ﴿ زادتهم إيمانا ﴾
أى بإيمانهم بها وبما حصل لهم من نور القلب وطمأنينة اليقين بسببها ،
٥ فانها هى الدالة على الله بما تبين من عظيم أفعاله ونعوت جلاله وجماله ،
وتظاهر الأدلة أقوى للدلول عليه ، وكال قدرة الله تعالى إنما يعرف ٢
بواسطة آثاره حكمته فى مخلوقاته ، وذلك بحر لاساحل له ، ولما كانت
المراتب لا نهاية لها ٢ ، كانت مراتب التجلى والمعرفة لا نهاية لها ، فالزيادة
فى أشخاص التصديق ﴿ وعلى ﴾ أى والحال أنهم على ﴿ ربهم ﴾ أى
١٠ الدائم الإحسان إليهم وحده ﴿ يتوكلون ﴾ أى يحددون إسناد أمورهم
إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره / ليكفيهم من حيث
لا يحسبون ، فان خزائنه واسعة ، ويده سحاء الليل والنهار ، كما أنهم
لما توكلوا عليه فى القتال نصرهم وقد كانوا فى غاية الخوف من الخذلان ،
وكان حالهم جديرا بذلك لقلقهم وخوفهم وقتلهم وضعفهم .

/ ٤٠٦

١٥ ولما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة والتوكل الجامع لهم الدافع
للنازع منها ، قال منتقلا [من - ١] عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبينا أن
همتهم إنما هى العبادة والمكارم : ﴿ الذين يقيمون الصلوة ﴾ أى لا يفترون
عن تجديد ذلك ؛ ولما كانت صلة بين الخلق والخالق ، أتبعها الوصلة بين

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : تعرف (٤-٤) فى
ظ : واسطة بآثار (٥) من ظ ، وفى الأصل : أنتم .

الحلائق فقال : ﴿ وما رزقنهم ﴾ أى على عظمتنا و هو لنا دونهم
 ﴿ ينفقون ط ﴾ ولو كانوا مقلين اعتمادا على ما عندنا فالإنفاق وإهانة الدنيا
 مهمتهم ، لا الحرص عليها ، فحينئذ ' يكونون كالذين ' عند ربك فى التحلى
 بالعبادة و التخلّى من الدنيا إعراضا و زهادة ، و هو تذكير بوصف المتقين
 المذكور أول الكتاب بقوله " الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة ه
 و ما رزقنهم ينفقون " .

ولما حققوا إيمانهم بأفعال القلوب و الجوارح و الأموال ، فاستوفوا
 بذلك جميع^٢ شعب الدين ، عظم سبحانه شأنهم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى
 العالو الهمة ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المؤمنون ﴾ و^٢ أكد مضمون الجملة بقوله :
 ﴿ حقا ط ﴾ .

ولما كانت صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الأخلاق و الأعمال
 لها تأثيرات فى تصفية القلوب و تنويرها بالمعارف الإلهية ، وكلما كان
 المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى ، فلما كانت هى درجات كان جزاؤها^١
 كذلك ، فلهذا قال سبحانه تعالى فى جواب من كأنه قال : فما جزاؤهم
 على ذلك ؟ : ﴿ لهم درجت ﴾ ولما كثرتا بجمع السلامة بما دل عليه ١٥
 سياق الامتنان ، عظمها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى بتسليمهم لامره .
 ولما كان قدر الله عظيما ، وكان الإنسان عن بلوغ ما يجب عليه
 من ذلك ضعيفا حقيرا ، وكان بأدنى شيء من أعماله يستفزه الإعجاب ،
 أشار سبحانه " إلى أنه " لا يسمعه إلا العفو ولو بذل فوق الجهد فقال :

(١-١) فى ظ : يكون كالذى (٢) فى ظ : حقوا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
 اجزائها (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(ومغفرة) أى لذنوبهم إن رجعوا عن المنازعة في الأنفال وغيرها ،
 (ورزق كريم ٤) أى لا ضيق فيه ولا كدر بوجه ما من منازعة ولا^١
 غيرها ، فهو يغنيهم عن هذه الأنفال^٢ ، ويملا^٣ أيديهم من الأموال من
 غنائم فارس و الروم وغير ذلك ، هذا في الدنيا ، وأما في الآخرة فما
 لا يحيط به^٤ الوصف ؛ قال أبو حيان^٥ : لما تقدمت ثلاث صفات قلبية
 - وهى الوجل وزيادة الإيمان والتوكل - وبدنية ومالية ، ترتب عليها ثلاثة
 أشياء ، فقبلت الأعمال القلبية بالدرجات والبدنية بالفقران ، وقبلت
 المالية بالرزق الكريم ، وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع -
 انتهى . ولما كان الإيمان عند الشافعى رحمه الله الاعتقاد والإقرار
 ١٠. والعمل جواز أن يقال : مؤمن إن شاء الله ، لأن استيفاء الأعمال مشكوك
 فيه وإن كان الاعتقاد والإقرار يقينا ، وعند أبى حنيفة رحمه الله الإيمان
 الاعتقاد والإقرار فقط ، فلم يجوز الاستثناء ، فالخلاف لفظى ، هذا إذا
 كان الاستثناء للشك ، وإن كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح ،
 وللشهادة بالجنة التى هى للؤمن ، وللحكم على حالة الموت ، على أن هذه
 ١٥ الكلمة لا تنافى الجزم ، فهى بمجرد التبرك كقوله تعالى " لتدخلن المسجد
 الحرام إن شاء الله آمنين " / - 'ذكر ذلك' الإمام غفر الدين .

/ ٤٠٧

ولما كان ترك الدنيا شديدا على النفس ، وترك النزاع بعد
 الانتساب^١ فيه أشد ، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين فقلعه بهم

(١) من ظ : وفي الأصل : لو (٢) فى ظ : الأنفال (٣) سقط من ظ (٤) راجع
 النهر من البحر المحيط ٤/ ٤٥٨ (٥) سورة ٤٨ آية ٢٧ ، وزيد بعده فى ظ : وكذا .
 (٦) من ظ ، وفي الأصل : الانتاب .

وأمرم

وأمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره
 وازدجارهم بزجره، فشبّه حال كراهتهم لترك مرادهم في الإنفال^١ بحال
 كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير،
 ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة في كلا الأمرين فقال: ﴿ كما ﴾ أى حالهم في
 كراهية تسليم الإنفال - مع كون التسليم هو الحق والاولى لهم - كما
 كانت حالهم إذ ﴿ اخرجك ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرشاد إلى جميع
 مقاصد الخير ﴿ من بيتك بالحق ﴾ أى الأمر الفيصل الفارق بين الثابت
 والمزلزل ﴿ وان ﴾ أى والحال أن ﴿ فريقا ﴾ عبر به لأن آراءهم كانت
 تؤل إلى الفرقة ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين في الإيمان ﴿ لكرهون ﴾
 ثم ذكر دليل كراهتهم فقال: ﴿ يحادلونك ﴾ أى يكررون ذلك إرادة^{١٠}
 أن يفتلوك عن اللقاء للجيش إلى الرجوع عنه .

و لما كان لقاء الجيش أمرا قد حتمه الله فلا بد^٢ من وقوعه مع
 أنه يرضيه، قال: ﴿ في الحق ﴾ أى الذى هو إثبات الجهاد ﴿ بعد ما تبين ﴾
 أى [وضح وضوحا عظيما سهلا من غير كلفة نظر - ^٤] بقرائن الأحوال
 بفوات العير وتيسير أمر النفير و بإعلام الرسول صلى الله عليه وسلم لهم^{١٥}
 تارة صريحا وتارة تلويحا كقوله : والله لكأن أنظر إلى مصارع القوم،
 هذا مصرع فلان وذلك مصرع فلان . .

[و - ^٤] لما كان سبحانه قد حكم^٥ باللقاء والنصرة تأييدا لوليه^٦
 وإعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك، شبه^٧ سوقه لهم^٨ إلى مراده،

- (١) من ظ، وفي الأصل: الانفال (٢) في ظ: إشارة (٣) في ظ: باس (٤) زيد
 (٥) من ظ: في ظ جاكم (٦) في ط: لدينيه - كذا (٧-٧) في ظ: سوتهم له .

فقال بانيا للمفعول لأن المكره إليهم السوق لا كونه من معين:
 ﴿كانما يساقون﴾ أى يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته ﴿إلى الموت
 وهم ينظرون﴾ لأنها كانت أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم
 وكان فيها لقاء، وكانوا غير متأهبين للقتال غاية التأهب، إنما خرجوا
 ٥ للقاء العير، هذا مع أنهم عدد يسير. وعدد أهل النفير كثير، وكانوا
 فى غاية الهيبة للقاءهم والرعب من قتالهم، وكل هذا تذكير لهم بأنه
 لم ينصرهم إلا الله بلا صنع منهم، بل كانوا فى يد قدرته كآلة فى
 يد أحدهم، لينتج ذلك أنه ليس لهم أن ينازعوا فى الأنفال.

ولما لانوا بهذا الخطاب، وأقبلوا على الملك التواب، أقبل عليهم
 ١٠ فقال: ﴿واذ﴾ أى اذكروا هذا الذى ذكره الله لكم وقد كان حالكم
 فيه ما ذكره، ثم أفضى إلى سعادة عظيمة وعز لا يشبهه عز، واذكروا
 إذ ﴿بعدكم الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿إحدى الطائفتين﴾:
 العير أو النفير، وأبدل من الإحدى - ليكون الوعد بها مكررا - قوله:
 ﴿إنها لكم﴾ أى فتكرهون لقاء ذات الشوكة ﴿وتودون﴾ أى
 ١٥ والحال أنكم تحبون محبة عظيمة ﴿إن غير ذات الشوكة﴾ أى السلاح
 والقتال والكفاح الذى به تعرف الأبطال ويميز بين الرجال من ذوات
 الحجال ﴿تكون لكم﴾ أى العير لكونها لم يكن فيها إلا ناس قليل،
 يقال: إنهم أربعون رجلا، جهلا منكم بالعواقب، ثم تبين لكم أن ما
 فعله الله خير لكم بما لا يبلغ كنهه، فسلموا له الأمر فى السر والجهر

(١) فى ط: إنما (٢) فى ظ: بل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لانها .

/ تنالوا الغنى والنصر، وقال الإمام [أبو -] جعفر بن الزبير العاصمي في مناسبة تعقيب الأعراف بهذه السورة ومناسبة آخر تلك لأول هذه ما نصه: لما قص سبحانه على نبيه صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف أخبار الأمم، وقطع المؤمنون^٢ من مجموع ذلك بأنه^٣ لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة، لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس^٥ وختمها بقصة بلعام، وكلاهما^٦ كفر على علم ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه، ونبه تعالى عباده على الباب الذي أتى^٧ منه على بلعام بقوله سبحانه "ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه" فأشار سبحانه إلى أن اتباع الأهواء أضل كل ضلال، نهوا على ما فيه الحزم^٨ من ترك الأهواء جملة فقال تعالى "يسئلكم عن الانفال" - الآية، فكان قد^٩ قيل لهم: اتركوا^{١٠} ما ترون أنه حق واجب لكم، وفوضوا في أمره لله وللرسول، فذلك أسلم لكم وأحزم في ردع أغراضكم وقمع شهواتكم وترك^{١١} أمور ربكم^{١٢} وقد ألف في هذه الشريعة السمحة^{١٣} البيضاء حسم الذرائع كثيرا وإقامة مظنة الشيء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر والقطرة^{١٤}، والخطبة في العدة واعتداد النوم الثقيل ناقضا، فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو^{١٥} لانفسها^{١٦} ولا بما هي كذا، بل بما هي مظان ودواع لما منع لعينه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: المؤمنين (٣) من ظ، وفي الأصل: بان (٤) في ظ: كفرهما (٥) في ظ: اوتى (٦) في ظ: الحرم (٧) سقط من ظ: (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) في ظ: السمحة (١٠) من ظ، وفي الأصل: الفطرة (١١) في ظ: انفسها.

أو استوجب حكماً لعينه وعلته الخاصة به، ولما أمر المسلمون بحل أيديهم عن
الأنفال يوم بدر إذ كان المقاتلة قد هموا بأخذها وحدثوا أنفسهم بالانفراد
[بها - ١] ورأوا أنها من حقهم وأن من^٢ لم يباشر قتالاً من الشيوخ
ومن انحاز منه^٣ لهم فلا حق له فيها، ورأى الآخرون [أيضاً - ١] أن
حقهم فيها ثابت لأنهم كانوا فيه للمقاتلين عدة^٤ وملجأ وراء ظهورهم،
كان ما أمرهم الله به من تسليم الحكم في ذلك إلى الله ورسوله من باب
حسم الذرائع لأن تمشية أغراضهم في ذلك - وإن تعلق كل من الفريقين
بحجة - مظنة لرئاسة^٥ النفوس واستسهال اتباع الأهواء^٦، فأمرهم الله
بالتزهد عن ذلك والتفويض لله ورسوله فان ذلك أسلم [لهم - ١] وأوفى
لدينهم^٧ وأبقى في إصلاح ذات البين وأجدى في الاتباع " فاتقوا الله

واصلحوا ذات بينكم " - الآية ؛ ثم ذكروا بما ينبغي لهم أن يلتزموا فقال
تعالى " إنما المؤمنون - إلى قوله : زادتهم إيماناً " ثم نهوا على أن أعراض
الدنيا من نقل أو غيره لا ينبغي للمؤمن أن يعتمد عليه اعتماداً يدخل
عليه ضرراً من الشرك [أو - ١] التفاتاً إلى غير الله سبحانه بقوله " وعلى
ربهم يتوكلون " ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلاة والإتقان
ثم قال " أولئك هم المؤمنون حقا " تنبيهاً على أن من قصر عن هذه الأحوال
ولم يأت بها على كمالها لم يخرج عن الإيمان ولكن ينزل عن درجة
الكمال بحسب تقصيره، وكان في هذا إشعار^٨ بغيرهم في كلامهم في
الأنفال وأنهم قد كانوا في مطلبهم على حالة من الصواب وشرب من

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : فيه ، وفي ظ : فيه (٤) في
الأصل و ظ : وعدة - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل : الرئاسة (٦-٧) سقط
ما بين الرقعتين من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : اشتغلوا .

التمسك و الاتباع ، لكن أعلى الدرجات ما بين لهم ومنحوه ، وأنه
 السكال والفوز ، ثم نبههم سبحانه بكيفية أمرهم في الخروج إلى بدر وودهم
 أن غير ذات الشوكة تكون لهم وهو سبحانه يريهم حسن العاقبة فيما
 اختاره لهم ، فقد كانوا تمنوا لقاء العير ، واختاروا ذلك على لقاء العدو
 ولم يعلموا ما وراء ذلك ” ويريد الله ان يحق الحق بكلمته ويقطع دابر
 الكافرين “ إلى ما قصه تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته وشمول أطفاه
 وآلائه و بسط نفوسهم ، و نبههم على ما ثبت يقينهم ويزيد في إيمانهم ،
 ثم أعلم أن الخير كله في التقوى فقال ” يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا / الله
 يجعل لكم فرقانا “ - الآية ، وهذا الفرقان هو^٢ الذي حرمه إبليس وبلغام ،

٤٠٩ /

فكان منها ما تقدم من^٣ اتباع الأهواء القاطعة لهم عن الرحمة ، وقد
 تضمنت الآية حصول خير الدنيا والآخرة بنعمة الاتقاء ، ثم أجمل
 الخيران معا في قوله ” والله ذو الفضل العظيم “ بعد تفصيل ما إليه إسراع^٤
 المؤمنين من الفرقان والتكفير والغفران ، [ولم يقع التصريح بخيرى
 الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الآية إياه^٥ تنزيها للمؤمن في مقام إعطاء الفرقان
 و تكفير السيئات والغفران - ٦] من^٦ ذكر متاع الدنيا التي هي لهو^٧
 ولعب ، فلم يكن ذكر متاعها القانى ليدكر مفصلا مع ما لا يجانسه ولا يشاكله
 ” وان الدار الآخرة لهى الحيوان “ ثم التحمت الآي ؛ ووجه آخر وهو

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : في (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : الإبقاء (٥) في ظ : اسرع (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : إياها .
 (٨) في ظ : عن .

أنه تعالى لما قال ” و اذا قرئ القرآن فاستمعوا له - ٢ “ بين لهم كيفية هذا الاستماع وما الذى يتصف به المؤمن من ضروبه فقال ” انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله - الآيه، فهؤلاء لم يسمعوا بأذانهم فقط، ولا كانت لهم آذان لا يسمعون بها ولا قلوب لا يفقهون بها، ولو كانوا كذا ٣ لما وجلت وعهم الفزع والخشية وزادتهم الآيات إيماناً، فاذن إنما يكون سماع المؤمن هكذا ” ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون “ ولا كان هؤلاء إنما أتى عليهم من اتباع أهوائهم والوقوف مع أغراضهم وشهواتهم ” ياخذون عرض هذا الأدنى “، ” ولكنه اخلد الى الارض واتبع هونه “ وهذه بعينها كانت آفة إبليس، رأى لنفسه المزيد ١٠ واعتقد لما الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال ” لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماسنون “ فلما كان اتباع الهوى ٥ أصلاً فى الضلال وتكذب الصراط المستقيم، أمر المؤمنين بحسم باب الأهواء، والتسليم فيما لهم ٦ به تعلق ٧ وإن لم يكن هوى مجرداً لكنه مظنة تيسير لاتباع ٨ الهوى، فافتحت السورة بسؤالهم عن الأنفال وأخبروا أنها لله ١٥ ورسوله، يحكم فيها ما يشاء ” فاتقوا الله “، واحذروا الأهواء التى أهلكت من قص عليكم ذكره ” واصلحوا ذات بينكم “ برفع التنازع، و سلخوا الله و لرسوله، وإلا لم تكونوا سامعين وقد أمرتم أن تسمعوا السماع الذى

(١) من ظ، وفى الأصل : كما (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم سورة ١٥ آية ٣٣، وفى الأصل : اجمد . (٥) فى ظ : الاهوى (٦) فى ظ : تفكت (٧) من ظ، وفى الأصل : له (٨-٨) فى ظ : يعلن - كذا (٩) فى ظ : اتباع .

عنه ترجى الرحمة، ويانه في قوله "انما المؤمنون" - الآيات؛ ووجه آخر
 وهو أن قصص بني إسرائيل عقب بوصاة المؤمنين وخصوصا بالتقوى
 وعلى حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من أمر بني إسرائيل، ففي
 البقرة أتبع قصصهم بقوله^١ "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
 انظرنا^٢ واسمعوا^٣"، ولما كان قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم "يُنبئ اسرائيل^٥
 اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين^٦" افتتح خطاب
 هذه الامة بما يشعر بتفضيلهم^٤، وتأمل ما بين "يُنبئ اسرائيل" و"يا أيها الذين
 آمنوا" وأمر أولئك بالإيمان "و آمنوا بما انزلت^٥" وأمر هؤلاء بتعبد
 احتياطي فقبل "وقولوا انظرنا واسمعوا" ثم أعقبت البقرة بآل عمران
 واقتحت ببيان المحكم والمتشابه الذي من جهته أتى^٦ على بني إسرائيل في^٧ ١٠
 كثير من مرتكباتهم، ولما ضمنت سورة آل عمران من ذكرهم^٨ ما ورد^٩
 فيها، أعقبت بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
 اوتوا الكتب يردوكم بعد ايمانكم كافرين^٩" ثم أعقبت السورة بقوله
 "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة^{١٠}" وعدل عن الخطاب
 باسم الإيمان للناسبة، وذلك أن سورة آل عمران خصت من مرتكبات ١٥
 بني إسرائيل بجرائم كقولهم في الكفار "هؤلاء اهدى من الذين آمنوا
 سيلان^{١١}" فهذا بهت^{١٢}، ومنها قولهم "الله فقير ونحن اغنياء^{١٣}" إلى

(١) آية ١٠٤ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) آية ٤٧ (٤) في ظ :
 تفضيلهم (٥) آية ٤١ (٦) في ظ : اوتى (٧) في ظ : و (٨ - ٨) من ظ، وفي
 الأصل : واذ (٩) آية ١٠٠ (١٠) سورة ٤ آية ١ (١١) سورة ٤ آية ٥١ .
 (١٢) في ظ : بهت (١٣) سورة ٣ آية ١٨١ .

ما تخلل هاتين من الآيات المنبئة عن تعمد الجرائم، فعدل عن "يا أيها الذين آمنوا" إلى "يا أيها الناس" ليكون أوقع في الترتيب وأوضح مناسبة لما ذكر، ولما ضمنت سورة النساء قوله تعالى "فبظلم من الذين هادوا / حرما عليهم طيبات - إلى قوله: واكلهم اموال الناس بالباطل"^١

/٤١٠

ه. أتبع بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود"^٢ ثم ذكر لهم ما أحل لهم وحرّم عليهم ليحذروا مما وقع فيه أولئك. فعلى هذا لما ضمنت سورة الأعراف من قصصهم جملة، وبين فيها اعتداءهم، وبناء على اتباع الأهواء والمجون على الأغراض، طلب هؤلاء باتقاء ذلك والبعد عما يشبهه جملة، فقيل في آخر السورة ["ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا"] ثم افتتحت السورة -^٣ [الأخرى بصرفهم عما لهم به تعلق وإليه تشبث يقيم عذرهم شرعا فيما كان منهم، فكان قد قيل لهم: ترك هذا أسلم وأبعد عن اتباع الأهواء، فسلخوا في ذلك الحكم لله ورسوله واتقوا الله، ثم تناسج السياق والتحت الآي، وقد تبين وجه اتصال الانفال بالأعراف من وجوه، والحمد لله - انتهى .

١٥. ولما أخبر تعالى بما هو الحق من أن إرادتهم بل ودادتهم إنما كانت منصبة إلى العير لا إلى النفير، تبين أنه لا صنع لهم فيما وقع إذ لو كان لكان على ما أرادوا، فلا حظ لهم في الغنيمة إلا ما يقسبه الله لهم لأن الحكم لمراده لا لمراد غيره، فقال تعالى عاطفا على "وتودون": (ويريد الله) أي بما له من العز والعظمة والعلم (ان يحق الحق)

(١) فظ: ما بين (٢) آية ١٦٠ و ١٦١ (٣) سورة ٥ آية ١ (٤) زيده من ظ (٥) سقط من ظ .

أى ثبت فى عالم الشهادة الثابت عنده فى عالم الغيب، وهو هنا إصابة ذات الشوكة ﴿ بكلمته ﴾ أى التى أوحاها [إلى - '] نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم يهزمون ويقتلون ويؤسرون، وأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان، ليعلى دينه ويظهر أمره على كل أمر ﴿ ويقطع دابر ﴾ أى آخر ﴿ الكافرين لا ﴾ أى كما يقطع أولهم، أى يستأصلهم بحيث لا يبق منهم أحد يشاقق أهل حربه فهو يدبر أمركم على ما يريد، فلذلك اختار لكم ذات الجد والشوكة ليكون ما وعدكم به من إعلاء الدين وقمع المفسدين بقطع دابرهم ﴿ ليحق الحق ﴾ [أى - '] الذى هو دينه القيم وفيه فوز الدارين ﴿ ويبطل الباطل ﴾ وهو كل ما خالفه ﴿ ولوكره ﴾ أى ذلك ﴿ المجرمون ﴾ أى الذين يقطعون ما أمر الله به^١ أن يوصل^{١٠} ويكسر قوتهم بضعفكم وبفى كثرتهم بقلتكم ويمحق عزهم بذلتكم فيظهر علو أمره ويخضع الأعناق لذكره ﴿ اذ ﴾ ظرف " ليحق الحق " ﴿ تستغيثون ربكم ﴾ أى تطلبون إغاثة المحسن إليكم، وهو بدل من " اذ يعدكم " فهو من البيان لكرهتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع إسفار العاقبة عن أن^٢ الخير فيما كرهوه،^{١٥} وأنه أحق الحق وأظهر الدين وأوهن أمر المشركين .

ولما أسرع سبحانه الإجابة، دل على ذلك بقوله: ﴿ فاستجاب ﴾ أى فأوجد الإجابة إجماد من هو طالب لها شديد^٤ الرغبة فيها ﴿ لكم ﴾ بغاية ما تريدون تثبيتاً لقلوبكم ﴿ انى ﴾ أى بآنى ﴿ عندكم ﴾ أى موجد

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: بذكركم (٤) فى ظ: شد .

المدد (لكم) أى بامدادكم، ولعله حول العبارة لما فى التصريح بضميره
من العظمة و البركة (بالف من الملائكة) حال كونهم (مردفين) أى
متبعين بأمثالهم .

و لما كانت نصرة المسلمين فى هذه الغزوة ظاهرة جدا، قال :
هـ (وما جعله الله) أى الإمداد و الوعد به على ما له سبحانه من العظمة
التي من راقبها لم يهب شيئا (الابشرى) [أى -^٢] لتستبشر به نفوسكم،
ولم يحتاج إلى تقييد بأن يقال: لكم، و أما فى قصة أحد فقد كان المقتول
منهم أكثر من المقتول من الكفار فلو لا قوله 'لكم' لربما طرق بعض
الأوهام حين سماع أول الكلام أن الإمداد بشرى للكفار .

١٠ و لما كان الذى وقع الحكم به هنا على الإمداد أنه بشرى نفسه من
غير قيد، علم أن العناية به أشد، فكان المحكوم به الطمأنينة كذلك، فكان
أصل الكلام: إلا بشرى هو و طمأنينة هو، فلذلك وجب تقديم ضميره
فى قوله 'به' على القلوب تأكيداً لأمره و تفخيماً لشأنه، و إشارة إلى إتمامه
على عادة العرب فى تقديم ما هم به أعنى وهو عندهم أهم فقال: (ولتطمئن)
١٥ أى و طمأنينة لتطمئن (به) أى وحده من غير نظر إلى شيء من قوتكم
ولا غيرها (قلوبكم) فالآية من الاحتباك، و أما فى قصة أحد فلما
قيدت البشرى / بالإمداد بلكم لما تقدم، علم أن الطمأنينة كذلك، فكان
الانسب تأخير ضميره و تقديم القلوب الملازمة لضميرهم موازنة لقوله 'لكم' .

(١) من ظ، وفى الأصل: بمضمرة (٢) زيد من ظ (٣-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان ذلك مفهما أن النصر ليس إلا يده و أن شيئا من الإمداد
أو غيره لا يوجب النصر بذاته ، صرح به في قوله : ﴿ وما النصر ﴾ أى
حاصلا و موجودا بالملائكة و غيرهم من الأسباب ﴿ الا من عند الله ﴾ أى
لأن له^١ وحده صفات الكمال ، فما عنده ليس منحصر في الإمداد بالملائكة ،
فالنصر و إن كان بها فليس من عندها ، فلا تعتمدوا على وجودها و لا تهنوا
بفقدائها اعتمادا عليه سبحانه خاصة ، فان ما عنده من الأسباب لا يحاط
به علما ، هذا إذا أراد النصر بالأسباب ، و إن أراد بغير ذلك فعل ،
فكان التعبير بعند لإفهام^٢ ذلك .

و لما كانت هذه الغزوة في أول الأمر ، و كانوا بعد بروز الوعد
الصادق لهم باحدى الطائفتين كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ، ثم وقع لهم ١٠
ما وقع من النصر ، كان المقام مقتضيا لإثبات عزة الله و حكمته على سبيل
التأكيد إعلاما بأن صفات الكمال ثابتة له دائما ، فهو ينصر من صبر و اتقى
بعزته ، و يحكم أمره^٣ على آتم وجه بحكمته ، هذا فعله دائما كما فعل في هذه
الغزوة فلذلك قال معللا لما قبله مؤكدا : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم
﴿ عزيز ﴾ أى هو في غاية الامتناع و القهر لمن^٤ يريد قهره أزلا و أبدا ، ١٥
لا يغالب و لا يحوج و له إلى^٥ زيادة العدد و لا تنافسة العُدَد ﴿ حكيم ﴾
أى إذا قضى أمرا كان في غاية الإتقان و الإحكام ، فلا يستطيع أحد نقص
شيء منه ، هذا له دائما ، فهو يفعل في نصركم هكذا^٦ مهما استأنستم^٧

(١) في ظ د و ، (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الانهزام (٤) من ظ ، وفي الأصل :
امر (٥) من ظ ، وفي الأصل : كما (٦) من ظ ، وفي الأصل : بمن (٧) في ظ :
هذا (٨) من ظ ، وفي الأصل : استأنسهم .

إلى بشره ولم تنظروا إلى قوتكم ولا غيرها مما سواه؛ فلا تفلقوا^١ إذا
أمركم بالهجوم على البأس^٢ و لو كان فيه لقاء جميع الناس .

ولما أكد هنا، لم يحتج إلى إعادة تأكيد في آل عمران فقيل "العزیز
الحکیم"^٣ أى الذى أخبركم عن عزته وحكمته في غزوة بدر بما يليق بذلك
المقام [من التأكيد، وأخبركم أنكم إن فاديتهم الأسرى قتل منها في العام
المقبل - ٤] مثل عددهم، فوقوع^٥ الأمر على ما قال مغن عن التأكيد،
ولم يكن أحد^٦ من المسلمين في أحد مترددا في اللقاء ولا هائبا له إلا ما
وقع من الهم بالفشل من الطائفتين والعصمة منه في الحال، وقد مضى
في آل عمران لهذا مزيد بيان .

١٠ ولما ذكر البشرى والطمأنينة بالإمداد، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع
القول الفعل فأتى في قلوبهم بعزته وحكمته الطمأنينة والامن والسكينة
بدليل النعاس الذى غشيهم في موضع هو أبعد الأشياء عنه^٧ وهو موطن
الجلاد ومصاولة الأنداد واليقظ لمخاتلة أهل العناد، وكذا المطر وأثره،
فقال مبدلا أيضا من "اذ يعدكم" أو^٨ معلقا بالنصر أو بما في الظرف من راحة
١٥ الفعل مصورا لعزته وحكمته: ﴿ اذ يغشسكم ﴾ بفتح حرف المضارعة في

قراءة ابن كثير وأبي عمرو فالفاعل ﴿ النعاس ﴾ و ضم الباقون الياء ،
(١) من ظ ، وفي الأصل : فلا تغفلوا (٢) من ظ ، وفي الأصل : الناس .
(٣) راجع آية ١٢٦ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : فوقع (٦) سقط
من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : عندهم (٨) في ظ " و " .

وأسكن

و أسكن نافع الغين و فتحها الباقون و شددوا الشين المكسورة، فالفاعل في القراءة الأولى مفعول هنا، و الفاعل ضمير يعود على الله .

و لما ذكر هذه التغطية الغريبة الخارقة للعوائد، ذكر ما فعلت لأجله فقال: ﴿ اmente ﴾ و لما كان ذلك خارقا للعادة، جاء الوصف بقوله: ﴿ منه ﴾ أى بحكمته لأنه [لا - ١] ينام فى مثل تلك الحال إلا الآمن، ٥ و يمنع عنكم العدو و أتم نائمون بعزته، و لم يختلف فاعل الفعل المعلن فى القراءات الثلاث لأن كون النعاس فاعلا مجاز، و يصح عندى نصبها^٢ على الحال .

و لما كان النعاس آية / الموت، ذكر بعده آية الحياة فقال: ٤١٢ / ﴿ و ينزل عليكم ﴾ [و حقق كونه مطرا بقوله - ١] : ﴿ من السماء ماء ﴾ ١٠ و وقع فى اليبس و أصله و كذا تفسير أبى حيان أن المشركين سبقوا إلى الماء و غلبوا عليه، و ليس كذلك بل الذى سبق إلى بدر و غلب على ماتها المؤمنون كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره، فيكون شرح القصة أنهم مطروا فى المنزل الذى ساروا منه إلى بدر فحصل للمسلمين منه ما ملأوا منه أسقيتهم فطهروا^٣ من حدث أو جنابة و لبدهم الرمل و سهل عليهم ١٥ المسير، و أصاب المشركين ما زلق^٤ أرضهم حتى منعهم المسير، فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم إلى المنزل و تمكينهم من بناء الحياض و تغوير^٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: نصبه با - كذا (٣) من ظ، و فى الأصل: فيطهروا (٤) فى ظ: لزوم (٥) من ظ، و فى الأصل: تقدير .

ما وراء الماء الذي نزلوا عليه من القلب كما هو مشهور في السير ، ويكون رجز الشيطان وسوسته لهم بالقلّة والضعف والتخويف بكثرة العدو ، والربط على القلوب طمأنينتهم وطيب نفوسهم بما أراهم من الكرامة كما يوضح ذلك جميعه قول ابن هشام " وينزل عليكم من السماء " ماء للطر الذي أصابهم^١ تلك الليلة ، فحبس^٢ المشركين أن يسبقوا إلى الماء وخلي سبيل المؤمنين إليه ﴿ ليظهركم به ﴾ أي من كل درن ، وابتدأ من فوائد الماء بالتطهير لأنه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس وعطف عليه - بقوله^٣ : ﴿ ويذهب عنكم ﴾ أي لا عن غيركم ﴿ رجز الشيطان ﴾ بغير^٤ لام - ما هو^٥ لازم له ، وهو البعد الذي كان مع الحدث الذي منه الجنابة المقربة من الحباث الشيطانية بضيق الصدر والشك والخوف لإبعادها من الحضرات الملائكة ، لا تدخل الملائكة^٦ بيتا فيه جنب ، والرجز يطلق على القدر وعبادة الأوثان والعذاب والشرك ، فقد كان الشيطان وسوس لهم ، ولا شك أن وسوسته من أعظم القدر^٧ فانها تجر من تهادى معها إلى كل ما ذكر ؛ ثم عطف عليه ما نهيا له القلب من الحكم الإلهية

١٥ وهو إفراغ السكينة فقال : ﴿ وليربط ﴾ أي بالصبر واليقين .

ولما كان ذلك ربطا محكما غالبا عاليا ، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ على قلوبكم ﴾ أي بعد إسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملبة^٨ حتى

(١) من سيرة ابن هشام ٣٥/٢ ، وفي الأصل : أصابكم ، وفي ظ : أصابكم (٢) في ظ : فحبسوا (٣) في ظ : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : القذرة (٧) في ظ : ملم .

امتلات من كل^١ خير و ثبت فيها بالربط^٢، فشبهها بجراب^٣ ملي. شيئاً
ثم ربط رأسه حتى لا يخرج من ذلك الذى فيه شيء، وأعاد اللام
إشارة إلى أنه المقصد الأعظم وما قبله وسيلة إليه و عطف عليه بغير
لام لازمه من؛ التثيت فقال: ﴿ ويثبت به ﴾ أى بالربط أو بالمطر
﴿ الاقدام ط ﴾ أى لعدم الخوف فان الخائف لا تثبت قدمه في المكان ه
[الذى - °] يقف به، بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره،
أو بتليد الرمل.

ولما ذكر حكمة الإمداد وما تبعه من الآثار المثبتة للقلوب والأقدام،
ذكر ما أمر به المدد من التثيت بالقول والفعل فقال: ﴿ اذ ﴾ بدلا ثالثا
من " اذ يعدكم " أو ظرفا ليثبت ﴿ يوحى ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ١٠
ذلك ﴿ الى الملائكة ﴾ وبين أن النصر منه لا من المدد بقوله: ﴿ انى معكم ﴾
أى ومن كنت معه كان ظافرا^١ بجميع مأموله ﴿ فثبتوا ﴾ أى بسبب ذلك
﴿ الذين آمنوا^٢ ﴾ أى بأنواع التثيت من تكثير سوادهم وتقوية قلوبهم
وقتل أعدائهم وتقليلهم في أعينهم وتحقير شأنهم؛ ثم بين المعية بقوله:
﴿ سالى ﴾ أى^٣ بوعد لا خلف فيه ﴿ فى قلوب الذين كفروا ﴾ أى ١٥
أوجدوا الكفر ﴿ الرعب ﴾ فلا يكون^٤ لهم ثبات ﴿ فاضربوا ﴾
[أى - °] أيها المؤمنون من الملائكة والبشر غير هائنين بسبب ذلك.

(١) من ظ، وفى الأصل: ذلك (٢) فى ظ: الربط (٣) فى الأصل: بجراب،
وفى ظ: بجرايه - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: فى (ه) زيد من ظ (٦) فى
ظ: ظاهرا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: فلا يكن.

ولما كان ضرب العنق والرأس أوحى مهلك للانسان ، وكان
العنق يستر في الحرب غالبا ، عبر بقوله : ﴿ فوق الاعناق ﴾ أى الرؤس
أو أعلى الاعناق منهم لأنها مفاصل ومذايح .

ولما كان إفساد الأصابع أنكى ما يكون بعد ذلك 'لأنه يطل
٤١٣ / ٥ / قتال المضروب أو كإل قتاله' ، قال : ﴿ واضربوا منهم كل بنان ط ﴾ أى

فانه لا مانع من ذلك لكونى معكم ؛ ثم علل تسليطهم عليهم بقوله :
﴿ ذلك ﴾ أى التسليط العظيم ، وأخبر عنه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى الذى
تلبسوا الآن بالكفر ولو كانوا من يقضى بإيمانه بعد ﴿ شاقوا الله ﴾ أى
الملك الأعلى الذى لا يطاق انتقامه ﴿ ورسوله ج ﴾ أى طلبوا أن يكونوا
١٠ بمخالفة الأوامر والنواهي فى شق غير الشق الذى فيه حزب الهدى^١ فى

مكر منهم وخداع ، وشاقوة باشتهاار السيف جهرا - ٢] ، ثم [بين - ٢]
ما لفاعل ذلك ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن شاق الله ورسوله فافعلوا به
ذلك ، فأنى فاعل به ما فعلت بهؤلاء ، وأظهر الإدغام فى المضارع لأن
القصة للعرب وأمرهم فى عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا وبجاهرة* ،
١٥ وأدغم فى الماضى لأن ماضى قبلها كان ما بين مساترة بالمماكرة وبجاهرة
بالمقاهرة ، وعبر بالمضارع ندبا إلى التوبة بتقييد^٢ الوعيد بالاستمرار ،
وأدغم فى الحشر فى الموضعين^٣ لأن القصة لليهود وأمرهم كان ضعيفا^٤

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى
ظ : الادغام (٥) فى ظ : مهاجرة (٦) فى ظ : تقييد (٧) راجع آية ٤ (٨) فى
ظ : ضعيف .

ومسآرة فى مماكرة : ﴿ ومن يشاقق الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه [ويشاقه سرا أو جهرا - '] ﴿ ورسوله ﴾ بأن يكون فى شق غير الشق الذى يرضيانه ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ شديد العقاب ﴾ أى له هذه الصفة ، فليتوقع مشاققه عذابه ، [فالآية من الاحتباك : ذكر الفعل المدغم أولا دليل على حذف المظهر ثانيا ، هـ والمظهر ثانيا على حذف المدغم أولا - '] . و [لما - '] ختم الآية ببيان السبب الموجب لإهانة الذين كفروا وبما له من الوصف العظيم ، أتبعه ما يقول لهم ليان الحال^١ عند ذلك بقوله التفاتا إليهم لمزيد التبكيت والتوبيخ : ﴿ ذلكم ﴾ أى هو سبحانه بما له من هذا الوصف الهائل يذيق عدوه من عذابه ما لا طاقة لهم به ولا يدان ، فيصير لسان الحال ١٠ مخاطبا لهم نيابة عن المقال : الأمر الذى حذرتكم منه الرسل وأتكم به الكتب وكنتم تستهزئون به^٢ أيها الكفرة هو هذا الأمر الشديد وقعه^٣ البعيد على [من - '] ينزل^٤ عليه دفعه قد دهمكم ، فإللكم لا تدافعونه^٥ إكلا والله شغل كلاً ما قابله^٦ ولم يقدر أن يزاوله .

ولما كان ما وقع لهم فى وقعة بدر من القتل والاسر والقهو ١٥ يسيراً^٧ جدا بالنسبة إلى ما لهم فى الآخرة ، سماه ذوقا لأنه يكون بالقليل ليعرف به حال الكثير فقال : ﴿ فذوقوه ﴾ أى باشره قهرا مباشرة

- (١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بهم (٤) فى ظ : وقعة (٥) فى الأصل : يترك ، وفى ظ : يترك - كذا (٦) فى ظ : تدفعونه (٧) فى ظ : قابله (٨) فى الأصل و ظ : يسير .

الذائق و اعلوا أنه بالنسبة إلى ما تستقبلونه كالمذوق. بالنسبة إلى المذوق لأجله (وان) أى و الأمر الذى أتكم به الرسل والكتب أن لكم مع هذا الذى ذقموه فى الدنيا ، هكذا ' كان الأصل ولكنه أظهر تعميما وتعليقا^٢ بالوصف [فقال - ٢] : (للكافرين) أى على كفرهم ٥ وإن لم يظهروا المشاققة (عذاب النار) وهو موافقكم وهو أكبر وسترون .

ولما قرر إهانتهم فى الدنيا والآخرة بما حسر عليهم القلوب ، حسن أن يتبع ذلك نهى من ادعى الإيمان عن الفرار منهم و تهديد من نكص عنهم بعد هذا البيان وهو يدعى الإيمان فقال : (بآياها الذين آمنوا) أى ١٠ بما أتاهم من ' عند ربهم ' (إذا لقيتم الذين كفروا) أى بآيات ربهم فشاققوه ، و عبر عن حال لقاءهم بالمصدر مبالغة [فى التشبيه فقال - ٢] : (زحفا) أى حال كونهم زاحفين محاربين وهم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم - وإن كانت سريعة - إلا مثل الزحف (فلا تولوهم الادبار) أى هربا منهم وإن كنتم أقل منهم (ومن يولهم) . ١٥ ولما كان الأغلب فى وقوع القتال النهار ، وكانت التولية عما لا يكون الظرف [١ - معيارا له ٦] لأنها مما لا يمتد زمنه ، فالعصيان يقع بمجرد الالتفات بقصد الفرار ، والتهادى تكرير أمثال ، لا شرط فى صحة

(١) فى ظ : هذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : لم يظهر

المشاة (٥-٥) فى ظ : ربكم (٦) فى ظ : لهم .

إطلاق (٦٠)

٢٤٠

٤١٤ /

إطلاق الاسم، عبر باليوم^١، وجرده عن « في »، ندبا إلى الكر / بعد القمر مع
 عدم الالتباس^٢، فان الظرف لا يكون معيارا للفعل إلا إذا كان ممتد
 الزمان كالصوم [فقال - ٢]: (يومئذ) أى إذ؛ لقيم على هذه الحالة
 في أى وقت ' كان من ' أوقات القتال من ليل [كان - ٢] أو نهار
 (دبره) أى يحمل ظهره إليهم لشيء من الأشياء تولى لا يريد الإقبال ه
 إلى القتال منها (الا) أى حال كونه (متحرفا) أو ' الحال التحرف،
 وهو الزوال عن جهة الاستواء (لقتال) أى لا يتسهل له إلا بذلك،
 أو يخيل إلى عدوه أنه منهزم خداعا له ثم يكر عليه (او متحيزا) أى
 متقلبا من حيز إلى آخر^٣ ومتحيزا (الى فئة) أى جماعة أخرى من
 أهل حزبه هم أهل لأن يرجع إليهم ليستعين بهم^٤ أو يعينهم . ١٠

ولما كان هذا محل توقع السامع للجواب و تفرغ ذهنه له ، أجاب
 رابطا بالفاء^٥ إعلاما بأن الفعل المحدث^٦ عنه سبب لهذا الجزاء فقال:
 (فقد بآه) أى رجع (بغضب من الله) أى الحائز لجميع صفات الكمال
 (وماونه جهنم^٧) أى تنجهم^٨ كما أنه هاب تنجهم الكفار و لقاء الوجوه
 العابسة بوجه كالح عابس (وبئس المصير^٩) هذا إذا لم يزد الكفار عن ١٥

(١) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٢) من ظ ، وفي الأصل : الالباس (٣) زيد
 من ظ (٤) في ظ : اذا (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سقط من ظ .
 (٦) زيد بعده في ظ : الا (٨) في ظ : لايسهل (٩) في ظ : حيز (١٠) من ظ ، وفي
 الأصل : لكم (١١) من ظ ، وفي الأصل : انما (١٢) في ظ : المحذر (١٣) من
 ظ ، وفي الأصل : تنجهم .

الضعف - كما سيأتى النص به .

ولما تقدم إليهم في ذلك ، علله بتقرير عزته وحكمته ، وأن النصر ليس إلا من عنده ، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امثال أوامره ، فقال مسيئا عن تحريره الفرار وإن كان العدو كثيرا ، تذكيرا بما صنع لهم في بدر ، ليجريهم على مثل ذلك ، ومنعا لهم من الإعجاب بما كان على أيديهم في ذلك اليوم من الخوارق : ﴿ فلم تقتلوه ﴾ أى حل على المدبر الغضب لأنه قد تبين لكل مؤمن أنه تعالى لا يأمر أحدا إلا بما هو قادر سبحانه على تطويقه له ، فانه قد وضع بما يجرى على قوانين العوائد أنكم لم تقتلوا قتلى بدر وإن تعاطيتم أسباب قتلهم ، لأنكم لم تدخلوا قلوب ذلك الجيش العظيم الرعب الذى كان سبب هزيمتهم التى كانت سبب قتل من قتلتم ، اضعفكم عن مقاومتهم فى العادة ، وفيه مع ذلك زجر لهم عن أن يقول أحد منهم على وجه الافتخار : قتلنا كذا وكذا رجلا وفعلنا كذا (ولكن الله) أى الذى له الأمر كله فلا يخرج شيء عن مراده (قتلهم) أى بأن هزمهم لكم لما رأوا الملائكة وامتلات أعينهم من التراب الذى رماهم به صلى الله عليه وسلم وقلوبهم جزعا حتى تمكنت من قتلهم خرق عادة كان وعدكم بها ، فصدق مقالته وتمت أفعاله .

ولما رد ما باشروه إليه سبحانه ، أتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه وسلم دلالة على ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا مقبلة قال : اللهم ! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرما تحادك وتكذب رسولك ، فقال

(١) فى ظ : الابعاز (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : قلت .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : يكذب .

جبرئيل عليه السلام: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، ففعل فلأت^١ أعينهم فانهزموا فقال: ﴿ ومارميت ﴾ أى يا سيد المؤمنين الرمل فى أعين الكفار ﴿ اذرميت ﴾ أى أوقعت صورة قذفه من كفك، لأن هذا الأثر الذى وجد عن رميك خارق للعادة، فمن الواضح أنه ليس فعلك، وهذا هو الجواب عن كونه لم يقل: فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، لأن زهوق النفس عن الجراح^٢ المتخن هو العادة، فهم الذين قتلوهم حين باسروا ضربهم، فلا يصح: فلم تقتلوهم حين قتلتموهم، والمنفى إنما هو السبب المتقدم على القتل الممكن من القتل، وهو تسكين قلوبهم الناشئ عند إقدامهم وإرعاب الكفار الناشئ^٣ عند ضعفهم وانهزامهم الممكن منهم، فالمنفى عنهم^٤ / البداية والمنفى عنه صلى الله عليه وسلم الغاية، أو أن الملائكة عليهم السلام لما باشرت^٥ قتل بعضهم صح أن ينفى عنهم قتل المجموع مطلقا، أو أنهم لما افتخر بعضهم^٦ بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لأن مباشرتهم لقتل من قتل فى جنب ما أعد لهم من الأسباب وأيدهم به من الجنود عدم، وأما النبى صلى الله عليه وسلم فاته فعل ما أمر به من رمى الرمل ولم يعد فعله ولا ذكره، فأثبتته سبحانه له مع نفي تأثيره عنه وإثباته لمن إليه ترجع^٧ ١٥ الأمور تأديا منه سبحانه لهذه الأمة، أى لا ينظر أحد إلى شىء من طاعته، فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكل الخلق مع أنه عالم مقر^٨ بأنه منا فليحذر الذى يرى له فعلا من عظيم سطواتنا، ولكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمى إليه بقوله: ﴿ ولكن الله ﴾

(١) فى ظ: فامتلات (٢) فى ظ: الجوارح (٣) فى ط: عنه (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (ه) من ظ، وفى الأصل: يرجع (٦) فى ظ: مقرر.

أى^١ الذى لا راد لأمره ﴿ رعى ج ﴾ لأنه الذى أوصل أثره بما كان هازما للكفار ، فعل ذلك كله ليلى الكفار منه بأيدى^٢ من أراد من عباده بلاء عاقبه سيئة ﴿ وليلى المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ منه ﴾ أى وحده ﴿ بلاء حسنا^٣ ﴾ [أى - ٣] من النصر والغنيمة والأجر ، ه [ومادة بلاء يائية أو واوية بأى^٤ - ٢] ترتيب كان تدور على الخططة^٥ ، وتارة تكون مطلقة نحو أبلاه عذرا ، وتارة بكثرة ومحاولة^٦ وعناء وهو أغلب أحوال المادة ، وتارة تكون للامتحان وأخرى لغيره ، وما أباليه بالة - أظنه من البال^٦ الذى هو الخاطر فهو من بول لا بلو ، أجوف لا من ذوات الأربعة ، ومعناه : ما أفاعله بالبال ، أى ما أكثرته به فما أصرف ١٠ خاطرى إلى مخالطة أحواله حيث يصرف هو خاطره إلى ، أى ما أفكر فى أمره لهواته على^٧ ، و سياتى بسط معانى المادة إن شاء الله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى ” ما بال النسوة^٧ “ وهذه المادة معناها ضد الدعة ، لأن هذه يلزمها شغل الخاطر الذى عنه ينشأ التعب بمدافعة الملابس ، والدعة يلزمها هدوء^٨ السر وفراغ البال الذى هو منشأ الراحة ، ١٥ فغنى الآية أنه تعالى فعل ذلك من الإمكان من إذلال الكفار ليخالطهم من شؤنه^٩ ما يكون لهم فى مدافعته عاقبة سيئة ، وليخالط المؤمنين من ذلك ما يكون لهم فى مزالته عاقبة حسنة بل أحسن من الراحة ، لأنه يفضى بهم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يدى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الخططة (٥) من ظ ، وفى الأصل : مجادلة (٦) فى ظ : البالى (٧) آية . ه (٨) فى ظ : هدى (٩) فى الأصل : تسوته ، وفى ظ : سووته .

إلى راحة دائمة ، والدعة تفضى إلى تعب طويل - والله موفق .
ولما ثبت بما مضى أن له تعالى الأفعال العظيمة والبطشات الجسيمة .
ودلت أقوال من قال من المؤمنين : إنالم تنأهب للقاء ذات الشوكه ، على
ضعف العزائم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة
بصفات الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم من الاستعانة^٢ فى المعونة على ه
النصرة^٣ وغيرها ﴿ عليم ه ﴾ أى بعزائمكم وإن لم تتكلموا بها ، فهو يحازى
المؤمن على حسب إيمانه والكافر على ما يبدى ويخفى من كفراته ، الأمر
﴿ ذلكم ﴾ العظيم الشأن البعيد المتناول الذى أمركم فيه بأوامره ونهاكم
به عن مناهيه وأبلاككم فيه البلاء الحسن ، وأراكم بأعينكم توهينه لهذه
الطائفة التى قصدتكم وأتم عندها أكلة جزور و عصفور بين يدي صقور ، ١٠
و بين لكم من^٤ علل ذلك ومعجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمؤمن ، فالزموا
طاعته وسابقوا^٥ فى طاعة رسوله ولا تنظروا فى عاقبة شئ / بما يأمر به ،
فانه ما ينطق عن الهوى بل إنما يأمر عنا ، ونحن لم نأمر بشئ إلا بعد
تدييره على أحكم الوجوه وأتقنها ﴿ وان ﴾ أى والأمر أيضا أن
﴿ الله ﴾ أى الحاوى لجميع صفات العز والعظمة^٦ ﴿ موهن ﴾ أى مضعف ١٥
إضعافا شديدا ثابتا دائما أبدا ﴿ كيد الكافرين ه ﴾ أى الراسخين فى الكفر
جميعهم ، فلا تهنوا فى ابتغاء القوم وإن نالكم قرح فانا نجعله^٧ لكم تطهيراً
وللكافرين تدميراً والعاقبة للتقوى ، فنظلمكم على عوراتهم و نلقى الرعب
(١) فى ظ : انه (٢) فى ظ : استعانة (٣) فى ظ : النصر (٤) - سقط من ظ (ه) فى
ظ : تسابقوا (٦) فى ظ : الكبر (٧) من ظ ، وفى الأصل : نجعل .

في قلوبهم و تفرق كلمتهم و تنقض ما أبرموا .

ولما تضمن ذلك إيقاع الإهانة 'بالكفار بهذه الوقعة ، و الوعد بالزامهم الإهانة' فيما يأتي ، كان ذلك مفصلاً للالتفات إلى تهديدهم في قالب استجلالهم و الاستهزاء بهم و تفخيم أمر المؤمنين فقال : ﴿ ان تستفتحوا ﴾ أي تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا ' اليوم كما استفتحتم في هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم بقولكم : اللهم انصر أهدي الحزين ، و أكرم الجندين ، و أعلى الفتيين ، و أفضل الدينين ، و وقت ترائي الجمعين ، بقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم و آنانا ' بما لا يعلم فأخذه الغداة ؛ أناكم الفتح كما أناكم في هذا اليوم ﴾ (فقد جاءكم) أي في هذا اليوم بنصر المؤمنين ﴾ (الفتح ج) أي الذي استفتحتم له لأنهم أهدي الفتيين و أكرم الطائفتين ﴾ (و ان تنتهوا) أي بعد هذا عن مثل هذه الأقوال و الأفعال المتضمنة للشك أو العناد ﴾ (فهو خير لكم) و قد رأيتم دلائل ذلك ﴾ (و ان تعودوا) أي إلى المغالبة لأنكم لم تنتهوا ﴾ (نعدج) أي إلى خذلانكم ﴾ (و ان تغنى عنكم) أي أبدا ﴾ (فتكم) أي جماعتكم التي ترجعون إليها للاعتراف بها ﴾ (شيئاً) أي من الإغناء ﴾ (ولو كثرت لا) لأن الله على الكافرين ﴾ (و ان الله) أي الملك الأعظم ﴾ (مع المؤمنين) أي الراسخين في الإيمان ، و أمه عبر بالمستقبل في الشرط و الماضي في الجزاء

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (م) من ظ و سيرة ابن هشام ١٨/٢ ، وفي الأصل : اماما - كذا . (٤) في ظ : للاغترار .

إشارة إلى أنكم استفتحتم في بدر وجاءكم من الفتح ما رأيتم ، فان كان
أعجبكم فالزموه في المستقبل ، فاني لا أجيئكم أبدا ما دمت على حالكم إلا بما جئكم^١
به يومئذ ، و الفتح يحتمل أن يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم ، وأن
يكون بمعنى القضاء .

و لما كان سبب ما أحله^٢ بالكفار - من الإعراض عن إجابتهم فيما ه
قصدا من دعائهم و من خذلانهم في هذه الواقعة و إيجاب مثل ذلك لهم
أبدا - هو عصيانهم الرسول و توليهم عن قبول ما يسمعون^٣ منه من
الروح ؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتأدي في التنازع في الغنيمة
أو غيرها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اطيعوا الله ﴾
أى الذى له جميع العز و العظمة ﴿ و رسوله ﴾ تصديقا لدعواكم الإيمان . ١٠
و لما كانت طاعة الرسول هي طاعة الله لانه إنما يدعو إليه وإنما
خلقه القرآن ، وحد الضمير فقال : ﴿ و لا تولوا عنه ﴾ أى عن الرسول^٤
في حال من الأحوال ، في أمر من الأوامر من الجهاد وغيره ، من الغنائم
و غيرها ، خف أو نقل ، سهل أو صعب ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم
﴿ تسمعون^٥ ﴾ أى لكم سمع لما يقوله ، أو وأنتم تصدقونه ، لأن ارتكاب ١٥
شئ من ذلك يكذب دعوى الإيمان و ينطبق على أحوال الكفار ،
و إلى ذلك إشارة بقوله : ﴿ و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ أى بأذاننا
﴿ و هم لا يسمعون^٦ ﴾ أى لا يستجيبون^٦ فكأنهم لم يسمعوا ، لما انتفت

(١) فظ : أجيئكم (٢) فظ : حله (٣) فظ : يستمعونه (٤) فظ : من (٥) زيد
بعده في الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة في ظ لغذناها (٦) من ظ ، وفي الأصل :
لا يستحسنون .

الثمرة عد المثمر عدما .

ولما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم في عدم السماع لعدم الانتفاع به ، و الأبكم في عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع ، والعمى للعقل في عدم عقله لعدم انتفاعه به ، / قال معللا لهذا النهى معبرا بأنسب الأشياء لما وصفهم به : (ان شر الدواب) اى التى تدب على وجه الأرض ، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها .

/ ٤١٧

ولما كان لهم من يفضلهم ، وكانت العبرة بما عنده^١ سبحانه ، قال تعالى : (عند الله) أى الذى له جميع الكمال من إحاطة العلم والقدرة وغيرها (الصم البكم) أى الطرش الخرس طرشا وخرسا بالغين ١٠ (الذين لا يعقلون ه) أى لا يتجدد^٢ لهم عقل ، ومن لم ينتفع بسماع الداعى كان كذلك^٣ .

ولما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير؟ أجاب بأنه جعلهم من أول الأمر - وله أن يفعل في ملكه ومملكه ما يريد - جيلة عريقة في الفساد ، وجعل^٤ جواهرهم شريرة ١٥ كجواهر العقرب^٥ التى لا تقبل^٦ اتأديب بوجه ولا تمر بشيء إلا لسبته ، فلم سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم (ولو علم الله) أى الذى له الكمال كله (فيهم خيرا) أى قبولاً للخير (لا سمعهم^٧) أى إسماعا هو الإسماع . و هو ما تعقبه الإجابة المستمرة .

(١) في ظ : عند الله (٢) في ظ : لا يجدد (٣) من ظ ، وفي الأصل : ذلك (٤) في ظ : ان (٥) من ظ ، وفي الأصل : جيله (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : الذى لا يقبل .

[و-١] لما كان علم الله تعالى محيطاً ، وجب أن يعلم كل ما كان حاصلًا ، فكان عدم^٢ علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه ، فلا جرم كان التقدير هنا : [و-١] لكنه لم يعلم فيهم خيرا ، بل علم أنه لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع ﴿ولو أسمعهم﴾ وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير إسماعا قسرهم^٣ فيه على الإجابة ﴿لتولوا﴾ ٥
 أى بعد إجابتهم ﴿وهم معرضون ٥﴾ أى [ثابت إعراضهم - ١] مرتدين على أعقابهم ، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملازمة الشر ومباعدة الخير ، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهنا ، [و كما كان لأهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد أن كانوا دخلوا في الإسلام خوفا من السيف ورغبة في المال - ١] وهو من وادى ” ولو ردوا ١٠
 لعادوا لما نهوا عنه “ فان^٤ علم الله تعالى أربعة أقسام : جملة الموجودات ، وجملة المعدومات ، [وأن كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله ، وأن كل واحد من المعدومات - ١] لو كان موجودا كيف^٥ يكون حاله ، والقسمان الأولان علم بالواقع ، والآخران علم بالقدر ، والآية من القسم الأخير ، ولعمري إنا دفعنا إلى زمان ١٥
 أغلب من فيه على قريب من هذا الأمر ، أجرأ الناس على الباطل ، وأثبتهم في المصاولة فيه ، وأوسعهم جبلا في التوصل إليه ، وأجبنهم عند الدعوة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : علم (٣) في ظ : ان (٤) من ظ ، وفي الأصل : ضرهم (٥) سورة ٦ آية ٢٨ (٦) في ظ : فانه (٧) من ظ ، وفي الأصل : فكيف .

نظم الدرر (سورة الأنفال ٨ : ٢٣ و ٢٤) ج - ٨

إلى الحق ، وأسرعهم نكوصا عند الإقدام بعد جهد عليه ، وألكنهم عند
الجدال له ، فصار^١ ما كان مقدرا مفروضا حاصلا^٢ و موجودا ، وكلية
”لو“ هنا يحتمل أن تكون^٣ هي التي يعلق^٤ بها أمر على آخر هو
بضده أولى فيكون المراد أن المعلق - وهو الثاني - موجود دائما مثل
٥ قول عمر رضي الله عنه : نعم العبد صهيب رضي الله عنه ١ لو لم يخف الله
لم يعضه^٥ ، فالمراد هنا على هذا أنهم إذا كانوا يتولون مع الإسماع
والإجابة ، فتوليهم مع عدمهما أولى - نه على ذلك الرازي^٦ ، ويحتمل
أن تكون^٧ على بابها من أن الجزئين بعدها منفيان ، وانتفاء التولى إنما
يكون خيرا إذا نشأ عن الإسماع المترتب على علم الخير فيهم ، وأما عدمه
١٠ لعدم إسماعهم الإسماع الموصوف لأنه لاخير فيهم [فليس - ^٨] من
الخير في شيء بل هو شر محض ، التولى المنفي عنهم ليس هو الموجود
منهم ، بل هو الناشئ عن الإسماع^٩ الموصوف فلا يناقض ادعائه تحقق
عنادهم وعدم انقيادهم ، وتحقيقه أن المنفي إنما هو زيادة التولى الناشئة
عن الإسماع ، فالمعنى : ولو أسمعهم ل زادوا إعراضا ، فالمنفي في هذا السياق
١٥ تلك الزيادة - والله الموفق .

(١) من ظ ، وفي الأصل : و صار (٢) في ظ : حاصل (٣) في الأصل و ظ :
يكون (٤) في ظ : تعلق (٥) من ظ ، وفي الأصل : لم يقصده (٦) في الأصلين :
الرضي ، والصواب ما أثبتناه فان هذا المبحث بتمامه قد ساته أبو حيان في بحره
منسوبا إلى نحر الدين الرازي (٧) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٨) زيد من ظ .
(٩) من ظ ، وفي الأصل : الاتباع .

ولما

و لما كان ما مضى من نكال الكافرين مسيئا عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرا من الكون مع الكفرة في مثل حالهم فيحشروا معهم في مآلهم فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألستهم / ﴿ استجبوا ﴾ أى صدقوا دعواكم ذلك بإيجاد الإجابة إيجادا من هو في ٤١٨ / غاية الرغبة فيها ﴿ الله ﴾ أى واجعلوا^١ إجابتكم هذه خاصة للذى له ٥ جميع صفات الكمال ﴿ وللرسول ﴾ الذى أرسله إلى جميع الخلق .

و لما كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم لا محالة لأن الله تعالى أمره بدعائهم ، [وكان لا يدعوهم -^٢] إلا إلى ما أمره^٣ الله به ، وكان سبحانه لا يدعو إلا إلى صلاح ورشد ؛ عبر بأداة التحقيق و وحد الضمير و شوق بأثمار الحياة فقال : ﴿ اذا دعاكم ﴾ أى الرسول بالندب و التحريض . ١٠

و لما كان اجتناه ثمرة الطاعة في غاية القرب ، نبه على ذلك باللام دون ' إلى ' فقال : ﴿ لا يحيككم ﴾ أى ينقلكم^٤ بعر الإيمان و العلم^٥ عن حال^٦ الكفرة من الصمم و البكم و عدم العقل الذى هو الموت المعنوى إلى الحياة المعنوية ، و لا يعوقكم عن الاستجابة في أمر من الأمور أن تقولوا : إنا استجبنا إلى الإيمان و كثير من شرائعه ، فلو لا أن ربنا علم فينا ١٥ الخير ما أسعنا ، فحن ناجون ؛ روى البخارى في التفسير و غيره عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال : كنت أصلى فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال : ما منعك أن تأتى ؟ فقلت^٧ : كنت أصلى ، فقال : ألم يقل الله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا استجبوا " -

(١) من ظ ، وفى الأصل : احدثوا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : امر (٤-٥) فى ظ : الحياة - كذا (٥) فى ظ : حالة (٦) فى ظ : فقال .

الآية ، ثم قال : لأعلنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت له فقال : هي " الحمد لله رب العالمين " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبي ! 'وهو يصلي ، فالتفت أبي ' فلم يجبه و صلى أبي ' خفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام ، ما منعك يا أبي أن تجيئني إذ دعوتك ، فقال : يا رسول الله ! إني كنت في الصلاة ، قال : فلم تجد فيما أوحى الله إليّ أن " استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم " قال : بلى ! ولا أعود إن شاء الله ! قال :^٢ تحب أن أعلّمك سورة لم ينزل^٣ في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ؟ قال : نعم ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تقرأ في الصلاة ؟ قال : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ! ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته - هذا حديث حسن صحيح .

ولما كان الإنسان إذا كان على حالة يستبعد جدا أن يصبر^٤ على

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لم تنزل (٤) في ظ : يصبر .

غيرها ، قال تعالى مرغباً مرهباً : ﴿ واعلموا ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ^١ ﴿ يحول ﴾ أى بشمول علمه وكال قدرته ﴿ بين المرء وقلبه ﴾ فيرده إلى ما علم منه فيصير فيما كشفه الحال كافراً معانداً بعد أن كان فى ظاهر الحال مؤمناً مستسلماً فيكون من علم الله أنه ^٢ لا خير فيه وقصره على الإجابة فلم يستمر عليها ، ويرد الكافر بعد عناده ^٣ إلى الإيمان بغاية ٥ ما يرى من سهولة قياده ، فكفى سبحانه بشدة ^٤ القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم / والمرادات ، وهو تحريض على المبادرة إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفاً من تغييرها ^{*} .

ولما خوفهم عاقبة الحال ، حذرهم شأن المال فقال : ﴿ وانه ﴾ ١٠ أى واعلموا أنه تعالى ﴿ اليه تحشرون ﴾ لا إلى غيره ، فيحشر المستجيبين فى زمرة المؤمنين ، والمعرضين فى عداد الكافرين وإن أبوا حكماً واحداً ، لأن الدين لا يتجزأ ، وقد علم أن ' اذا ' ليست قيداً وإنما هى تنبيه على وجوب اتباعه فى ^١ كل ما يدعو إليه لعصمته ، وحكمة الإتيان بها الإعلام بأنه ما ترك خيراً إلا دعا إليه ؛ قال الجوالى فى أواخر كتاب ^٢ ١٥ له فى أصول الفقه : ولها - أى العصمة - معنيان : أحدهما عصمة الحفظ ، وهو معنى ينشأ من التزام الحكم عليه بمضى شرعته ، وهى العصمة العامة للأنبياء ، وفى هذه الرتبة يقع الكلام فى الحفظ من الصغار بعد

(١) فى ظ : العظيم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : عبادة (٤) فى ظ : بزيادة (٥) فى ظ : تغييره (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، وفى الأصل : كتابه .

الاتفاق على الحفظ عما يخل بالتبليغ ويحط الرتبة من الكبار، و حقيقة الصغائر مقدمات الذنوب التي لم تم، فيكون تمامها كبيرتها، وعلى ذلك بنى قوم احتمال وقوع الفعل محظورا من نبي، وكل ذلك - وإن كان من أحوال أنبياء - فإن المتحقق^٢ من أمر النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو علو عن هذا المحل؛ المعنى الثاني من العصمة رفع الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم بما حفظه الحافظ من ماضى ظاهر شرعته وبما بلغ إليه فهمه من مبادئ التنشؤ من سنه، واتخاذ فعله مبدأ للأحكام في كل آن من غير التفات لما تقرر في^٣ ماضى الزمان، وهذه هي العصمة الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم الجامع، فلا يكون لفعله حكم إلا ما يفهمه إنبأؤه عن حال وقوعه، ويكون الأحكام تبعا لفعله،^٤ لا أن^٥ فعله يتبع حكما، فهذا وجه عصمته الخاصة المتمتع عليها جواز الخروج عنها، فمن كان^٦ يسبق إليه من أكابر الصحابة نحو من هذا المعنى لا يتوقف في شيء من أمره كالصديق رضى الله عنه وكما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في اقتدائه حتى في إدارة راحلته وصبغه بالصفرة وابسه النعال السبية ونحو ذلك من أمره وأمر من حذا منهم هذا الحذو، ومن كان يتوهم الحكم عليه بمقتضى علمه وفهمه من أمر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع في أمر يرد عليه انتحاله كما حكم أبي رضى الله عنه لما كان يصلى بامضاء عمل الصلاة إذ دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله

(١) من ظ، وفي الأصل: عن (٢) في ظ: المحقق (٣) من ظ، وفي الأصل: من (٤-٤) من ظ، وفي الأصل: لان (٥) سقط من ظ.

في حقه أى بقوله : ألم تسمع الله يقول "استجيبوا لله وللرسول" وكالذى^١
قال : أنزل فاجدع لنا ، فقال^٢ : إن^٣ عليك نهارا ، فقال له في الثالثة
أو الرابعة : أنزل فاجدع لنا ويحك ! فإذا وضع أن فعله مبدأ
الحكم ومعلم الإنباء لزم صحة التأسي^٤ به في جميع أحواله ، إما على بيان
من تعين رتبة الحكم من وجوب أو نذب أو أباحة ، أو على مطلق التأسي^٥
مع^٥ إيهام رتبة الحكم والاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه وسلم
من العلم ، فنية التأسي به على إيهام في الحكم ربما كان أتم من العمل^٦
بما تبين حكمه ، أحرم على رضى الله عنه وهو باليمن ، توجه إلى مكة
باحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يتطرق لشيء من أمره صلى الله
عليه وسلم بما وقع من كونه يفتى بأمر ثم يوافق في غيره ، لأن الآخذ^{١٠}
في ذلك عن قصور في العلم بمكاته من علم رحمانية الله وكلمته وتنزيله
إلى موافقة أمر سنة الله وحكمته نحو الذى أفتاه بتكفير الجهاد كل ذنب
بناه على علمه برحمانية الله وإمضاء كلمته ، ثم ذكر له ما قال جبرئيل
عليه السلام من استثناء الدين مما أنزل على حكم أمر الله في محكم شرعته
وسنته ، يعنى - والله أعلم - أن من صح جهاده تكفر كل ذنوبه ، ١٥
وأن توقف الدين على إرضاء^٧ الله لخصمه ، فالإخبار بالكفارة ناظر إلى
المآل ، والإخبار بنفيها ناظر^٨ إلى الابتداء ، وكذلك أفتى بترك / التلخيص
بناء على إفاذ كلمة الله ، وردهم إلى عادة دنياهم حين لم يتجشموا الصبر
(١) فى ظ : للذى (٢) فى ظ : قال (٣) من ظ ، وفى الأصل « و » (٤) فى ظ :
التأسي (٥) من ظ ، وفى الأصل : من (٦) فى ظ : العلم (٧) فى ظ : رضى .
(٨) سقط من ظ .

إلى ظهور كلمة الله على مستمر عادته ، فقد^١ عمل بأول^٢ فتياه غير واحد
 ممن لم يسترب^٣ في نفاذ حكمه وصحته فأخفق ثمرات ثلاث سنين ثم عاد
 - في غنى عن التلقيح - إلى أحسن من حاله في متقدم عادته ، ولا يتقاصر
 عن إدراك ذلك من أمره في كل نازلة من^٤ نحوه إلا من لم يسم^٥ به
 التأييد إلى معرفة حظ من مكاته ، فاذا وضح ذلك فكل فعل فعله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كان^٦ بيانا لواجب فهو منج من
 عقاب الله ، وإن كان تعليما لقربى من الله فهو وصلة إلى حجة الله كما قال
 تعالى "قل^٧ ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله^٨" وإن لم يتضح له
 بحمل^٩ منها تأسى بها على إيهام يغنيه عمله^{١٠} وتعلو به نيته ، وما كان مختصا به

١٠ فلا بد من إظهار أمر اختصاصه بخطاب من الله سبحانه أو منه عليه السلام
 كما قال تعالى "خالصة لك من دون المؤمنين"^{١١} - انتهى .

ولما كان المجيب ربما قال : ليس على^{١٢} إلا الإجابة في خاصة نفسى ،
 وليس على^{١٣} تعريض نفسى للأذى بالأخذ على يد غيرى ، نه سبحانه
 على أن ذلك منابذة^{١٤} للدين واجتثاث^{١٥} له من أصله ، لأن ترك العاصي
 ١٥ على عصيانه كترك الكافر على كفرانه ، وذلك موجب لعموم البلاء
 ومزبد القضاء فقال تعالى : ﴿واقفوا فتنة﴾ أى بلاء مميلا محيلا إن
 لا تتقوه بعكم ، هكذا كان الأصل ، لكن لما كان نهى الفتنة على إصابتهم

(١) في ظ : وقد (٢) في ظ : بأولى (٣) من الاستراية ، ووقع في الأصل :
 لم يسرب ، والتصحيح من ظ (٤) في ظ : في (٥) في ظ : لم يتم (٦) سقط من
 ظ (٧) سورة ٣ آية ٣١ (٨) في ظ : محل (٩) في ظ : عليه (١٠) سورة ٣٢ آية ٥٠
 (١١) في الأصل وظ : منابذة (١٢) من ظ ، وفي الأصل : احساب .

أروع من سوق ذلك مساق الشرط و من نهيم عن التعرض لها لما فيه
 من تصوير حضورها و فهمها للنهى آتى به ، و لما كان نهيا عن تخصيص
 الظالم أشد روعة لإفهامه ، أمرها بأن تعم ؛ قال مجيبا للأمر : ﴿ لا تصين ﴾
 و لحقه نون التأكيد لأن فيه معنى النهى ﴿ الذين ظللوا ﴾ أى فعلوا
 بموافقة المعصية ما لا يفعله إلا من لا نور له ﴿ منكم ﴾ أيها المأمورون ه
 بالتقوى ﴿ خاصة ج ﴾ أى بل تعمكم ، فهو نهى للفتنة و المراد نهى مباشرتها ،
 أى لا يفعل أحد منكم الذنب يصيبكم أثره عموما أو لا يباشر أسباب العذاب
 بعضكم و البعض الآخر مقرر له يعمكم الله به ، و ذلك مثل : لا أرينك ههنا ،
 و المعنى فكن ههنا فأراك ، فالتقدير ٢ : و اجعلوا بينكم و بين البلاء العام
 وقاية باصلاح ذات بينكم و اجتماع كلمتكم على أمر الله و رد من خالف ١٠
 إلى أمر الله و لا تختلفوا [كما اختلفتم - ١] فى أمر الغنيمة ففشلوا فيسلط
 عليكم عذاب عام من أعدائكم أو غيرهم ، فان كان الطائع منكم أقوى
 من العاصي أو ليس أضعف منه فلم يردده فقد اشترك الكل فى الظلم ، ذلك
 بفعله و هذا برضاه ، فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع ؛ روى أصحاب
 السنن الأربعة و حسنه الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه ١٥
 قال فى خطبة خطبها : أيها الناس ! إنكم تقرأون هذه الآية و تأولونها
 على خلاف تأويلها ” يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
 إذا اهتديتم “ إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من قوم
(١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : و التقدير (٤) زيد
من ظ (٥) سورة ه آية ١٠٠ .

عملوا بالمعاصي و فيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن
يعمهم الله بعذاب من عنده ؛ و للترمذى و حسنه عن حذيفة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! لتأمرن
بالمعروف و لتنهون^١ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا
منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ؛ و للامام أحمد عنه رضى الله عنه أنه
قال : لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر و لتحاضن على الخير أو ليسحتكم^٢
الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن^٣ الله^٤ عليكم شراركم ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لكم^٥ . و هو فى حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الراى ،
/ فان كان الطائع أضعف من العاصى نزل على ما روى أبو داود و الترمذى -

/ ٤٢١

١. و حسنه - و ابن ماجه عن أبى ثعلبة الحشنى رضى الله عنه أنه قيل له^٦ : كيف
تقول فى هذه الآية ” عليكم انفسكم ” فقال : أما والله لقد سألت عنها
رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : بل ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن
المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنیا مؤثرة و إعجاب كل
ذى رأى برأيه فعليك بنفسك و دع عنك أمر العوام ، فان من
١٥ ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل
أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قال : يا رسول الله ! أجر خمسين
رجلا منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم^٧ . و الأحاديث فى مثله كثيرة^٨ ،
(١) فى ظ : لتنهين (٢) من مسند الإمام أحمد ٥ / ٣٩٠ ، و فى الأصل : لئسمكنكم ،
و فى ظ : ليستحقنكم - كذا (٣) من ظ و المسند ، و فى الأصل : ليامرن (٤) ليس
فى المسند (٥) من ظ و المسند ، و فى الأصل : لهم (٦) سقط من ظ (٧) سورة هـ
آية ١٠٥ (٨) فى ظ : كثير .

وحينئذ يكون العذاب للعاصي نقمة و للطائع رحمة و يبعثون على نياتهم .
ولما حذرهم سبحانه عموم البلاء ، أتبعه الإعلام بأنه قادر مرئوب
ليلزموا سبيل الاستقامة فقال : ﴿ واعلموا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة
بصفات العظمة ﴿ شديد العقاب ٥ ﴾ .

ولما كان من أشد العقاب الإذلال ، حذرهموه^١ بالتذكير بما كانوا ٥
فيه من الذل ، لأنه أبغض على الشكر و أزجر عن الكفر فقال :
﴿ واذكروا ﴾ و ذكر المفعول به فقال : ﴿ اذ اتم ﴾ أى فى^٢ أوائل
الإسلام ﴿ قليل ﴾ أى عددكم .

ولما كان وجود مطلق الاستضعاف^٣ دالا على غاية الضعف^٤ ،

بنى للمفعول [قوله - ٥] : ﴿ مستضعفون ﴾ أى لا منفذ عندكم ﴿ فى الارض ﴾ ١٠
أطلقها و المراد مكة ، لأنها اعظمها كأنها هى الأرض كلها ، ولأن حالهم
كان فى بقية البلاد كحالهم فيها أو قريبا من ذلك ، ولذلك عبر بالناس
فى قوله : ﴿ تخافون ﴾ أى فى^٦ حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد
﴿ ان يتخطفكم ﴾ أى على سبيل التدرج ﴿ الناس ﴾ أى كما تتخطف^٧

الجوارح الصيود ، فحذرهم سبحانه - بالتنبيه على أنه قادر على أن يعيدهم ١٥
إلى ما كانوا عليه - من هذه الأحوال بالمخالفة بين كلمتهم و ترك التسبب
إلى اجتماعها بالأمر بالمعروف [و - ٥] النهى عن المنكر ، وفى ذلك

(١) من ظ ، وفى الأصل : حذرتموه (٢) من ظ ، وفى الأصل : من (٣) فى
ظ : الاستعطاف (٤) فى ظ : العطاف (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من
ظ ، وفى الأصل : يتخطف .

أيضا إشارة إلى أنهم لما كانوا في تلك الحالة التي هي في غاية الضعف، وكانت كلمتهم مجتمعة على أمر الله الذي هو توحيد و طاعة رسوله، أعقبهم الإيواء في دار منيعة، قد أيدهم بالنصر و أحسن رزقهم، وذلك معنى قوله تعالى مسيبا عما قبله : ﴿ فَاَوْسِكُمْ ﴾ أى في دار الهجرة رحمة لكم ٥ ﴿ وَاَيِّدْكُمْ بِنَصْرِهِ ﴾ أى بأهلها مع الملائكة ﴿ وَرَزَقْكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ أى الغنائم الكاملة الطيبة بالإحلال و عدم المنازع التي لم تحل لأحد قبلكم وغيرها ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥ ﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجى شكره، فيكون بعيدا عن المنازعة في الأنفال، وذلك إشارة إلى أنهم مهما استمروا على تلك الحالة، كان - بأقبالهم على مثل ما أتاهم به و زادهم من فضله - ١٠ أن جعلهم سادة في الدارين بما يهب لهم من الفرقان الآتي في الآية بعدها و التوفيق عند إتيانه^١، فالآية منصبة إلى الصحابة بالقصد الأول وهي صالحة للعرب كافة فتصرف^٢ إليهم بالقصد الثاني؛ قال قتادة: كان هذا الحى من العرب أذل الناس و أشقاهم عيشا و أجوعهم بطنا و أعرام جلدًا و أبينهم ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا و من مات منهم تردى في النار معكوفين على رأس الحجرين الشديدين : فارس و الروم، ١٥ يؤكلون و لا يأكلون، و ما في بلادهم شيء عليه^٣ يحسدون حتى جاء الله بالإسلام، فمكن لهم من البلاد و وسع لهم في الرزق و الغنائم و جعلهم ملوكا على رقاب^٤ الناس، و بالإسلام أعطى الله ما رأيتهم فاشكروا الله على

(١) في ظ : لتكون (٢) في ظ : انتهائه (٣) من ظ ، وفي الأصل : فينصرف .

(٤) من ظ ، وفي الأصل : على (٥) من ظ ، وفي الأصل : اقارب .

نعمه ، فان ربكم يحب شكره و الشاكر^١ في مزيد من الله تعالى^٢ .

وما ختم الآية / بما هو في غاية النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء
 ٤٢٢ / والنصر و الرزق الطيب المشار به إلى الامتان باحلال المغنم ، و ختم ذلك
 بالحث على الشكر ؛ نهانا عن تضييع الشكر في ذلك بالخيانة في أوامره
 بالغلول أو غيره فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تذكيرا بما ألزموا به أنفسهم ه
 من الوفاء ﴿ لَا تَخُونُوا اللَّهَ ﴾ أى تنقصوا من حقوق الملك الأعظم ،
 فان أصل الخون انتقص ثم استعمل في ضد الأمانة و الوفاء فصارت
 نقضا خاصا ﴿ و الرسول ﴾ بغلول و لا غيره ، بل أدوا الأمانة في جميع
 ذلك ، و لعله كرر العامل في قوله : ﴿ وَ تَخُونُوا أَمْنَكُمْ ﴾ من الفرائض
 و الحدود و النوافل و غيرها إشارة إلى أن الحياتين مختلفتان^٣ ، غيبتهم لله ١٠
 حقيقة ، و خيانتهم للأمانة استعارة ، لأن حاملها لما أدخل بها كان كأنه
 خانها ؛ و خفف عنهم بقوله : ﴿ وَ أَتَمَّ تَعْلَمُونَ ه ﴾ حال الغفلة و نحوها ،
 و يجوز أن يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى : و أتم علماء ، و يكون
 ذلك مبالغة في النهي عنها بأنهم جديرون بأن لا يقبل منهم عذر بجهل
 و لا نسيان لأنهم علماء ، و العالم هو العارف بالله ، و العارف به لا ينبغي ١٥
 أن ينفك عن المراقبة .

و لما كان سبب الحياة غالبا محبة المال أو الولد ، و كان سبب التقاؤل
 المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من

(١) من ظ ، و في الأصل : الثناله - كذا (٢) و هذا الأثر قد رواه الطبري
 بزيادة اختلاف عما هنا (٣) من ظ ، و في الأصل : مختلفان .

الأنفال، وكان من أعظم الحياة في الأنفال الغلول، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع^١ المال إما استلذاذا به أو لإنفاقه على محبوب، وكان الولد أعز محبوب؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله: ﴿واعلموا﴾ وهي كلمة ينه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدا ﴿انمأ أموالكم﴾ قلت أو جلّت هانت أو عزّت ﴿واولادكم﴾ كذلك ﴿يقتة لا﴾ أى سيها، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يقترب بالعاجل الفانى بمن تسمو نفسه عن ذلك، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر^٢ الله فتهلكوا ﴿وان الله﴾ أى المحيط بكل كمال ﴿عنده اجر عظيم﴾ عاجلا وآجلا لمن وقف عند حدوده، فيحفظ له ماله ويشمره^٣ أولاده ويبارك له فيهم؛ مع ما يدخر له في دار السعادة، وعنده عذاب أليم لمن ضيعها، فأقبلوا بجميع هممكم^٤ إليه تسعدوا، وزاد وضعها هنا حسنا سبب نزول التي قبلها من قصة أبى لبابة رضى الله عنه الحامل عليها ماله وولده، وكانت قصته في قريظة سنة خمس وغزوة بدر في السنة الثانية .

١٥ ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف، وامن عليهم بما أعزم به، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة في الردى، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى^٥ بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع

(١) في ظ : جميع (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في ظ : فيه (٥) من ظ ، وفي الأصل : همكم .

بينهما ، و^١ بين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره في الأولى و النجاة من عذابه في الأخرى فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ تكريرا^٢ لهذا الوصف تذكيرا بما^٣ يلزم بادعائه ﴿ ان تقوا الله ﴾ باصلاح ذات بينكم ، وذلك جامع لأمر الدين كله ﴿ يجعل لكم فرقا ﴾ أى نصرا ، لأن مادة 'فرق' ترجع إلى الفصل ، فكأن الشيء إذا كان متصلا كان كل جزء منه مقهورا على ملازمة صاحبه ، فإذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال والانفصال ، لحقيقته : يجعل لكم عزا تصيرون به بحيث تفرقون عن أردتم متى أردتم وتصلون / بمن أردتم متى أردتم لما عندكم من عزة الممانعة ، و تفرقون^٤ بين من أردتم متى أردتم لما لديكم من قوة المدافعة ، أى يجعل لكم ما يصير لكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل^٥ والوصل الذى هو وظيفة السادة المرجوع إلى قولهم عند التنازع ، لا كما كنتم فى مكة ، لا تأمنون فى المقام ولا تقدررون على الكلام - فضلا عن الخصام - إلا على تهيب شديد ، ومع ذلك فلا يؤثر كلامكم أثرا يسمى به فارقا ، والفاروق من الناس الذى يفرق بين الأمور ويفصلها ، وبه سعى عمر رضى الله عنه لأنه^٦ أظهر الإسلام بمكة إظهارا فيه عز وقوة ،^{١٥} جعل فيه الإيمان مفارقا للكفر لا يخافه ، وفرق - بالكسر بمعنى خاف - يرجع إلى ما دارت عليه المادة ، فإن المراد [به -^٦] : تفرقت همومه من اتساع الخوف ، والفرق الذى هو المكيال الكبير كأنه هو الفارق بين الغنى والفقر ، قال الهروى : هو اثنا^٧ عشر مدا ، وأفرق من علته -

(١) من ظ ، وفى الأصل : اذ (٢) فى ظ : تكرير (٣) فى ظ : لا (٤) فى ظ :

تفرقون (٥) فى ظ : لان (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثني .

إذا برئ ، أى صارت له حالة فرقت بين صحته ومرضه الذى كان به ،
 ومنه الفريقة وهى تمر وحلبة^١ يطبخ للنفساء ؛ وقرفت الشيء - بتقديم
 القاف : قشرته ، و القرف^٢ : الخلط ، كأنه من الإزالة ، لأنهم قالوا : إن 'فعل'
 يدخل فى كل باب ، ومنه : قرف^٣ الشيء واقترفه : اكتسبه ، والاقتراف
 بمعنى الجماع ، ويمكن أن يرجع إلى الوعاء لأن القرف^٤ الوعاء ، لأنه
 يفصل مظروفه عن غيره ، وفلان قرقتى ، أى موضع ظى منه كأنه
 صار وعاء لذلك ، وفرس مقرف ، [أى - ^٦] بين القرقة ، أى هجين
 لأنه واضح التميز^٧ من العربى ، وقرف بسوء : رمى به ، أى جعل
 وعاء له أو فرق همومه ؛ وانقفر - بتقديم القاف : المكان [الخالى لانفصاله
 ١٠ من الناس ، وأقفر المكان - ^٦] : خلا ، وأقفر الرجل^٨ من أهله^٩ : انفرد
 عنهم ، وقفر^٩ [الطعام - ^{١٠}] : خلا من الأدم ، ورجل قفر الرأس :
 لا شعر عليه لا انفصاله عنه ، وقفر الجسد : لا لحم عليه ، والفقر : الطعام
 لا أدم له ، واقتفرت الأثر : اتبعته لتفصله من غيره ؛ والفقرة - بتقديم
 الفاء - والفقر : ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب"
 ١٥ لتمييز كل واحدة عن أختها ، وفقرت الأرض فقرا : حفرتها حفرا ،

(١) فى ظ : حلبا (٢) فى ظ : الفرق (٣) من المعاجم ، وفى الأصل و ظ : فرق .
 (٤) من المعاجم ، وفى الأصل و ظ : الفرق (٥) من ظ ، وفى الأصل : من .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : التمييز (٨-٨) فى ظ : لاهله (٩) من القاموس ،
 وفى الأصل و ظ : انقر (١٠) زيد من القاموس (١١) من ظ و القاموس ،
 وفى الأصل : العجز .

- فصارت كل واحدة منفصلة من الأخرى، والفاقرة: الداهية الكاسرة للفقار، ومنه الفقر والافتقار للحاجة، وأقرنى دابته: أعارنى ظهرها، وراميته^١ من أدنى [فقرة: من أدنى -^٢] معلم لأن المعالم منفصل بعضها عن بعض، والتقفير^٣ في رجل الدابة يابض لانفصاله عن بقية لونها، ورفقت بالامر: لظفت به، ولا يكون ذلك إلا بفصله عما يضره، ومنه هـ الرفيق للصاحب من الرفقة، والمرفق من ذلك لما يحصل به من اللطف. ولما كان الإنسان محل التقصان فلا يخلو من زلة أو هفوة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ أي بسترها مادمت على التقوي ﴿ويغفر لكم^٤﴾ أي يحو ما كان منكم غير صالح عنا وأثرا، وفيه تنبيه لهم على أن البادات على خطر عظيم لأنهم مأمورون بالمساواة بين الناس، والنفس مجبولة على ترجيح من لاءمها [على -^٢] من نافرها، وإشارة إلى أن الحكم بالعدل في أعلى الدرجات لا يتسمه^٥ إلا الفرد البادر، وقوله: ﴿والله﴾ أي المحيط بجميع صفات السكال ﴿ذو الفضل العظيم﴾ مرجح للزيادة على الكفارة* والمغفرة من فضله، [ومعلم -^٢] بأنه لا يمتنع عليه شيء، فمن الممكن أن يلزم كلا منهم ١٥ طريق العدل وإن كانت من خرق العادة في أعلى محل، وفي الآية أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة رضى الله عنه لأنه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه / من العقوبة التقوى، فكفرت عنه خطيئته وغفر له،
- (١) من ظ، وفي الأصل: رابتها - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: التقفير. (٤) من ظ، وفي الأصل: لا يتسمه (هـ) في ظ: الكفار.

عقب^١ بها ترغيبا لغيره في الإسراع بالتوبة عند واقعة المفوة، و^٢ ختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص، إشارة إلى تفضله سبحانه [بما - ^٣] رزق أهل الإسلام من علو المنزلة وانتشار الهيبة ونخامة الأمر في قلوب المخالفين كما هو مشاهد، و^٤ ختم الآية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب، إشارة إلى ما ألبسهم من الأحوال المذكورة في التي تليها من قلة منعتهم واستضعافهم و خوفهم من تخطف المخالفين لهم، ولكنه تعالى رحمهم بأن جعل ذلك من بعضهم ممن يشمل اسم الإسلام لبعض، لا من غيرهم فلبسهم^٥ شيئا وأذاق بعضهم بأس بعض^٦، فكل خائف من الآخر، وصار المتقي من كثرة المخالف لا يزال من المعاطب والمثائف خائفا ١٠. يتقرب^٧، و مابعدا لا يقرب، على أنهم لا يعدمون أنصارا يؤيدهم الله بهم، ولا يزال أهل الظلم يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان إليهم ويقولون عليهم، فن نصره فهو المنصور، فكلامهم عند المضائق هو الفرقان، ولهم في قلوب الظالمين هيبة وإن نزلت بهم الحال أكثر مما للظلمة في قلوبهم من الهيبة ليتيقن^٨ الكل أنهم على الحق^٩ الذي الله ناصرهم، وأن أهل الشر على الباطل الذي الله خاذله، قال الحسن البصري رحمه الله في حق ١٥ الغالين في الأرض : أما والله ! إن للمعصية في قلوبهم لذلا وإن طفطفت

(١) في ظ : عفيت (٢) زيد بعده في ظ : لا (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده في الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفنا (٥) زيد بعده في ظ : من المداهنة (٦) من ظ ، وفي الأصل : فلبسهم - كذا (٧) في ظ : بعضهم (٨) في ظ : يتقرب . (٩) في ظ : ليتيقن (١٠) سقط من ظ (١١) أي استرخى، وفي الأصل : طعطعت ، وفي ظ : طقطقت - كذا .

بهم اللحم ، فقد انقسم^١ الخوف بينهم نصفين و شتان ما بين الحزين ،
 نخوفهم يزيدهم الله [به - ٢] أجرا و يجعله لهم ذخرا ، و خوف أهل
 الباطل يزيدهم به^٢ وزرا و يجعله لدينه^٣ أزرا . فهذه حقيقة الحال في وصف
 أهل الحق و المحال .

و لما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم و النبأ الجسيم ، ذكرهم من ٥
 أحوال داعيهم و قائدهم و هاديهم عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام
 بما يدعومهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة له صلى الله عليه و سلم
 تذكيرا بنعمته و إشارة إلى دوام نصرته . فقال تعالى عاطفا على " اذ انتم " :
 ﴿ واذ يمكر بك ﴾ أى يدبر فى اذاك على وجه الستر ﴿ الذين كفروا ﴾
 أى أوجدوا هذا الوصف ، و فيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ؛ ثم بين ١٠
 غاية مكرهم فقال : ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليمتصك من التصرف بالحبس فى
 يست يسدون عليك بابه - كما هو واضح من قصة مشاورتهم فى دار الندوة
 فى أمره صلى الله عليه و سلم فى السير ، و من قرأها بالموحدة ثم التحاتية
 من الليات الذى معناه إهلاك العدو ليلا ، فعطف ﴿ او يقتلوك ﴾ عنده
 بمعنى القتل نهارا - جهارا ، و كأنه عد الليات للاستخفاء به عدما بالنسبة إلى ١٥
 المجاهرة ﴿ او يخرجوك^٤ ﴾ أى من مكة ﴿ و يمكرون ﴾ أى و الحال أنهم
 يمكرون باخفاء ما يريدون^٥ بك من ذلك و غيره من الكيد ﴿ و يمكر الله^٦ ﴾
 أى يفعل المحيطة بكل شئ قدرة و علما فى أمرهم فعل من يمكر باخفاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : انقسم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : به (٤) من
 ظ ، و فى الأصل : منه (٥) فى ظ : تريدون (٦) من ظ ، و فى الأصل : القيد .

ما يقابلهم به ﴿ والله خير الممكرين ٥ ﴾ لأنه لا يمكن أحدا علم ما يريد إخفائه لأنه الملك الأعلى المحيط بالجلال والجمال ، فالناقد إنما هو مكره ، والعالى إنما هو نصره ، فكأنه تعالى يقول : انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به فى أحوال نبي صلى الله عليه وسلم فانه كان وحده وجميع الناس يخالفونه ثبت على أداء الرسالة إليهم وإبلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الأذى ولا يزيده أذاهم له إلا اجتهدا فى أداء ما ينفعهم إليهم .

ولما ذكر مكرهم / بالرسول ، ذكر مكرهم بما أرسل به ، فقال عاطفا على " اذ اتهم " : ﴿ واذا تتلى ﴾ أى من أى تال فريض ﴿ عليهم ايتنا ﴾ أى التى هى الفرقان جلالة^٢ وعظما لم يدعوا تؤثر فى تلك الحالة ، بل ١٠ ﴿ قالوا ﴾ إظهارا لعنادهم لها وتشيعا بما لم يعطوا و ادعاه [لما - ١] لم ينالوا ﴿ قد سمعنا ﴾ ولما لم يتأثر عن سماعهم الإذعان ، تشوف السامع إلى علة إعراضهم فقال معللا أو مستأنفا : ﴿ لو نشاء ﴾ أى فى أى وقت أردنا ﴿ لقلنا مثل هذا ﴾ أى لأنه ليس قول الله كما يزعم محمد ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذا ﴾ الذى يتلى عليكم ﴿ إلا اساطير ﴾ جمع سطور و أسطار ١٥ جمع سطر ﴿ الاولين ٥ ﴾ أى من بنى آدم ، سطورا فيها علومهم وأخبارهم فهو من جنس كلامنا وقائله من جنسنا ، وهذا غاية المكابرة لأنه قد تحدام بقطعة من مثله إن كان له - كما يزعمون - مثل ، وبالغ فى تفريعهم فما منعهم - من إبراز شىء مما يدعون وليس بينهم وبينه بزعمهم إلا أن يشاءوا ،

(١) فى ظ : ثبتت (٢) هنا صفحة الأصل مقحمة فى « مكر/هم » (٣) من ظ ، وفى الأصل : جلا (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

مع اتقاهم إلى [أشد - ١] الأمور: السيف الملاحق على تهالكهم على قهره صلى الله عليه وسلم وعلى ما لهم من فرط الأتفة من العار والبعد بما يقضى عليهم بالغلب أو أن يوصفوا بالكذب^٢ - إلا عليهم بأن ذلك فاضحهم، ومخزيهم مدى الدهر وقائحهم، والمعنى أنى أثبت هذا النبي الكريم على صبره على ذلك ومثابرته^٣ على أداء الأمانة بالاجتهاد في النصيحة ه على ما يلقى إن نجيته منهم ومنعته من جميع ما كادوه به. وكنت لا أزال أويده باتباع من أعلم فيه الخير إلى أن هيات له دارا وخبأت له أنصارا، وجعلت داره بالأصحاب منيعة، وبنيت لها أعمدة بصوارم الأحباب ثابتة رفيعة، نقلته إلى ذلك مع اجتهد أهل العناد وهم جميع أهل الأرض في المنع، فلم يؤثر كيدهم، ولا أفادهم مع أيدي أيدهم، وجعلت نفس ١٠ نقلته له فرقانا يفرق بها بين الحق والباطل، وصار إلى ما ترون من قبول الأمر وجلالة القدر ونفاذ الفصل^٤ بين الأمور وظهر دينه أي ظهور، فلازموا التقوى ملازمته وداوموا على الطاعة مداومته أهب لكم من سيادته وأحكم بملابس إمامته^٥.

و لما كان ذلك موضع عجب من عدم إجماع الضلال بالعذاب ١٥ وإمهالهم إلى أن أوقع^٦ بهم في غزوة بدر لا سيما مع قوله " إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " بين السر في ذلك وإن بالغوا في استعجاله

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في ظ : الملاحق (٣) من ظ ، وفي الأصل : يتاولونه - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : قبله - كذا (٥) في ظ : الفعل (٦) في ظ : أماته (٧) في ظ : وقع .

فقال: ﴿واذ قالوا﴾ أى إرادة المكابرة بالتخيل إلى الناس أنهم على القطع من أنه باطل وإلا لما دعوا بهذا الدعاء ﴿اللهم﴾ أى يا من له تمام الملك وعموم الملك ﴿ان كان هذا﴾ أى الأمر الذى أتانا به محمد ﴿هو﴾ أى لا مانح عليه ﴿الحق﴾ حال كونه منزلا ﴿من عندك﴾
 ه وقال الزجاج: إنه لا يعلم أحدا قرأ "الحق" بالرفع - أفاده أبو حيان^١
 ﴿فامطر علينا حجارة﴾ ولعل تقييده بقوله: ﴿من السماء﴾ - مع أن^٢ الإمطار لا يكون إلا منها - لإزالة وهم من يتوهم أن الإمطار مجاز عن مطلق الرجم وأنه إنما ذكر ليان أن الحجارة المرجوم بها فى الكثرة مثل المطر ﴿واثقتنا بعذاب اليم﴾ أى غير الحجارة ، ولعل مرادهم بقولهم ذلك الإشارة إلى أن مجيء الوحي إليك / من السماء خارق كما أن^٣ إتيان الحجارة منها كذلك ، فان كنت صادقا فى إتيان الوحي إليك منها فاتتنا بحجارة منها كما أتت الحجارة منها أصحاب الفيل صونا من الله لبيته الذى أراد الجيش انتهاك حرمة وإعظاما له - أشار إلى ذلك أبو حيان^٤ ، وهذه الآية والى قبلها فى النضر بن الحارث أسره المقداد يوم بدر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد: أسيرى [يا -^٥]
 رسول الله ! فقال: إنه كان يقول فى كتاب الله تعالى ما يقول ، فعاد المقداد رضى الله عنه لقوله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم ! أغن^٦

(١) من ظ ، وفى الأصل : إارة - كذا (٢) راجع البحر المحيط ٤/ ٤٨٨ (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٤ / ٤٨٩ (٥) زيد من ظ وتفسير الطبرى - راجع تفسير آية ٣١ (٦) من الطبرى ، وفى الأصل و ظ : اغز - كذا .

المقداد من فضلك، فقال: ذاك الذى أردت يا رسول الله! فقتله
النبي صلى الله عليه وسلم فأشدت أخته قتيلة أياتاً منها:

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ الخنق^٢

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه.

وعن معاوية رضى الله عنه أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين

ملكوا عليهم امرأة! قال: أجهل من قومي قومك قالوا: "إن كان هذا

هو الحق^٣ من عندك^٤" - الآية، وما قالوا: فاهدنا به، والسر الذى بينه

فى هذه الآية فى إمهالهم هو أنه ما منعه من الإسراع فى إجابة دعائهم

كما فعل فى وقعة بدر إلا لإجلال^٥ مقامه صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم

فقال: (وما كان الله) أى مع ما له من صفات الكمال والعظمة ١٠

والجلال، وأكد التنى بقوله: (ليعذبهم) أى ليجدد لهم ذلك فى وقت

من الاوقات (وانت) [أى - ٧] يا أكرم الخلق (فيهم^٦) فانه

لعين تجازى ألف عين وتكرم

ولما بين بركة وجوده، أتبعه ما يخلفه صلى الله عليه وسلم إذا غاب

فى العباد من العذاب فقال: (وما كان الله) أى الذى له الكمال كله ١٥

(معذبهم) أى مثبتاً وصف تعذيبهم بحيث يدوم (وهم يستغفرونه)

أى يطلبون الغفران بالدعاء أو يوجدون هذا اللفظ فيقولون: أستغفر الله،

(١) من ظ، وفى الأصل: اثبات - كذا (٢) من ظ وسيرة ابن هشام ٢/٦٨،

وفى الأصل: الحق - كذا (٣-٣) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ: نعم -

كذا (ه) فى ظ: آجال - كذا (٦) - سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: اذ.

فان لفظه وإن كان خبراً فهو 'دعاء و طلب ، فوجوده صلى الله عليه وسلم
 في قوم أبلغ من نفي العذاب عنهم ، وهذا الكلام ندب لهم إلى الاستغفار
 و تعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول : ما كنت لأضربك و أنت تطيعني ،
 أى فأطعني - نيه عليه الإمام أبو جعفر النحاس ، و في ذلك حث عظيم
 لمن^٥ صار صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم من المسلمين صادقهم و مناقهم
 على الرغبة في مواصلته و الرهبة من مفارقتة ، و تعريف لهم بما لهم في
 حلول ذاته المشرقة في ساحتهم من جليل النعمة ترغيباً في المحبة لطول
 عمره و الاستمساك بعززه^٢ في نهيه و أمره إذ المراد - و الله أعلم -
 بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الإيمان و الطاعة ، و عن أبي موسى^٤
 الأشعري رضى الله عنه أنه كان في هذه الأمة أمانان ، أما النبي صلى الله
 عليه وسلم فقد مضى ، و أما الاستغفار فهو كأن فيكم إلى يوم القيامة .
 و لما كان هذا ليس نصاً في استحقاقهم العذاب ، قال تعالى عاطفاً
 على ما تقديره : و ليعذبهم الله إذ هاجرت عنهم و لم يؤمنوا فيستغفروا :
 ﴿ و ما لهم ﴾ قال أبو حيان : الظاهر أن 'ما' استفهامية ، أى أى شيء
 لهم في انتفاء العذاب ، و هو استفهام معناه التقرير ، أى كيف لا يعذبون
 و هم متصفون بهذه الصفة^٥ المتقضية للعذاب و هى صدم المؤمنين عن
 المسجد الحرام و ليسوا^٦ بولاية البيت - انتهى . و تقدير الكلام : و أى
 حظ لهم في ﴿ لا يعذبهم الله ﴾ أى الذى له كمال العز و العظمة على
 (١) في ظ : فانه (٢) في ظ : لما (٣) في ظ : بعزوه (٤) سقط من ظ (هـ) و في
 البحر المحيط ٤ / ٤٩٠ : الحالة (٦) في ظ : ايس .

٤٢٧ /

الظالم والإكرام والرفق بالطائع عاجلاً (وهم) أى والحال / أنهم
 مستحقون للعذاب فهو واقع بهم لا محالة وإن تأخر مدة إبانة وأبطأ
 عنهم أوانه وقوعاً بأنفسهم ما نالوه من اللذات وإن عظم عندهم شأنها
 وامتدّ طويلاً زمانها لأنهم (يصدون) أى يوجدون الصد (عن المسجد)
 أى من أراد تعظيمه بالصلاة التى وضع المسجد لها وغيرها (الحرام) ٥
 أى العظيم حرمة عند كل أحد فلا اختصاص به لشخص دون آخر، أى
 شأنهم فعل حقيقة الصد فى الماضى والحال والمآل، لا ينفكون عن ذلك،
 كما كانوا يمتنعون من شأوا من دخول البيت ويقولون: نحن ولاته، نفعل
 ما نشاء، ويصدون المؤمنين عن الطواف به بالتذيب والفتنة وصدوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه بالإخراج ثم صدوهم عام الحديبية ١٠
 عن الوصول إلى البيت وعام عمرة القضية عن الإقامة بعد الثلاثة الأيام
 (وما) أى والحال أنه لم يكن لهم ذلك لأنهم ما (كانوا أولياءه)
 أى أهلاً لولايته بحيث أن صدم ربما يقع موقعه؛ روى البخارى فى
 التفسير عن أنس رضى الله عنه قال: قال أبو جهل: "اللهم ان كان هذا
 هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم" ١٥
 فنزلت "وما كان الله ليعذبهم - إلى - عن المسجد الحرام".

ولما نفى عنهم الولاية، ذكر أهلها فقال: (ان) أى ما (أولياءه)
 أى بالاستحقاق (الائقون) أى العريقون فى هذا الوصف بما يجعلون

(١) فى ظ: امد (٢) من ظ، وفى الأصل: أنهم (٣) سقط من ظ (٤) فى
 ظ: المتقين.

بينهم وبين ' سخط الله من وقايات الطاعات ، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين ، وهم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر (ولكن أكثرهم لا يعلمونه) أى ليس^٢ لهم علم بالأمور ليميزوا بين الحق والباطل والمتقى والفاسق وحسن العواقب وسيئها ، ولعله عبر بالأكثر إعلاماً بأن فيهم المعاند ،
 ٥ ولأنه كان منهم من آمن بعد ذلك فصار من أرى العلم .

ولما كانوا يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية في الجهل ، قال مينا لجهلهم واستحقاقهم للنكال وبعدهم عن استحقاق ولايته :
 (وما كان صلاتهم) أى التى 'ينبغي أن' تكون مبنية على الخشوع ، وزاد [فى - ٤] التبشيع عليهم بقوله : (عند البيت) أى فعلهم الذى يعدونه صلاة أو يبدلون بها (الا مكاء) أى صفيرا [يشبه صفير الطير والدبر برمح الحدث - ٤] من مكاء بمكوا [مكوا - ٤] ومكاه - إذا صفر فيه أو شبك أصابعه ونفخ فيها ، [ومكت الشجرة* برمحها : صوت ، والدبر برمح الحدث : صوت - ٤] ؛ قال أبو حيان^٦ : وجاء^٧ على فعال - أى بالضم - ويكثر فعال فى الأصوات كالصراخ - انتهى . (وتصدية^٨)
 ١٥ أى [و - ٤] تصفيقا ، [كان أهل الجاهلية يطوفون عراة ويصفرون بأفواههم ويصفقون بأيديهم مقصورة ، فيكون تصويتهم ذلك يشبه الذى
 (١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
 (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : الشجة - كذا ، ويمكن أن يكون : السبخة (٦) راجع النهر من البحر المحيط
 ٤ / ٤٩١ (٧) زيد بعده فى ظ : مكاء .

- رتجع الصوت في المكان الخالي ، فهو كناية عن أن صلاتهم لا معنى لها ،
و أصله صدد - مضاعف^١ - إذا أعرض و مال مثل التظنى من ظنن - ^٢ [،
فهذا هو لا عبادة و هزه لا جد مع أن الأمر جد و أى جد كما قال تعالى
” أفمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تبكون و اتم سمعون ^٣ “
أى و لا تبكون في حال جدكم بدأ بكم في العمل الصالح ، فهذا الذى يعملونه ه
مناف لحال البيت فهو تخريب لا تعمير ، قال مقاتل : كان النبي صلى الله
عليه و سلم إذا صلى في المسجد قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران
و يصفقان ، و رجلان كذلك عن يساره ليخطوا عليه صلاته ، و تقدير
الكلام على قراءة الأعمش : صلاتهم - بالنصب : و ما كان شيء إلا مكاء
و تصدية صلاتهم ، فنى عما يجعلونه صلاة كل شيء إلا المكاء و التصدية ، ١٠
فالصلاة مقصورة عليهما بهذا الاعتبار ، فقد صارت بهذا الطريق بمعنى
القراءة المشهورة سواء فأنمله فانه نفيس جدا ، و خرج عليه الخلاف في
آية الأنعام ” ثم لم تكن فتنتهم “ و غيره ، و قد مضى هناك ما ينفع هنا ،
[و ما يجب أن يعلم أن هؤلاء لم يذمهم الله لانه أعلى الذم ، بل ذمهم
لكونهم اتخذوا العبادة لعبا لينبه بذلك على ذم من أشبههم في ذلك ، ١٥
فعمد إلى ما هو مباح في أصله فاتخذة ديننا فكيف إذا كان مكروها أم
كيف إذا كان حراما ، فقبح الله قوما ادعوا أنهم أعرضوا عن الدنيا
ثم اتخذوا الطبول و الغنى و التصدية شعارهم ثم ضربوا به حتى فعلوه في
(١) في ظ : مضاف (٢) زيه ما بين الحاذرين من ظ (٣) سورة ٥٣ آية ٥٩ - ٦١ .
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٦ آية ٢٣ .

المساجد وزادوا على فعل الجاهلية الرقص الذي ابتدعه قوم السامري لما عبدوا العجل ، فأخذوا أنواعا من أفعال أنواع من الكفرة وجعلوها عادتهم وشعارهم وديانتهم ، فلقد انتهكوا حرمت الشريعة وبدلوها واستهانوا بها واسترذلوها - [١] .

٥ ولما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب ، وأنه لا مانع لهم منه وكان قد أوقع بهم في هذه الغزوة مباديه ، وكانت المواجهة بالتعنيف وقت إيقاع / ما لا يطاق بالعدو إنكاه ؛ قال مسيبا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه : ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى توعدهم الله والذى رأيتموه ييدر وطلبتموه في استفتائكم حكم الاستهانة^٢ به ﴿ بما كنتم تكفرون * ﴾ ١٠ أى إنكم قد صرتم بهذا الفعل أهلا لذوقه بما تسترون بما دلتكم عليه^٣ عقولكم من هذا الحق الواضح .

١٥ ولما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار في الأعمال البدنية ، وكان غلبهم مع كثرتهم وقوتهم مستعبدا ، أخبر بما يقربه مينا لأعمالهم المادية فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى مع كثرتهم [لأنهم - ١] ستروا مرأتى عقولهم التى هى الإنسان بالحقيقة فتقصوا بذلك نقصا لا يدرك كنهه ﴿ ينفقون أموالهم ﴾ أى يعزمون على إنفاقها فيما يأتى ﴿ ليصدوا ﴾ أى يزعمهم أنفسهم وغيرهم ﴿ عن سبيل الله^٤ ﴾ [أى عن سلوك طريق - ١] الذى لا يدانى عظمت عظمته مع اتساعه ووضوحه وسهولته ﴿ فيصدفونها ﴾ (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في ظ : قد (٣) في ظ : استهانة (٤) من ظ ، وفي الأصل : عليكم .

أى بحكم قاهر لهم لا يقدرّون على الانفكاك عنه (ثم تكون) أى بعد إنفاقها بمدة ، وعبر بعبارة^١ ظاهرة فى مضرّتها فقال : (عليهم) وأبلغ فى ذلك بأن أوقع^٢ عليها المصدر فقال : (حسرة) أى لضياعها وعدم تأثيرها (ثم يغلبون^٣) أى كما^٤ اتفق لهم فى بدر سواء ، فانهم أنفقوا مع الكثرة والقوة ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا بما أراد الله بهم ، بل كان وبالا عليهم ، فانه كان سببا لجراتهم حتى أقدموا نظرا إلى الحاضر وقصورا عن الغائب كالبهايم فهلكوا ، وكان ذلك قوة للمؤمنين فما كان فى الحقيقة إلا لهم ، وهذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الآية وعلى كل ما شاكله ، وذلك أنهم لما قهروا فى بدر قال لهم أبو سفيان : إنه ينبغي أن تنفقوا مال تلك العير - يعنى التى كانت معه - ونحث على ١٠ حرب محمد ، فأجابوا وأنفقوه على غزوة أحد فحصل لهم فيها بعض ظفر ثم تعقبه الحسرة^٥ والغلوية فى بدر الموعد وكل ما بعدها ؛ ثم أظهر وصفهم الذى استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به و تعميما منذرا لهم بما هو أشد من ذلك فقال : (والذين كفروا) أى حكم بدوام كفرهم عامة سواء زادوا على الكفر فعلم ما تقدم أم لا (إلى جهنم) أى لا إلى غيرها . ١٥ ولما كان المنكى هو الحشر ، لا كونه من معين ، بنى للفعل قوله : (يحشرون^٦) أى بعد الموت فهم فى خزى دائم دينا و أخرى ، ويجوز أن يتجاوز بجهنم عن أسبابها فيكون المعنى أنهم يستدرجون بمباشرة أسبابها

(١) من ظ ، وفى الأصل : عبارة (٢) فى الأصل : واقع ، وفى ظ : وقع - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الحسر .

إليها ويحملون في الدنيا عليها ، وهذه الآيات - مع كونها معللة بما لهم في الدنيا وما لهم في الآخرة من أن آخر أمرهم في الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان علما من أعلام النبوة وفي الآخرة جهنم - هي مبيته لكذبهم في قولهم " لو نشاء لقلنا مثل هذا " فانهم لو كانوا صادقين في دعواهم لقالوا مثله ثم قالوا: لو كان هذا هو الحق لا غيره لما قلنا مثله ، موضع قولهم " ان كان هذا هو الحق " - إلى آخره ، و أما آية المكاء والتصدية فكأنها تقول: هذا القرآن في أعلى درج البلاغة ولم تؤهلوا أتم - مع ادعائكم السبق في البلاغة - لأن تعارضوه بشيء له أهلية لشيء من البلاغة ، بل نزلتم إلى أصوات الحيوانات العجم حقيقة ، فلا أجلى من هذا البيان ١٠ على ما ادعيتم من الزور والبهتان ، و أما آية الإنفاق فقائلة : لو قدرتم في معارضته على إنفاق الأقوال لما عدلتم عنه إلى إنفاق الأموال المفضى إلى مقاساة الأهوال و فساد الأشباح و نفوق ما حوت من الأرواح المؤدى إلى الذل السرمد بالعذاب المؤبد .

و لما ذكر حشر الكافرين ، ذكر^٢ علته فقال / معلقا بيحشرون :

/ ٤٢٩

١٥ ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ ﴾ أى الذى له صفات الكمال بذلك الحشر ﴿ الخبيث من الطيب ﴾ أى إنما جعل للكفار دارا تخصهم و يخصونها لإظهار العدل و الفضل بأن يميز الكافر من المؤمن فجعل لكل دار يميز بها عدلا في الكافرين و فضلا على المؤمنين ، فيجعل الطيب في مكان واسع حسن ﴿ و يجعل الخبيث ﴾ أى الفريق المتصف بهذا الوصف ﴿ بعضه على بعض ﴾ و الركن : جمع الشيء

(١) في ظ ، فكأنه (٢) في ظ : دلت .

بعضه فوق بعض ، فكأن قوله : ﴿ فیركه جميعا ﴾ عطف تفسیر يؤكد الذى قبله فى إرادة الحقيقة مع إفهام شدة الاتصال حتى يصير الكل كالشئ الواحد كالسحاب المركوم ، و النتيجة قوله : ﴿ فيجعلہ فی جہنم ﴾ أى دار الضيق و الغم و التجهم و الهم .

ولما كان هذا أمرا لا فلاح معه ، استأنف قوله جامعا تصريحاً ه بالعموم : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء بغضاء الذين أفهمهم اسم الجنس فى الخيث ﴿ هم الخسرون ﴾ أى خاصة لتأهى خسارتهم ، لأنهم اشتروا بأموالهم إهلاك أنفسهم بذلك الخسر .

ولما بين ضلالهم فى عبادتهم البدنية و المالية ، [و - ٢] كان فى كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضى ١٠ بالشقاء ، كان ذلك موهما لأن يراد من أوقع الكفر فى الزمن الماضى وإن تاب ، فيكون مؤيسا من التوبة فيكون موجبا للثبات على الكفر ، قال تعالى متلفظا بعباده مرشدا لهم إلى طريق الصواب مبينا المخلص مما هم فيه من الوبال فى جواب من كأنه قال : أما لهم من جبلة يتخلصون بها من الخسارة : ﴿ قل للذين ﴾ أى لأجل الذين ﴿ كفروا ﴾ إلى ١٥ أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله ﴿ ان ينتهوا ﴾ أى يتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا لله و يخضعوا لأوامره ﴿ يغفر لهم ﴾ بناء للفعول لأن النافع نفس الغفران و هو (١) فى ظ : الانفصال (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ . (٤) من ظ ، وفى الأصل : مقابلتهم .

محو الذنب ﴿ما قد سلف ج﴾ أى مما اجتروحه كائنا ما كان فيمحي عينا
و آثرا فلا عقاب عليه ولا عتاب ﴿وان﴾ [أى وإن - ١] يثبتوا على
كفرهم [و - ١] ﴿يعودوا﴾ أى إلى المغالبة ﴿فقد مضت سنت﴾ أى
طريقة ﴿الاولين ه﴾ أى وجدت و انقضت و نفذت فلا مرد لها بدليل
ه ما سمع من أخبار الماضين و شوهد من حال أهل بدر مما أوجب القطع
بأن الله مع المؤمنين و على الكافرين، و من كان معه نصر، و من كان
عليه خذل و أخذ و قسر "كتب الله لاغلبين انا و رسلى" "و لينصرون الله
من ينصره" "و العاقبة للثقين" "و إن كانت الحرب سجالا .

و لما أشار ختم الآية إلى قتالهم إن أصروا، و كان التقدير: فأقدموا
١٠ عليهم حيثما عادوكم إقدام^٦ الليوث الجريئة غير هائبين كثرتهم و لا قوتهم
فان الله خاذلهم، عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود: ﴿وقاتلوهم﴾ أى
دائما ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ أى سبب يوجب ميلا عن الدين أصلا
﴿و يكون الدين﴾ .

و لما كانت هذه الواقعة قد سرت ككاتب هيتها في القلوب فوجبت
١٥ أيما وجبت، فضاقت و ضعفت صدور الكافرين، و انشرفت و قويت
قلوب المؤمنين؛ اقتضى هذا السياق التأكيد فقال: ﴿كله الله ج﴾ أى
الملك الأعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف أو إغضاء على قذى،
و أصل الفتن: الخلطة المحيلة، و يلزم ذلك [أن - ١] يكون السبب

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٥٨ آية ٢١ (٣) سورة ٢٢ آية ٤٠ (٤) سورة ٢٨
آية ٨٣ (ه) في ظ: حيث (٦) من ظ، و في الأصل: ققام .

عظيماً لأن الشيء لا يحول عن حاله إلا لأمر عظيم لأن مخالفة المألوف
عسرة، ومنه التفت، وكذا نفت القدر، وهو أن يغلي المرق
فيلزق / بجوانبها، والتوفة: القفر، لأنه موضع ذلك، ويلزمه الإخلاص،
من فتت الذهب - إذا أذنته فتميز جوده من رديئه، وتارة يكون
الميل إلى جهة الرديء وهو الأغلب، وتارة إلى الجيد، ومنه "وفتنك ه
قتونا" .

ولما كان لهم حال اللقاء حالان: إسلام وإقبال، وكفر
وإعراض وإخلال، قال مينا لحكم القسمين: ﴿فان انتهوا﴾ أى عن
قتالكم، بالمواجهة بالإسلام فاقبلوا منهم وانتهوا عن مسهم بسوء
ولا تقولوا: أنتم متعوذون بذلك غير مخلصين، تمسكا بالتأكيد بـ ١٠
فانه ليس عليكم إلا ردكم عن المخالفة الظاهرة. وأما الباطن فالى الله
﴿فان الله﴾ أى المحيط علماً وقدره، وقدم المجرور اهتماماً به إفتهاً لأن العلم
به كالختص [به - ٧] فقال: ﴿بما يعملون﴾ أى وإن دق ﴿بصير﴾
فيجازيهم عليه، وأما أنتم فليست عالمين بالظاهر والباطن معا فعليكم قبول
الظاهر، والله بما تعملون أنتم أيضاً - من كف عنهم وقتل لله أو لحظ ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: فيميز (٣) سورة ٢٠ آية ٤٠ (٤) في ظ: قتالهم.
(٥) في ظ: انهم (٦) من ظ، وفي الأصل: عليك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ،
وهو ينسجم مع ما يأتى، وفي الأصل: تعلمون - بالخطاب، وهى قراءة الحسن
ويعقوب وسلام بن سليمان (٩) من ظ، وفي الأصل: لهم الله.

نفس - بصير ، فيجازيكم على حقائق الامور وبواطنها وإن أظهرتم للناس ما يقيم عذرکم ، ويكمل لكل منكم أجر ما كان عزم على مباشرته من قتالهم لو لم ينتهوا ، وإن لم ينتهوا بل أقدموا على قتالكم ، هكذا كان الاصل ، ولكنه سبحانه عبر بقوله : ﴿ وان تولوا ﴾ أى عن الإجابة تبشيرا لهم بهزيمتهم وقلة ثباتهم لما ألقى في قلوبهم من الرعب ، ويؤيد ذلك قوله : ٥ ﴿ فاعلموا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شئ ﴿ مولكم ﴾ أى متولى أموركم فهو يعمل معكم ما يعمل من يتولى أمر من يحبه من الاجتهاد فى تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره فهو لا محالة ناصرکم ، ثم استأنف مدحه بما هو أهله تعريفا بقدره وترغيبا فى توليه فقال : ١٠ ﴿ نعم المولى ﴾ ولم يدخل فاء السبب هنا لأن المأمور به العلم ، واعتقاد كونه [مولى - ٢] واجب لذاته لا لشيء آخر ، بخلاف ما فى آخر الحج ، فان المأمور هناك الاعتصام ﴿ ونعم النصير ﴾ أى فلا تخافوهم أصلا وإن زادت كثرتهم وقويت شوكتهم فلا تبارحوهم حتى لا يكون إلا كلمة الله .

١٥ ولما كان التقدير : فاذا أعانكم مولاكم عليهم و غلبتموهم وغنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلا ، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا فى المغنم تنازع من أخذه بقوته وحازه بقدرته ، عطف عليه قوله :

(١) من ظ ، وفى الأصل « و » (٢) فى ظ : مولى (٣) زيد من ظ .

واعلموا

(و اعلوا) ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليزلوا
 الجهد في تفرغ أذهانهم لوعيه و تنزله منازل و رعيه (انما) أى الذى
 (غنمتم) و الغنمة لغة: الفوز بالشئ، و شرعا ما دخل فى أيدى المسلمين
 من مال الكفار قهرا بالخيول و الركاب، و زاد فى التعميم حتى لأقل ما يمكن
 بقوله: (من شئ) أى حتى الحيط و المخيط فانه كله له، لانه هو الناصر
 وحده و إنما أتم آله لا قدرة^٢ لكم على مقاومة الأعداء لأنهم جميع
 أهل الارض و لانسبة لكم منهم فى عدد و لا قوة أصلا، فالجارى على
 منهاج العدل المتعارف عنكم أن يأخذه كله و لا يمكنكم من شئ منه كما كان
 فيمن قبلكم، يعزل فتزل نار من السماء فتأكله، ولكنه [سبحانه -^٢]
 علم ضعفكم فنّ عليكم به و رضى منكم منه بالخمس، فساه لنفسه و رده ١٠
 عليكم، و هو معنى قوله: (فان لله) أى الذى له كل شئ (خمسه) .
 و لما كان من المعلوم أن الله تعالى [أجل -^٣] من أن يناله تقع
 أوضر، كان من المعلوم أن ذكر اسمه سبحانه إنما هو للاعلام بأن إسلام
 هذا الخمس و التخلي عنه لا حظ للنفس فيه، و إنما هو لمحض الدين تقربا
 إليه سبحانه، فذكر مصرفه بقوله: (و للرسول) أى يصرف إليه خمس هذا ١٥
 الخمس ما دام حيا ليصرفه فى مصالح المسلمين، و يصرف بعده / إلى القائم
 مقامه، يفعل فيه ما كان صلى الله عليه و سلم يفعله (و لذى القربى) أى
 من الرسول، و هم الآل الذين تحرم عليهم الزكاة: بنو هاشم و بنو المطلب
 (و اليتيمى) أى لضعفهم (و المسكين) لعجزهم (و ابن السبيل^٤) أى
 المسافر لأن الأسفار مظنات الافتقار، فالحاصل أنه سبحانه لم يرزأكم من ٢٠

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: قدر (٣) زيد من ظ .

المغرم شيئا، فاعرفوا فضله عليكم أولا بالإينعام بالنصر، وثانياً بحمل المغرم،
 وثالثاً بالإمكان من الأربعة الأخماس، ورابعاً برد الخمس الخامس فيكم،
 فاشغلوا بشكره فضلاً عن أن تغفلوا عن ذلك فضلاً عن أن تتوهوا أن
 بكم فعلاً تستحقون به شيئاً فضلاً عن أن تفعلوا من المنازعة في المغرم فعلاً
 ٥ القاطع بالاستحقاق، اعلوا ذلك كله علم المصدق المؤمن المذعن لما علم لتنشأ
 عنه ثمرة العمل ﴿ان كنتم﴾ صادقين في أنكم ﴿أمنتم بالله﴾ أى الذى
 لا أمر لأحد معه ﴿وما﴾ أى وبالذى ﴿أزلنا﴾ أى إزالا واحداً
 سريعاً لأجل التفرج عنكم من القرآن والجنود والسكينة في قلوبكم وغير
 ذلك مما تقدم وصفه ﴿على عبدنا﴾ أى الذى يرى دائماً أن الأفعال
 ١٠ كلها لنا فلا ينسب لنفسه شيئاً إلا بنا ﴿يوم الفرقان﴾ أى يوم بدر الذى
 جعلنا لكم فيه عزاً ينفذ به أقوالكم وأفعالكم في فضل الأمور .
 ولما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيراً لهم بالنعمة، بينه بما صور حالهم
 فيه إتماماً لذلك - أو أبدل منه - فقال: ﴿يوم التقى﴾ أى عن غير قصد
 من الفريقين بل بمحض تدبير الله ﴿الجمعين﴾ أى اللذان أحدهما أنتم
 ١٥ وكنتم حين الترائي - لو لا فضلنا - قاطعين بالموت، وثانيهما أعداؤكم وكانوا
 على اليقين بأنكم في قبضتهم، وذلك هو الجارى على مناهج العوائد،
 ولو قيل: يوم بدر، لم يفد هذه الفوائد .

ولما كان انعكاس الأمر في النصر محل عجب، ختم الآية بقوله:

(١) من ظ، وفي الأصل: الأخماس (٢) من ظ، وفي الأصل: فقال (٣) زيد
 بعده في ظ: وهذا (٤) تأخر في ظ عن «الأفعال كلها» (٥) في ظ: تنفذ .
 (٦) -قط من ظ (٧) في ظ: مناهيج .

(والله على كل شيء) أى من نصر القليل على الكثير وعكسه وغير ذلك من جميع الأمور (قدير ٥) فكان ختمها بذلك كاشفا للسر ومزيلا للعجب ومبينا أن ما فعل هو الجارى على سنن سنته المطرد في قديم عادته عند من يعلم أيامه الماضية في جميع الأعصر الحالية .

ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم ، صور لهم حالتهم الموضحة للأمر المينة ٥ لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك ردعا عن المنازعة وردا إلى المطاوعة فقال مبدلا من " يوم الفرقان " (اذ انتم) نزول (بالعدوة الدنيا) أى القربى [إلى - ٢] المدينة (وهم) أى المشركون نزول (بالعدوة القصوى) أى البعدى منها القرية إلى البحر ، والقياس قلب واوه ياه ، وقد جاء كذلك إلا أن هذا أكثر ٢ كما أكثر ٢ استصوب ١٠ وقل استصاب ، والعدوة - بالكسر في قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ، وبالضم في قراءة غيرهم : جانب الوادى وشطه ، ومادتها - بأى ترتيب كان - تدور على الاضطراب ويلزمه * المجاورة والسكون والإقبال والرجوع والاستباق والمحل القابل لذلك ، فكانها الموضع ٦ الذى علا عن محل فكان السيل موضعا للعدو (والوكب) أى العير ١٥ الذى فيه المتجر الذى خرجتم لاقطاعه ورئيس جماعته أبو سفيان ، ونصب

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفناها (٢) زيد من ظ . (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) وبالفتح أيضا في قراءة الحسن وقادة وزيد بن علي وعمرو بن عبيد (٥) من ظ ، وفي الأصل : يلزم (٦-٦) في ظ : فانها المرجع .

على الظرف قوله : ﴿ اسفل منكم ﴾ أى أيها الجمعان إلى جانب البحر على مدى من قرية تكادون تقعون عليه وتمدون أيديكم إليه مسافة ثلاثة أميال^١ - كما قال البغوى ، وهو كان قصدكم وسؤالكم ، فلو كانت لكم قوة على طرقه لبادرتم إليه الطرف وغالبتم عليه الخف ، ولكن منعكم^٢ من إدراك مأمواكم منه من كان جائما بتلك العدو جثوم الأسد واثقا بما هو فيه من القوى و العدد كما قال صلى الله عليه وسلم أسلمة بن سلامة بن وقش رضى الله عنه - لما قال فى تحقيرهم بعد قتلهم / و تدميرهم : إن وجدنا إلا عجائز صلعا ، ما هو إلا أن لقيناهم^٣ فنحنونا أكتافهم - جوابا له وأولئك يا ابن أخى الملا^٤ لو رأيتهم لهبتهم ولو أمروك لأطعتمهم ، مع استضعافكم ١٠ لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم وجنودنا تثبتكم^٥ . وإلى مثل هذه المعانى أشار تصوير مكانهم و مكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوك و تكامل العدة و تمهد أسباب الغلبة و ضعف حال المسلمين و أن ظفرهم فى مثل هذا الحال ليس إلا صنعا من الله^٦ ، و ما فى البيضاءى تبعا للكشاف من أن العدو الدنيا كانت تسوخ فيها الأقدام ١٥ و لا ماء بها تقدم رده أول السورة بأن المشهور فى صحيح مسلم [والسير - °] و غيرها أن المؤمنين هم السابقون إلى الماء ، و أن جميع أرض ذلك المكان كانت رملا تسوخ فيه الأقدام ، فأقى المسلمين^٧ به من المطر ما لبد لهم الأرض ،

(١) من ظ و معالم التزيل ٣ / ٣ ، و فى الأصل : أيام (٢) فى ظ : منعتم .
(٣) فى ظ : لقينا (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : السلمون .

و آتى المشركين منه ما لم يقدرُوا معه على الحركة (و لو تواعدتم) أى أتم
و هم على الموافاة إلى تلك المواضع فى آن واحد (لاختلفتم فى الميعاد)
أى لأن العادة قاضية بذلك لأمرين: أحدهما بعد المسافة التى كنتم بها
[منها - ٢] و تعذر توقيت سير كل فريق بسير صاحبه ، و الثانى كراهتكم
للقائهم لما وقر^٢ فى أنفسكم من قوتهم و ضعفكم ، و قد كان الذى كره^٥
إليكم لقاءهم قادر على أن يكره إليهم لقاءكم ، فيقع الاختلاف من جهتهم
كما كان فى بدر الموعد ، و أما فى هذه الغزوة فدعاهم من حابة غيرهم
داع لم يستطيعوا التخلف معه ، و طمس الله بصائرهم و قسى قلوبهم مع
قول أبى جهل الذى كان السبب الأعظم فى اللقاء لمن عرض عليه
المدد بالسلاح و الرجال^٤ : إن كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم ، ١٠
و إن كنا إنما نقاتل - كما يزعم محمد - الله فالأحد بالله من طاقة ، و قوله
أيضا فى هذه الغزوة للأخنس بن شريق : إن محمدا صادق و ما كذب
قط ، فعل الله ذلك لما علم فى ملاقاتهم لكم من إعلاء كلمته و إظهار دينه
(ولكن) أى دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم إلى موطن^٦ اللقاء كلكم
فى يوم واحد من^٧ غير ميعاد و لم تختلفوا^٨ فى موافاة^٩ ذلك الموضع مع ١٥
خروج ذلك عن العادة [لكونه أتقن أسبابه ، فأطمعكم فى العير أولا مع ما
أتم فيه من الحاجة ثم وعدكم إحدى الطائفتين مبها و أخرج قريشا لحماية
غيرهم إخراجا لم يجدوا منه بدا ، و لما نجت غيرهم أوردتهم الرياء و السمعة
(١) فى ظ : العادية (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قهر (٤) فى ظ : للرجال (٥) فى
ظ : عدة (٦) من ظ ، و فى الأصل : موطن (٧) فى ظ : عن (٨ - ٩) سقط ما بين
الرقين من ظ .

والبطر بما هم فيه من الكثرة والقوة كما قال أبو جهل : لا نرجع حتى
نرد بدرا فتنحر بها الجزور ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان ونطعم
من حضرنا من العرب فلا يزالون بها بونتنا مدى الزمان - [١] (ليقضى الله)
أى الذى له جميع الأمر من إعزاز دينه باعزازكم وإذلالهم (أمرأ كان)
هـ كما تكون الجبلات والطباع فى التمكن والتمام (مفعولا) أى مقدر
فى الأزل من لقائهم^٢ وما وقع فيه من قتلهم وأسرهم على ذلك الوجه
العظيم فهو مفعول لا محالة ليتبين به إيمان من آمن باعتماده على الله
و تصديقه بموعده^٣ وكفر من كفر .

ولما علل ذلك التدير فى اللقاء بقوله "ليقضى [الله] - [١] ، علل
١٠ تلك العلة بقوله : (ليهلك) أى بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة
(من هلك) أى من الفريقين^٤ : الكفار فى حالة القتال وبعدها ، والمسلمين
هلاكا متجاوزا [و - ١] ناشئا (عن) حالة (بينه) لما بان من
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة فى كل ما وعد به
وكذب الكفار فى كل ما كانوا يقولونه قاطعين به مع أن ظاهر الحال
١٥ يقضى لهم ، فكان ذلك من أعظم المعجزات (ويحيى من حى) أى
بالإسلام حياة هى فى أعلى الكمال بما تشير إليه قراءة نافع والبرزى عن
ابن كثير و أبى بكر عن عاصم باظهار اليامين ، أو فى أدنى الكمال بما يشير
(١) زيد ما بيع الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لتأييم (٣) فى ظ :
موعوده (٤) من ظ ، وفى الأصل : فريقى .

إليه إدغام الباقي تخفيفاً حياة متجاوزة وناشئة ﴿ عن ﴾ حالة ﴿ بينة ^١ ﴾
 أى كائنه بعد البيان فى كون الكافرين على باطل و المؤمنين على حق لما
 سأتى من أنهم كانوا يقولون " غر هؤلاء دينهم " فحينئذ تبين المغرور
 وكشفت ^١ عجائب المقدور عن أعين القلوب المستور .

ولما كان التقدير : فان الله فى فعل ذلك لعزیز حكيم ، عطف عليه د

قوله / : ﴿ وان الله اسميع ﴾ أى لما كنتم تقولونه [وغيره - ^٢]
 ﴿ علیم لا ﴾ بما كنتم تضمرونه وغيره فاستكينوا لعظمته وارجعوا عن
 منازعتكم لحشيتة ، ثم آثم سبحانه تصوير ^٢ حالتهم بقوله مبينا ما أشار إليه
 من لطف تدبره : ﴿ اذ ﴾ أى اذ كر إذ أردت علم ذلك حين ﴿ يريكم الله ﴾
 أى الذى له صفات الكمال فهو يفعل ما يشاء ﴿ فى منامك قليلا ^٣ ﴾ تأكيداً ١٠
 لما تقدم إعلامه به من أن المصادمة - فضلاً عما نشأ عنها - ما كان إلا منه
 وأنهم كانوا كآلة اتى لا اختيار لها ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم
 رآهم فى منامه قليلاً فحدث أصحابه رضى الله عنهم بذلك فاطمأنت قلوبهم
 وشجعهم ذلك ؛ وعين ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال :
 ﴿ ولو اريكمهم ﴾ أى فى منامك أو غيره ﴿ كثيراً ﴾ . ١٥

ولما كان الإخبار بعد الوقعة بضد ما وقع فيها مما يقتضى طبع البشر
 التوقف فيه ، أكد قوله : ﴿ لفشلتم ﴾ أى جبتهم ﴿ ولتنازعتم ﴾ أى
 اختلفتم فترع كل واحد منزعا خلاف منزع صاحبه ﴿ فى الامر ﴾
 أى فوهنتم فزادكم ذلك ضعفا وكرهه للقائهم ﴿ ولكن الله ﴾ أى الذى
 (١) من ظ ، وفى الأصل : كشف (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : نزع .

أحاط بكل شيء قدرة وعلما ﴿سلم﴾ أى ولكن لم يركمهم كذلك
فصلت السلامة عما كان يتسبب عنها من النكوص ؛ ثم بين العلة في
ترتيبه ذلك وإخباره بهذا الأمر المفروض بقوله : ﴿انه عليم﴾ أى
بالغ العلم ﴿بذات الصدوره﴾ أى ضمائرهما من الجراءة والجن وغيرهما
قبل خطورها في القلوب .

ولما بين ما نشأ عن رؤيته صلى الله عليه وسلم من قتلهم^١ وما كان
ينشأ عن رؤيته الكثيرة لو وقعت ، لأنه صلى الله عليه وسلم - لما هو عليه
من النصيحة والشفقة - كان يخبرهم بما رأى كما أخبرهم في غزوة أحد بالبقر^٢
المذبحة ؛ أتبعه ما فعل من اللطف في رؤيتهم بأنفسهم بقظة فقال :

١٠ ﴿واذ﴾ أى واذكروا أيضا إذ ﴿يريكوم﴾ أى يبصركم إياهم ﴿اذ﴾
أى حين ﴿التقيتم﴾ ونبه على أن الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه
بقوله : ﴿فإعنيكم﴾ أى لا في نفس الأمر حال كونهم ﴿قليل﴾
أى عددهم يسيرا أمرهم مصدقا^٣ لما أخبركم به النبي صلى الله عليه وسلم
عن رؤياه لتجترأوا عليهم^٤ ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال :

١٥ لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي : أترام سبعين ؟
قال : أرام مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا ، قال
الحراي^٥ في آل عمران : فجعل القليل وصفا لهم لازما ثابتا دائما عليهم
بما أوجب فيهم من نقص ذواتهم بخفاء فطرتهم وما وراء خلق الفطرة
(١) في ظ : قتلهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : كما (٣) في ظ : بالبقرة (٤) سقط
من ظ (٥) في ظ : مصدقا (٦) في ظ : عنهم (٧) العبارة من هنا إلى قال
الحراي ، ساقطة من ظ .

من الذوات ، قال تعالى : ﴿ وَيَقْلِقُكُمْ ﴾ صيغة فعل واقع وقت لا وصفا لهم من حيث أنه لو أراهم إياهم على الإراءة الحقيقية لزادهم مضاعفين بالعشر ، فكانوا يرونهم ثلاثة آلاف ومائتين وثلاثين - انتهى . ﴿ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ قبل اللقاء ليجترئوا على مصادمتكم حتى قال أبو جهل : إنما هم أكلة جزور ، ثم كثرهم في أعينهم حين المصادقة حتى انهزموا حين فاجأتهم الكثرة فظنوا الظنون ؛ هـ قال الحرالي : قللهم حين لم يرمهم إياهم على [الإراءة - ٢] الحقيقية العشرية ، ولا أراهم إياهم على الصورة^٢ الحسية ؛ فكان ذلك آية للؤمنين على قراءة ياء الغائب - أى فى آل عمران^١ - وكانت آية للكفار على قراءة "رونهم" - بناء الخطاب ، فكان فى ذلك فى إظهار الإراءة فى أعين الفئتين نحو بما كان من الإراءتين الواقعة بين موسى عليه السلام و السحرة فى ١٠ أن موسى عليه السلام و من معه خيل إليهم من سحرهم أنها تسمى وأن فرعون و من معه / رأوا ثعبانا مينا يلقف^٣ ما يأفكون رؤية حقيقة ، فتناسب ما بين^٤ الآيات الماضية القائمة لهذه الآية^٥ بوجه ما ، وكانت هذه الآية أشرف وألطف بما هى فى مدافعة بغير آلة من عصى و لا جبل فى ذوات الفئتين وإحساسهم - انتهى .

١٥

ولما ذكر ما أحاله سبحانه من إحساس الفئتين ، علله بقوله : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ ﴾ أى الذى له العزة البالغة والحكمة الباهرة من نصرهم وخذلانهم بأن تفاجئهم كثرتم بعد رؤيتكم قليلا فيشجعهم ذلك ، و يهزمهم

(١) فى ظ : حتى (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : تصور (٤) راجع آية ١٣ منها (٥) فى ظ : يتلقب (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الامه .

﴿ امرا كان مفعولا^١ ﴾ أى من إعجالهم - بما فجهم من الكثرة بعد القلة -
عن الحذر والاستعداد لذلك [و - ١] بما فعل بأيديكم في هذه الغزوة من
القتل والأسر والهزيمة المشر لذل جميع أهل الكفر ، كان مقدرا في
الأزل فلا بد من وقوعه على ما حده لأنه لا راد لأمره ولا يبدل القول
لديه ، فعل ذلك كله وحده .

ولما كان التقدير : فيده سبحانه ابتداء الأمور بتقديره إياها في
الأزل لا يد أحد غيره ، عطف عليه قوله : ﴿ والى الله ﴾ أى الملك
الأعلى الذى بيده وحده كل أمر ﴿ ترجع الامور ﴾ أى^٢ كلها فلا ينفذ
إلا ما يريد إنفاذه ، فلا تجرى الأمور على ما يظنه العباد ، وهو من قولك :
١٠ هذا الأمر راجع^٣ إليك ، أى مهما أردته فيه مضى ، ولو فرض أن
غيرك^٤ عاجله لم يؤثر فيه ؛ ولا يزال كذلك حتى يرجع إليك فيمضى ،
فالخاص أن فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار وإن لم يكن هناك رجوع
بالفعل ، وفى هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة لذواتها ، وإنما
المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم المعاد . ولما^٥ تقرر ذلك وتم
١٥ على هذا السبيل الأحكم والمنهاج الآقوم ، كان علة لمضمون قوله :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآيتين ، فكاتنا نتيجته ، لأنه إذا علم أن الأمر كله له
ولا أثر لقله ولا كثرة أئمر لمن هو فى أدنى درجات الإيمان فضلا عن
غيره قلة المبالاة بالظالمين وإن تجاوزت قواهم الحد ، وزادوا كثرة على

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يراجع (٤) فى ظ : غيره (٥) زيد
فى ظ : كان .

العد ، والآيتان تذكرانهم^١ بحالهم التي أوجبت نصرهم ليلزموها في كل معترك ولا يتنازعوا كما تنازعوا^٢ في المغنم ﴿إذا لقيتم﴾ أي قاتلتهم لأن اللقاء اسم للقتال غالب ﴿فته﴾ أي [طائفة - ٢] مستحقة للقتال [كما أغنى عن وصفها بذلك وصفهم بالإيمان - ٣] ﴿فائتوا﴾ أي في لقائها بقاتلها كما ثبت في بدر ولا تحدثوا أنفسكم بفرار ﴿واذكروا الله﴾ أي ه الذي له كل كمال فكل شيء يطلب فهو عنده يوجد ﴿كثيرا﴾ أي كما صنعتم ثمم . لأن ذلك أمانة الصدوق في الاعتماد عليه وحده ، وذلك موجب للنصر لا محالة كما في الحديث القدسي «إن عندي كل عبيد للذي يذكرني عند لقاء قرنه» .

- و لما أمر بذلك ، علله بأداة الترجى ، ليكون أدل على أنه سبحانه ١٠
لا يجب عليه شيء فيكون أثبت للإيمان فقال : ﴿لعلكم تفلحون﴾^٤
أي لتكونوا على رجاء من الفلاح وهو الظفر بالمراد من النصر والاجر
وكما كنتم إذ ذاك ﴿واطيعوا الله﴾ أي الذي له الغنى المطلق فلا يقبل
إلا الخالص والكمال الأكمل فلا يفعل [إلا - ٢] ما يريد ﴿ورسوله﴾ أي
في الإقدام والإحجام لجهلكم بالعواقب ، وتلك الطاعة أمانة إخلاصكم ١٥
في الذكر ﴿ولا تنازعوا﴾ بأن يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من رأى
وغيره وإثبات ما له ، وأشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة
فقال : ﴿فتفشلوا﴾ أي تضعفوا ؛ قال في القاموس : فشل كفرح ،
(١) في ظ : تذكرناهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتنازعوا (٣) زيد من ظ .
(٤) في ظ : وهو .

فهو فشل : كسل و ضعف و تراخي و جبن - انتهى . و المادة راجعة إلى الفيشلة و هى الحشفة ، و من لازمها الرخاوة و ينشأ عن الرخاوة الجبن مع الصلف و الخفة و الطيش .

و لما كان الفشل ربما كان معه / الظفر لفشل فى العدو أكثر منه / ٤٣٥

٥ أو غير ذلك ، عطف ما يلزمه غالبا بالواو و بن ثقاء فقال : ﴿ و تذهب ربحكم ﴾

أى غلبتكم و قوتكم ، و أصله أن الريح إذا كانت فى الحرب من جهة صف كانت فى وجوه أعدائهم ففتحهم بما يريدون فخذلوا فصارت كأنها قوة من أتت من عنده ، فصارت يكفى بها عنها : ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشمليها الناظم ٣ لمقاصد أهلها فقال : ﴿ و اصبروا ١ ﴾

١٠ أى على ما يكون من تلك المشاق فانكم إن تكونوا تألمون فان أعداءكم

كذلك ، و أتم ترجون من الله ما لا يرجون ؛ ثم علله بما يكون عنه

النصر فى الحقيقة فقال : ﴿ ان الله ٢ ﴾ أى المحيط بصفات الكمال

﴿ مع الصبرين ٣ ﴾ أى لأنهم لا يصبرون إلا اعتمادا عليه ، و من كان

معه عز ، و هذه الجملة جمع فيها - كما قال الإمام شمس الدين محمد بن قيم

١٥ الجوزية فى آخر كتاب الفروسية المحمدية - تدير الحروب أحسن جمع

على أتم وجه ، فأمر فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت قط فى قة إلا انتصرت

وإن قلت فى جنب عدوها ، و خامسها ملاك ذلك و قوامه و أساسه

و هو الصبر ، فعلى هذه الدعائم الخمس تبقى قبة النصر ، و متى زالت

(١) فى ظ : الرخاوة (٢) فى ظ : يذهب ، و هذه أيضا قراءة (٣) فى ظ : الناظر .

(٤) من ظ ، و فى الأصل : كتب .

أو بعضها زال من النصر بحسبه ، وإذا اجتمعت قوى بعضها بعضا
 وصار لها أثر عظيم ، لما اجتمعت في الصحابة رضى الله عنهم لم تقم لهم
 أمة من الأمم ، ففتحو البلاد شرقا وغربا ودانت لهم العباد سلما
 وحربا ، ولما تفرقت فيمن بعدهم وضعفت آل الأمر قليلا قليلا إلى
 ما ترى - فلا قوة إلا بالله ، والجامع لذلك كله طاعة الله ورسوله فانها هـ
 موجبة لتأييد المطيع بقوة من هو في طاعته ، وذلك 'سر قول أبي الدرداء
 رضى الله عنه الذى رواه البخارى في باب 'عمل صالح قبل القتال' :
 إنما تقاتلون الناس بأعمالكم ؛ وهو شرع قديم ، قال في أثناء السفر
 الخامس من التوراة : [إن - ٢] أنتم سمعتم قول الله ربكم وتحفظتم
 وعلمتم بكل هذه الوصية التى آمركم بها اليوم يبارك عليكم الله ربكم كما ١٠
 قال لكم ، ١١ و ١٢ رزقون إن تقرضوا شعوبا كثيرة ١٣ ولا تقرضون ،
 وتسلطون على شعوب كثيرة ولا يتسلطون عليكم .

ولما ذكرهم سبحانه ما أوجب نصرهم أمرا لهم بالثبات عليه ، ذكر لهم
 حال أعدائهم الذى أوجب قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة في
 الأنفال وأنها حال من يريد الدنيا ، ويوشك - إن تمادت - أن تجر إلى مثل ١٥
 حال هؤلاء الذين محط نظرهم الدنيا فقال : ﴿ ولا تكونوا ﴾ أى يا معشر

(١-١) من ظ ، وفي الأصل : من قوله صلى الله عليه وسلم (٢) زيد من ظ .

(٣) من ظ ، وفي الأصل : نحفظكم (٤) في ظ : امرهم (٥) تأخروا في الأصل عن

« الله » والترتيب من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : او (٨) في

ظ : كثيرا .

المؤمنين ﴿ كالذين ﴾ و صور قبج عملهم من أوله إلى آخره فقال :
﴿ خرجوا من ديارهم ﴾ أى كل واحد من داره وهم أهل مكة ، و كل
من عمل مثل عملهم كان مثلهم ، ولذا عبر بالوصف ليعم ﴿ بطرا ﴾ أى
طغيانا و تكبرا على الحق ، و مادة بطر- بأى ترتيب اتفق - تدور على
اللين القابل للعمل حتى ربط ، فانه لو لا الضعف ما استوثق من المربوط ،
و منه بطر^١ الجرح - وهو شقه - و البيطار ، و تارة يكون ذلك اللين عن
دهش ، و منه أبطرت حلته أى أدهشته عنه ، و ذهب دمه بطرا أى
باطلا للضعف عنه للحيرة فى الأمر^٢ الموصل إليه ، و تارة يكون^٣ عن
مجاوزه الحد فى الصلابة ، و منه بطر النعمة - إذ لم يشكرها فتجاوز الحد
١٠ فى المرح ، فان فاعل ذلك يمكنه الحكيم من مقاتله فيأخذه و هو يرجع
الى عدم احتمال القوى للشكر ، ففاعل ذلك ضعيف و إن ظهر منه
خلاف ذلك كما قال عمر رضى الله عنه : العدل و إن رضى لنا أ كف
عن الظلم من الجور و إن رضى شديدا - أو كما قال رضى الله عنه . و أقرب
من ذلك أن تكون المادة دائرة / على الخطاطة * النافلة من حال
١٥ إلى حال .

و لما ذكر الحامل لهم على الخروج من أنفسهم ، ذكر ما أوجبه
[لهم -^٦] من غيرها فقال : ﴿ و رثاء الناس ﴾ أى خرجوا يرون الناس

(١) من ظ ، و فى الأصل : طعنا (٢) من ظ ، و فى الأصل : بطرح (٣) فى ظ ،
الأصل (٤) فى ظ : تكون (هـ) من ظ ، و فى الأصل : الخليفة (٦) زيد من ظ .

خروجهم وما يتأثر عنه ليروهم ما يقولون^١ فيه ، فانهم لما قيل^٢ لهم :
 قد نجى الله غيركم فارجعوا ، بطروا النعمة تبعاً لأبي جهل حيث قال^٣ : والله
 لا نرجع حتى نرد بدرًا فنشرب الخمر وننحر الجزور و تعزف علينا القيان
 قسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا أبداً ! فسقوا مكان الخمر كؤوس المنايا
 الحر ، و ناحت عليهم نوائح الزمان مكان العزف و القيان .
 و لما ذكر نفس الخروج و ما فيه من الفساد و ذكر ثمرته الخيثة
 الناشئة عن ذنك الخلقين ، و عبر عنهما بالاسم إشارة إلى الثبات كما هو
 شأن الأخلاق ، و عن الثمرة بالمضارع تنبيهاً على أنهم لا يزالون يجدونها
 فقال : ﴿ و يصدون ﴾ أى يوجدون الصد و هو المنع لأنفسهم و غيرهم
 ﴿ عن سبيل الله^٤ ﴾ أى الملك الأعظم فى ذلك الوجه و هم عازمون على ١٠
 تجديد ذلك فى كل وقت ، فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم لهللاً
 و بنيانهم واهياً ، فانها من عمل الشيطان ، و كل عمل لا يكون لله إذا صدم
 بما هو الله اضمحل ، بذلك سبحانه أجرى سنته و لن تجد لسنته تحويلاً ،
 فان العاملين عبيد الله ﴿ و الله ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أن المحيط بكل
 شئ الذى عادوا^٥ أوليائه ﴿ بما ﴾ أو يكون ذلك معطوفاً على ما تقديره : ١٥
 فأبطل الله بجلاله و عظمته أعمالهم و هو بكل ما ﴿ يعملون محيطه ﴾ فهم
 فى قبضته ، فأوردهم - إذ خرجوا يجادونه - بدرًا فنحر مكان الجزور رقابهم
 و سقام مكان الخمر كؤوس المنايا ، و أصاح عليهم مكان القيان صوائح
 [النوائح - ٦] ، و لعله قدم الجار إشارة إلى أنه لشدة إحاطته بأعمالهم كأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقولون (٢) فى ظ : فيه (٣) سقط من ظ (٤) فى
 ظ : عادى (٥) فى ظ : الخمر (٦) زيد من ظ .

لا نظر له إلى غيرها فلا شاغل له عنها .

و لما بين لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرا منها ، زاد في التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال : ﴿ واذ ﴾ فاعلم أن التقدير قطعا : اذكروا ذلك و اذكروا إذ ، و زاد في التنفير بذكر العدو المبين و التنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة

له [كما - ١] كان ما سول لهم في ٢ هذا الأمر فقال : ﴿ زين لهم الشيطان ﴾ أى العدو المحترق البعيد من الخير ﴿ أعمالهم ﴾ [التى أتقوها بزعمهم في معاداة النبي صلى الله عليه و سلم - ١] ، و ذلك أنه تبدى لهم في صورة ٣ سراقه بن مالك بن جعشم الكنانى حين خافوا من قومه بنى كنانة أن يخلفهم ١٠ فى أهلهم ؛ بسوء لما كان بينهم مما يوجب ذلك ، فكاد ذلك أن يثبطهم عن المسير ﴿ وقال ﴾ غارا لهم فى أنفسهم ﴿ لا غالب لكم ﴾ و الجار خبر 'لا' و إلا لا انتصب اسمها لكونه يكون إذ ذاك شيئا بالمضاف ﴿ اليوم من الناس ﴾ و غارا لهم فيمن خلفوه بقوله : ﴿ وانى جار لكم ج ﴾ من أن تخلفكم كنانة بشيء تكرهونه ، و سار معهم إلى بدر ٥ ينشطهم ١٥ و ٥ ينشدهم و يسلبهم ٦ بهذا القول الظاهر إلى [ما - ١] يوسوس لهم به فى الصدور ﴿ فلما ترآمت الفئتئ ﴾ أى رأت كل فئة الأخرى و رأى جبريل عليه السلام فى ٧ جنود الله ٨ ﴿ نكص ﴾ أى رجع يمشى القهقرى و بطل كيد و آثار و سوسته ﴿ على عقبيه ﴾ أى إلى ورائه ٩ ، فقالوا :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
اهلهم (٥-هـ) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يشدهم
و يسلبهم (٧-٧) فى ظ : جنوده (٨) فى ظ : وراه .

أين أى ' سراق ؟ ولا يظنونـه إلا سراقه ، فمر ولم يجبههم ولا عرج عليهم ﴿ وقال ﴾ أى بلسان الحال أو القال وهم يسمعون أو لا يسمعون ﴿ انى برىء منكم ﴾ ثم علل براءته منهم بقوله : ﴿ انى ارى ﴾ أى بعين بصرى ﴿ ما لا ترون ﴾ أى من الملائكة والغضب الذى هو^١ نازل بكم ، فقال له الحارث بن هشام وكانت يده فى يده : ^٢ والله ما نرى إلا جواسيس ه يثرب ! فاستأنف قوله مؤكدا لإنكارهم لذلك : ﴿ انى اخاف الله^٣ ﴾ أى المحيط بكل شئ قدرة وعلما أن يهلكنى معكم بالمعاجلة بالعقاب ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب^٤ ﴾ فكانوا يقولون : انهزم / بنا سراقه ، فقال : بلغنى أنكم تقولون كذا ! والله ما علئت بمسيركم هذا^٥ إلا عند ما بلغنى انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى أسلموا فعللوا أن الذى ١٠ غرهم الشيطان ، وذلك مشهور فى السير ، وهو أولى من أن يحمل على مجرد الوسوسة ، وفى الحديث : ما رأت إبليس يوما أصغر ولا أحقر ولا أغبط من يوم عرقه لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رأت يوم بدر ، . ولما استوفى ما كان يقطع به^٦ فى حق أولئك بما هو من أنفسهم و بما هو من تزوين الشيطان ، أبدل منه ما كان يقطع به^٧ فى حقهم هم ١٥ من أهل الجهل بالله وبأيامه الماضية وآثاره عند أوليائه وأعدائه فقال : ﴿ اذ يقول المنفقون ﴾ أى من العرب و بنى إسرائيل قولاً يحددونه كل وقت لما لهم فيه من الرغبة ﴿ والذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى من (١) فى ظ : ابى (٢) - قط من ظ (٣-٢) - قط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ وموطا الإمام مالك - جامع الحج ، وفى الأصل : يرى .

لم يرسخ الإيمان في قلبه ممن آمن ولم يهاجر أو من اليهود المصارحين بالكفر حين يرون الكفار وقوتهم وكثرتهم والمؤمنين وضعفهم وقتلهم ﴿ غر هؤلاء ﴾ مشيرين إليكم ﴿ دينهم ﴾ أى فى إقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم أن الله ناصرهم وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى ٥ زهاء ألف ملوك العرب ، فيغظكم ذلك ، فكذبهم الله وصدق أمرهم بتوكلكم عليه وصبركم على دينكم ﴿ ومن ﴾ أى قالوا ذلك عالمين بأنكم متوكلون على من تدينون له والحال أنه من ﴿ يتوكل على الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ، فهو يفعل ما يشاء منكم ومن غيركم بشرطه من الإيمان والسعى فى الطاعة كما فعلتم فانه معز ومكرم .

١٠ ولما كان سبحانه محيطا بكل صفة كمال على الإطلاق من غير قيد توكل ولا غيره ، أظهر تعالى فقال عاطفا على ما تقديره : فان الله قادر على نصره : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ عزيز ﴾ أى غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصره ﴿ حكيم ﴾ أى متقن لأفعاله فهو حقيق بأن يأخذ عدو المتوكل عليه من الموضع الذى لا ينفعه فيه حيلة .

١٥ ولما ذكر ما سرهم من حال أعدائهم المجاهرين والمسايرين فى الدنيا مرصعا ذلك بجواهر الحكم وبدائع الكلام [التى - ٤] بملازمتها تكون السعادة وبالإخلال بها تحمل الشقاوة ، أتبعه ما يسرهم من حال أعدائهم عند الموت وبعده ، فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا ، حاديا بتخصيصه بالمخاطب كل سامع على قوة اليقين ليؤهل لمثل هذا الخطاب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : متوكلين (٣) من ظ ، وفى الأصل : شرط .

(٤) زيد من ظ .

حكاية لحالم في ذاك^١ الوقت ﴿ ولو ﴾ أى يقولون ذلك والحال أنك ﴿ لو ترى ﴾ يا أعلى^٢ الخلق ﴿ اذ يتوفى ﴾ أى يستوفى إخراج نفوس ﴿ الذين كفروا لا ﴾ أى من هؤلاء القائلين ومن غيرهم ممن قتلتموهم بيد من غيرهم بعد ذلك وقبله ﴿ الملتصكة ﴾ أى جنودنا الذين^٣ وكلناهم بهم حال كونهم ﴿ يضربون ﴾ .

- ولما كان ضرب الوجه والدبر أدل ما يكون على الذل والخزي، قال: ﴿ وجوههم وادبارهم ﴾ أى أعلى أجسامهم وأدناها فغيره^٤ أولى ﴿ و ﴾ حال كونهم يقولون لهم: ذوقوا ما كنتم به تكذبون ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ﴾ أى لرأيتم منظرا هائلا وأمرأ فظيعا، فسرکم ذلك غاية السرور، وما أثر كلامهم في غيظكم، فانهم يعلمون حينئذ من الذى غره دينه و^٥ 'لو' ١٠ وإن كانت تقلب المضارع^٦ ماضيا فلا يخلو التعبير بالمضارع^٧ في حيزها من فائدة، وهى ما ذكر من الإشارة إلى أن هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت، بل لا فرق بين متقدمهم ومتأخرهم، من مات بيد أو غيرها، وليس في الكلام ما يقتضى أن يكون القائلون^٨ "غر هؤلاء [دينهم -]" ١٥ حضروا بدرا، بل الظاهر أن قائله كانوا بالمدينة وتعبيرهم بـ "هؤلاء" التى هى أداة القرب للتحقير واستهال أخذهم كما أن أداة البعد تستعمل للتعظيم يبعد الرتبة، وعلى مثل هذا يتنزل^٩ قول فرعون بعد أن سار
-
- (١) في ظ: ذلك (٢) في ظ: على (٣) في ظ: الذى (٤) من ظ، وفي الأصل: فغير (٥-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ، وفي الأصل: القائلين . (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) في ظ: ينزل .

بنو إسرائيل زمانا / أقله ليلة و بعض يوم كما حكاه الله عنهم^١ "ان هؤلاء
لشرذمة قليلون"^٢ على أن البغوى قد نقل في تفسير قوله تعالى "يرونها
مثلهم رأى العين"^٣ أن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على
من تكون الدائرة . وإذا تأملت هذا مع قوله تعالى "كذاب
ال فرعون" علمت أن جل المقصود من هذه الآيات إلى قوله "ذلك
بانهم قوم لا يفقهون" اليهود ، وفي تعبيره بـ "لا يفقهون" تبكيت شديد
لهم كما قال تعالى في آية الحشر "لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله
ذلك بانهم قوم لا يفقهون"^٤ .

و لما عذبوهم قولا و فعلا ، عللوا لهم ذلك بقولهم^٥ زيادة في تأسيهم :

١. (ذلك) أى هذا الفعل العظيم الذى يفعله^٦ بكم من العذاب الاليم
(بما قدمت ايديكم) أى من الجراءة على الله (وان) أى و بسبب
أن له أن يفعل ذلك وإن لم تقدموا شيئا فان (الله) أى الذى له
صفات الكمال (ليس بظلام) أى بنى ظلم (للعبيد) فان ملكه
لهم تام ، والمالك التام المملك على ما يملكه الملك الذى لا شئ يخرج عن
دائرة ملكه ، وهو الذى جعلكم هذه الجبلتة الشريرة التى تأثرت عنها هذه
الأفعال القبيحة ، وهو لا يستل عما يفعل ، من الذى يسأله ! ويجوز أن
يكون المعنى : وليس بنى ظلم لانه لا يترك الظالم يبنى على المظلوم من

(١) من ظ ، وفي الأصل : عنه (٢) سورة ٢٦ آية ٤٤ (٣) آية ٣ سورة ١٣ .

(٤) من معالم التنزيل - راجع الخازن ١ / ٢٧٣ ، وفي الأصل و ظ : يكون .

(٥) آية ١٣ (٦) من ظ ، وفي الأصل : قوله (٧) في ظ : نفعه (٨) سقط من

ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : هذا .

غير جزاء لكم على ظلمكم لأهل طاعته، [و سيأتي في 'فصلت' حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة - '] .

ولما بين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه و الرجوع في كل أمر إليه ، و بين أن من خالف ذلك هلك كائنا من كان ؛ أتبعه بما بين أن هذا من العموم و الاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان و لا مكانا ه سوى^٢ مكان فقال تعالى : ﴿ كذاب ﴾ أى عادة هؤلاء الكفار و شأنهم الذى دأبوا فيه و داوموا و واطبوا فنونا^٣ عليه كمادة ﴿ آل فرعون ﴾ أى الذين ؛ هؤلاء اليهود من أعلم الناس بأحوالهم ﴿ و الذين ﴾ و لما كان المهلكون لأجل تكذيب الرسل بعض أهل الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ و هو مع ذلك من أدلة " فلم تقتلوهم " لأن هؤلاء ١٠ الذين أشار إليهم كان هلاكهم بغير قتال* ، بل بعضهم بالريخ و بعضهم بالصيحة و بعضهم بالغرق و بعضهم بالحسف الذى هو غرق فى الجامد ، فكأنه يقول : لا ينسب أحد لنفسه فعلا ، فانه لا فرق عندى فى إهلاك أعدائى بين أن يكون إهلاكهم بتسليط من قتال أو غيره ، الكل بفعل ، لو لا أنا ما وقع ، و ذلك^٤ زاجر عظيم لمن اقتخر بقتل من قتله الله على يده^٥ ، أو نازع فى النفل ، و هو راجع إلى قوله تعالى " لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم " و فى ذلك حث على التمرن على عدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : دون (٣) فى ظ : فمروا (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) فى ظ : هو (٧) فى ظ : يديه . (٨) سورة ٥٧ آية ٢٣ .

الاكثراث بشيء يكون للنفس فيه أدنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو دأب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يضيف شيئا من محاسنه إلا إلى خالقه إلا إنه كان مأمورا فيه بالتشريع ، بل يقول : قتلهم الله ، صرفهم الله ، نصرنا الله ، كفى الله ، فاذا صار ذلك للمستمسكين به خلقا أفضى بهم إلى مدح الخالق ٥ [و - ١] المخلوق لهم كما قال كعب بن زهير رضى الله عنه^٢ في مدحهم :

ليسوا مفارح إن نالت رماحهم قوما^٣ وليسوا مجازيعا إذا نيلوا

ثم بين تعالى الحال الذى شابهوا فيه من قبلهم بقوله : ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه أنوار عقولهم من دلالات الملك الأعلى و غطوها لأنهم لم يعملوا بها و صدوا عن ذلك من تبعهم ، فكان جزاؤهم ماتسبب ١٥ عن ذلك من قوله : ﴿ فاخذم الله ﴾ أى الذى له مجامع الكبر ومعاهد العظمة والمز أخذ غلبة وقهر وعقوبة ﴿ بذنوبهم^٤ ﴾ كما أخذهم فانهم تجرأوا على رتبة الألوهية التى تخسأ دون شوايحها / نوافذ الأبصار ، و تظلم عند بوارق أشعتها سواطع الأنوار ، و تضمحل بالبعد عن أول مراقبها القوى ، و تنقطع بتوهم الدنو من فيافيها الاعتناق ، فزلت بهم صواعق هيبتها ، و أناخت عليهم صروف عظمتها ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ١٥ ولا تحس إلا ملاعبهم^٥ ، و أما كنهم .

ولما أخبر بأخذهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿ قوى ﴾ أى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ شديد العقاب^٥ ﴾ . ولما كان كأنه قيل : فإله يمهلهم و لا يعاجلهم بالأخذ قبل النكابة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عنهم (٣) من ديوان كعب ، وفى الأصل : وظ : يوما (٤) من ظ ، وفى الأصل : مل - كذا .

في أوليائه وأهل وده وأصفيائه؟ قال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ على هذه الحالة ﴿ بأن الله ﴾ أى بسبب أنهم غيروا ما في أنفسهم، وقد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا^١ لعله بما في ضمائرهم، ولكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتبليغهم العلم وكال قدرته وإحاطته بجميع صفات الكمال بأنه ﴿ لم يك ﴾ هكذا كان الأصل، ولكن حذف اختصارا تقريبا لبيان هـ تعميم العلة^٢ وإبعادا للسامع من مثل ذلك، وحذف نون 'يكن' إرشادا إلى أن هذه الموعظة خليفة بأن يوجز بها غاية الإيجاز فيبادر إلى إلقائها لما في حسن تلقيها من عظيم المنفعة، لأن من خالفها جدير بتعجيل الانتقام ﴿ مغيرا نعمة ﴾ أى قلت أو جلت، وبين أنه لا نعمة على أحد إلا منه فقال: ﴿ انعمها على قوم ﴾ أى من أى طائفة كانوا ﴿ حتى يغيروا ﴾ أى ١٠ يدلوا ﴿ ما ﴾ يعتقدونه ﴿ بأنفسهم^٣ ﴾ بغيره مما هو غريزة لهم وهو حفي عنهم، يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا غريزيا^٤ ﴿ وان ﴾ أى وبسبب أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الكمال [كله - ^٥] ﴿ سميع ﴾ أى لما يكذبون به الرسل^٥ ولاقواهم: إن ما يظهرونه وصفهم الحقيقي ﴿ علم^٦ ﴾ أى بما تكن ضمائرهم من غيره وإن جهلوه هم فيبتليهم بلاء يظهر به ذلك ١٥ المكنون ويرز [به - ^٧] كل سر مصون، فإذا تعلق به العلم ظاهرا^٧ علق به الحكم قاهرا لتبليغ قيام الحجة، ولتألم عليه بجاهلهم أمهاتهم، وإنما يستعجل من يخاف أن تخيب فراسته أو يتغير علمه، وأما الذى عليه

(١) في ظ: يعتبروا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: غريزا (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: الرسول (٦) زيد في ظ: لم (٧) في ظ: ظاهر.

بالظواهر^١ والضمائر على حد سواء فالخالتان عندئذ بيان، فهو يهمل لإتمام الحكمة ولا يهمل من استحق النقمة، وذلك التغيير الذى أظهره البلاء هو التكذيب بالحق عنادا والبعد عما كانوا يدعونه من العدل والمشي على مناهيج العقل والاستحياء من العناد، والتزهد من طرق الفساد، هكذا كانت كل أمة أرسلت إليها الرسل تدعى وما عندها من خلاف ذلك مستور في ضمائرهم مكنون في سرائرها، لا تعلمه كما تشاهد أكثر من تعاشره، يظن في نفسه ما ليس فيها. وعند الامتحان يكذبه العيان. فلما جاءتهم الرسل وأوضحوا لهم الأمر^٢ أيضا^٣ ليس معه لبس فكذبوهم، غيروا ما كان في نفوسهم مما كانوا يزعمون؛ ثم كرر قوله - : ﴿ كذاب ال فرعون لا ﴾ أى فرعون وقومه فانهم أتباعه فلا يخيل^٤ أنهم يفعلون شيئا إلا وهو قائدهم فيه ﴿ والذين من قبلهم^٥ ﴾ - لدقيقة، وهى أنه قد تقدم أنه [ما -^٦] من أمة إلا ابتليت بالضراء والسراء، فالأولى ينظر إليها مقام الإلهية الناظر إلى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام، والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشئ عنه التودد والرحمة والرافة والإكرام، ولذا عبر في الأولى باسم الذات

١٥ الجامع لجميع الصفات الذى لفظه - عند من يقول باشتقاقه - موضوع لمعنى الإلهية إشارة إلى أنهم أعرضوا في حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجمل والإصرار، ولذا عبر في هذه الثانية باسم الرب فقال: ﴿ كذبوا ﴾ أى

(١) من ظ، وفي الأصل: بالظاهر (٢) زيدت الواو بعده في ظ، ولم تكن في الأصل فخذناها (٣) في ظ: أيضا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: يتخيل. (٦) زيد من ظ.

- ٤٤٠ / عنادا زيادة على تغطية ما دل عليه العقل بالتكذيب / بالنقل (بآيات ربهم)
 فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم و تكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل .
 ولما أشار بالتعبير به إلى أنه غرهم معاملته بالعطف والإحسان ،
 قال : (فاهلكتهم) أي جميعا (بذنوبهم و اغرقآ) فأتى بنون العظمة^١
 إشارة إلى أنه أتاها بما أنساهم^٢ ذلك لير (ال فرعون ج) و^٣ إشارة إلى ه
 أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة
 و النعمة وإلا لم تتم ربوبيته ، وهذا واضح مما تقدم في الأعراف عن
 التوراة في شرح " فارسلنا عليهم الطوفان^٤ " - إلى آخرها ، من أن فرعون
 كان يسأل^٥ موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بأن
 الرب ذو حلم و أناة [و - ٦] رحمة ، و قدم الأولى إشارة إلى أنهم بلغوا ١٠
 الغاية في الجرأة ، و التعبير فيها بـ " كفروا " يؤيد لذلك ، أي أن مجرد
 الستر للآيات بالإعراض عنها كافٍ في إيجاب الانتقام و لو لم يصرح
 بتكذيب لعظم المقام ، و مادة كفر - بأي^٦ ترتيبه كان^٧ - تدور على الخلطة
 المميلة المحيلة ، و بخصوص هذا الترتيب تدور على الستر ، أي غطوا^٨ التصديق
 بآيات ربهم ، و يجوز - وهو الأحسن - أن يكون دورانها - مطلقا ١٥
 لا بقيد ترتيب - على الفكر^٩ ، و هو إرسال عين البصيرة في طلب أمر و يلزمه
 (١) زيد بعده في الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة في ظ لخذفها (٢) في ظ : نساهم .
 (٣) سقط من ظ (٤) آية ١٣٣ (٥) من ظ ، وفي الأصل : يرسل (٦) زيد من ظ .
 (٧) من ظ ، وفي الأصل : كانت (٨) في ظ : غلطوا (٩) من ظ ، وفي
 الأصل : الكفر .

الكشف و الستر لأنه تارة يرفع أذيال انشبه ' عن ذلك الأمر فينجلى
و يتحقق ، و تارة يسلط قواطع الأدلة عليه فينعدم و يتمحق ، و ربما أرخى
أذيال الشبه ' عليه فأخفى بعد أن كان جلياً كما كان شمرها عنه فألقى و قد
كان خفياً .

٥

و لما أخبر سبحانه بهلاكهم ، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك
فقال : ﴿ و كل ﴾ أى من هؤلاء و من تقدمهم من آل فرعون و من
قبلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعاً ﴿ ظلمين ﴾ أى^٢ لأنفسهم و غيرهم
واضعين الآيات فى غير مواضعها و هم يظنون بأنفسهم العدل ؛ ثم علل
اتصافهم بالظلم أو استأنف بياناً له بقوله : ﴿ ان شر الدواب ﴾ أى ظلوا

١٠

لأنهم كفروا بآيات ربهم الذى تفرد بالإحسان إليهم و شر الدواب

﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم^٢ الحكم العدل الذى له الأمر كله و فى عليه

﴿ الذين كفروا ﴾ أى منهم و من غيرهم ، أى حكم عليهم بلزوم الكفر

لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك

قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركة الحشرات

١٥

و الديدان بل الجعلان ، لأن شر الناس الكفار ، و شر الكفار المصرون

منهم ، و شر المصرين الناكثون للعهود ﴿ فهم ﴾ أى بسبب ذلك

﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من

علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أنام من صفة الربوبية فحققتهم صفة الإلهية ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى

الأصل : حكمة .

ولعله إنما خص آل فرعون تذكيرا - لأكثر من كان يقول " غر هؤلاء دينهم "، وهم اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون وآله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش وأتباعهم، فإن اليهود مع قتلهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم، ومع ذلك فإنهم نصرُوا عليهم^١ لما كان الله معهم، وإعلاما لهم بأنهم الآن كآل فرعون في العناد مع ما هم فيه من القلة والذلة، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم وأردأ حالاتهم، ولذلك أبدل من عموم "الذين كفروا" : (الذين عهدت منهم) وهم اليهود بلا شك، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع، فكل^٢ منهم نقض ما كان أخذ عليه صلى الله عليه وسلم من العهود، وأخلف ما كان أكده^٣ من الوعود .

ولما كان العهد جديرا^٤ بالوفاء ولا سيما من العلماء، عبر بقوله :
 (ثم ينقضون عهدهم) أى يحددون نقضه كلما لاح لهم خلب برق أو زور
 بطل يغير في وجه / الحق؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله : (في كل مرة) / ٤٤١
 ثم نبه على رضاهم من رتبة الشرف العلية القدر وهداة السفة والسرف^٥ ١٥
 بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله : (وهم لا يتقون^٦) أى الناس في
 الذم لهم على ذلك ولا الله في الدنيا بأن يمكن منهم، ولا في الآخرة
 بأن يخزيهم ثم يركسهم بعد المنادة بالعار في النار .

(١) زيدت الواو بعده في ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : فكلا (٣) في ظ :
 جدير (٤) من ظ ، وفي الأصل : في (هـ - هـ) في ظ : السرف والسفة .

ولما آياه^١ من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقص الناشئ
 عن^٢ غاية الحسد و صلابة الرقاب و قساوة القلوب و القساوة على الكفر ،
 أمره بما يوهن قواهم و يحل عراهم من إلباس اليأس بانزال اليأس كما جرت
 عادته سبحانه أنه يوصيه^٣ بالرفق ببعض الناس لعله أن عمله يزكو لبنائه
 ٥ على أحسن^٤ أساس ، فقال مؤكدا لأجل ما جبل عليه صلى الله عليه وسلم
 من حجة الرفق : ﴿ فاما تثقفنهم ﴾ أى تصادفهم و تظفرون بهم ﴿ فى الحرب ﴾
 أى التى من شأنها أن يحرب فيها المبطل ، ويرجح ويرحب^٥ الحق المجمل^٦
 ﴿ فشردهم من خلفهم ﴾ أى فتكل بهم تنكيلا يصدع ويفرق عن محاربتك
 من وراءهم^٧ بمن هو على مثل رأيهم^٨ فى المنافرة لك و لا تتركهم أصلا لأن
 ١٠ أتباعك أمهر منهم و أحقق ، فهم لذلك أثبت و أمكن ، فاذا أوقعت بهم^٩
 ذلك لم يحسر^{١٠} عليك أحد بعده اتعاطا^{١١} بهم و اعتبارا بجالهم ، و مادة شرد
 بكل ترتيب تدور على النفوذ ، فان كان على قصد و سنن فهو رشد
 ويلزمه الاجتماع ، و إن كان على غير سنن و جامع استقامة فهو شرود ،
 و درشة ، أى لجاجة^{١٢} و يلزمه التفرق ؛ قال ابن فارس : شردهم البعير
 ١٥ شرودا و شردت به تشريدا ، فأما قوله ” فشردهم ” فالمراد نكل بهم

- (١) من ظ : وفى الأصل : سه - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : فى (٣) من
 ظ ، وفى الأصل : يرضيه (٤) من ظ ، وفى الأصل : احق (٥) فى ظ : برحت .
 (٦) فى ظ : الجميل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ (٨) سقط من ظ .
 (٩) من ظ ، وفى الأصل : لم يحسر (١٠) فى ظ : انفظاظا (١١) من القاموس ،
 وفى الأصل و ظ : حاجة .

و سَمِعَ ، قال القزاز : شردت الرجل تشريدا - إذا طردته ، و شردت به - إذا سَمِعَتْ به و ذكرت عيوبه للناس ، و قوله تعالى " فشردهم " أى اجعلهم مطردين - انتهى . فالمراد المبالغة في الإيقاع بهم لأنهم إذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه و لا انتظام علم من شردوا إليه بمن وراءهم أنه قد تنهى بهم الذعر فذعر هو فوقع ' في الشرود ' قوة أو فعلا ، فعلى ه قراءة من جعل ' من ' حرف جر يكون المفعول محذوفا ، و التقدير : أوقع - بما تفعل ' بهؤلاء من الأمور الهائلة - التشريد في المكان الذي خلفهم بشرود من فيه قوة أو فعلا بما سمعوا أو رأوا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال ، و على قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هي المفعول ، فالمعنى : شرد الذين خلفهم من ' أما كنهم إما بالفعل أو بالقوة ١٠ بأن تفرق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير ' - بما ترى من قبيح حالهم - قابلة للشرود ، و يكون اختلاف المعنى بالتبويض في جعل ' من ' حرف جر و التعميم في جعلها موصولا بالنظر إلى القوة أو الفعل .

ولما ذكر الحكم ، ذكر ثمرته بأداة الترجى إدارة له على الرجاء فقال :

(لعلهم) أى المشردين و المشردهم (يذكرون ه) ما سبق من ١٥ أيام الله فيعملوا أن هذه أفعاله ، و هؤلاء رجاله ، فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده و لقد فعل بهم صلى الله عليه و سلم ' ذلك فانهم إن كانوا بنى قريظة فقد ضربهم صلى الله عليه و سلم ' ضربة لم يفلت منهم مخبر ، بل

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : يفعل (٣) في ظ : ما (٤) في ظ : عن (٥) في ظ : فتسير (٦) في ظ : لو .

ضرب أعناقهم في حفائر في سوق المدينة وكانوا نحو سبعمائة على دم واحد
 إلا من أسلم منهم وهم يسير ، وسي ذراريهم ونساءهم وغنم أموالهم ، وإن
 كانوا قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم وإظهارهم غاية الاستخفاف
 والعناد فلم يكتبهم الله أن جعلهم في قبضته وما بقى إلا ضرب أعناقهم
 ٥ كما وقع لبني قريظة فسأله فيهم عبد الله بن أبي المنافق وألح عليه صلى الله
 عليه وسلم في أمرهم وكان يألفه ويتألف به فتركهم له صلى الله عليه وسلم
 وأجلاهم من المدينة ، وكانت واقعتهم أول وقائع اليهود بالمدينة ، وإن
 كانوا بنى النضير فقد نقضوا أيضا فأحاط بهم ، ومتائم المنافقون الغرور
 فقتل الله الرعب في قلوبهم فسألوهم صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف
 ١٠ عن دمائهم ففعل ، ثم أتم الله له الأمر فيهم في خيبر ووادي القرى
 وغيرهما إلى أن لم يدع منهم في جزيرة العرب فريقا إلا ضربه بالذل وأجرى
 عليه الهوان والصغار ، ووقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفة في السير .
 ولما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه ، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف
 غدره فقال : ﴿ واما تخافن ﴾ وأكدته إشارة إلى ظهور القرآن ووضوح
 ١٥ الأمارات ﴿ من قوم ﴾ أى ذوى قوة ، بينك وبينهم عهد ﴿ خيانة ﴾
 أى فى ذلك العهد ﴿ فانبد ﴾ أى اطرح طرح مستهين محتقر ﴿ اليهم ﴾
 أى ذلك العهد نبذا كائنا ﴿ على سوء ﴾ أى أمر مستور في العلم بزواله
 بينكم وبينهم وعدل ونصفة ولا تاجزؤهم^٢ وهم على توهم من بقاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يتاجزؤهم - كذا .

العهد ، وهذا^١ إشارة إلى أن يكونوا على غاية الحذر و الفحص عن^٢ أخبلر العدو بحيث لا يتركوه إلى أن ينقض بل يعلمون ميله إلى النقض فينبذون إليه عهده لأن ذلك أودع له^٣ ، فهو أدعى إلى السلم ؛ ثم علل جواز النبذ و وجوب النصفة بقوله : (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (لا يحب الخائنين) أى لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم و لا من غيركم . ٥

ولما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو و إيقاظه ، و كان الإيقاع أولى بالخوف ، أتبع سبحانه ذلك ما^٤ يجرى عليه و يسلى عن فوت من هرب من الكفار فى غزوة بدر فلم يقتل و لم يؤسر فقال : (ولا يحسن) بالياء غيا على قراءة ابن عامر و حمزة و حفص ، أى أحد^٥ من أتباعك [فى وقت - ٦] من الأوقات ، و وجه قراءة الباقيين ١٠ بالخطاب أن أمر الرئيس و نهيه أوقع فى نفوس الأتباع و أدعى لهم إلى السماع (الذين كفروا) أى عامة من نبذ و من لم ينبذ (سبقوا) أى وقع لهم سبق^٧ ، و هو الظفر فى وقت ما ، فانهم لم يفوتوا شيئا من أوامرنا^٨ ؛ ثم علل ذلك بقوله : (انهم لا يعجزون) أى [لا - ٩] يفوتون شيئا مما يزيد تسليطه عليهم ، أى لا يغرنك^{١٠} علوهم و كثرتهم ١٥ و جرى كثير من الأمور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا ، و لا يخرج

(١) فى ظ : هذه (٢) فى ظ : على (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) فى الأصل و ظ : لا تحسن ، و إنما حولناه إلى الغيبة لا نسجامة مع ما يتلوه من التفسير .

(٦) فى ظ : إحدى (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : سبق (٩) فى ظ : مرادنا (١٠) فى ظ : لا يعجزنك .

شئ عن مرادنا ، ولا بد أن نهلكهم فانهم في قبضتنا ، لم يخرجوا منها ولا يخرجون فضلا عن أن يفوتوها فاصبر .

ولما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصب والمحاربة والمغالبة اعتمادا

على الوعد الصادق المؤيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص العدة والعدة ، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها ،

وليتبين الصادق في دعوى الإيمان من غيره فقال : ﴿ واعدوا لهم ﴾

أى للأعداء ﴿ ما استطعتم ﴾ أى دخل في طاعتكم وكان بقوة جهركم تحت

مقدوركم وطاقاتكم ﴿ من قوة ﴾ أى قوة كانت ، وفسرها النبي صلى الله

عليه وسلم بالرمى إشارة إلى أنه أعظم عدده على نحو الحج عرفة^٢ ،

١٠ وفى أمرهم بقوله : ﴿ ومن رباط الخيل ﴾ إيماء إلى باب من الامتتان

بالنصر في بدر لأنهم لم يكن معهم فيه غير فرسين ، والرباط هو الخيل

التي تربط في سبيل الله الخمس منها فافوقها ، وخصها مع دخولها فيما قبل

إشارة إلى عظيم غنائها ، والرباط أيضا ملازمة ثغر العدر وربط الخيل

به إعدادا للعدو ؛ ثم أجاب من كأنه قال : لم نفعل ذلك وما النصر

١٥ إلا يدك ؟ بقوله : ﴿ ترهبون ﴾ أى تخوفون تخويفا عظيما باهرا يؤدى

إلى الهرب على ما أجريت من العوائد ﴿ به ﴾ أى بذلك الذى أمرتكم

به من المستطاع أو من الرباط ﴿ عدو الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها

لأنه الملك الأعلى ﴿ وعدوكم ﴾ أى المجاهدين ، والالقي بقوله : ﴿ وآخرين ﴾

أى وترهبون بذلك آخرين ﴿ من دونهم ﴾ - أن يحمل على المنافقين

(١) من ظ ، وفى الأصل : ليؤيد (٢) فى ظ : ليين (٣) من ظ ، وفى الأصل :

عرله (٤) فى ظ : لانه .

٤٤٣ /

لوصفهم بقوله : ﴿ لا تعلمونهم ٣ ﴾ كما قال تعالى ” ومن / حولكم من
الاعراب منافقون “ ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم “
ولأنهم لا يكونون دونهم إلا إذا لم يكونوا في العداوة مثلهم^٢ ، و كل
من فرض غير المنافقين مظهرون [للعداوة ، و أما المنافقون فانهم مدعون
بإظهار الإسلام أنهم^٢ - [أولياء^٢ لا أعداء^٢ ﴾ (الله) أى المحيط بكل شيء ٥
قدرة وعلما ﴿ يعلمهم^٤ ﴾ أى فهو ” يكفيكم ما “ يظن من أمرهم ، وليس عليكم
إلا الجهد بحسب ما تعلمون ، والآية بالنسبة إلى ما^٦ تقدمها من باب
” اعقلها و توكل “^٧ ، والمعنى لا تظنوا أن الكفار فاتونا و أفلتوا من
عذابنا بامتناعهم منكم^٨ فانهم فى قبضتنا أينما توجهوا و حينما حلوا فسوف
نهلكهم^٩ ، و لا ينجزوننا ، و مع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا^{١٠} على
ترك أسباب مغالبتهم بما أعطيناكم من القوى بل ابدلوا جهدكم و طاقتكم
فى إعداد مكاييد الحرب و ما يتعلق بالرعى من القوة و بالخیل من الطعن
و الضرب و القروسية لنلقى بذلك رعبكم فى قلوب عدوكم القريب و البعيد
من تعلمونه منهم و من لا تعلمونه .

و لما كان أغلب معانى هذه الآية الإنفاق ، لأن مبنى إعداد القوة ١٥

(١) من ظ و القرآن الكريم سورة ٩ آية ١٠١ ، وفى الأصل : منافقين (٢) فى ظ :
منكم (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى الأصل : الاعداء ، و فى ظ : لا أعداء (٥-٥) فى
ظ : يكفهم بما (٦) سقط من ظ (٧) والحديث بتمامه وارد فى جامع الترمذى -
القيامة (٨) فى ظ : منك (٩) فى ظ : يهلكهم (١٠) من ظ ، وفى الأصل : قربنا .

عليه^١، رغب فيه بقوله : ﴿ وما تنفقوا من شيء ﴾ أى من الأشياء وإن قل ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى^٢ طريق من له صفات الكمال من^٣ الجهاد وغيره ﴿ يوف اليكم ﴾ أى أجره كاملا فى الدنيا والآخرة أوفى ما يكون مضاعفا أحوج ما تكونون^٤ إليه ﴿ واتم لا ﴾ .

٥ ولما كان المخوف مطلق النقص، بنى للفعول قوله : ﴿ تظلمون ٥ ﴾ أى [لا - ٥] تنقصون شيئا منه، وأما الزيادة فلا بد منها وهى على قدر النية .

ولما كان ضمان النصر والحلف^٦ فى النفقة موجبا لدوام المصادمة والبعد من المسألة، أتبعه قوله أمرا بالاقتصاد : ﴿ وان جنحوا ﴾ أى مالوا وأقبلوا فى نشاط و طلب حازم ﴿ للسلم ﴾ أى المصالحة ، والتعبير باللام دون ' إلى ' لا يخلو عن إيماء إلى التهالك على ذلك ليتحقق صدق الميل ﴿ فاجنح ﴾ ولما كان السلم مذكرا يجوز تأنيثه، قال : ﴿ لها ﴾ أى المصالحة ، أو^٧ يكون تأنيثه بتأنيث ضده الحرب ، و كأنه اختير التأنيث إشارة إلى أنه يقتصر فيه على أقل ما يمكن من المدة بحسب الحاجة ، هذا إذا كان الصلاح للسلمين فى ذلك بأن يكون بهم ضعف ، وأقصى مدة الجواز عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تجوز الزيادة .

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لغذفتها .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٤) زيد بعده فى ظ : لا (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ : الحلف (٧) فى ظ « و » .

ولما كان ذلك مظنة أن يقال: إنه قد عهد منهم من الخداع ما أعلم أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فسالمتهم خطر بغير نفع، لوح إلى ما ينافي ذلك بقوله: ﴿ وتوكل على الله ﴾ أى الذى له بجامع العظمة فيما تعهده من خداعهم فانه يكفيك أمره ويجعله سببا لدمارهم كما وقع فى صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح، وحرف الاستعلاء فى هذا وأمثاله معلوم بأنه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما وكل إليه الماطيق لحله؛ ثم علل الأمر بالتوكل الذى معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم فى ذلك بقوله: ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السميع، فهو يسمع كل ما أبرموه فى ذلك وغيره سرا كما يسمعه علانية ﴿ العليم ﴾ أى البالغ العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه كما أنه يعلم ما أعلنوه؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال: ﴿ وان يريدوا ﴾ أى الكفار ﴿ ان يخذعوك ﴾ أى بما يوقعون من الصلح أو غيره ﴿ فان حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله ﴾ أى الذى له صفات العز كلها، ثم علل كفايته أو استأنف يانها بقوله: ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ايدك بنصره ﴾ أى إذ كنت وحدك ﴿ وبالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أى بعد ذلك فى هذه الغزوة التى كانت العادة قاضية فيها بأن من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة، ولعل هذا تذكير بما كان من الحال فى أول الإسلام، أى إن الذى

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: منكم (٣) ظ: العالم (٤-٥) سقط ما بين الرقعين من ظ (٥) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: يروا (٦) من ظ، وفى الأصل: الال - كذا.

أرسلك مع وحدتك في مكة بين جميع الكفار / وغربتك فيهم - وإن كانوا
 بنى عمك - بسبب دعوتك إلى هذا الدين و علوك عن^١ أحوالهم البهيمية
 إلى الأخلاق الملكية ، هو الذى قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدرُوا
 لك على أذى يردك عن الدعاء إلى الله مع نصب جميعهم لك و لمبتعيك
 شباك الغدر و مدغم إليكم أيدى الكيد ثم سلمكم من بين أظهرهم كما تسل
 الشعرة من العجين مع اجتهدهم فى منعكم من ذلك ، وأيدكم بالانصار
 و جمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة ﴿ والف بين قلوبهم^٢ ﴾ بعد غاية
 التباغض ، فصار البعيد منهم قريباً و البغض حبيباً و العدو صديقا ، وكانوا
 على قلب واحد ؛ ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لو لا هو فقال :
 ١٠ ﴿ لو انفقت ﴾ أى و أنت أتقن الخلق لما تصنعه^٣ ﴿ ما فى الارض جميعا ﴾
 أى فى إرادة ذلك ﴿ ما ألفت بين قلوبهم ﴾ ثم أكد ذلك بقوله :
 ﴿ ولكن الله ﴾ أى و هو الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الف بينهم^٤ ﴾
 [ثم - ٢] علل [نفوذ - ٣] فعله^٥ و أمره فيه بقوله : ﴿ انه عزيز حكيم^٦ ﴾
 أى لأنه لو لا عزته التى تغلب كل شىء و لا يغلبها شىء و حكمته التى
 ١٥ يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئاً منه لما تألفوا بعد
 أن كان قبل^٧ كل أحد من فريقهم للآخر أشهى من لذى الحياة و صافى
 العيش لما بينهم من الإحن التى لا تزال^٨ تثور فتغلى لها الصدور حتى
 تفور بقتل الأحباب من الوالدين و الأولاد و القهر بأنواع الأذى مع

(١) فى ظ : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : يصنعه (٣) زيد من ظ (٤-٥) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تقول .

المجاورة المقتضية لدوام التحاسد وإثارة الضغائن. وكذا فعل سبحانه بجميع العرب بعد ما كان بينهم من 'القتل المنتشر' مع ما لهم من الحية والأنفة الحاملة على الانتقام، والذي أمدك بهذه الإلطاف حتى لا يموت باق على ما كان عليه من القدرة والقوة، فهو الكفيل بحراستك من يريد خداعك، فاذا أمركم بأمر فامتثلوه غير مفكرين في عاقبته، فانه قد بينه بعزته وأتقنه بحكمته و ستعلمون.

ولما صرح بأن الله كافيه^٢، وكانت كفاية^٣ الله للعبد أعظم المقاصد، التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقا^٤ أو هو فعل^٥ مع المؤمنين أيضا مثل ذلك، فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذي^٦ معناه الرفعة والاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد، لأنه في سياق الإخبار ببعض المعانيات ١٠ والتصرف في الملكوت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ أى العالى القدر الذى نعلمه بعواقب أموره ﴿حسبك﴾ أى كافيك ﴿الله﴾ أى الذى بيده كل شيء ﴿ومن﴾ أى مع من ﴿اتبعك من المؤمنين﴾ يجوز أن يكون المعية من ضميره صلى الله عليه وسلم فيكون المؤمنون مكفين، وأن يكون من الجلالة فيكونوا كافين، حتى يكون المعنى: فهو كافيهم أيضا و [هم - ٦] ١٥ كافوك لأنه معهم، و ساق سبحانه هذا هكذا تطييبا لقلوبهم وجبرا لحواطمهم وبالمعنى الثانى - لتضمنه الأول وزيادته^٧ عليه - قال ابن زيد والشعبي:

(١ - ١) فى ظ: القفل المنشر (٢) زیده بعده فى الأصل: يكفيه مطلقا وهو، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٣) فى ظ: الكفاية (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: التى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: افادته.

حسبك الله و حسبك من اتبعك ، و ساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية
 نبيه صلى الله عليه وسلم محتمل لأن فيمن كان على اتباعه في ذلك الوقت
 كفاية لثلا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم .

و لما بين أنهم كافون مكفيون ، و كان ذلك مشروطا بفعل الكيس
 ٥ و الحزم و هو الاجتهاد بحسب الطاقة ، أمره بأن يأمرهم بما يكونون به
 كافين من الجد في القتال و عدم الهية للابطال في حال من الأحوال ،
 فقال 'معبرا' بالوصف الناظر إلى جهة التلقى عن الله ليشتد وثوق السامع
 لما يسمعه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) أى الرفيع المنزلة عندنا الممنوح ^٢ من إخبارنا ^٢
 بكل ما يقر عينه و عين أتباعه (حرض المؤمنين) أى الغريقين في
 ١٠ الإيمان (على القتال ^٣) أى بالغ في حثهم عليه و نديهم بكل سبيل إليه .

و مادة حرض - بأى ترتيب كان - حرض ، حضر ، رخص ، رضح ،
 ٤٤٥ / ضرح ؛ ترجع إلى الحضور / و يلزمه الحفض و الدعة ، و يلزم الكسل
 فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ، و منه الحرض الذى أشقى على الهلاك ،
 أى حضر هلاكه و حضر هو موضعه الذى هو فيه فصار لما به لا يزاله
 ١٥ ما دام حيا ، و رخص الثوب ، أى غسله ، من الدعة التى هى شأن الحضور
 غير المسافرين ، و الرخصاء عرق الحمى تشبيه بالمفسول ، و المرضاح الحجر ^٢
 الذى لا يزال حاضرا لرضح النوى ، و الضريح شق مستطيل يوضع فيه
 الميت فيكون حاضره لازما له دائما إلى الوقت المعلوم ، و يلزمه الرى
 (١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢-٢) فى ظ : بإخبارنا (٢) من ظ و القاموس ،
 و فى الأصل : المحجر .

و الطول ، ومنه المضرحى للطويل الجناحين من الصقور^١ لأن كل صيد عنده حاضر لقوة طيرانه ، و الرجل الكريم لعلو همته ، و أحضرت الدابة : عدت فجعلت الغائب حاضرا ، و التحريض الحث على حضور الشيء ، فحرض على القتال : حث على الطيران إليه بتعاطي أسبابه و الاستعداد لحضوره حتى يصير المحثوث كأنه حاضر ، متى قيل : يا صباحاه ! طار إلى المنادى ، ه و كان أول حاضر إلى النادى ، لأنه لا مانع^٢ له من شيء من الأشياء^٣ بل استعداده استعداد الحاضر فى الصف ؛ و قال الإمام أبو الحسن على ابن عيسى الرمانى^٤ فى تفسيره : و التحريض : الدعاء الوكيد لتحريك النفس على أمر من الأمور ، و الحث و التحريض و التحضيض نظائر ، و نقيضه التفسير ، و التحريض ترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع ١٠ الصبر عليه - انتهى . فهذه حقيقته ، لا ما قال فى الكشف و تبعه عليه البيضاوى .

و لما تدبهم إلى القتال ، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن لازموا آلة النصر ، فقال استئنفا جوابا لمن قال : ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك ؟ : (ان يكن) و لما كانت لذة الخطاب تثير الهمم و تبعث العزائم ١٥ و توجب غاية الوثوق بالوعد ، عدل عن الغية فقال : (منكم عشرون) أى رجلا : (ضبرون) أى الصبر المتقدم (يغلبوا مائتين ع) أى من (١) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ ، و لا تنجم بالسياق لحذفها (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى الأصل : الرانى - كذا ، و اسم تفسيره : الجامع الكبير (٤) فى ظ : لان .

الكفار، والآية من الوعد الصادق الذي حققه وقائع الصحابة رضى الله عنهم (وان يكن منكم مائة) أى صابرة (يغلبوا الفا) أى كائنين (من الذين كفروا) فالآية من الاحتباك : أثبت في الأول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا، وفي ٢ اثبات الكفر دليلا على حذفه أولا؛ ولعل ٣ ما أوجه عليهم من هذه المصاربة علة للأمر بالتحريض، أى حرصهم لأننى أغنت كلا منهم على عشرة . فلا عذر لهم فى التواني؛ وعلل علومهم عليهم؛ وغلبتهم لهم على هذا الوجه بقوله : (بانهم) أى هذا الذى أوجبه و وعدت بالنصر عنده بسبب انهم، أى الكفار (قوم لا يفقهون) أى ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذى دربه أهل الإيمان وإن كنتم ترونهم أقوياء الأبدان فيهم كفاية للقيام بما ينوبهم من أمر الدنيا لأنهم أبدان بغير معان، كما أن الدنيا كذلك صورة بلا روح، لأنهم لم ينشأوا مصادمتهم على تلك الدعائم الخمس الى قدمتها لكم وأهتمكم إياها فى بدر، فمن لم يجمعها لم يفقه الحرب، لأن الجيش إن لم يكن له رئيس يرجع إليه لم يفلح، وذلك الرئيس إن لم يكن أمره مستندا إلى ملك الملوك كان قلبه ضعيفا، وعزمه - وإن كثرت جموعه - مضطربا، فانهم يكونون صورا لا معانى لها، والنصور منفعة لا فعالة، والمعانى هى الفعالة، والمعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى، فأقل ما يكون فى مقابلة اثنين من أعدائه كما حظ عليه الأمر

(١) فى ظ : والآية (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لعله (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : حظ .

في الجهاد ، و اهل هذا هو السر في انتصار الخوارج - من اتباع شيب^١
و أنظاره^٢ على قلتهم - على الجيوش التي كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على
كثرتها ، فان الخوارج معتقدون أن قتالهم لله مستدين في هذا الاعتقاد
إلى ظلم أولئك الملوك و خروجهم عن أمر الله ، و الذين يلقونهم عن أولئك
الملوك و إن اعتدوا أنهم أهل طاعة لطاعتهم الإمام الواجب طاعته^٣ ، ه
لكنهم يعلمون أن استناد إمامهم إلى الله ضعيف لمخالفته لمتهاج الاستقامة ،
و ذلك الرئيس نفسه معتقد ذلك و أن ولايته / مفسدة^٤ ، و أن تحريم
النبي صلى الله عليه و سلم لقتاله إنما هو^٥ دره لأعظم المفسدين ، فصار استناد
الخوارج إلى ملك الملوك أعظم من استناد أولئك^٦ ، و لهذا نشأ عن استناد
الخوارج الزهد الذي هو أعظم أسباب النصر ، و نشأ عن استناد أولئك^٦ الملوك ١٠
الإخلاد إلى الدنيا الذي هو أعظم الموجبات للخذلان ، مصداق ذلك
أنهم لما خرجوا على علي رضي الله عنه فسار فيهم بسنة الله من اللطف بهم
و تقديم وعظهم و الإعذار إليهم و ردهم إلى الله فلما لم يقبلوا قصدوا في
ساعة ، قال له بعض من كان يعتنى بالنجوم : إنها ساعة نحس ، إن سار فيها
خذل ، فقال : سيروا فيها فانه ما كان للنبي صلى الله عليه و سلم منجمون ، ١٥
فلما لقي الخوارج [لم - ٧] يواقفوه حلب ناقة و لا أفلت منهم أحد
و لا قتل من جماعته إنسان ؛ و فهم الإيجاب في قوله تعالى ” ان يكن منكم
عشرون “ - الآية و أن الخبر فيه بمعنى الأمر من قوله : ﴿ الثن خفف الله ﴾
أي [الملك - ٧] الذي له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال ﴿ عنكم ﴾ أي

- (١) هو ابن بجرة الأنجمي - راجع تاريخ الإسلام للذهبي (٢) في ظ : : انتظاره .
(٣) في ظ : طاعتهم (٤) في ظ : مفسد (٥) سقط من ظ (٦) سقط ما بين
الرقين من ظ (٧) زيد من ظ .

رحمة لكم ورفقا بكم (وعلم) أى قبل التخييف وبعده (ان فيكم ضعفا) أى فى العدد و العدد، ولكنه أوجب عليكم ذلك ابتلاء، فبعد التخييف علم ضعفهم واقعا 'او قبله' علم أنه سيقع، وتصديره هذه الجملة بـ "الثن" يشير^٢ إلى أن^٢ النسخ كان قبل أن تمضى مدة يمكن فيها غزو، وفائدة الأمر المعقب بالنسخ حيازة الأجر بقبوله والعزم على امتثاله، وقيل: ما كان النسخ إلا بعد مدة بعد أن سألوا فى التخييف؛ وروى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت "ان يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين" شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر^١ واحد من عشرة، فجاء التخييف [فقال - *] "الثن خفف الله عنكم" - الآية؛ فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم . والمعنى أنه كان كتب^٢ مقدارا من^٣ الصبر لكل مؤمن، فلما خفف أزال ذلك بالنسبة إلى المجموع، وهذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابه رضوان الله عليهم فى غير موضع منها غزوة مؤتة، فقد كانوا فيها ثلاثة آلاف، وكان من لقوا من جموع هرقل مائتى ألف: مائة من الروم ومائة من العرب المستنصرة، فصبروا لهم ونصروا عليهم كما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مخبرا عنهم فى هذه الغزوة: ثم أخذ الراية عن غير إمرة سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه . ولما توفى النبى صلى الله عليه وسلم ارتد عامة الناس

(١-١) فى ظ: بعده (٢) من ظ، وفى الأصل: تشير (٣) سقط من ظ (٤) من ظ والصحيح، وفى الأصل: لا يضير (٥) زيد من الصحيح .

حتى لم يثبت على الإسلام عشر العشر فصر الصحابة رضوان الله عليهم
لهم ونصروا عليهم . بل الذي صبر في الحقيقة أبو بكر رضى الله عنه وحده ،
ثم أفاض الله من صبره ونوره على جميع الصحابة رضى الله عنهم فصبروا ،
ثم جهز الجيش وأميرهم الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله ،
فأخذ الله به نار الشرك وقطع بصبره وحسن نيته جاذرة الكفر فلم تمض ٥
سنة وفي بلاد العرب مشرك . فلما جمع الله العرب بهذا الدين على قلب
رجل واحد قصدوا الأعاجم من الفرس و الروم و القبط ، فقاتلوا أهل
فارس في عدة وقائع منها القادسية ، وكان الصحابة رضى الله عنهم فيها
دون أربعين ألفاً ، وكان المجوس أكثر من أربعائة ألف ، وقاتلوا الروم
كذلك فكانوا في اليرموك دون أربعين ألفاً وكان الروم نحو أربعائة ١٠
ألف - إلى غير ذلك من الوقائع وقد صبروا في أكثرها ونصروا ،
ثم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك وأهله ، وأظهر الله لهم دينه كما وعد به
سبحانه ، وما اجتمع أهل الإسلام وأهل الضلال قط في معركة إلا كانت
قتلى الكفار أضعاف قتلى المسلمين غير أن الله / تعالى جده و تبارك اسمه
و تمت - كلمته ألطف^٢ بالعرب علماً منه بأنهم خلاصة الناس بما طبعهم ١٥
سبحانه عليه من الخصال الحميدة والأخلاق السديدة فأسلم كل من اشتغلت
عليه جزيرتهم بعد وقائع كثيرة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وزمان
الردة ، ولم تبلغ قتلاهم فيما أظن عشرة آلاف إنسان ، ثم [لما]
(١٩) في ظ : جهزوا (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) في ظ : لطف (٤) زيد
من ظ .

جاهدوا الأعاجم من فارس و الروم و غيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ في
 المعركة الواحدة مائة ألف و مائتي ألف - كما هو مشهور في كتب الفتوح
 للدائني و سيف و ابن عبد الحكم و البلاذري و غيرهم ، و قد جمع أشبات
 ذلك الحافظ أبو الريع بن سالم الكلاعي و شيخه ابن حبيش ؛ و اعله حذف
 ه في الثانية التقيد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة و غيرهم،
 فقال تعالى مسيبا عن التخفيف المذكور رادا^١ الامر من إيجاب مصابة
 عشرة إلى الامر بمصابة الضعف ، فان زاد العدد على الضعف^٢ جاز الفرار
 و الصبر أحسن : ﴿ فان يكن منكم مائة صابرة ﴾ أي الصبر الذي تقدم
 التنبيه عليه ﴿ يغلبوا مائتين ٥ ﴾ أي من غيركم باذن الله ﴿ وان يكن منكم الف ﴾
 ١٠ [أي - ٣] على التعت المذكور و هو الصبر ﴿ يغلبوا الفين ﴾ ثم أرشد
 إلى أن المراد بالصبر هو كل المأمور به في آية ” اذا القيمت فته فائبتوا “
 فقال : ﴿ باذن الله ٦ ﴾ أي بارادة الذي له جميع الامر ، ذلك و إباحته
 لكم و تمكينه ، فان لم يقع الإذن لم يقع الظفر ، فالآية من الاحتباك :
 ذكر في الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيا ، و ذكر ثانيا الإذن دليلا
 ١٥ على حذفه أولا ، ثم نبه على عموم الحكم بقوله : ﴿ والله ﴾ أي المحيط
 بصفات الكمال ﴿ مع الصبرين ٧ ﴾ أي بنصره و معوته ، و من ثم قال ابن
 شبرمة : و أنا أرى الامر بالمعروف و النهي عن المنكر كذلك . و مادة ’ اذن ‘
 - مهموزة و غير مهموزة و واوية و يائية بتقاليها الأربعة : إذن ذان ذون ذين -

(١) في ظ : ردا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) في
 ظ : الامن (٥) من ظ ، و في الأصل : اذان.

ترجع إلى العلم الناشئ عن حاسة السمع المتعلق بجراحة الأذن ، و تارة
يشعر الإباحة و تارة المنع ، فأذن بالشئ - كسمع : علم به " فاذنوا بحرب "
أى كونوا على علم من أن حربكم أبيع ، و أذن له بالشئ - كسمع أيضا :
أباحه له ، و آذنه الأمر و به : أعلمه - و زنا و معنى ، فجعله مباحا له أو ممنوعا
منه ، و أذن فلانا تأذينا : عرك أذنه ، و آذنه : رده عن الشرب فلم يسقه ، ه
كان التفعيل فيه للإزالة ، و أذن النعل وغيرها : جعل لها أذنا ، و فعله
بأذن : بعلمى و تمكينى ، و أذن إليه وله - كفرح : استمع بأذنه ، أى أباح
ذلك سمعه و قلبه ، و أذن لرائحة الطعام : اشتهاه كأنه أباحه لنفسه ، و آذنه
إيذانا : أعجبه ، مثل ذلك سواء . و آذنه أيضا : منعه ، كأن الهمزة للإزالة ،
و الأذن : الجراحة المعروفة - بضمة و بضميتين - و المقبض و العروة من ١٠
كل شئ و جبل ، لأن كلا من ذلك سبب^١ للتمكن من حمل ما هو فيه ،
و الأذن : الرجل المستمع القابل كل ما يقال له كأنه لما قبله أباحه قلبه^٢
و مكنته منه ، و الأذان : النداء إلى الصلاة لأنه إعلام باباحتها و المكنته منها ،
و تأذن : أقسم و أعلم ، و تارة يتأثر^٣ عنه إباحة و مكنته من الشئ و تارة
منع و حرمة ، فيكون من الإزالة ، و آذن العشب : بدأ يحف فبعضه رطب ١٥
و بعضه يابس كأنه أمكن من جره^٤ و جمعه يبدو صلاحه ، و الآذن :
الحاجب ، لأنه للتمكن و المنع ، و الأذنة محركة : صفار الإبيل و الغم كأنها
تبيح كل أحد ما يريد منها ، و طعام لا أذنه له : لا شهوة لريحه ، فكأنه

(١) فى ظ : بشمرة (٢) فى ظ : علمه (٣) فى ظ : بسبب (٤) من ظ ، وفى
الأصل : قبله (هـ) فى ظ : يتاجر (٦) فى ظ : لانه (٧) من ظ ، وفى الأصل : حله .

ممنوع منه لعدم اشتهاه، و تأذن الأمير في الناس : نادى فيهم بتهدد، فهو يرجع إلى المنع و الزجر عن شيء تعزيرا، و الذين - بالكسر و الياء: الغن، و كذا الذان - بالآلف منقلبة عن واو: الغن، كأنه لسهولة تناوله و لذة مطعمه أمكن من نفسه، و التذوّن - بالواو مشددة: الغنى و النعمة،

٥ / ٤٤٨ كأنهما^٥ سبب للامكان / مما يشتهى، و الذؤنون - مهموزا^٢ كزنبور: نبت

من نبات الأرض؛ و المعنى أنه إما أذن لكم في ذلك إذا فعلتم الشرط المذكور لأنكم فقهتم علم الحرب و بنيتم أمركم فيه على دعائهم^٤ الخمس التي ملاكها و الداخلة في كل منها الصبر، فكان الله معكم، و هو مع كل صابر هذا الصبر المثبت في الدعائم^٥ الخمس في كل أوان، و مما يسأل عنه^٦ في الآية أنه ابتدئ في العشرات بثاني عقودها، و في^٦ المئات و الآلاف بأولها،

سألت شيخنا الإمام الراسخ محقق زمانه شمس الدين محمد بن علي القاياني^٧ قاضي الشافعية بالديار المصرية: ما حكمته؟ فقال: الأصل الابتداء بأول العقود، لكن لو قيل: إن يكن^٨ منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة، لربما توهم أنه لا يجب مصابرة الواحد للعشرة إلا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد، ١٥ فعُدل إلى الابتداء بثاني عقود هذه المرتبة ليتنقى هذا المحذور، فلما اتقى و علم أنه يجب مصابرة كل واحد لعشرة، ذكر باقي المراتب في الباقي

(١) و أما جميع المعاجم فتتفق على أن معنى الذين و الذان: العيب (٢) من ظ، و في الأصل: لأنهما (٣) في ظ: مهوز (٤) في ظ: دعائهم (٥) من ظ، و في الأصل: النظم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مخجم المؤلفين، و في الأصل: التامياتي (٨) في ظ: تكن.

على الأصل المعتاد، وأما تكرير المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لا أكثر منها مرتين: قبل التخفيف، وبعده فللدلالة - كما قال في الكشف - على أن الحال مع القلة والكثرة [واحدة - ١] لا تفاوت وإن كان قد يظن تفاوته، وكأنه لم يذكر الآحاد بشارة بكثرة هذه الأمة واجتماعها. وبدأ بالعشرات وختم بالآلوف ليستوفي مراتب الأعداد الأصلية - ٥ والله أعلم .

ولما تقدم الأمر بالإثخان في " فشرد بهم " ثم بأعداد القوة، ثم التحريض^٢ على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم بإيجاب ثبات الواحد لعشرة ثم إنزال التخفيف إلى اثنين؛ كان ذلك مقتضيا للامعان في الإثخان، فحسن عتاب الأجباب [في اختيار - ١] غير ما أفهمه هذا الخطاب، ١٠ لكون ذلك أقعد في الامتحان عليهم بالعفو والغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فإن النبي صلى الله عليه وسلم استشارهم فيهم فأشار أبو بكر رضي الله عنه بالمفاداة ومال معه الأكثر. وأشار عمر رضي الله عنه بضرب أعناقهم، وروى أنه قال صلى الله عليه وسلم: لو نزل من السماء عذاب - أي في هذا - ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله ١٥ عنهما. فقال تعالى استنفا واستنجا: (ما كان) أي ما صح وما استقام (لنبي^٦) أي في شرع نبي من الأنبياء مستقل ولا مقرر، ولعله عبر^٧

(١) في ظ: التحقيق (٢) زيد من الكشف (٣) في ظ: بالتحريض (٤) زيد من ظ (٥) وعلل في روح المعاني نجاه بأنها لقوله: الإثخان في القتل أحب إلى. (٦) في الأصل: للنبي، وأما ما أبتناه من ظ فهو قراءة الجمهور وقد يفسج مع ما يتلوه من التفسير (٧) في ظ: عبره.

بوصف النبوة ليفيد مع العموم أن كلا من رفعة القدر والإخبار من الله يمنع من الإقدام على فعل بدون إذن خاص ﴿ ان يكون له - اسرى ﴾ أى أن يباح له أسر العدو ﴿ حتى يشحن في الارض ﴾ أى يبالغ في قتل أعدائه ، فهو عتاب لمن أسر من الصحابة غير من نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله من المشركين أو رضى بذلك ، وإنما أسند إلى نبي - وقرئ شاذاً ٥ بالتعريف - ولم يقل : ما كان في شرع نبي ، تهويلاً [للأسر - ٢] تعظيماً للعفو للبالغة في القيام بالشكر ، وهذا كان يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى " فاما منا بعد واما فداء " ٣ - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، ومادة شحن تدور على الضخامة ، ١٠ وتارة يلزمها اللين والضعف ، وتارة الصلابة والقوة ، فحقيقته : يبالغ في القتل فيغلظ أمره فيقوى ٤ ، ويلين له أعداؤه ويضعفوا ؛ ثم بين لهم أن الميل عن ذلك إنما هو لإرادة الاعراض الدنيوية المبكت به اليهود في آخر التي قبلها بقوله تعالى " ياخذون عرض هذا الأدنى " ٦ كما أن النزاع في الأنفال [ميل - ٢] إلى الدنيا ، وكل ذلك بمعزل عن معالي ١٥ الأخلاق وكرائم السجيا ، معللاً لعدم الكون المذكور بما تقديره : لأن الأسر إنما يراد به الدنيا ، هكذا الأصل ولكنه أبرز في أسلوب الخطاب لأنه أوقع في النفس فقال ٨ : ﴿ تريدون ﴾ أى أيها المؤمنون المرغبون في

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٤٧ آية ٤ (٤) في ظ : ويقوى .
(٥) في ظ : رادة (٦) آية ١٦٩ (٧) في ظ : ذلكم (٨) زيد بعده في الأصل : ثم ،
ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .

٤٤٩ / الإنفاق / لا في الجمع ، باستبقاتهم ﴿ عرض الدنيا ﴾ قال الراغب : العرض ما لا ثبات له ، ومنه استعاره المتكلمون لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون ، وقال ابن هشام في تهذيب السيرة : أى المتاع الفداء بأخذ الرجال ﴿ والله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ يريد ﴾ أى لكم ﴿ الآخرة ﴾ أى جوهرها ' لأنه يأمر بذلك أمرا ' هو فى تأكيده ليمثل كالإرادة التى لا يتخلف ه مرادها ، وذلك بالإثخان فى قتالهم لظهور الدين الذى تريدون إظهاره و الذى به تدرك الآخرة ' ، ولا ينبغي للحب أن يريد إلا ما يريد حبيبہ ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ عزيز ﴾ أى منزّه جنابه العلى عن لحاق شئ بما فيه أدنى سفول ﴿ حكيم ﴾ أى لا يصدر عنه فعل إلا وهو فى غاية الإتقان فهو يأمر بالإثخان عند ظهور قوة المشركين ، فاذا ضعفت وقوى المسلمون ١٠ فأتهم بالخيار ، ولا يصح ادعاء ولايته إلا لمن ترقى فى معارج صفاته ، فيكون عزيزا فى نفسه فلا يندسها بالأطماع الفانية ، و فعله فلا يحطه عن أوج المعالى إلى حضيض المهوى ، و حكيم فلا ينشأ عنه [فعل - ٢] إلا وهو فى غاية الإتقان .

و لما علم من الآية ما أشرت إليه ، فكان كأنهم قالوا رضى الله عنهم : ١٥
فما تقتضى عزته و حكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به ؟ استأنف تعالى الجواب عن ذلك عمتنا غاية الامتان و محذرا من التعرض لمواقع الخسران فقال : ﴿ لو لا كُتِبَ ﴾ أى قضاء حتم ثابت مبرم ﴿ من الله ﴾

(١ - ١) فى ظ : ثابت ظاهره (٢) زيد فى ظ : انتهى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : اشارت .

أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء قدرة و علما ﴿ سبق ﴾ أى فى
أم الكتاب من الحكم بإسعادكم، و من أنه لا يعذب أحدا إلا بعد التقدم
إليه بالنهى، و من أنه سيحل لكم الفداء و الغنائم التى كانت حراما على من
قبلكم تشريفا لكم - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ لمسكم فيما أخذتم ﴾
ه أى من الأسرى المراد بهم الفداء ﴿ عذاب عظيم ﴾ و لكن سبق حكى
بأن المغنم - و لو بالفداء - لكم حل وإن تعجلتم فيه أمرى

ولما ساق سبحانه هذه البشارة فى النذارة، سبب عنها قوله :
﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ أى من الفدية و غيرها حال كونه ﴿ حللا ﴾ أى
لا درك ولا تبعه فيه من جهى ﴿ طيبا ﴾ أى شهيا لكم ملائما لطباعكم،
١٠ و هذا إذا كان مع الشروط التى أفتها لكم من عدم الغلول و الخيانة بوجه
من الوجوه و الاستئثار و شديد الرغبة السائقة إلى ما لا يليق من التنازع
و غيره، ذلك فيما تقدمت فيه إليكم ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الذى له جميع
صفات الكمال فى جميع ذلك فلا تغلوا ولا تنازعوا ولا تقدموا إلا على
ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ان الله ﴾ أى المتصف بالجلال
١٥ و الإكرام ﴿ غفور ﴾ أى لمن يعلم من قلبه أنه من أهل التقوى
﴿ رحيم ﴾ أى له، فلاجل ما علم فى قلوبكم من الخير غفر لكم
فلم يعذبكم بتسرعكم* إلى إيسار من لم يأمركم به الرسول صلى الله عليه وسلم
للفاداة دون توقف على إذنه، و رحمكم فأحسن إليكم فأحل لكم الغنائم،

(١) من ظ، و فى الأصل : حكم (٢) من ظ، و فى الأصل : بما (٣) فى ظ :
قبله (٤) فى ظ : فلا (٥) من ظ، و فى الأصل : بسرعتكم .

انظر إلى قوله تعالى " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا و يكفر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم " تعرف حسن تعليل الامر بالتقوى بالمغفرة و الرحمة ، و يجوز أن يكون علة للأكل ، أى كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه ، و فائدة الامر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم ، و أيضا فقد تقدم تهديد و مغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة ه التقوى ، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لو لا سبق الكتاب ، رغبهم بأنه كلما صدمهم عن جنابه صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى ، أسبل عليهم ذيل المغفرة و الرحمة ، و لما علم من هذا إباحة [ما - ٢] يؤخذ من الأسر من الفداء ، و كان ما يؤخذ منهم^٣ تعظم مشقته عليهم ، أقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا في الإسلام ، ١٠ فأقبل على نبيه صلى الله عليه وسلم / بالامر بمخاطبتهم تنبيها على أنهم ليسوا بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من^٤ اختيارهم الكون^٥ في زمرة الأعداء على الكون في عداد الأولياء ، فقال^٦ معبرا بالوصف الناظر إلى تلقى العلم ترغيبا في التلقى منه صلى الله عليه وسلم^٢ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى الذى أنبئه بكل معنى جليل ، يظهر دينه و يزكى أمته مع رفع ١٥ مقداره و إتمام أنواره ﴿ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ ﴾ أى فى أيدي أصحابك و أهل دينك ، فان العبرة بعموم اللفظ لا^٧ بخصوص السبب ﴿ مِنَ الْإِسْرَى^{٧١} ﴾ ترغيبا لهم فيما عند الله ﴿ اِنَّ يَـٰعْلَمُ اللّٰهُ ﴾ بما له من (١) فى ظ ، خيانة (٢) زيد من ظ (٣-٣) -قط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) فى الأصل : لا كون ، وفى ظ : لكون (٦) -قط من ظ (٧) هذه قراءة أبى عمرو ، وقرأ الباقون : الاسرى .

صفات 'الجلال و الجلال' ﴿ في قلوبكم خيرا ﴾ أى شيئا من تقواه الحاملة
 [على - ٢] الإيمان الذى هو^٢ رأس الخير و على كل خير ﴿ يؤتكم خيرا
 مما أخذ منكم ﴾ أى مما^٣ يفتح به عليكم من المغنم فى الدنيا و يدخره لكم
 من الثواب فى الآخرة ﴿ و يغفر لكم^٤ ﴾ أى ما سلف من ذنوبكم ﴿ و الله ﴾
 ٥ أى الذى بيده كل شئ ﴿ غفور رحيم ﴾ أى من شأنه ذلك ، و المعنى على
 ما علم من قصة العباس الآتية رضى الله عنه أنه سبحانه يعاملكم و أمثالكم
 فى غير ما يأخذ منكم جنده^٥ بالكرم ، و أما إنه يحكم باسقاط القداء عنكم
 و يأمرهم بتركه و إطلاقكم مجانا بما يعلم فى قلوبكم من خير و إيمان كنتم
 تكتُمونه فلا تطمعوا فيه لأن ذلك يفتح باب الدعاوى الباطلة المانعة من
 ١٠ الغنائم الموهنة للدين ؛ قال الحافظ أبو عمر^٦ ابن عبد البر فى سيرته : قال
 ابن عباس^٢ و سعيد بن المسيب : كان العباس رضى الله عنه فى الأسرى
 فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : اقد نفسك و ابنى أخيك عقيلا
 و نوفلا و خليفك^٧ فانك ذو مال ، فقال : يا رسول الله ! إني كنت مسلما
 و لكن القوم استكروهونى ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [الله - ٢]
 ١٥ أعلم باسلامك ، إن كان حقا ما تقول فالله يجزيك به ، و أما ظاهر أمرك
 فقد كان علينا ، قال : ليس لى مال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم :
 و أين المال الذى وضعت عند أم الفضل حين خرجت و ليس معك أحد ؟
 (١-١) فى ظ : الكال و الجلال (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ :
 فيما (٥) من ظ ، و فى الأصل : جفوه (٦) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى
 الأصل : أبو عمرو (٧) فى ظ : حليفك .

ثم قلت : إن أصبت في سفرى هذا فأعطى الفضل كذا و عبد الله كذا ١
فقال : و الذى بعثك بالحق ! ما علم بهذا ١ أحد غيرى وغيرها ، فقدى نفسه
بمائة أوقية و كل واحد بأربعين أوقية و قال : تركنى ٢ أسأل الناس ،
وأسلم ٣ و أمر عقيلًا [فأسلم ، ولم يسلم من الأسارى غيرهما .
و لما كان التقدير : فان صدقوك و قبلوا - ٤] بشرى الله ، وفى الله ه
لهم ؛ عطف عليه قوله : (و ان يريدوا) أى الأسرى و الكفار
كلهم أو واحد منهم كآبى عزة (خيانتك) أى و أنت أعلى الخلق
فى عهد من إسلام أو غيره يوثقونه لك ترضى به فى المن على أحد منهم
بغير فداء ، يرد الله أن يكون وبال ذلك راجعا إليهم فيمكن منهم ،
فلا تخش من أمرهم (فقد خانوا الله) ٥ أى الملك الأعظم ؛ ١٠
و لما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمن ، أدخل الجار فقال ٦ :
(من قبل) أى من قبل هذا الوقت ٧ بالكفر و غيره من أنواع
الفسق ٨ (فامكن) أى فأوجد الإمكان منهم ، وقصره ليدل على
أنهم صاروا سلما لكل أحد (منهم ٩) أى يوم بدر [بسبب - ٢]
خيانتهم ، فمثل ما أمكن منهم عند وقوع الحياة سيمكنك منهم إذا أرادوا ١٥
الحياة ، فان الله يعلم ما يسرون و ما يعلنون (و الله) أى الذى له
الإحاطة بكل شئ (عليم) أى بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الأشياء كلها
(١) فى ظ : به (٢) فى ظ : تركنى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) زيد
ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : او (٦) من ظ ، وفى الأصل :
أحد (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقنين فى الأصل على « إليهم فيمكن » و الترتيب من ظ .

التي منها أحوالهم (حكيم) أي بالغ الحكمة فهو يتيقن^١ كل ما يريد
 فهو يوهن كيدهم ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة، وكذا فعل
 سبحانه في أبي عزة الجمحي فإنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في المن عليه
 بغير شيء لفقره وعياله وعاهده على أن لا يظهر عليه أحدا ومدحه
 ثم خان فظفر به^٢ في غزوة حراء الأسد عقب يوم أحد أسيرا، فاعتذر
 له وسأله في العفو عنه فقال: ^٣ «ألا تسمع» عارضيك بمكة وتقول: سخرت
 بمحمد مرتين، لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، وأمر به فضربت
 عنقه؛ وقال أبو حيان^٤ في الخيانة: هي كونهم / أظهر بعضهم الإسلام
 ثم رجعوا إلى دينهم .

/ ٤٥١

١٠ ولما بين الأمرى أن الخير الذي لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله
 لا يتفهم في إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه، وكل ما لا دليل
 عليه فحكمه حكم العدم، لأن مبنى الشرع^٥ على ما^٦ يمكن المكلف معرفته
 وهو الظواهر، وختم بصفى العلم والحكمة، شرع يبين الخبر الذي يفيد
 القرب الذي تنبئ عليه المناصرة وكل خير، فقال مقسما أصحاب النبي
 ١٥ صلى الله عليه وسلم أربعة أقسام: قسم جمع الإيمان والهجرة أولا
 والجهاد، وقسم آوى، وقسم آمن ولم يهاجر، وقسم هاجر من بعد:
 ﴿ان الذين آمنوا﴾ أي بالله ورسوله ﴿وهاجروا﴾ أي واقعوا الهجرة

(١) من ظ، وفي الأصل: يتق (٢) من ظ، وفي الأصل: عليه (٣-٢) في ظ:
 لا تسمع (٤) في ظ: أبو حيازة (٥) زیدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في
 ظ والبحر المحيط ٤/٢١٥. فخذناها (٦) من ظ، وفي الأصل: الشيء (٧) سقط
 من ظ .

من بلاد الشرك ، و هم المهاجرون الاولون ، هجروا أوطانهم و عشارهم
و أحبابهم حب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ و جهدوا ﴾ أى واقعوا^١
الجهاد ، و هو بذل الجهد فى توهين الكفر و أهله .

و لما كانت الآيات المتقدمة فى آلات^٢ الجهاد من النفس و المال تارة
بالحث على إنفاقه و أخرى بالنهى عن حبه و تارة بالتسليّة للاسرى عند^٣ ه
فقدته ، كان الأنسب تقديم قوله : ﴿ باموالهم ﴾ أى بانفاقهم لها فى الجهاد
و تضييع بعضها بالهجرة من الديار و النخيل و غيرها ﴿ و انفسهم ﴾ باقدامهم
على القتال مع شدة الأعداء و كثرتهم ؛ و قدم المال لأنه سبب قيام النفس ،
و كان فى غاية العزة فى أول الامر ، و آخر قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾
أى الملك الأعظم لذلك ، و " فى " سببية^٤ ، أى جاهدوا بسببه حتى لا يصد^٥
عنه صاد فظهر محاسنه و يسهل المرور فيه من غير قاطع ، و لعله عبر
بـ " فى " إعلاماً^٦ بأنه ينبغى أن يكون متمكناً من السبيل تمكن المظروف
من ظرفه حتى يكون الدين غالباً عليه لا يخرج عنه بوجه من الوجوه ،
و أما فى سورة براءة^٧ فلما كان السياق فى بعض الآماكن بها للسبيل قدم -

كما سيأتى ، و أيضاً فان هذه السورة نزلت فى أوائل الامر بعد وقعة بدر^٨
فى السنة الثانية من الهجرة ، و كان الحال إذ ذاك شديداً جداً ، و الأموال
فى غاية القلة ، و الأعداء لا يحصون ، فناسب الاهتمام بشأن المال و النفس

(١) فى ظ : اوقعوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٣) من ظ ، و فى
الأصل : عن (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى ظ : سببيه (٦) من ظ ، و فى
الأصل : اعلام (٧) راجع آية ٢٠ .

فقدما ترغيا في بذلها ، و أما براءة فزلت في غزوة تبوك في أواخر سنة
تسع ، فكان ' المال قد اتسع ، و الدين قد عز و ضخم و قوى و عظم ، و أسلم
غالب الناس ، فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة ، و تواكل الناس
بعضهم على بعض و رغبوا في الإقبال على إصلاح الأموال ، فناسب البداءة
هناك بالسبيل .

و لما ذكر أهل الهجرة الأولى ، أتبعهم أهل النصرة ، و هم القسم
الثاني من المؤمنين الذين كانوا على زمنه صلى الله عليه و سلم فقال :
(و الذين أووا) أى [من - ٢] هاجر ' إليهم من النبي صلى الله عليه و سلم
و أصحابه رضى الله عنهم فأسكنوهم في ديارهم ، و قسموا لهم من أموالهم ،
١٠ و عرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن ، و إنما قصر
الفعل إشارة إلى تعظيم فعلهم بحيث كأنه ' لا إيواء في الوجود غير
ما فعلوا ، و كذا قوله : (و نصرؤا) أى الله و رسوله و المؤمنين ، و هم
الأنصار رضى الله عنهم ، حازوا هذين الوصفين الشريفين فكانوا في الذروة
من كلئى الحسينين ' ، و لولا إيواؤهم [و نصرهم - ٢] لما تم المقصود ،
١٥ و المهاجرون الأولون أعلى منهم لسبقهم في الإيمان الذى هو رئيس
الفضائل و لحملهم الأذى من الكفار زمانا طويلا و صبرهم على فرقة
الأوطان و العشائر ، و أشار إلى القسمين بأداة البعد لعلو مقامهم و عز
مقامهم فقال : (أو لك) / أى العالو الرتبة (بعضهم أولياء بعض ')
أى فى الميراث دون القرب العارى عن ذلك ، فبين أن الإيمان

/ ٤٥٢

(١) فظ : و كان (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل : هاجروا (٤) من
ظ ، و فى الأصل : كان (٥) زيد فى ظ : و أشار الى القسمين (٦) فظ : علوه
إن

إن لم يقتن^١ بشهيدين هما الهجرة والجهاد من القرب^٢ عن المدينة وشهيدين هما الإيواء والنصرة من أهل المدينة ، كان عائقا عن مطلق القرب بل مانعا من نفوذ لحة النسب كل النفوذ^٣ ، فكأن من آمن ولم يهاجر لم يرث بمن هاجر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، ومادة ولى بجميع تصاريدها ترجع إلى الميل ، ويلزم منه القرب [والبعـد - ^٤] ، وربما نشأ^٥ عن كل منهما الشدة ، وترتيب ولى بخصوصه يدور على القرب ، ومن لوازمه النصرة ، فالمعنى بعضهم أقرباء بعض ، يلزم كلا منهم فى حق الآخر من المناصرة وغيرها ما يلزم القريب لقريبه ، فمضى جمعهم وصف جعلهم شركاء فيما يشمره ، فوصف الحضور فى غزوة يشرك بينهم فى الغنائم ، لأن أنواع الجهاد كثيرة ، وكل واحد منهم باشر بعضها ، فعن حضور الكل ١٠ نشأت النصرة ، والمهاجر فى الأصل من فارق الكفار بقلبه ولاوام ، ورافق المؤمنين بحبه وولاهم ، لكن لما كان هذا قد يخفى ، ينط الأمر بالمظنة وهى الدار ، لأنها أمر ظاهر ، فصار المهاجر من باعد دار المشركين فرارا بدينه ، ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون النقلة إلى دار هجرته : المدينة الشريفة ، هذا حكم كل ١٥ مهاجر إلا [ما - ^٤] كان من خزاعة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علم من مؤمنهم وكافرهم حبه ونصحـه وبغض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة ؛ قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر فى كتاب المدخل إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : لم يقترون (٢) من ظ ، وفى الأصل : القريب .
(٣) فى ظ : النفوذ (٤) زيد من ظ .

الاستيعاب: ويقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم 'لأنهم حلفاء
بنى هاشم وقد أدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب القضية
عام الحديبية - إلى أن قال: وأعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم منزلة
لم يعطها أحدا من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك
ه كتابا - انتهى . وقال شاعرهم نبيد^٢ بن عمران الخزاعي يفخر^٢ بذلك وغيره
بما خصهم الله به على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد أنشأ [الله - °] السحاب بنصرنا^١ ركام^١ سحاب^١ الهيدب المتراكب
وهجرتنا في أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير مل و كاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لنذكر ثأرا بالسيوف القواضب
١٠ ذكر ذلك الحافظ أبو الريع ابن سالم الكلاعي في غزوة الفتح من سيرته،
والذي تولى حلفهم أولا هو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ؛
قال الواقدي في أول غزوة الفتح : وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب،
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك عارفا، لقد جاءته يومئذ -
يعنى يوم الحديبية - خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه وهو باسمك اللهم
١٥ هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة^٥ إذ قدم عليه^٥ وسراهم^٦

(١-١) - فقط ما بين الرقين من ظ (٢) من سيرة ابن هشام ١/٣، وفي الأصل :
عبد، وفي ظ : مجيد - كذا (٣) من ظ، وفي الأصل : يعجز (٤) في ظ : يدى .
(٥) زيد من ظ والسيرة (٦-٦) من ظ والسيرة، وفي الأصل : سحاب ركام .
(٧) من ظ وكتاب المغازي ٢/٧٨١، وفي الأصل : الخزاعة (٨) من ظ
والمغازي، وفي الأصل : عليهم (٩) في ظ : سرواتهم .

و أهل الرأي، غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم، إن بيننا وبينكم عهد الله
و عقوده، ما لا ينسى أبدا، اليد واحدة^١ والنصر واحد، ما أشرف^٢
ثبير وثبت حراء، وما بلّ ببحر صوفة، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددًا
أبدا أبدا، الدهر سرمدًا، فقرأه عليه أنى بن كعب رضى الله عنه فقال: ما أعرقى
بحلفكم وأتم على^٣ ما أسلمت عليه من الحلف، وكل حلف كان في الجاهلية
فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام؛ قال الواقدي:
وجاءته أسلم وهو بغدير الأشطاط^٤ جاء بهم بريدة بن الحصيب فقال:
يا رسول الله! هذه أسلم وهذه محالها وقد [هاجر إليك من = °] هاجر
منها و [بقي - °] قوم منهم في مواشيهم ومعاشهم، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: أتم مهاجرون حيث كنتم؛ ودعا العلاء بن الحضرمي^٥
فأمره أن يكتب لهم كتابا فكتب: «هذا كتاب من محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأسلم لمن آمن منهم بالله وشهد أن لا إله إلا الله
و أن محمدا عبده ورسوله، فانه آمن بأمان الله، وله ذمة الله وذمة
رسوله، وإن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم، اليد
واحدة والنصر واحد، ولاهل باديتهم [مثل - °] ما لأهل قراهم^٦ ١٥

(١) في ظ: واحد (٢) من المغازى، وفي الأصل: اشرق، وفي ظ: امر - كذا.
(٣) من ظ والمغازى، وفي الأصل: عا - كذا (٤) من المغازى، وفي الأصل
و ظ: الاشطاط، وقال في المغازى هلا عن وفاة الوفاء: غدير الأشطاط: على
ثلاثة أميال من عسفان بما يلي مكة (٥) زيد من ظ والمغازى (٦) زيد بعده في
الأصل: لقي، ولم تكن الزيادة في ظ والمغازى لخذلناها (٧) زيد من المغازى.
(٨) في ظ: قراهم.

[وهم -] مهاجرون حيث كانوا ، وكتب العلاء بن الحضرمي فقال
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يا رسول الله ! نعم الرجل بريدة بن
 الحصيب تقومه عظيم البركة عليهم ، مررنا به ليلة مررنا ونحن مهاجرون
 إلى المدينة ، فأسلم وأسلم معه من قومه من أسلم ، فقال رسول الله
 ﷺ صلى الله عليه وسلم : نعم الرجل بريدة لقومه ، غير قومه يا أبا بكر ! إن
 خيبر تقوم من كان مدافعا عن قومه ما لم يأثم ، فإن الإثم لا خير فيه -
 انتهى . وأسلم شعب من أربعة شعوب من خزاعة . ولما فتحت مكة ،
 انقطعت الهجرة لظهور الدين وضعفت المشركين ، وقام مقام الهجرة النبوية
 الخاصة للدلول عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد
 الفتح ولكن جهاد ونية . وقال صلى الله عليه وسلم : المهاجر من
 هجر ما نهى الله عنه ، فاف كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجبت
 عليه البقرة .

ولما بين سبحانه أمر من جمع الشروط ، شرع بين حكم من فقد
 عن بعضها وهو القسم الثالث فقال : (والذين آمنوا) أي اشتهر إيمانهم
 (ولم يهاجروا) أي قبل الفتح بل استمروا في بلادهم (ما لكم من ولايتهم)
 و المخرج في التقي قال : (من شيء) أي في التوارث ولا في غيره ؛ ورغبهم
 في الهجرة بقوله : (حتى يهاجروا) أي يوافقوا الهجرة لدار الشرك
 ومن فيها (وإن استصروكم) أي طلبوا نصركم (في الدين) أي
 (وما زيك من ظ والغازي) (د) في ظ : وجب (ح) من ظ ، وفي الأصل : جميع .
 (ع) في الأصل : نقد ، وفي ظ : عقد (ه) سقط من ظ (و) في ظ : يوقعوا .

بسبب أمر من أموره وهم متمكنون من الدين تمكن المظروف من الظرف
 ﴿ فعليكم النصر ﴾ أى واجب عليكم أن تنصروهم^١ على المشركين ، فالمعنى
 أنه ليس لهم عليكم حق القريب إلا فى الاستنصار فى الدين . فان
 ترك نصرهم يجر إلى مفسدة كما أن موالاتهم تجر إلى مفسد ؛ ثم استثنى
 من الوجوب فقال : ﴿ الا على قوم ﴾ وقع وكان ﴿ بينكم وبينهم ميثاق^٢ ﴾ هـ
 أى لأن استنصارهم يوقع بين مفسدتين : ترك^٣ نصرة المؤمن و نقض العهد
 وهو أعظمهما فقدمت^٤ مراعاته و تركت نصرتهم^٥ ، فان نصرهم الله
 على الكفار فهو المراد من غير أن تدنسوا بنقض ، وإن نصر الكفار
 حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة و لمن بقى الضمان بالكفاية ، وكان
 ذلك داعياً لهم إلى الهجرة^٦ ، و من ارتد منهم أبعد الله ولن يضرب إلا ١٠
 نفسه و الله غنى حميد ، فقد وقع - كما ترى - تقسيم المؤمنين إلى ثلاثة
 أقسام : أعلاها المهاجر ، و يليه الناصر ، و أدناها القاعد القاصر ، و بقى
 قسم رابع يأتي^٧ ؛ قال أبو حيان : فبدأ بالمهاجرين - أى^٨ الأولين - لأنهم
 أصل الإسلام و أول من استجاب لله تعالى ، فهاجر قوم إلى المدينة ، و قوم
 إلى الحبشة ، و قوم إلى ابن ذى يزن ، ثم هاجروا إلى المدينة و كانوا ١٥
 قدوة لغيرهم فى الإيمان و سبب تقوية الدين « من سن سنة حسنة فله
 أجرها و أجر من عمل^٩ بها إلى يوم القيامة » و ثنى بالانصار لأنهم ساوهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينصروهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : يرى - كذا .
 (٣) فى ظ : فتقدمت (٤) فى ظ : تركتهم (٥) فى ظ : الهجو (٦) سقط من
 ظ (٧) فى ظ : يعمل .

في الإيمان وفي الجهاد بالنفس والمال، لكنه عادل بالهجرة^١ الإيواء
والنصرة، وانفرد المهاجرون بالسبق، وذكر ثالثاً من آمن ولم يهاجر
ولم ينصر، فقاتهم هاتان الفضيلتان وحرماوا الولاية حتى يهاجروا، ثم قال:
آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فكان المهاجري
ه يرثه أخوه الأنصاري إذا لم يكن له بالمدينة ولي مهاجري، ولا توارث
بينه وبين قريبه المسلم غير المهاجري^٢، قال ابن زيد: واستمر أمرهم
كذلك إلى^٣ فتح مكة - انتهى . لكن ما ذكر ابن عبد البر - كما سيأتي -
من أن حكم ذلك زال / بوقعة بدر أولى للآية الآتية^٤ آخر السورة مع
ما يؤيد ذلك من آية الأحزاب^٥ .

/ ٤٥٤

١٠. ولما كان التقدير: فالله بمصالحكم خير، وكان^٦ للنفوس دواع
إلى مناصرة الأقارب والأحباب ومعاودة غيرهم خفية، ولها دسائس^٧
تدرك، حذر من ذلك بقوله عاطفاً على هذا المقدر: (والله) أى
المحيط علماً وقدره؛ ولما كان السياق لبيان المصالح التي تنظم الدين
وتهدم ما عداها، وكان للنفوس - كما تقدم - أحوال، اقتضى تأكيد العلم
١٥ بالحقايا فقدم الجار الدال على الاختصاص الذي هو هنا كناية عن إحاطة
العلم فقط فقال مرها: (بما تعملون بصيره) وفي ذلك أيضاً ترغيب
في العمل بما حث عليه من الإيمان والهجرة والنصرة والإتفاق والتحرى

(١) في البحر المحيط ٤/ ٥٢١: الهجرة (٢) من البحر، وفي الأصل وظ:
المهاجر (٣) زيد بعده في ظ: إن (٤) من ظ، وفي الأصل: الثانية (ه) راجع
آية ٦ منها (٦) في ظ: كانت (٧) من ظ، وفي الأصل: اساس .

في جميع من^١ ذلك و ترهيب من العمل بأضدادها ، وفي ” البصير “
إشارة إلى العلم بما يكون من ذلك خالصا أو مشوبا ، ففيه مزيد حث
على الإخلاص .

ولما بين شرط موالة المسلم ، بين موالة الكافر وما يجب من
مناظرتهم^٢ و مباراتهم فيها ، وأنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فانه هـ
- وإن اختلفت أنواعه و تباعدت أنحاؤه - بجمعه عداوة الله [و-^٣] ولاية
الشیطان فقال : ﴿ والذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف على أى
حال كانوا فيه ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ أى فى الميراث و النصرة و غيرهما ،
وهو خبر محض مشير إلى نهى المسلم عن موالاتهم ، و أما الذى مضى
فى حق المؤمنين فهو أمر فى صورة الخبر و صيغته ، يعنى أن فى كل من ١٠
الكفار قوة الموالة للآخر عليكم و الميل العظيم الحاث لهم على المسارعة
فى ذلك و إن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب و هم حزب ،
بجمعهم داعى الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعى الرحمن بوصف
الإيمان ، قال أبو حيان : كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه و سلم يعادى أهل
الكتاب منهم قريشا و يترصون بهم الدوائر ، فصاروا بعد بعثة صلى الله
عليه و سلم يوالى بعضهم بعضا [و-^٤] إلبا واحدا على رسول الله صلى الله
عليه و سلم -- انتهى . و ما ذكره مذكور فى السير مشهور عند أهل
الأثر ﴿ الا تفعلوه ﴾ أى مثله من تولى المؤمنين و معاداة الكافرين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تناظرهم (٣) زيد من ظ (٤) زيد
من البحر المحيط ٤/ ٥٢٢ .

كما يفعل الكفار بالتعاضد و التعاون بالنفس و المال كما أرصدوا مال
 الغير الذى فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم فى أحد ، فاللائق بكم أن
 تكونوا أعظم منهم فى ذلك ، لأنهم يريدون بذلك رم واهى دنياهم الفانية
 و أتم تبون آخرتكم الباقية ، و داعيكم ولى غنى و داعيهم عدو دنى فضلا
 ٥ عن أن تنزلوا إلى حضيض التاراع فى الغنائم (تكن فتنة) أى عظيمة
 (فى الارض) أى خبطة عميلة للقاصد عن وجوها (و فساد كبير ط)
 أى ينشأ عن تلك الفتنة ، و الكبير ناظر إلى العظم ، و قرئ شاذا بالمثلثة
 فيكون عظمه حيثند مخصوصا بالأنواع ، و بيان الفساد أنه إذا قارب
 المؤمن الكافر و الكافر المؤمن و تناصروا أو ترك المؤمنون التناصر فيما
 بينهم انخل النظام فاختل كل من النقص و الإبرام ، فاختلف الكلام
 فتباعدت القلوب ، فتزايدت الكروب ، فالواجب عليكم أن تكونوا إلبا^١
 واحدا ويدا واحدة فى الموالاتة و تقاطعوا^٢ الكفار بكل اعتبار ليقوم
 أمركم و تطيب حياتكم ، و تصلح غاية الصلاح دنياكم و آخرتكم ، والآية
 شاملة لكل ما يسمى توليا حتى فى الإرث و قتال الكفا و مدافعة المسلمين
 ١٥ بالآمر و الإنكار ، و لما ترك بعض العلماء إعانة بعض فتنة حصل ما خوف
 الله تعالى منه من الفتنة و الفساد حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين
 و ضعف أهل الدين ، فالأمر بالمعروف فيهم^٣ فى غاية الذل و الغربة ،
 ٤٥٥ يرد عليه أدنى / الناس فلا يجد له ناصرا ، و يجد ذلك الآخر له على
 (١) فى ظ : به (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تباطوا (٤) فى ظ : تواليا (٥) من
 ظ ، و فى الأصل : فلا يجد .

الرد أعوانا كثيرة^١، و صار أحسن الناس حالا مع الأمراء وأعظمهم
له محبة من يقنع بلومه على فعله ظنا منه أن ذلك شفقة عليه - والله المستعان.
ولما تقدمت أنواع المؤمنين : المهاجر والناصر والقاعد ، وذكر
أحكام موالاتهم^٢ ، أخذ بين تفاوتهم في الفضل فقال : ﴿ والذين آمنوا ﴾
أى بالله وما أتى^٣ منه ﴿ وهاجروا ﴾ أى فيه من يعاديه سابقين مع نبيه ه
صلى الله عليه وسلم ﴿ وجاهدوا ﴾ أى بما تقدم من المال والنفس أو
بأحدهما ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فبذلوا الجهد فى
إذلالهم كما بذل الأعداء الجهد فى إذلالهم ، ولم يذكر آلة الجهاد لأنها -
مع تقدم ذكرها - لازمة ﴿ والذين أووا ﴾ أى من هاجر إليهم
﴿ ونصروا ﴾ أى حزب الله ؛ وأعلم بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى الصنفين ١٠
الأولين خاصة ﴿ هم المؤمنون حقا ﴾ أى حق الإيمان ، لأنهم حققوا
إيمانهم : المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من الأمور الدنيوية ، والناصر
من جميع أهل الكفر بايواء أهل الله ونصرتهم .

ولما بين وصفهم ، بين ما جباهم به بقوله دالا على أن الإنسان
محل النقصان ، فهو - وإن اجتهد حتى كان من القسم الأعلى - لا ينفك ١٥
عن مواجهة ما يحتاج فيه إلى الغفران : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لولاتهم
وهفواتهم ، لأن مبنى الآدمى على العجز اللازم عنه التقصير وإن اجتهد ،
والدين متبن فلن يشاده أحد إلا غلبه ؛ ولما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ، ذكر

(١) فى ظ : كثيرا (٢) فى ظ : مولاتهم (٣) فى ظ : اوتى (٤) من ظ ، وفى
الأصل : حبيهم .

نظم الدرر (سورة الأنفال ٨ : ٧٤ و ٧٥) ج - ٨

تزكيتهم بالرحمة فقال : ﴿ ورزق ﴾ أى من الغنائم وغيرها فى الدنيا
والآخرة ﴿ كريم ﴾ أى لا كدر فيه [بوجه - ١] ، لا فى قطعه ولا
فى نقصانه ولا فى شيء من شأنه .

ولما حصر المؤمنين حقاً فى الموصوفين ، بين أن من ترك ما هو عليه
من لزوم دار الكفر و القعود عن الجهاد ، لحق بمطلق درجتهم وإن
كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكر القسم الرابع : ﴿ والذين آمنوا ﴾^٢ ولما
كانوا قد تأخروا عن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مدة ، أدخل الجار
فقال : ﴿ من بعد ﴾ أى من^٣ بعد تأخر إيمانهم عن السابقين ﴿ وهاجروا ﴾
أى لاحقين للسابقين ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم من^٤ هاجر
١٠ بعد الحديبية ، قال : وهى الهجرة^٥ الثانية ﴿ وجهدوا معكم ﴾ أى من
تجاهدونه من حزب الشيطان ﴿ فاولئك منكم ﴾^٦ أى لهم مالكم وعليهم
ما عليكم من الموارث والمغانم وغيرها^٧ ، لأن الوصف الجامع هو المدار
للاحكام وإن تأخرت رتبته عنكم كما^٨ أفهمته أداة البعد .

ولما بين أنهم منهم ، بين أنه متى جمعهم^٩ الوصف المحصل للولاية ،
١٥ كان القرب فى الرحم أولى من غيره فقال : ﴿ واولوا الارحام ﴾ أى
[من - ١] المؤمنين الموصوفين ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ أى فى الإرث
وغيره من المتصفين بولاية الدين الحالية عن الرحم ﴿ فى كتب الله ﴾^{١٠}

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : ما (هـ) فى ظ : الحديبية (٦) من ظ ، وفى الأصل : غيرهم (٧) من ظ ،
وفى الأصل : بما (٨ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

أى القرآن أر فى حكمه وقسمه الذى أنزله إليكم الملك الأعظم فى آيات الإرث، وهى مقيدة بالعصبات [قنسخت الولاية - '] "فلا دلالة" على توريث غيرهم، وذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة المنذر بن عمرو أن بدرًا قطعت المواخاة بين الصحابة رضى الله عنهم، يعنى فتكون^٢ هذه الآية ناسخة آية "بعضهم أولياء بعض" وتكون تلك حيثذ مينة أمر^٣ ما كان قبل غزوة بدر - وهو حسن، والآية التى فى سورة الأحزاب مؤيدة له؛ ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال: (ان الله) اى الذى له صفات الكمال كلها (بكل شىء عليم) فهو يعلم أن هذا هو الذى تدور عليه المصلحة وتدوم به الألفة كما علم فى أول الأمر أن نوط الإرث وغيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية؛ أولى / لما فى ذلك ١٠ / ٤٥٦/ من تكثير قلتكم ونصر ذلتكم وجمع شتاتكم وجعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب، فأما الآن فقد ضرب الدين بجراحه^٤، وثبت بقواعده وأركانه، وولى^٥ الكفر بسلطانه^٦، ونكص مدبراً بأعوانه، فتوارثوا بالإسلام والقراة وتقاطعوا^٧ الكفار، وقربوا وبعدوا، وانحازوا عنهم كما انحازوا عنكم، وتبرأوا منهم كما تبرأوا منكم، فقد انطبق آخر السورة ١٥ - بالإعراض عن الدنيا وإصلاح ذات البين وبيان المؤمنين حقاً وتقليد العليم فى جميع الأعمال من غير اعتراض - على أولها^٨، وبيان من يوالى^٩ ومن يعادى على أول براءة - والله الموفق .

- (١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : فيكون (٤) فى ظ : الإسلام (٥) الضرب بالجران كناية عن الثبات والاستقرار (٦-٦) من ظ، وفى الأصل : الشيطان (٧) من ظ ، وفى الأصل : قاطعوا (٨) سقط من ظ . (٩) فى ظ : أولها (١٠) فى ظ : توالى .

سورة براءة

مقصودها معادة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع
 الداعي إلى الله في توحيده واتباع ما يرضيه، وموالاته من أقبل عليه،
 و أدل^٢ ما فيها على الإبلاغ في هذا المقصد قصة المخلفين فانهم - لاعترافهم
 بالتخلف عن الداعي بغير عذر في غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد
 منهم رضى الله عنهم الاعراض بالقلب - هجروا، وأعرض عنهم بكل
 اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها^٣ بالتوبة، وهو^٤ يدل على البراءة
 لأن البراءة منهم - بهجرانهم^٥ حتى في رد السلام - كان سبب التوبة،
 فهو من إطلاق المسبب على السبب، وتسميتها ببراءة^٦ واضح أيضا
 ١٠ فيما ذكر من مقصودها، وكذا الفاضحة لأن من اقتضح كان أهلا للبراءة
 منه، والبحوث لأنه لا يبحث^٧ إلا عن حال البغيض، والمبغضة هو المنفرة
 والمثيرة والحافرة والحفارة والمخزية والمهلكة والمشردة والمدممة
 والمنكدة، لأنه لا يبحث إلا حال العدو وكذا ما بعده، والمشردة عظيمة
 المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه الأنفال في "فشردهم من خلفهم"^٨ وسورة
 ١٥ العذاب أيضا واضحة في مقصودها، وكذا المقتشفة لأنهم قالوا: إن معناه

(١) مدنية سوى آيتين في آخرها - كما قال ابن الجوزي، وهي مائة وتسع
 وعشرون آية، وقيل: مائة وثلاثون آية (٢) في ظ: ابدل (٣) في ظ: تسويتها.
 (٤) في ظ: هذا (٥) من ظ، وفي الأصل: بهجرانهم (٦) في ظ: براءة (٧) في
 ظ: لا يبحث (٨) آية ٥٧.

المبرئة من النفاق، من تقشقت قروحه - إذا^١ تقشرت للبرء، و توجيهه أن
من عرف أن الله برىء منه و رسوله و المؤمنون لأمر فهو جدير بأن
يرجع عن ذلك الأمر، و عندى [أيضا - ٢] أنه مضاعف القش الذى
معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين و أحوالهم و عليه خرج قاسم^٢
ما فى وصف أبى جهنم بن حذيفة لمن أراد نكاحها: أخاف عليك قشقاشته^٣، ه
أى تبعه لمذاق الأمور، أخذنا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا
و ههنا، أو عصاه التى هى غاية ذلك، و مادة قش و مقلوبها شق و مضاعفها
قشقس و شقشق^٤ تدور على الجمع و تلازمه^٥ الفرقة فانه لا يجتمع^٦
إلا ما كان مفردا^٧ و لا يفرق إلا ما كان مجتمعا، و قد اقسام هذان^٨
المثالان المعنيين إلا قليلا، قش القوم: صلحوا و أحيوا بعد الهزال بجمع ١٠
اللحم، و الرجل: أكل من ههنا و ههنا و لف ما قدر عليه مما على الخوان،
واضح فى ذلك، و أنشوا و انقشوا - إذا انطلقوا لجفلوا و مروا^٩ ذاهبين -
و قد انقشوا - إذا مروا و ذهبوا مسرعين لاجتماعهم فى^{١٠} ذلك و جمعهم
ما قدروا عليه من متاعهم، و القش و الإقشاش: طلب المأكول من ههنا
و ههنا لجمعه^{١١}، و القشة - بالكسر: القردة كأنها لجمعها ما رأت مما يؤكل ١٥
فى فيها، و الصية الصغيرة الجثة [التى - ١٢] لا تكاد تثبت كأنها^{١٣}

(١) فى ظ: اى (٢) زيد من ظ (٣) أى ابن سلام أبو عبيد الهروى (٤) فى جميع
المراجع: قشقاشته - باهمال السين (٥) من ظ، و فى الأصل: شقشقا (٦) من
ظ، و فى الأصل: تلازم (٧) من ظ، و فى الأصل: لا يجمع (٨) فى ظ: مفروقا .
(٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: مردوا (١١) فى ظ: على (١٢) فى الأصل و ظ:
لجمعها (١٣) زيد من تاج العروس (١٤) من ظ، و فى الأصل: كانه .

لا اجتماعها في نفسها،^١ وكذا القشيس: الصغير من الصيان، ودوية
كالجعل إما لا اجتماعها في نفسها^٢ أو لجمعها القاذورات، والقشيش كأمر:
اللقاطة لأنها يجمعها اللقاطون، وصوت جلد الحية يحك بعضها ببعض،
لأنه لا يكون إلا عند الثني والتجمع، وأقش من الجدرى: برئ منه
هـ كتنقشش^٣ يصلح أن يكون من الفرقة لأنه فارقة، ومن الجمع لأن البرء
جمعه كله فأزاله، ويمكن أن تكون^٤ همزته للازالة، وتقششت القروح
وتقششت - إذا تقشرت للبرء، إما من الجمع لا اجتماع القوى للصحة،
وإما من الفرقة والزوال، وكذا تقششش البعير - إذا برئ من / الجرب،
و يقال: قششهم بكلامه^٥ - إذا تكلم بقيق و آذام، أى لجمعه همومهم على

/ ٤٥٧

١٠ بغضه أو معاييهم، وكذا قش الشيء: جمعه، والناقة: أسرع حلبها،
أى جمع الزمان الطويل بجمع ما في ضرعها، والشيء: حكه بيده حتى
يتحات، أى قشره جميعه، فهو يصلح للفرقة والجمع، وقش: مشى مشى
المهزول أى اضطرب، وهو يوجب [الإسراع و-^٦] الثني فيصلح
للجمع والفرقة، وقش: أكل مما يلقيه الناس على المزابل أو أكل كسر
١٥ الصدقة، لأن ذلك غاية في الجمع، وقش النبات: يبس، فاستحق أن
يجمع، والقش: ردىء التمر^٧ كالدقل ونحوه لأنه، يجمع^٨ في نفسه، والدلو

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ كتنقشش (٣) من ظ، وفي
الأصل: يكون (٤) من القاموس، وفي الأصل وظ: بكلام (٥) زيد في ظ:
أى (٦) زيد من ظ (٧) من القاموس، وفي الأصل وظ: النخل (٨) في
ظ: تجمع.

الضخم^١ اكثرة ما يجمع، وفي الحديث: "قل يا أيها الكفرون" و"قل هو الله أحد" المقشقة^٢، أي المبرتان من الشرك لما في الحديث: اقرأ "قل يا أيها الكفرون" عند منامك فانها براءة من الشرك، فالمعنى أنهما تجمعان كل شرك ونفاق [دقيق - ٢] أو جليل قزبلانه، والقشقة يحكى بها الصوت قبل الهدير في محض الشفقة^٣ قبل أن ترعد بالهدير، لأن مبادئ صوت الهدير زائد الضخامة، فكأنه جامع، فكذا ما يحكيه؛ والقشقة: العصا، لجمعها ما يراد بها أو لأنها يقشر عنها لحاؤها كما يقشر جلد الحية، وأما مقلوبه فيقال فيه^٤: شقه: صدعه أي فرقه، وقال الخليل: الصدع ربما كان في أحد الوجهين غير نافذ، والشق لا يكون إلا نافذاً، وشق ناب البعير: طلع، لأنه فرق اللحم، وشق العصا: فرقها بائنتين و فرق^٥ بين الجماعة، وشق عليه الأمر: صعب فقرق نفسه، وشق عليه: أوقعه في مشقة، وشق بصر المحتضر: نظر إلى شيء لا يرتد إليه^٦ طرفه، لأنه لتصويبه إلى جهة واحدة مفترق^٧ من بقية الجهات، والشق واحد الشقوق، والصبح^٨ لأنه يفرق جيش الظلام، وجوبة^٩ ما بين الشفرين من جهاز المرأة، والتفريق ومنه شق عصا المسلمين، واستطالة البرق^{١٠} إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يمينا وشمالا، لأنه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح والعصا، والشق - بالكسر: الجانب لأنه مفارق للجانب الآخر^{١١}،

- (١) وفي تاج العروس: الصواب: الضخمة كما في التكلة وغيرها (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: القشقة (٤) في ظ: فيها (٥) في ظ: عليه (٦) من ظ، وفي الأصل: معترضة (٧) من ظ والقاموس، وفي الأصل: الصفح (٨) في ظ: جرتة. (٩) من ظ والقاموس، وفي الأصل: البراق (١٠) في ظ: الا - كذا.

و اسم لما نظرت إليه لأنه في جانب واحد، وجنس من أجناس الجن لأنه
فرقة منهم، ومن كل شيء نصفه - ويفتح، [و - '] المال بيني وبينك شق
الشعرة - ويفتح : نصفان سواء، والشقة - بالكسر: شظية من لوح، ومن
العصا والثوب وغيره ما شق مستطيلا، والثقية: ضرب من الجماع^٢ كأنه
٥ على شق واحد، والشقة - بالضم والكسر: البعد والناحية يقصدها المسافر،
والسفر البعيد، وكله واضح في الفرقة. والمشقة أيضا لأنها تأخذ أحد شق
النفس. والفرس الأشق: البعيد ما بين الفروج والطويل. كأن أجزاءه
تفرقت فطال ضد ما تقدم في الصية الصغيرة، والأشق أيضا: العجل
إذا استحکم كأنه^٣ لما تأهل من شق الأرض بالحراثة، وكل ما اشتق
١٠ نصفين، والشقيقة كسفينة: الفرجة بين الجبلين: تنبت العشب، لأنها
فرقت بين الجبلين و فرقت^٤ عشبها بين ملتئم أرضها، والمطر الوابل المتسع
لأن الغيم تشقق عنه، ومن البرق ما انتشر من الأفق لأنه يشق السحاب،
ووجع يأخذ نصف الرأس والوجه، وشقائق النعمان معروف سميت
لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق - كذا قالوا، وعندى أنها سميت لتفرق
١٥ أوراقها وتصفحها فكأنها مشققة^٥ مع التجمع، والشقاق كغراب: تشقق
يصيب أرساغ الدواب، والشقشة - بالكسر: شيء كالرثة يخرج البعير
من فيه إذا هاج، كأنه يشق حلقة فيخرج ويوجب هديره الذي يشق
(١) زيد من ظ والقاموس (٢) من ظ والقاموس، وفي الأصل: الجماعة.
(٣) في ظ: لانه (٤) في اللسان: الجبلين (٥) من ظ، وفي الأصل: فرق (٦) في
ظ: مشقة.

انطباق تجويفه لصوت، ومنه شقق^١ الفحل : هدر، والعصفور : صوت، وشقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج، وشقق الخطب : فرق كل واحدة باثنتين أو أكثر، وانشقت العصا : تفرق الأمر، والاشتقاق : أخذ شق الشيء. والأخذ في الكلام / وفي الخصومة يمينا وشمالا مع ترك القصد، لأنه يشق^٢ جهات المعاني، وهو أيضا أخذ الكلمة من الكلمة، فكأنه فرق بين أجزائها، وهذا أخى وشق نفسى وشقيق، كأنه^٣ يشق [نسه - ^٤] عن نسبه^٥ أو كأنه شقه منه. وهذه السورة آخر سورة نزلت، روى^٦ البخارى فى التفسير وغيره من صحيحه عن البراء رضى الله عنه قال : آخر آية نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلفة " و آخر سورة نزلت لبرءة .

١٠.

ولما كانت مناسبة أولها - الداعى إلى البراءة من يخشى نقضه^٧ -

لآخر الأنفال المبين لمن^٨ يصلح للولاية المحتتم بشمول العلم فى حد عظيم من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها واشتباه أمرها على الصحابة فى كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران ١٥

(١) من القاموس، وفى الأصل : شقيق، وفى ظ : شقق (٢) من ظ، وفى الأصل : يشقق (٣) فى ظ : لانه (٤) زيد من ظ و القاموس (٥) من القاموس، وفى الأصل و ظ : نفسه (٦) من ظ، وفى الأصل : وفى - كذا (٧) من ظ، وفى الأصل : بغضة (٨) من ظ، وفى الأصل : لم - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل : عن .

'مع قصرها' على النساء لمثل ذلك من المناسبة، فكان ما ذكر في براءة من
 البراءة والتولى شرحا لآخر الانتقال؛ روى الإمام أحمد في المسند وأبو داود
 في السنن والترمذي في الجامع وحسنه و^٢ ابن ماجه وابن حبان في^٣ صحيحه
 وإسحاق بن راهويه وأبو يعلى والبزار والبيهقي والإمام أبو محمد إسحاق بن
 إبراهيم البستي^٤ القاضي في تفسيره - بسند الترمذي والبيهقي - والإمام أبو جعفر
 النحاس بغير سند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان
 رضي الله عنه: ما حملكم على أن عمدتم إلى الانتقال وهي من المثاني وإلى براءة
 وهي من المثني فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم
 ووضعتموها في السبع الطول؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضي الله عنه:
 ١٠ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بما^٥ - وقال البستي: ربما - يأتي عليه
 الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه شيء
 دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة
 التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت^٦ الانتقال من أوائل ما نزل بالمدينة،
 وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شديدة بقصتها،
 ١٥ فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها،
 - قال النحاس: وذهب عني أن أسأله عنها - فمن أجل ذلك قرنت بينهما

 (١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) ذكره في معجم
 البلدان - راجع البست (٤) في ظ: الى (٥) من جامع الترمذي - التفسير،
 ومسند الإمام أحمد ١/٥٧، وفي الأصل وظ: بما (٦) في ظ: كان.
 ٣٥٦ (٨٩) ولم

ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتها في السبع الطول -
 زاد ابن راهويه : وكاتنا تدعيان القريبتين - انتهى . فبين أنهما اشتبهتا عليه
 وأنه وضعهما في الطول لمناسبتهما لها على تقدير كونها سورة واحدة ؛ قال في
 القاموس : والسبع الطول - كصرد - من البقرة إلى الأعراف ، والسابعة سورة
 يونس أو الأنفال وبراءة جميعا لأنهما سورة واحدة - انتهى . وقال في ه
 الكشف : وقيل : سورة الأنفال و التوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في
 القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المثون ، وهذا قول ظاهر
 لأنهما معاً مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول ، وقد اختلف أصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : الأنفال وبراءة سورة واحدة ، وقال
 بعضهم : هما سورتان فتركت^١ بينهما فرجة لقول من يقول : هما سورتان ، ١٠
 وتركت . بسم ، لقول من يقول : هما سورة واحدة - انتهى . وعن أبي
 ابن كعب رضى الله عنه أنه قال : إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر
 اليهود ، وفي براءة نذ اليهود ، و وضعت إحداهما بجانب الأخرى .
 والمراد بالمثنائى هنا ما دون المئين^٢ و فوق المفصل ؛ قال أبو عبيد الهروى :
 قيل لها مثنائى لأن المئين جعلت مبادئى ، والتي تليها مثنائى - انتهى . ١٥
 والاحسن كون ذلك بالنسبة إلى المفصل من وجهين : الأول أن المفصل
 أول لقب جامع للسور باعتبار القصر وفوقه المثنائى ثم المثون ثم الطول ،
 فالمثنائى / ثانية له حقيقة ، وما هي ثانية للمئين ؛ إلا أن ألقينا البداءة بالطول

٤٥٩ /

(١) من ظ والكشاف ١/ ٣٨٤ ، وفي الأصل السابقة (٢) من ظ والكشاف ،
 وفي الأصل : فتركب (٣) من ظ ، وفي الأصل : المائتين (٤) من ظ ، وفي
 الأصل : للمئين .

من الطرف الآخر ، الثاني أنها لما زادت على المفصل كانت قسمة السورة
منها في ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثاني
لثنتيهما في مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها في كل من الركعتين ؛ قال
أبو جعفر النحاس : قال أبو إسحاق : حدثني بعض أصحابنا عن صاحبنا محمد
ابن يزيد أنه قال : لم تكتب في أول سورة براءة "بسم الله الرحمن الرحيم"
لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" افتتاح خير ، وبراءة أولها وعيد ونقض
للمهود فلذلك لم تكتب في أولها بسم [الله - ٢] ؛ وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال : سألت علياً رضى الله عنه : لم لم تكتب "بسم الله الرحمن الرحيم"
ههنا ؟ قال : لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان ، وهذه السورة نزلت بالسيف
١٠ ونبذ العهد وليس فيها أمان - انتهى . وبهذا أخذ الإمام أبو القاسم الشاطبي
في قصيدته حيث قال :

ومهما تصلها^٢ أو بدأت براءة^١ تنزيلها بالسيف لست * مبسلاً

وقال في الكشف : وسئل ابن عينة فقال : اسم الله سلام وأمان ،
فلا يكتب في النبذ والمخاربة ، قال الله تعالى "ولا تقولوا لمن اتقى اليك
١٥ السلم لست مؤمناً"^٦ قيل : فإن النبي صلى الله عليه وسلم [قد - ٧] كتب
إلى أهل الحرب "بسم الله الرحمن الرحيم" ! قال^٨ : إنما ذلك ابتداء ، يدعوهم
١ (١) من ظ ، وفي الأصل : قسم (٢) زيد من ظ (٣) من حرز الأمانى ٣٠ ، وفي
الأصل : فصلها ، وفي ظ : فصلها (٤) من ظ والحرز ، وفي الأصل : بقراءة .
(٥) من الحرز ، وفي الأصل و ظ : ايست (٦) سورة ٤ آية ٩٤ (٧) زيد من
الكشاف ١ / ٣٨٤ (٨) سقط من ظ .

ولم ينبذ إليهم ، ألا تراه يقول ” سلم على من اتبع الهدى “^١ فن
دعى إلى الله فأجاب ودعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى ، وأما
النبد فأنما هو البراءة و اللعنة - انتهى . ولا يعارض هذا خبر ابن عباس
عن عثمان رضى الله عنهما^٢ ، بل هو شبيه لما نزلت من غير بسملة للغنى
المذكور ، اشتبه^٣ أمرها على الصحابة رضوان الله عليهم ولم يقع السؤال عنها ه
حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت موافقتها للسور في
تسميتها باسم يخصها دليلا على أنها سورة برأسها ، ومخالفتها في ترك
إنزال البسملة في أولها مع احتمال أنها تركت للغنى المذكور أو لغيره
دليلا على أنها بعض سورة ، فقد روى أبو دأرد والحاكم في المستدرك
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف ١٠
فصل السورة - وفي رواية : لا يعلم^٤ انقضاء السورة - حتى ينزل عليه
”بسم الله الرحمن الرحيم“ . قال الحافظ أبو شامة : هذا حديث حسن ، وللحاكم
في المستدرك أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المسلمون
لا يعلمون انقضاء السورة حتى ينزل ”بسم الله الرحمن الرحيم“ فاذا نزل^٥ علم
أن السورة قد انقضت . فلما اشتبه أمرها تركوا كتابة البسملة في أولها ١٥
و^٦ فصلوها عن^٧ الأتقال قليلا - والله الموفق . هذا وقد مضى بيان تشابه
قصتيهما في أول الانتقال وأثناء الأعراف إجمالا ، وأما تفصيلا فلما

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ : منهم (٣) من ظ ، وفي الأصل :
المشتبه (٤) من ظ ، وفي الأصل : عليه (٥) في ظ : لا يعرف (٦) في ظ : نزلت .
(٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : فصلوها على .

في كل منهما من نبد العهد إلى من خيف نقضه ، وأن المسجد الحرام لا يصلح لولايته إلا المتقون ، وأن المشركين نجس لا صلاحية فيهم لقربانه ، وأن قلة حزب الله لا تضرهم إذا لزموا دعائم النصر المحس وكثرتهم لا تغنيهم إذا حصل في ثباتهم^١ لبس ، والحث على الجهاد في غير موضع ، و ضمان الغنى ٥ كما أشار إليه في الانتقال بقوله ” لهم [درجت عند ربهم و-^٢] مغفرة ورزق كريم^٣ “ و ذكر أحكام الصدقات التي هي من وادي الغنائم ، وعد أصناف كل ، و الأمر بالإتفاق المشار إليه في الانتقال بقوله ” و الذين كفروا بعضهم اولياء بعض^٤ “ أي بالتناصر في الإتفاق وغيره كما فعلوا في مال التجارة الذي أرصدوه حتى استعانوا به على غزوة أحد المشار إليه بآية ” ان الذين كفروا ينفقون اموالهم^٥ “ مع آية / ” لا تفعلوه “ و يبان

/ ٤٦٠

أحوال المناهقين المشار إليهم في الانتقال بقوله ” اذ يقول المنفقون^٦ “ - الآيه ، و الأمر الجامع للكل أنها معا في بيان حال النبي صلى الله عليه وسلم في أول أمره و أثاثه و متناه ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير في كتابه : إتصالها بالانتقال أوضح من أن يتكلف بتوجيهه^٧ حتى أن ١٥ شدة^٨ المشابهة و الالتئام - مع أن الشارع عليه السلام لم يكن بين انفصالها - أوجب أن لا يفصل بينهما بـ ” بسم الله الرحمن الرحيم “ ، و ذلك أن الانتقال قد تضمنت الأمر بالقتال ” و قاتلوه حتى لا تكون فتنة^٩ “ و بين أحكام الفرار من الزحف و حكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت و لحوق التأثيم للفرار

(١) في ظ : نياتهم (٢) زيد من القرآن سورة ٨ آية ٤ (٣) آية ٧٣ (٤) آية ٣٦ (٥) آية ٧٣ (٦) آية ٤٩ (٧) من ظ ، وفي الأصل : توجيهه (٨) من ظ ، وفي الأصل : اشد (٩) آية ٣٩ .

وأنها على [حكم - ١] الضعف و حكم الأسرى و حكم ولاية المؤمنين
و ما يدخل تحت هذه الولاية و من يخرج عنها، ثم ذكر في السورة
الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين و البراءة منهم إذا لم يوفوا،
و حكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا، و كله باب واحد، و أحكام
متواردة^٢ على قصة^٣ واحدة، و هو تحرير حكم المخالف، فالتحت السورتان هـ
أعظم التحام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين و هتك أبتارهم - انتهى .
و أما تطابق آخر الأفعال مع أولها فقد ظهر مما مضى، و أيضا فلما
ذكر في آخر التي قبلها أمر المهد تارة بينه إلى من خيفت خيافته كائنا
من كان في قوله " فأنذ إليهم على سواء " و تارة بالتمسك به عند
الآمن من ذلك في قوله " الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق " و بين ١٠
من يصلح للموالة و من لا يصلح، و ختمت بالإخبار يشمول عليه،
ابتدئت هذه السورة بالأمر بالنذ إلى ناس بأعيانهم نقضوا أو خيف منهم
ذلك، و ذلك تصريح بما أفهمته آيات الموالة في التي قبلها من أن
إحدى الفرقين لا تصلح للموالة الأخرى فقال تعالى : (برآة) أي
عظيمة، ثم وصفها بقوله : (من) أي حاصلة واصلية من (الله) ١٥
أي المحيط بصفات الكمال، فهو العالم بمن يستحق الولاية و من يستحق
البراءة (ورسولة) أي المتابع لأمره لعله به :

ولما كانوا قد توقفوا في الحديدية [كلهم - ١] أو كثير منهم تارة في

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : متواترة (٣) في ظ : قضية (٤) آية ٥٨ (٥) آية ٧٢ .
(٦) زيد لإستقامة العبارة .

نفس العهد وتارة في التأخر عن الأمر بالخلق ، ثم تابعوا في كل منهما ، وكان الكفار بمحل البعد عن كل خير ، أشار إلى ذلك بأداة الغاية ، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله إشارة إلى أنه لا يخالفه أصلاً ، وأسندت المعاهدة إليهم إشارة إلى ذلك التوقف تحذيراً من أن يقع مثله ، فقال مخبراً عن النبذ^١ الموصوف : ﴿ إلى الذين عهدتم ﴾ أى أوقعتم العهد بينكم وبينهم ﴿ من المشركين ﴾ أى وإن كانت معاهدتكم لهم^٢ إنما كانت باذن من الله ورسوله ، فكما فعلتم المعاهدة باذنهما فافعلوا النقص تبعاً لهما ، ودل سياق الكلام وما حواه من بديع الانتظام أن العهد إنما هو لأجل المؤمنين ، وأما الله ورسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذى اختاره للرسالة لأنه ما فعل ذلك به إلا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب ، وعلم أن ذلك فيمن تقض أو قارب من قوله بعد ” إلا الذين عهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً “ - الآية ؛ قال البغوى : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك^٣ كان المناقضون يرجفون الأراجيف ، وجعل المشركون ينقضون^٤ عهودا كانت^٥ بينهم ١٥ وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى ” وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم^٦ “ - الآية - انتهى . وذكر ذلك ابن إسحاق وغيره ، [ولعله أطلق هنا ولم يقيد عن خيف

(١) من ظ ، وفي الأصل : اجلا (٢) من ظ ، وفي الأصل : المبتدا (٣) من ظ ، وفي الأصل : لها (٤) زبدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ ومعالم التنزيل لحذفناهما (٥) في ظ : يبتغون (٦) في ظ : وكان (٧) آية ٥٨ .

تقصه ليكون ذلك أول السورة مؤذنا بأن الحياة و الهمة بالنقض شأن أكثرهم ولا سيما مشركو قريش ، وهم - لكون قريش رؤس الناس والناس تبع لهم في الخير و الشر - يستحقون أن يعبر عنهم بما يفهم الكل - '] ، ومبنى هذه السورة على البراءة من المشركين والموالاة للمؤمنين الدال على إيمانهم طاعة الله بالصلاة و الزكاة و الجهاد لمن أمر بالبراءة منه قل أو أكثر قرب أو بعد في المنشط و المكروه و العسر و اليسر .

ولما كان ظاهر الحال وقت تكامل نزولها - وهو شوال أو ذو القعدة

أو ذو الحجة سنة تسع بعد مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك -

/ أن الحرب قد وضعت أوزارها و أطفئت نارها بتبسط الإسلام في الخاص و العام ، ما بين اليمن و الشام ، و انتشار ألوته و أعلامه ، و تأيد رئيسه ١٠ و إمامه بقهر جيوش الكفار ، و قصد الناس له بالمبايعة من جميع الأمصار ، أكد أمر الجهاد و مصادمة الانداد في هذه السورة تأكيداً لم يؤكد في غيرها ؛ ذكر الواقدي في آخر غزوة تبوك كلاماً ثم قال : قالوا : و قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة - يعني من غزوة تبوك -

في رمضان سنة تسع ثم قال : و جعل المسلمون يبيعون أسلحتهم و يقولون : ١٥ قد انقطع الجهاد ، لجعل القوى منهم يشترها لفضل قوته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهام عن ذلك و قال : لا تزال عصابة

(١) زيد ما بين الحازين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : بالمتابعة (٣) من ظ و المغازي ١٠٥٧/٣ و في الأصل : يتبعون (٤) - قط من ظ (٥) من ظ و المغازي ، و في الأصل : لا يزال .

من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال . وإنما قلت : إن تكامل نزولها كان في شوال أو في ذي القعدة أو في ذي الحجة لأن البغوى نقل عن الزهرى أن أولها نزل في شوال ، وقال ابن إسحاق - ونقله عنه البيهقي في دلائل النبوة - : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منصرفه من تبوك بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر رضى الله عنه أميراً على الحج في سنة تسع لقيم للمؤمنين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم^١ من حجهم - وأيسد البيهقي في دلائله إلى عروة قال : فلما أنشأ الناس الحج تمام سنة^٢ تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الناس وكتب له سنن الحج - انتهى . فخرج أبو بكر والمؤمنون رضى الله عنهم ونزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و [بين - ^٢] المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينهم وبينه أن لا يصد عن البيت أحد^٣ جاءه ولا يخاف أحد في الشهر الحرام ، وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس من أهل الشرك ؛ ونقل أبو محمد البستى عنه أنه قال : فكانت هذه المدة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين العرب أنه لا يصد أحد عن البيت ولا يتعرض لحاج ولا معتبر ، ولا يقاتل في الشهر الحرام ، وكان أباناً مستفيضاً من بعضهم لبعض على غير مدة معلومة ؛ رجّع إلى ما رأيته أنا في سيرته : وكانت بين ذلك عهد بين رسوله صلى الله عليه وسلم وبين

(١) من ظ وسيرة ابن هشام ٤/٣ و٤ ، وفي الأصل : منازلهم (٢) من ظ ؛ وفي الأصل : السنة (٣) زيد من السيرة (٤) في ظ : احداً (٥) في ظ : انه .

قِبَاطِلُ مِنَ الْعَرَبِ خِصَائِصٌ إِلَى آجَالٍ مَسَاءَةً فَتَزَلَّتْ فِيهِ وَفِيْمِنْ^١ تَخْلَفُ
 مِنَ الْمُنَاقِقِينَ [عنه - ٢] فِي تَبُوكٍ وَفِي قَوْلٍ مِنْ قَالَ مِنْهُمْ، فَكَشَفَ اللَّهُ
 فِيهَا سِرَّائِرَ أَقْوَامٍ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِغَيْرِ مَا يَظْهَرُونَ؛ ثُمَّ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ:
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ عِبَادِ بْنِ حَنِيفٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ
 مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ه
 وَكَانَ كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَقِيمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ قِيلَ لَهُ:
 يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَوْ بَعَثْتَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ! فَقَالَ: لَا يُوَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِي^٢، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ [له - ٣]:
 أَخْرِجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ فَأُذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النُّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا
 بِمَنَى أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحْجُجُ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ ١٠
 بِالْبَيْتِ عَرِيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ فَهُوَ
 لَهُ إِلَى مَدَّتِهِ. فَهَذَا فِيهِ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ سَفَرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا
 قِيدَتْ أَنَا بِتَكَامُلِ نَزْوِلِهَا لِأَنَّهُ وَرَدَ أَنَّ الَّذِي فِي النُّقْضِ فَبَعَثَ بِهِ عَلِيًّا
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^٤ إِنَّمَا هُوَ عَشْرَ آيَاتٍ أَوْ سَبْعٍ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ التَّصْرِيحُ
 بِنَزْوِلِهَا قَبْلَ سَفَرِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَفِي زِيَادَاتٍ مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ ١٥
 عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ بَرَاءَةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا أَبَا بَكْرٍ^٥ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَهُ بِهَا لِيَقْرَأَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ،
 ثُمَّ دَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ^٦: أَدْرِكْ أَبَا بَكْرٍ، فَبِئْسَ مَا لِحَقَّتْهُ

(١) مِنْ ظَ وَالسِّيرَةِ، وَفِي الْأَصْلِ: فِي (٢) زَيْدٍ مِنَ السِّيرَةِ (٣) مِنْ ظَ
 وَالسِّيرَةِ ٣/٥٠، وَفِي الْأَصْلِ: بَيْنَ (٤) فِي ظَ: إِنَّمَا (٥ - ٥) سَقَطَ مَا بَيْنَ الرَّقِيقِ
 مِنْ ظَ (٦) فِي الْأَصْلِ وَظَ: أَبِي بَكْرٍ - كَذَا (٧) سَقَطَ مِنْ ظَ.

فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم - فذكره ، وفيه
 أن / أبا بكر رضى الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما رجع : أنزل
 في شيء ؟ قال : لا ، ولكن جبريل عليه السلام جاءني فقال : لن يؤدي عنك
 إلا أنت أو رجل منك ، ونقل البغوى عن ابن إسحاق أنه صلى الله عليه
 وسلم بعث مع أبي بكر بأربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على
 أهل الموسم ، ثم بعث بعده عليا على ناقته المضيئة ليقرأها على الناس [صدر-^١]
 براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة^٢ . وفيه أن أبا بكر رضى الله
 عنه قال : يا رسول الله ! أنزل في [شأنى-^١] شيء ؟ قال : لا ، ولكن
 لا ينبغي لأحد أن يبلغ هذا الأمر^٣ إلا رجل من أهلى . فبين أن الأول
 ١٠ من إطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الذى فيه البراءة ، وما سميت
 السورة براءة إلا به ، وأن المعنى : لا يؤدي عنى^٤ فى اليهود ، لا مطلقا ،
 فقد أرسل رسلا^٥ للأداء عنه من غير أهل بيته ؛ وقال المهدوى^٦ فى تفسير
 "فسبحوا فى الارض" : وروى أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله
 عليه وسلم بعد خروج^٧ أبى بكر بالناس ليحج بهم ستة تسع ، فبعث
 ١٥ بها النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ليتلوها على الناس بالموضع
 الذى يجتمع فيه الفريقان وهو منى ، وأمره أن ينادى أن لا يحج بعد
 (١) زيد من العالم - راجع لباب التأويل ٤٩/٣ (٢) زيد فى العالم : أن قد برئت
 ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت
 عريان (٣) فى ظ : الخبر ، وسقط من العالم (٤) زيد فى ظ : الا (٥) فى ظ :
 رسولا (٦) فى ظ : الهدى (٧) من ظ ، وفى الأصل : خروجه .

العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، فنأدى على وأعانه أبو هريرة وغيره رضى الله عنهم، وكان على مكة حينئذ عتاب بن أسيد رضى الله عنه، استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو عام ثمان، وكان حج عتاب وأبي بكر سنة تسع في ذي القعدة - كذا قال وسيأتى بيان بطلانه^٢، وتقدم خلافة عن ابن إسحاق في^٣ دلائل النبوة؛ وقال الإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي في تفسيره: حدثنا قتيبة عن^٤ الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من تبوك فأراد الحج فقال: إنه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فأرسل أبا بكر وعلياً رضى الله عنهما، قطافاً في الناس بنى الحجاز وبأمكنهم التي^٥ كانوا يتبايعون بها كلها وبالموسم كله، وأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر - يعنى أشهر الحرم المنسلخات المتواليات: عشرون من آخر ذي الحجة إلى عشر يخلون^٦ من ربيع الآخر، ثم لا عهد لهم، فأذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا، فأمن الناس^٧ أجمعون. وفي سيرة ابن إسحاق: حدثنا يونس - يعنى ابن بكير - عن أسباط [بن -] ^٨ ١٥ نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي "فسيحوا في الأرض

(١) في ظ: أبو بكر (٢) في ظ: بطانه (٣) في الأصل و ظ «و» (٤) في ظ: حدثنا (٥) والعبارة من هنا إلى «إلى عشر» ساقطة من ظ (٦) وفي رواية الطبري بهذا الطريق: نهى - راجع جامع البيان (٧) من جامع البيان، وفي الأصل: تخلو، وفي ظ: تخلو (٨) زيد في ظ: كلهم (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من تهذيب التهذيب.

اربعة اشهر" قال : عشرين من ذى الحجة إلى عشر من ربيع الآخر ثم لا أمان لأحد ولا عهد إلا السيف أو الإسلام ؛ وقال ابن هشام : حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب رضى الله عنه فأذن في الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى ما منهم ؛ وللمزمذى عن زيد بن أسبع^٥ قال : سألت عليا رضى الله عنه : بأى شئ بعثت ؟ قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهد إلى مدته ومن لا مدة له فأربعة أشهر^٦ . ونقل ابن سيد الناس عن ابن عائذ^{١٠} أنه لما ضرب للمشركين هذا الأجل قالوا : بل الآن لا نبتغي تلك المدة ، نبرأ منك ومن ابن عمك إلا بالضرب^٧ والطعن ؛ فحج الناس عامهم ذلك ، فلما رجعوا رغب الله المشركين فدخلوا في الإسلام طوعا وكرها ، وصدق الله ورسوله فلم ينج بعد ذلك [العام -^٨] مشرك ولم يطف بالبيت عريان . وقد وردت نصوص وظواهر في كثير من سورة براءة أنه نزل قبل الرجوع عن تبوك أو قبل الاعتذار ، فمن النصوص قوله تعالى " لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك

(١) من السيرة ٣/ ٥٠ ، وفي الأصل وظ : امر (٢) وفي تهذيب التهذيب : زيد ابن أسبع ، ويقال : أنيع (٣) ساقه الترمذى في أبواب التفسير مع تقديم وتأخير بالنسبة إلى هنا (٤) من ظ ، وفي الأصل : عائذ ؛ وابن عائذ هو محمد الكاتب الدمشقى له مغازى النبي صلى الله عليه وسلم (٥) من ظ ، وفي الأصل : من الضرب (٦) زيد من ظ .

ولكن / بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، وقوله
 "فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا
 معي ابدا" - الآيات، "يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا
 لن تؤمن لكم قد بانا الله من اخباركم - إلى أن قال : سيحلفون بالله لكم
 اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم" - الآيات، وأما الظواهر فان الواقدي ه
 قال في سيرته : [فأنزل من القرآن في غزوة تبوك، ثم ذكر أكثر سورة -^١]
 براءة وقال هو وغيره من أصحاب السير : وكان رهط من المنافقين
 يسرون مع النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك منهم ودیعة بن ثابت -
 فذكر القصة التي فيها أن بعضهم قال ترهبا للمؤمنين : أتحيسون قتال
 بنی الاصفر كقتال غيرهم؟ والله لكانا^٢ بكم غدا مقرنين في الجبال، وقال ١٠
 كل منهم شيئا إلى أن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبار بن
 ياسر : أدرك النجوم فانهم قد احترقوا^٣ فسلمهم عما قالوا، فان أنكروا فقل :
 بلى^٤، قلتم كذا وكذا - إلى أن قال : إن بعضهم قال : إنما كنا نخوض
 ونلعب فأنزل الله فيه "وإئن سألهم ليقولن^٥ إنما كنا نخوض ونلعب -
 إلى قوله - بانهم كانوا مجرمين" ثم قال : وجاء الجلاس إلى رسول الله ١٥
 صلى الله عليه وسلم فخلف ما قال من ذلك شيئا، وكان قد قال : إن
 كان محمد صادقا فتحن شر من الخير، فأنزل الله عز وجل فيه^٦ "يحلفون بالله
 ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر" - إلى آخرها، فاعترف الجلاس حينئذ

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : لكننا (٣) من ظ والغزى ٣ / ١٠٠٤، وفي
 الأصل : احترقوا (٤) من الغزى، وفي الأصل و ظ : بل (٥) في ظ : لنقولن -
 (٦) سقط من ظ .

و تاب و حسنت توبته ، و ذكر مسجد الضرار و أن أهله كانوا سألوا
النبي صلى الله عليه و سلم و هو متجهز إلى تبوك أن يصلى لهم فيه فاعتذر
إليهم بشغله بالسفر و وعدم أن يصلى فيه إذا رجع ، فلما نزل صلى الله
عليه و سلم بذي أوان - قال ابن هشام : بلد^١ بينه و بين المدينة ساعة
من نهار - أتاه خبره و خبر أهله من السماء ، فدعا^٢ اثنين^٣ من أصحابه
فأمرهما [به - ؛] فأحرقاه ، و تفرق أهله و نزل فيه من القرآن ما نزل
” و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا “ - إلى آخر القصة ؛ قال الواقدي :
وكان عاصم بن عدى يقول : كنا نتجهز إلى تبوك مع النبي صلى الله
عليه و سلم فرأيت عبدا لله بن نبتل^٤ و ثعلبة بن حاطب قائمين على مسجد
الضرار - إلى أن قال : فوالله ما رجعنا من سفرنا^٥ حتى نزل القرآن
بذمه و ذم أهله ” و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا “ - إلى آخرها ، و من
ذلك تسميتها بالفاضحة ، فلو لا نزولها قبل معرفة أخبارهم لم تكن فاضحة ،
و هي في الظاهر للعاهدين و في الباطن مشيرة^٦ إلى أهل الردة و أن لا يقبل
منهم إيمان ما لم يجمعوا بين الصلاة و الزكاة كما^٧ فهم أبو بكر رضى الله عنه ،
١٥ و أقيمت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلاة و الزكاة في سياق
الإيمان تكريرا لم يكن في غيرها من السور ، فهي من أعلام النبوة ؛

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : فندب (٣) و هما مالك بن الدخشم و عاصم بن
عدى - كما في المغازي و السيرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و المغازي ١٠٤٨/٣ ،
و في الأصل : نبيل (٦) من ظ و المغازي ، و في الأصل : سورة (٧) في ظ :
بشيرة (٨) من ظ ، و في الأصل : لا .

و روى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم القاضي البستي في تفسيره عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهما : عشر منها في براءة ،
وعشر في الأحزاب ، وعشر في المؤمنين^١ و سال سائل .

ولما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم ، وكانوا محتاطين مع أهل
الإسلام ، جعل لهم مخلصا إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلمهم^٥
بأنه لا خلاص لهم لأنهم^٢ في قبضته ، فقال مخاطبا لهم ولكل مشرك مسييا
عن البراءة : (فسيجوا) و السياحة : الاتساع في السير و البعد عن المدن
و العماره مع الإقلال من الطعام و الشراب ، و لذلك يقال للصائم : سائح ،
و المراد هنا مطلق السير .

و لما كانت السياحة تطلق على غيره ، حقق المعنى بقوله : ١٠
(في الارض) أى في أى جهة شتم (اربعة اشهر) أى [من -]
أيام الحج ، فيكون آخرها عشر شهر ربيع الآخر ، تأمنون^٣ فيها منا ،
لا نعرض لكم بسوء ، بل تذهبون فيها حيث شتم ، أو ترمون حصونكم
و تهيتون سلاحكم و تلبون شعثكم لا تغدركم^٤ ، لأن ديننا مبني على المحاسن ،
و لو لا أن الأمر يتعلق / بنفوسنا ما نبذنا عهدكم و لا نقضنا عقدكم ، ١٥ / ٤٦٤
ولكن الخطر في النفس و قد ظهرت منكم أمارات الغدر و لوائح الشر
و عن أى نفس بعد نفسى أقاتل ، فإذا انتقضت الأربعة الأشهر فتهيئوا
لقتالنا و تدرعوا لنزالنا .

و لما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيا ، و قوى بعد أن كان

(١) في ظ : المؤمنون (٢) في ظ : بأنهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في
الأصل : يأمنون (٥) في ظ : لا تغدركم .

ضعيفا ، افصح وعظهم بالكلمة التي تقال أولا لمن يراد تقريع سمعه وإيقاظ قلبه و تنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغي مزيد الاعتناء به فقال :
 ﴿واعلموا انكم﴾ أى 'أيها الكفرة وإن كثرتم ﴿غير معجزى الله لا﴾
 لأن علمه محيط بكل شىء فهو قادر على كل ممكن ﴿وان الله﴾ أى
 ٥ لما له من الإحاطة بالجلال والإكرام ﴿مخزى الكافرين﴾ أى كلهم
 منكم ومن غيركم فى الدنيا والآخرة لأن قوله قد سبق بذلك ، ولا يبدل
 القول لديه ، [والإخزاء : الإذلال مع إظهار الفضيحة والعار - ٢] ،
 وأظهر الوصف موضع الضمير تعميما وتعليقا للحكم به ، ولعل الالتفات
 إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حذبا على قريب أو عشير
 ١٠ فهو منهم ، وقد برئت منه الذمة ، فلينج نفسه ولا نجاه له ، أو^٢ يكون
 لاستعطاف الكفار تلذيد الخطاب وترهيبهم بزواج العقاب .

ولما أنزل البراءة ، أمر بالإعلام^٤ بها فى المجمع الأعظم ليقطع
 الحجب ، فقال عاطفا ظهرة الجملة إلى مضمونها : الإخبار بوجوب الإعلام^٥
 بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة : ﴿واذان﴾ أى وهذا
 ١٥ إعلام وإعلان واقع و' واصل ﴿من الله﴾ أى المحيط بجميع صفات
 العظمة ﴿ورسوله﴾ أى الذى عظمت من عظمته ، فلا يوجهه إلى شىء
 إلا أعلاه عليه ؛ ولما كان المقصود الإبلاغ الذى هو وظيفة الرسول .
 عداه بحرف الانتهاء فقال : ﴿الى الناس﴾ أى كلهم من أهل البراءة
 (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ «و» (٤-٥) سقط ما بين
 الرقین من ظ .

و غيرهم (يوم الحج الاكبر) فيده لأن العمرة تسمى الحج الاصغر .
ولما كان كأنه قيل : ما هذا الإعلام ؟ قال مفسرا له مصرحا بما
هو المقصود اثلا يقع فيه نوع لبس حاذفا الصلة إعلاما بأن هذا مستأنف
على تقدير سؤال سائل ، لا معمول لأذان : (ان الله) أى الذى له الغنى
المطلق و القوة الباهرة (برىء من المشركين) أى الذين لا عهد لهم^٥
خاص فلا مانع من قتالهم ، [قيل : و الذين وقعت البراءة منهم صنفان :
أحدهما كانت مدته دون أربعة أشهر فرفع إليها ، و الآخر مدته بغير حد
فقصر عليها ، و من لم يكن له عهد فهو أولى ، و من كان عهده محدودا
بأكثر من أربعة أشهر و لم يحدث شرا أمر بآتمام عهده إلى مدته -^٢]
(و رسوله) أى برىء منهم ، فهو مرفوع عطفا على المنوى فى " برىء " ١٠
أو على محل " ان " المكسورة و اسمها عند من كسرهما ، و قرئ بالنصب
عطفا على اسم " ان " أو لأن^٣ الواو بمعنى مع ، و بالجر على الجوار ،
و قيل : على القسم - قاله فى الكشف ، قال : و يحكى أن أعرابيا سمع
رجلا يقرأها فقال : إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء ، فلبى
الرجل إلى عمر رضى الله عنه فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر ١٥
رضى الله عنه بتعلم^٤ العربية ؛ و روى الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن
بشار الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف و الابتداء بسنده عن ابن أبى
مليكة قال : قدم أعرابي فى زمان^٥ عمر رضى الله عنه فقال : من يقرئنى
(١) من ظ ، و فى الأصل : لكم (٢) زيد من ظ (٣) من الكشف ١ / ٢٨٥ ،
و فى الأصل : لا ، و فى ظ : ان (٤) فى ظ : بتعليم (٥) فى ظ : زمن .

ما أنزل الله^١ على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل [براءة - ٢] فقال :
 ” ان الله برئ من المشركين ورسوله “ - بالجر ، فقال : أو قد برئ الله من
 رسوله ؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر رضى الله عنه
 مقالة الأعرابي فدعاه - يعنى فسأله فأخبره - فقال عمر رضى الله عنه : ليس
 هكذا يا أعرابي ! قال : فكيف هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال ” ان الله برئ
 من المشركين ورسوله “ فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله
 منه . فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة ،
 وأمر أبا الأسود فوضع النحو ؛ ونحو ذلك فى الاهتمام بشأن العربية
 ما حكاه الشريف محمد بن أسعد الجوانى فى النسابة فى كتابه فى الأنساب فى
 ١٠ ترجمة أبى الأسود الدؤلى بسنده إليه أنه قال : دخلت على أمير المؤمنين
 ” على رضى الله عنه فرأيت مطرقاً مفكراً فقلت : فم تفكر يا أمير المؤمنين ؟
 فقال : إني سمعت بيلدكم^٢ هذا الحنا ، فأردت أن أضع كتاباً فى أصول
 العربية ، فقلت [له - ٣] : إن فعلت / هذا بقيت فىنا هذه اللغة ، ثم أتيت
 بعد أيام فأتيت إلى صحيفة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، ” الكلام كله اسم
 ١٥ وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة

/ ٤٦٥

- (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و هامش المحكم فى نقط المصاحف ٤ ، وقد
 ذكر هذا الحديث ها - لإحالة على كتاب الوقف والابتداء - بأطول مما ها .
 (٣) من هامش المحكم ، وفى الأصل وظ : الا يقرأ (٤) من ظ ومعجم المؤلفين
 ٤٩/٩ ، وفى الأصل : الجوالى - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٦) فى ظ : بيلدكم - كذا (٧) زيد من ظ .

المسمى ، و الحرف ما أنبأ عن معنى ايس باسم ولا فعل ، ثم قال : تتبعه
 وزد فيه ما وقع لك ، واعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر و مضمّر و شيء
 ايس بظاهر ولا مضمّر . وإنما يتفاضل الناس في معرفة ما ليس بمضمّر^١
 ولا ظاهر ، قال أبو الأسود الدؤلى : فجُمعت أشياء فعرضتها عليه ، فكان
 من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها إن وأن وليت ولعل و كأن ، ه
 ولم أذكر لكن ، فقال لى : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها فيها ، فقال : بل^٢
 هى منها فزدها فيها^٣ ؛ وقال أبو بكر محمد بن الحسن الزيدى فى طبقات
 النحويين : وقال أبو العباس محمد بن يزيد : سئل أبو الأسود الدؤلى عن
 فتح له^٤ الطريق إلى الوضع فى النحو وأرشده إليه ، فقال : تلقته^٥ من على
 ابن أبى طالب ، وفى حديث آخر : ألقى إلى أصولا احتذبت عليها^٦ ١٠
 وفى مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المربزبانى : كان على بن
 أبى طالب رضى الله عنه قد رسم لأبى الأسود الدؤلى حروفا يعلمها الناس
 لما فسدت ألسنتهم فكان لا يجب أن يظهر ذلك ضنابه بعد على رضى الله
 عنه ، فلما كان زياد وجه إليه أن اعمل شيئا تكون فيه إماما وينتفع
 به الناس فقد كنت شرعت فيه لتصلح ألسنة الناس ، فدافع بذلك حتى ١٥
 مر يوما بكلاب البصرة وإذا قارئ يقرأ ” ان الله برىء من المشركين
 ورسوله “ وحتى سمع رجلا قال : سقطت عصائى ، فقال : لا يحل لى
 بعد هذا أن أترك الناس ! فجاء إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير
 (١) فى ظ : ضمير (٢) فى ظ : بلى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 لقيه ، وفى الإصابة : لقنته .

فليبتغ [لى - ١] كتاباً^١ حصيفاً ذكياً يعقل ما أقول، فأنى بكتاب من
عبد القيس ظم يرضه، فأنى بآخر [من - ١] ثقيف؛ وقال ابن الأنباري
في كتاب الوقف: حدثني أبي^٢ قال: حدثنا^٣ أبو عكرمة قال: قال العتيبي^٤:
كتب معاوية إلى زياد^٥ يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلمه فوجده
يلحن، فردّه إلى زياد^٥ وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله
بضيع؟ فبعث زياد إلى أبي الأسود فقال: يا أبا الأسود! إن هذه الحراء
قد كثرت وفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس
كلامهم ويعربون [به - ٦] كتاب الله، فأنى ذلك أبو الأسود وكره
إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً فقال^٦ له: أقعد في طريق أبي
الأسود، فاذا مر بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل
ذلك، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ^٧ "إن الله يرى من
المشركين ورسوله"، فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال: عز وجه الله أن
يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا. قد أجبتك
إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بأعراب القرآن، فابعث إلى ثلاثين رجلاً،
١٥ فأحضرهم زياد فاختر منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى
اختر منهم رجلاً من عبد القيس، فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف
(١) زيد من ظ (٢) في ظ: كتابا (٣-٢) في ظ: نا (٤) من ظ والمحكم في نقط
المصاحف ٢، وفي الأصل: العيني (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد
من ظ والمحكم (٧) من ظ والمحكم، وفي الأصل: وقال (٨) في المحكم: فقال -
(٩) في المحكم: يختار منهم.

لون المداد، فاذا فتحت شقي^١ فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضمتهما^٢ فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما^٣ فاجعل النقطة في^٤ أسفله، فإن أتبت شيئا من هذه الحركات غنة^٥ فانقط نقطتين، فابتدا بالمصحف حتى آتى / على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ٤٦٦/

ذلك - انتهى . و يوم الحج المذكور هنا للجنس. أى في جميع أيام الحج - ه
قاله^٦ سفيان الثوري - كيوم صفين و الجمل و بعاث^٧ يراد به الحين و الزمان الذى كان فيه ذلك، ولذلك^٨ نادى^٩ على^{١٠} رضى الله عنه بنفسه و من ندبه لذلك في جميع تلك الأيام؛ و قال أبو حيان: الظاهر أنه يوم واحد فقال عمر رضى الله عنه و جماعة: هو يوم عرفة، و روى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قال أبو موسى رضى الله عنه و جماعة: هو يوم التجر، ١٠
و قيل: أيام الحج كلها - قاله^{١١} سفيان بن عيينة. [قال ابن عطية - "]: و الذى تظاهرت^{١٢} به الأحاديث أن عليا رضى الله عنه أذن بتلك الآيات^{١٣} يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر رضى الله عنه، ثم رأى أنه لم يعم الناس بالإسماع

(١) من المحكم ٤، و فى الأصل و ظ: ضمتهما (٢) من المحكم، و فى الأصل و ظ: كسرتها (٣) من المحكم، و فى الأصل و ظ: الى (٤) من المحكم، و فى الأصل و ظ: عنه، و المراد بالغنة التنوين (ه) فى ظ: قال (٦) فى ظ: بعاث، و قول سفيان هذا مذكور فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٣/ ٤٩ (٧) فى ظ: لهذا (٨) سقط من ظ (٩) من البحر المحيط ٧/ ٥، و فى الأصل: قال، و فى ظ: قال أبو (١٠) زيد من البحر (١١) من البحر، و فى الأصل و ظ: تظاهرت (١٢) فى ظ: الأيام.

فتتبعهم بالأذان بها [أيضا - '] يوم النحر ، وفي ذلك اليوم بعث
أبو بكر رضى الله عنه من بعينه بها كأبى هريرة وغيره رضى الله عنهم
ويتبعوا^٢ أيضا أسواق العرب كذى المجاز وغيره ؛ وبهذا يرجح قول
سفيان - انتهى - وروى عبد الرزاق عن علي رضى الله عنه أنه يوم النحر ،
ه وقال في تفسيره أيضا : أخبرنا معمر عن الحسن قال : إنما سمي الحج
الأكبر لأنه حج أبو بكر رضى الله عنه الحجة التي حجها ، واجتمع فيها^٣
المسلمون والمشركون ، ووافق [أيضا - '] ذلك^٤ [عيد اليهود
و النصرى - '] .

[ولما أعلم سبحانه بالبراءة عنها ، سبب عنها - '] مرغبا مرها قوله
١٠ التفاتنا إلى الخطاب : (فان تقيم) أى عن الكفر والغدر (فهو)
أى ذلك الأمر العظيم وهو المتاب (خير لكم) أى لأنكم تفوزون في
الوفاء بالأمان في الدنيا ، وفي الإسلام بالسلامة في الدارين .

ولما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال : (وان توليتم)
أى كلفتم أنفسكم خلاف ما تشتهى من التوبة موافقة للفطرة الأولى ،
١٥ وأصررتهم على الكفر والغدر اتباعا للهوى المكتسب من خيالة^٥ الجيلة
ورداة الاخلاط التي قعدت بالروح عن أوجهها الأولى إلى الحضيض
الاسفل (فاعلموا) أى علما لا شبهة فيه^٦ (انكم غير معجزى الله^٧)

(١) زيد من البحر (٢) في ظ : تتبعوا (٣) من جامع البيان تفسير آية ٣ ، وفي
الأصل و ظ : فيه (٤) زيد من ظ و جامع البيان (٥) ليس في الجاسع (٦) زيد
من ظ (٧) في ظ : خيالة (٨) سقط من ظ .

أى لأن له صفات الكمال من الجلال و الجمال ، و الالتفات هنا مثله^١
فى " فسيحوا " و الإشارة به إلى ما ذكر فى ذلك .

و لما واجههم بالتهديد ، أعرض عنهم وجه الخطاب تحقيرا لهم
مخاطبا لأعلى خلقه مبشرا^٢ له فى أسلوب التهكم بهم ، فقال عاطفا على
ما تقديره : فبشر الغادرين بالخذلان ، أو فبشر التائبين بنعيم مقيم : هـ
(و بشر الذين كفروا) أى أوقعوا هذا الوصف (بعذاب اليم لا)
أى فى الدنيا و الآخرة أو فيها .

و لما أعلمهم بالبراءة و بالوقت الذى يؤذن بها فيه ، و كان معنى البراءة^٣
منهم أنه لا عهد لهم . استثنى بعض المعاهدين فقال : (الا الذين عهدتم)
أى أوقعتم بينكم و بينهم عهدا (من المشركين ثم) أى بعد طول المدة ١٠
اتصفوا بأنهم (لم ينقصوكم شيئا) أى من الامارات الدالة على الوفاء
فى أنفسهم كما نقض بنو الديل من بنى بكر فى قتالهم لخزاعة حلفاء التى
صلى الله عليه وسلم (و لم يظاهروا) أى تعاونوا معاونة تظهر (عليكم احدا)
أى من أعدائكم كما ظهرت قريش حلفاءهم من بنى الديل على حلفائكم
من خزاعة (فاتموا) و أشار إلى بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال : ١٥
(اليهم عهدهم الى مدتهم^٤) أى و إن طالت ؛ قالى البغوى : و هم بنو ضمرة

(١) من ظ ، و فى الأصل : قبله (٢) من ظ ، و فى الأصل : مشيرا (٣) زيد بعده
فى الأصل : مفهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٤) من ظ ، و فى
الأصل : قال .

حتى من كثاته ، و كان قد بقي من عهدهم تسعة أشهر ، و كان السب فيه أنهم لم ينقضوا ؛ و قال النحاس : و يقال : إن هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة ؛ و قال أبو محمد البستي : حدثنا قتيبة [قال - ٢] : ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : كان بين بني مدلج و خزاعة عهد ، و هم الذين قال الله " فأتوا إليهم عهدهم الى مدتهم " .

و لما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى ، و كان الأمر بالإحسان إلى شخص من أفعال المحب ، قال / تعالى معللا : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المتقين ٥ ﴾ أى يفعل بهم و بكم أفعال المحب ، فهو قول حاث للكل على التقوى ، و كل ينزله على ما يفهم ، فهو ١٠ من الإعجاز الباهر .

و لما قرر أمر البراءة إثباتا و نفيا ، أمر بما يصنع بعد ما ضربه لهم من الاجل فقال : ﴿ فاذا ﴾ أى قسب عن ذلك أنه إذا ﴿ انسلخ ﴾ أى انقضى و انجرد و خرج و مضى ﴿ الاشهر الحرم ﴾ أى التى حرمت عليكم فيها قتالهم ٢ و ضربتها أجلا لسياحتهم ، و التعريف فيها مثله " فارسنا الى ١٥ فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ٤ " ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ أى الناكثين الذين ضربتم لهم هذا الاجل إحسانا و كرما ؛ قال البغوى : قال الحسن بن الفضل : هذه الآية تنسخ * كل آية فى القرآن فيها ذكر الإعراض و الصبر على

(١) فى معالم التنزيل : مدتهم - راجع لباب التأويل ٣ / ٥٠ (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) فى ظ : قتالكم (٤) سورة ٧٣ آية ١٦ (٥) من ظ . و فى الأصل : ينسخ ، و فى معالم التنزيل : نسخت - راجع لباب التأويل ٣ / ٥١ .

أذى الأعداء - انتهى - ومعنى (حيث وجدتموه) أى فى حل أو حرم فى شهر
 حرام أو غيره (وخدمهم) أى بالأسر (واحصروهم) أى بالحبس عن إتيان
 المسجد والتصرف فى بلاد الإسلام وكل مقصد (واقعدوا لهم) أى لأجلهم
 خاصة فإن ذلك^١ من أفضل العبادات (كل مرصد ج) أى ارصدوهم
 وخدمهم بكل طريق يمكن ولو على غرة [أو -^٢] اغتيالاً من غير دعوة، ه
 واتصابه على الظرف لأن^٣ معنى اقعدوا لهم: ارصدوهم، ومتى كان العامل
 فى الظرف المختص [عاملاً -^٤] من لفظه أو من معناه جاز أن يصل
 إليه بغير واسطة^٥ 'فى' فكما يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان
 بمعناه فكذلك إلى الظرف - ذكره أبو حيان، والتعبير بالقيود للإرشاد
 إلى التأتى، وفى الترصد والاستقرار^٦ والتمكن وإيصال الفعل إلى الظرف ١٠
 إشارة إلى أن يشغلوا فى الترصد كل جزء من أجزاء كل مرصد إن
 قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بـ 'فى' فإنه إنما يدل على شغل كل مرصد
 الصادق بالكون فى موضع واحد منه أى موضع كان .

ولما أمر تعالى بالتضييق عليهم، بين ما يوجب الكفر^٧ عنهم فقال:

(فان تابوا) أى عن الكفر (واقاموا) أى وصدقوا دعواهم التوبة ١٥
 بالينة العادلة بأن أقاموا (الصلوة واتوا الزكاة) أى فوصلوا^٨

(١) فى ظ: ذاك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ؛ وفى الأصل: لأنه (٤) زيد من
 البحر المحيط ه ١٠ (٥) من ظ و البحر، وفى الأصل: واسطة (٦) من ظ
 والبحر، وفى الأصل: وكما (٧) فى ظ: الاستغراق (٨) من ظ، وفى الأصل:
 الكفر (٩) فى ظ: توصلوا .

ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلاق خضوعا لله تعالى وتركاً
للفساد ومباشرة للصالح على الوجه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان ﴿ غفلوا ﴾ [أى - '] بسبب
ذلك ﴿ سيلهم ﴾ أى بأن لا تعرضوا لشيء مما تقدم لأن الله يقبل ذلك
٥ [منهم - '] ويغفر لهم ما سلف ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له
الجلال والإكرام ﴿ غفور رحيم ﴾ أى يبلغ المحو للذنوب التى تاب
صاحبها عنها والاتباع له بالإكرام .

ولما سد عليهم طريق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها
بالشهيد المذكورين^٢ سدا مطلقا ، وفتح عند الاتصاف بها فتحا مطلقا ،
١٠ عطف على ذلك طريقا آخر وسطا مقيدا فقال : ﴿ وان احد من المشركين ﴾
أى الذين^٣ أمرناكم بقتالهم ﴿ استجارك ﴾ أى طلب أن تعامله فى الإكرام
معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة ﴿ فاجره ﴾ أى فآمنه [و - ']
دافع عنه من يقصده بسوء ﴿ حتى يسمع كلم الله ﴾ أى الملك الأعظم
بسماع التلاوة الدالة عليه ، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحامين ويتحقق
١٥ أنه ليس من كلام الخلق . ولما ذكر إجارته ، وكان له بعدها توبة
وإصرار ، وكان حال التائب قد ذكر ، بين ما يفعل به إن أصر فقال :
﴿ ثم ابغته ﴾ [أى - '] إن أراد الانصراف ولم يسلم ﴿ مآمنه ﴾
أى الموضع الذى يأمن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المآمن^٤ إن شئت من غير
(١) زيد من ظ (٢) في ظ : المذكورة (٣) من ظ ، وفي الأصل : الذى .
(٤) سقط من ظ .

غدر ولا خيانة ؛ قال الحسن : هي محكمة إلى يوم القيامة^١ ؛ ثم^٢ علل ذلك بما بين غدرهم بقوله : (ذلك بانهم) أى الأمر بالإجارة^٣ للغرض المذكور / بسبب أنهم (قوم لا يعلمون^٤) أى لا علم لهم لأنه لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب ، فاذا علموا أوشك أن ينفعهم العلم .

ولما كان الأمر بالنبد مظنة لأن يعجب منه ، عجب فقال : فمن ه يتعجب منه ؟ وأنكر عليه فقال : (كيف يكون للمشركين) أى أهل العراقة في الشرك الذين توجب عرافتهم فيه و محبتهم لظهوره نكث العهد الذى لا أقبح منه عند العرب ولا أشنع (عهد عند الله) أى المستجمع لصفات الكمال ، فهو لا يجب النقض من أوليائه^٥ فكيف به من أعدائه (وعند رسوله) أى الذى هو أكمل الخلق وأوفاهم^{١٠} وأحفظهم للعهود وأرعاهم فهم أصدقاءه^٦ فأعمالهم أصداد أعماله ، وقد بدا منهم الغدر .

ولما كان استفهام الإنكار في معنى النفي ، [صح - ٦] الاستثناء منه ، فكأنه قيل : لا يكون للمشركين عهد (إلا الذين عهدتم) أى منهم كما تقدم (عند المسجد الحرام^٧) أى الحرم يوم الحديبية ، وهذا مما يدل على أن^٨ الاستثناء المتقدم من " الذين " في قوله " براءة من الله

(١) وقال الضحاك والسدى : هي منسوخة بآية الأمر بقتل المشركين - راجع البحر المحيط ١١ / ٥ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الإجارة (٤) من ظ ، وفي الأصل : أولياء (٥) من ظ ، وفي الأصل : أصداد (٦) زيد من ظ (٧) زيد بعده في الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .

ورسوله الى الذين عهدتم من المشركين؛ قال البغوى: قال السدى والكلبى وابن إسحاق: [م - ١] من قبائل بكر: بنو خزيمه وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الديل [وهم - ١] الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية، فلم يكن نقض [العهد - ١] إلا قريش وبنو الديل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض. ولما استثنى، بين حكم المستثنى فقال: ﴿فما استقاموا لكم﴾ أى ركبوا^١ الطريق الآقوم فى الوفاء بهدهم ﴿فاستقيموا لهم^٢﴾ والقول [فى - ٢] ﴿ان الله﴾ أى المحيط بالجلال والجمال ﴿يحب المتقين^٣﴾ كما سبق^٤.

ولما أنكر سبحانه أن يكون للمشركين غير المستثنى عهد، بين السبب الموجب للانكار مكررا أداة الإنكار تأكيداً للنعى فقال: ﴿كيف﴾ أى^٥ يكون لهم عهد ثابت ﴿وان﴾ أى و الحال أنهم مضمرون لكم الغدر والخيانة فهم إن ﴿يظهروا عليكم﴾ أى إن يعل^٦ أمرهم على أمركم بأن يظهروا بكم بعد العهد والميثاق ﴿لا يرقبوا﴾ أى لا ينظروا ويرعوا ﴿فيكم﴾ أى فى أذاكم بكل جليل وحقيق ﴿الا﴾ أى قرابة محققة ١٥ ﴿ولا ذمة^٧﴾ أى عهدا، يعنى أن الأمر المبيع للنبد خوف الحياة، وعلام الغيوب يخبركم أنهم فى غاية الخيانة لكم، والإل^٨ هذا: القرابة - وهو قول ابن عباس، والمادة تدور على الآلة وهى حربة^٩ فى نصلها

(١) زيد من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥١/٣ (٢) فى ظ: اركبوا.
(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٤ (٥) زيد بعده فى ظ: بان (٦) فى الأصل و ظ: يعلو (٧) فى ظ: امرهم (٨) من ظ، وفى الأصل: الاهلال - كذا.
(٩) من ظ و القاموس، وفى الأصل: حرمة.

عرض ، ويلزمها الصفاء والرقه و البريق ، و يشبه به الإسراع في العدو ،
و الثبات في نفسها ، ومنه القرابة والعهد و التغير في وصفها ، ومنه تغير راحة
الإناء و فساد الأسنان و الصوت ، [و منه الآنين و الجوار في الدعاء مع
البكاء و 'خبر الماء' و الطعن و القهر - ٢] ، و منه : إن هذا - أى كلام ٢
مسيلة - ما يخرج من إل ، أى من ربوبية ، و في إل الله ، أى قدرته و إلهيته . ه
و لما كان ذلك مظنة لأن يقال : قد أكدوا لنا الإيمان و أوثقوا
العهود ، و لم يدعوا بابا من أبواب الاستعطاف ، قال معللا لما مضى مجيبا
لمن استبعده : ﴿ يرضونكم ﴾ و عبر بأقصى ما يمكن الكلام به من القلوب
تحقيقا لأنهم ليس في قلوبهم شيء منه فقال : ﴿ بافواهم ﴾ أى بذلك
التأكيد ، و صرح بالمقصود بقوله : ﴿ و تابى قلوبهم ﴾ أى العمل بما أبدته ١٠
أستتهم ، و قليل منهم من يحمله الخوف و نحوه على الثبات أو يرجع
عن هذا الفسق و يؤمن ﴿ و أكثرهم فسقون ﴾ أى راسخون الأقدام
في الفسق خارجون - لمخالفة الفعل للقول - عما تريدونه ، و إذا نقض
الأكثر اضطرا الأقل إلى موافقتهم .

و لما قدم ما ترى من كشف سرائرهم ، شرع سبحانه يقيم لهم الدليل ١٥
على فسقهم و خيانتهم بتذكيرهم ما بدا من بعضهم من النقص بعد أن
أثبت فيما مضى أنهم شرع واحد بعضهم أولياء بعض ، و فيما يأتي أنهم
بعضهم من بعض ، فقال معبرا بما يفيد أنهم تمكنوا من [ضد - ١]

(١-١) من القاموس ، و في ظ : خزر الماء - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ :
الكلام (٤) في ظ : أى (٥) من ظ ، و في الأصل : لاكثر (٦) زيد لاستقامة
العبارة .

الإيمان تمكنا صار به كأنه في حوزتهم: ﴿اشترؤا﴾ أى لجوا في أهويتهم
 بعد قيام الدليل / الذى لا يشكون فيه فأخذوا^١ ﴿بايأت الله﴾ أى الذى
 لا شيء مثله فى جلال ولا جمال على ما لها من العظم^٢ فى أنفسها وباضافتها
 إليه ﴿تمنا قليلا﴾ من أعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة الكفر،
 وذلك أن أباسفيان أطعمهم أكلة ففقدوا بها عهدهم ﴿فصدوا﴾ أى
 فسبب^٣ لهم ذلك وأدام إلى أن صدوا ﴿عن سبيله^٤﴾ أى من يريد
 السير عليه ومنعوا من الدخول فى الدين أنفسهم ومن قدروا على منعه .
 ولما دل على^٥ ما أخبر به من فساد قلوبهم ، استأنف بيان
 ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم: ﴿انهم ساء ما﴾ وبين
 ١٠ عراقتهم فى القبايح وأنها فى جبلتهم بذكر الكون فقال: ﴿كانوا يعملون^٦﴾
 أى يحددون عمله فى كل وقت ، وكأنه سبحانه يشير بهذا^٧ إلى ما فعلت
 عضل والقارة^٨ بعاصم بن ثابت وخبيب بن عدى ؛ ذكر ابن إسحاق فى
 السيرة [عن عاصم بن عمر رضى الله عنه - ٩] و البخارى فى الصحيح
 [عن أبى هريرة رضى الله عنه - ١٠] ، كل يزيد على صاحبه وقد جمعت بين
 ١٥ حديثيهما أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من
 عضل والقارة فقالوا^{١١}: يا رسول الله ! إن فىنا إسلاما فابعث معنا نفرا
 من أصحابك يفقهوننا فى الدين و يقرؤننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام^{١٢} ،
 (١) فى ظ : فاحذروا (٢) فى ظ : العظمة (٣) فى ظ : فسبب (٤) زيد فى ظ :
 عن (٥) سقط من ظ (٦) هما من الهون بن خزيمه بن مدركة - كما فى سيرة ابن
 هشام ٢ / ١٢٠ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : فقال (٩) من ظ والسيرة ، وفى
 الأصل : السلام .

فبعث معهم نفرًا ستة - وقال البخاري : عشرة - وأمر عليهم عاصم بن ثابت أن يخرج معهم ، حتى إذا كانوا بالرجيع ماء لهديل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلًا ، فلما أتوهم أخذوا أسياهم ليقاتلوهم ، فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتل منكم أحدا ، فأما عاصم فلم يقبل وقاتل حتى قتل ٥ هو وناس من أصحابه ، ونزل منهم ثلاثة ٢ نفر على العهد والميثاق ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال رجل منهم : هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتل ، فغروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ٣ فانطلقوا بخبيب ٤ وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما . وقصة العرينين الذين ٥ قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأظهروا الإسلام ثم خرجوا إلى لقاح النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا الراعي واستاقوا اللقاح بعد ما رأوا من الآيات ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فقتلهم ؛ وفي تاريخ ابن الفرات ٦ عن القتيبي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عوسجة البجلي إلى بني حارثة بن عمرو بن قرط بكتاب فرقوا دلوهم بالكتاب فقال النبي ١٥ صلى الله عليه وسلم : ما لهم ! أذهب الله عقولهم ، فهم أهل رعدة وكلام مختلط ؛ ولما خرج أهل مكة بعد أن عاملهم صلى الله عليه وسلم بغاية

(١) راجع باب هل يستأثر الرجل - الجهاد ، وغزوة الرجيع - المغازي (٢) من ظ والسيرة ، وفي الأصل : فخرجوا (٣) في ظ : ثلاث (٤ - ٤) من ظ والصحيح - الجهاد ، وفي الأصل : فانطلق خبيب (٥) في ظ : الذي (٦) هو محمد ابن عبد الرحيم المصري - راجع حسن المحاضرة ١ / ٢٢٠ (٧) من ظ ، وفي الأصل : ابن .

الإحسان أعتقهم وعفا عنهم بعد تلك الحروب والآذى في المبالغة في
 النكيات التي لا يعفو عن مثلها إلا الأنبياء ، خرجوا معه إلى حنين غير
 مرادين لنصره ولا محبين لعلو أمره ، بل هم^١ الذين انهزموا بالناس - كما
 نقله البغوي عن قتادة^٢ ؛ وقال أبو حيان^٣ : ويقال : إن الطلقاء من أهل
 مكة فروا وقصدوا إلقاء الهزيمة في المسلمين وبلغ فلهم مكة - انتهى .
 وقال الواقدي : وخرج رجال مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يتغادر
 منهم أحد على غير دين ركبانا ومشاة ، ينظرون لمن تكون الدائرة^٤
 فيصيبون من الغنائم ، ولا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد^٥ وأصحابه ،
 وقال هو وغيره : فلما كانت الهزيمة حيث كانت والدائرة^٦ على المسلمين
 ١٠ تكلم قوم بما في أنفسهم من الكفر والضغن والغش ، وذكروا أنه
 عزم ناس منهم على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الله / منعه منهم .
 / ٤٧٠
 هذا بعض ما غدر فيه^٧ كفار العرب ، وأما اليهود فكلهم نقض : بنو
 قينقاع ثم النضير ثم قريظة ثم أهل خيبر ، حتى كان ذلك سبب إخراجهم
 منها وإجلالهم إلى بلاد الشام ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى أنهم
 ١٥ قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم ،
 فلما لم يرجعوا^٨ لمجرد أهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك تمنا قليلا ، وهو

(١) سقط من ظ (٢) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٥٩/٣ .
 (٣) راجع البحر المحيط ٢٤/٥ (٤) في ظ : لقاء (٥) من كتاب المغازي ٨٩٤/٣ ،
 وفي الأصل و ظ : الدبرة (٦) في المغازي : لمحمد (٧) من المغازي ٩١٠/٣ ،
 وفي الأصل و ظ : الدبرة (٨) في ظ : به (٩) من ظ ، وفي الأصل : لم يرجوا .
 (٩٧) التمتع

التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا إليه من سفول الكلمة وإدبار الأمر ، فمن قاده هواه إلى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزائل اليسير كان غير مأمون على شيء لأنه رهينة داعي الهوى وأمر الشيطان ، لأنه أول ما بدأ بنفسه فقدر بها وغشها غير ناظر في مصلحة ولا مفكر في عاقبة .

٥

ولما أخبر تعالى بعراقتهم في الفسق ، دل عليه بأن حياتهم ليست خاصة بالمخاطبين ، بل هي عامة لكل من اتصف بصفاتهم من الإيمان ، فدار حياتهم على الوصف ، فقال : ﴿ لا يرقبون في مؤمن الا ﴾ أى قرابة وأصلا جيدا ثابتا ﴿ ولا ذمة ﴾ أى عهدا أكيدا ﴿ واولئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ هم ﴾ أى خاصة لتناهى عدوانهم ^١ ﴿ المعتدون ﴾ ^{١٠} أى عادتهم المبالغة في حمل أنفسهم على أن يعدوا الحدود لعدم ما يردم عن ذلك من وازع إلهي ورادع شرعي كما فعل عامر بن الطفيل بأهل بئر معونة مع أنهم في جوار عمه ^٢ وكان من خبرهم أن عمه ^٣ أبا براء عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : لو بعثت ^٤ رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيوا ^{١٥} لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ^٥ المنذر ابن عمرو ^٦ أخا بني ساعدة المعنق ليموت ^٧ في سبعين ^٨ رجلا من أصحابه

(١) في ظ : عداوتهم (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ : بعث .
(٤-٤) في ظ : العمرو بن منذر (٥) من ظ وسيرة ابن هشام ١٢٦/٢ ، وفي الأصل : لمون - كذا (٦) في السيرة : اربعين .

من خيار المسلمين، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وعدا عليه فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى^١ عامر فأبوا وقالوا: لن نخفر أبا براء، فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى - ^٢] سليم: عصبية ورعلا وذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا ثلاثة نفر عمرو بن أمية الضمري أحدهم، فعظم ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا على قتلهم^٣ شهرا؛ قال البغوي: وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إن أهل الطائف أمدوهم - يعنى قريشا - بالأموال ليقوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا الذى أحكمه تعالى من نبد العهد إليهم نظر للدين، لأنه نظر لجميع أهله الذين لا يوجد إلا بهم .

ولما بين ما أوجب بعدهم منهم ومعاداتهم لهم، بين ما يصيرون به أهلا فقال: ﴿فَان تَابُوا﴾ أى بالإيمان بسبب ما أبديتهم لهم^٤ من النظطة ﴿واقاموا﴾ أى أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿الصلوة﴾ أى بجميع حدودها ﴿واآتوا الزكاة﴾ أى كما حده رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٥ ﴿فاخوانكم﴾ أى هم، وبين أنها ليست أخوة النسب فقال: ﴿فى الدين﴾ لهم مالكم وعليهم ما عليكم، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه .

ولما كان كأنه قيل بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل: قد فصلنا لكم

(١) من السيرة، وفى الأصل: ابن، وفى ظ: بنوا (٢) زيد من السيرة (٣) من

ظ، وفى الأصل: قتلهم (٤) فى ظ: إليهم .

أمرهم في هذه الآيات تفصيلا ، عطف عليه قوله : ﴿ و تفصل ﴾ أى
 فى كل أمر يحتاجون جميع ﴿ الآية ﴾ وعظم هذه الآيات و حثهم
 على تدبرها بقوله - ١ : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى صار العلم لهم صفة ،
 فلهم ملكة يتصرفون بها فى أصوله و فروعه ، لا يغترون بمجرد كلام
 من شأنه الرداءة و المخالفة بين القول و العمل ، و الاعتراض بهذا بين ه
 هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذى نبه عليه و تحريض على
 إتمام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لئلا يظن
 أنه تكرار .

و لما بين السبب الموجب لمجازاتهم بنحس عملهم ، و هو البراءة منهم
 و ما / يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم ، رجع إلى قسم قوله " فا ١٠ / ٤٧١
 استقاموا لكم " فقال : ﴿ و ان نكثوا إيمانهم ﴾ أى التى حلفوها لكم ،
 و لما كان النقص ضارا و إن قصر زمنه ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد عهدهم ﴾
 أى الذى عقدوه ﴿ و طعنوا ﴾ [أى - ١] أوقعوا الطعن ﴿ فى دينكم ﴾
 أى بقول أو فعل .

و لما كان هذا الفعل لا يستقل به فى الأغلب إلا الرؤساء ، أشار ١٥
 إلى ذلك بقوله : ﴿ فقاتلوا ﴾ و وضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم
 و إشارة إلى أنهم ما نكثوا و أقدموا على هجنة الكذب و لم يستهجنوا
 الخروج عن عادات الكرام إلا و قد رسخوا فى الكفر فقال : ﴿ أئمة الكفر ﴾
 ثم أشار - بقوله معللا لجواز المقاتلة : ﴿ انهم لا إيمان لهم ﴾ - إلى أن

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) فى ظ : التى .

ذلك ولو فعله الاتباع ولم يكفهم الرؤساء فهو عن تمال منهم
 فابدأوا بالرؤس فاقطعوها تنقطع الأذنان ، وقراءة ابن عامر بالكسر
 معناها : لا أمان لهم لأنهم قد نقضوا العهد^١ الموجب له بما وقع منهم ،
 ومن طعن من أهل الذمة في الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله ، فإن العهد
 ٥ مأخوذ عليه أن لا يطعن ؛ ثم علل المقاتلة بقوله : ﴿ لعلمهم ينتهون ٥ ﴾
 أى اجعلوا^٢ قصدكم لقتالهم أن يكون حالهم حال من ينتهى عن غيه
 بما يرى^٣ منكم صادق الجذ بماضى الحد ، [روى - ٢] البخارى في
 التفسير عن حذيفة رضى الله عنه قال : ما بقى من أصحاب هذه الآية
 إلا ثلاثة ولا من المنافقين إلا أربعة^٤ أحدهم^٥ شبيخ كبير لو شرب الماء
 ١٠ البارد لما وجد برده .

ولما نفي أيمانهم بنفى إيمانهم ، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمر
 ارتكبوها ، كل منها^٦ بسبب باعث على الإقدام عليهم ، ويحث على قتالهم
 في صورة تعجيب ممن^٧ يتوانى فيه فقال : ﴿ الا ﴾ وهو حرف عرض ،
 ومعناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على النافي فنفته فصار مدخولها
 ١٥ مثبتا على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب
 ﴿ تقاتلون قوما ﴾ أى وإن كانوا ذوى منعة عظيمة ﴿ نكثوا إيمانهم ﴾
 أى فى قصة عاصم وأصحابه والمندر وأصحابه والإعانة على خزاعة^٨ وغير ذلك ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : اليهود (٢) فى ظ : جعلوا (٣) فى ظ : ينتهى -
 (٤) زيد من ظ (٥) فى الحديث هنا اختصار ، وراجع الصحيح للتفصيل (٦) سقط
 من ظ (٧) فى ظ : منهما (٨) فى ظ : من (٩) من ظ ، وفى الأصل : الخزاعة .

فكان النكث لهم عادة وخلقاً، وهذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم ليكون ذلك زاجراً^٢ عن القرض، وكانت قصة خزاعة أنه^٣ كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة قتل في الجاهلية، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة من مسلمهم وكافرهم لما بينهم من الحلف - هـ - كما تقدم آخر الانتقال، ودخلت بنو بكر في عهد قريش ففرت على ذلك مدة، ثم إن أنس بن زعيم الدليل هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشججه فخرج إلى قومه فأراهم شجته فثار الشر مع ما كان بينهم، وما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها، فكلمت بنو نفاثة من بني بكر أشراف^٤ قريش فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا^٥ ١٠ فأعانوهم بالسلاح والكراع والرجال، فخرج نوفل بن معاوية الديلي وهو يومئذ قائدهم؛ قال ابن اسحاق: وليس كل بني بكر بابعه^٦ - وقال الواقدي: واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد - حتى بيت خزاعة وهم^٧ على الوتير ماء لهم، فأصابوا منهم رجلاً وتجاوزوا واقتلوا^٨ وقاتل معهم

(١) زيد في ظ: في (٢) في ظ: زاجر (٣) في ظ: انهم (٤) في ظ: ابى (٥) من ظ وجمهرة أنساب العرب ١٧٠، وفي الأصل: من (٦) من كتاب المغازي ٧٨٣/٢، وفي الأصل: سحبه، وفي ظ: شجته - كذا (٧) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ ولا المغازي فحذفناها (٨) في ظ: سراعى (٩) من سيرة ابن هشام ٢٠٩/٢، وفي الأصل: تابعه، وفي ظ: تابعة (١٠) في ظ: هو (١١) من ظ و السيرة، وفي الأصل: اقبلوا .

من قريش من قاتل بالليل مستخفيا متسكرين متقبين : صفوان بن أمية
ومكرز بن حفص بن الأخيف^١ وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن
أبي جهل وأجلبوا معهم أرفاههم ، وكانت خزاعة آمنة لمكان العهد
والموادة .

٥ ولما ذكرهم بمطلق نكثهم في حقهم عامة ، وذكرهم بما خصوا به
سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال : ﴿ وهووا باخراج الرسول ﴾ أى من
مكة في عمرة القضاء ، بل أمروه بالخروج عند انقضاء الثلاثة الأيام^٢
والحوا في ذلك وهو وإن كان قاضاهم على ذلك ، لكن قد نقل ابن
إسحاق وغيره في قصة النداء بسورة براءة^٣ أنه كان في القضية والعهد الذى
١٠ كان بينه وبينهم أن لا يمنع من البيت أحد جاءه زائرا ، واعلمهم هموا
باخراجه قبل الثلاثة الأيام^٤ لما داخلهم من الحسد عند ما عابنوا من نشاط
أصحابه وكثرتهم وحسن حالهم ، وذلك غير بعيد من أفعالهم ،
وإظهارهم^٥ التبرء به صلى الله عليه وسلم حتى اجتروا - وهو أعلى الخلق
مقدارا ، و^٦ أظهرهم هيئة^٦ وأنوارا ، وأظهرهم رسوما وآثارا - على الإلحاح
١٥ عليه في الخروج من بلد آبائه وأجداده الذين هم أحقهم بها ومسقط
رأسه وموضع مرباه ، ولكن لم أراه مصرحاً به ، وهو عندى على ما فيه
أولى بما ذكروه من الهم باخراجه عند الهجرة على ما لا يخفى ، أو يكون

(١) من ظ و الغازى ، وفي الأصل : الاحنف (٢) في ظ : أيام (٣) راجع سيرة
ابن هشام ٤/٩ (٤) في ظ : لا يمتنع (٥) العبارة من هنا إلى « أظهرهم » - انقطة
من ظ (٦-٦) في الأصل : اظهارهم هيئة - كذا .

المراد^١ ما هم به ابن أبي المنافق ومن تابعه من أصحابه من إخراج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة حيث قال في غزوة المريسيع: [”أئن -“^٢ رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل“ بعد إعطائهم اليهود على الإيواء والنصرة والإسلام، وذلك لتذكير المؤمنين بمسارعهم إلى النقص بعد أن أثبت^٣ أنهم في الالتحام في كيد الإسلام كالجسد الواحد، ه فكأنه يقول: إذا ترك هؤلاء إيمانهم فأولئك أخرى أن ينقضوا إيمانهم، وهو بعث للؤمنين على التبرئ من الكافرين منافقين كانوا أو مجاهرين مقاربين أو مباعدين .

ولما ذكرهم بالحياة عامة وخاصة، أتبعها ما حققها بالقتال فقال:

(وهم بدوكم) أي بتطابق من ضمائرهم وظواهرهم (أول مرة^٤) أي ١٠ بالقتال والصد في الحديبية بعد إخباركم^٥ إياهم بأنكم لم تجئوا للقتال وأنكم ما جئتم إلا زوارا للبيت الحرام الذي الناس فيه سواء وأتم أحق به منهم، وذلك أول بالنسبة إلى هذا الثاني مثل قوله ”انكم رضيتم بالقعود أول مرة“ وقال بعض المفسرين: المراد بأول مرة* قتالهم خزاعة،

وهو واضح لأنه بعد عقد الصلح، وقيل: في بدر بعد ما سلمت غيرهم ١٥ وقالوا: لا نرجع حتى نستأصل محمدًا^٦ وأصحابه، وقيل: المراد به^٧ مطلق القتال لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم بالكتاب المنير ودعاهم بغاية اللين، وتحداهم به عند التكذيب، فعدلوا عن ذلك إلى القتال فهم

(١) زيد في الأصل: منهم، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .

(٣) في ظ: ثبت (٤) في ظ: إخبارهم (٥) في ظ: من (٦) في ظ: عهد (٧-٧) في الأصل و ظ: بمطلق .

البادئون و البادئ أظلم .

ولما أمرهم بالقتال و كان مكرها [إلى النفوس -^١] على كل حال ،
 شرع يبين الأسباب الحاملة على التواني عن قتالهم ، و حصرها في الخشية
 و العاطفة ، و قسم العاطفة إلى ما سببه^٢ القرب في محاسن الأفعال و إلى
 ٥ ما سببه القرب في النسب و الصهر ، و نقض الكل و بين أنه لا شيء
 منها يصلح للسبية ، فقال بادئا بالخشية لأنها السبب الأعظم في ترك
 المصادمة منكرا عليهم موجباً لهم ليكون أبلغ في الحث على قتالهم منها على
 أن التواني عنهم مصحح للوصف بالجبن^٣ و رقة الدين : ﴿ اتخشونهم ٥ ﴾
 أى أتخافون أن يظفروا بكم في القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم
 ١٠ على حقكم ﴿ فآله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة ﴿ آحق ﴾ أى منهم
 ﴿ ان تخشوه ﴾ أى بأن يكون مخشياً^٤ لكم لما تعلمون من قدرته فى أخذه
 لمن خالفه ولو بعد طول الاناة ﴿ ان كنتم / مؤمنين ٥ ﴾ أى فان من
 صدق بأنه الواحد الذى تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيبته .

/ ٤٧٣

ولما بكت فى التواني عنهم ، و عدم بما يزيل خشيتهم منهم ، بل
 ١٥ يوجب إقدامهم عليهم و رغبتهم فيهم ، فقال مصرحاً بما تضمنه الاستعظام
 الإنكارى^٥ فى " الاتقاتلون " من الأمر : ﴿ قاتلوهم ﴾ أى لله^٦ لا لغرض
 غيره ﴿ يعذبهم الله ﴾ أى الذى أتم مؤمنون بأنه المتفرد بصفات الجلال

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : سبية (٣) فى ظ « و » (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 بالخير - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : محتسبا (٦) فى ظ : انه (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : الإنكار (٨) من ظ ، وفى الأصل : الله .

والجمال ﴿بايديكم﴾ أى بأن تقتلوهم وتأسروهم وتهزمهم ﴿ويخزم﴾
أى بالذل فى الدنيا والفضيحة والعذاب فى الآخرة .

ولما كان ذلك قولاً [لا - ١] يقتضى النصر الذى هو علو العاقبة
قال : ﴿وينصركم عليهم﴾ أى فترضوا ربكم بذلك لإذلاله من بعدائه
بكم ؛ ولما كان نكالهم بما ذكر يثمر لبعض المؤمنين سرورا لهم فيه حظ ، ه
بين تعالى أنه لا يؤثر فى العمل بعد ثباته على أساس الإخلاص فقال :
﴿ويشف﴾ أى بذلك ﴿صدور قوم مؤمنين لا﴾ أى راسخين فى
الإيمان ، أسلفوا إليهم مساوى أوجبت ضغائن وإحنا كخزاعة وغيرهم
من أعانوا عليه أو^٢ أساءوا إليه .

ولما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال ، أتبعه تحقيقاً لكلامه قوله : ١٠
﴿ويذهب غيظ قلوبهم^١﴾ أى يثبت بها من اللذة ضد ما لقوه^٢ منهم من
المكروه ، وينبى عنها من الألم بفعل من يريد سبحانه^٣ من أعدائهم وذل
الباقين ما كان قد برح بها ، ولقد وفى سبحانه بما وعد به ، فكانت
الآية من ظواهر الدلائل .

ولما كان التقدير : قاتلوهم فانكم إن قاتلتموهم كان كذا ، عطف ١٥
سبحانه على أصل هذه الجملة قوله : ﴿ويتوب الله﴾ أى الملك الذى له
صفات الكمال ﴿على من يشاء^١﴾ أى منهم فيصيروا إخوانا لكم أولياء ،
والمعنى قاتلوهم يكن القتال سبباً لهذه الخمسة الأشياء ، [وأما التوبة فتارة
(١) زيد من ظ (٢) فظ و (٣) فى ظ : نقوا (٤) زيد فى ظ : من أعدائه .

تسبب عنه و تارة عن غيره، ولأجل احتمال تسببها -^١ [عنه فرئى شاذاً بالنصب على أن^٢ الواو للصرف؛ ولما كان [ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور على القدرة والعلم، وكان -^٣ [العلم يستلزم القدرة، فكان التقدير: فآله على كل شيء قدير، عطف عليه قوله: ﴿ وآله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء علماً وقدرة ﴿ عليم ﴾ أى بكل شيء وبمن يصلح للتوبة و من لا يصلح وما فى قلوبكم من الإقدام والإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون ﴿ حكيم ﴾ أى أحكم جميع أموره، ولم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به فى حال ظهوره .

١٠. ولما كان التقدير - لما أرشد إليه تقاعدهم عن القتال وإدخال 'أم' المرشد إلى أن مدخوله وسط الكلام فإن الابتداء له الألف وحدها - : وهل حسبتم أنه تعالى لا يعلم ذلك أو لا يقدر على نصركم؟ بنى عليه قوله موجهاً لمن تناقل عن ذلك بنوع تناقل: ﴿ ام حسبتم ﴾ أى لنقص فى العقل؛ أنه بنى الأمر فيه على غير الحكمة، وذلك هو المراد بقوله: ١٥ ﴿ ان تتركوا ﴾ أى قارين على ما أتم عليه من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المناق ﴿ ولما ﴾ عبر بها لدلالاتها - مع استغراق الزمان الماضى - على أن يقين ما بعدها متوقع كائن ﴿ يعلم الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى علما ظاهراً تقوم به الحجة عليكم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ: الميم (٤) من ظ، وفى الأصل: القتل (٥) فى ظ: كان، وراجع أيضاً الكشاف ٢/ ٣٨٨ .

مجارى عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد فى الواقع بالفعل .

ولما كان المعنى : جاهدوا مخلصين^١، ترجمه و بسطه بقوله : (ولم)

أى و [لما -^٢] يعلم الذين لم (يتخذوا) و يجوز أن يكون حالا ، و دل^٣

على تراخى الرتب عن مكاته سبحانه بقوله : (من دون الله) أى الذى

لا يعدل عنه و يرغب فى غيره من له أدنى بصيرة - كما دل عليه الاقوال - هـ

لأنه المنفرد بالكمال ، و أكد النفي بتكرير ' لا ' فقال : (ولا رسوله)

أى الذى هو خلاصة خلقه (ولا المؤمنين) أى الذين اصطفاهم من

عباده (وليجة^٤) أى بطانة تباطونها و تسكنون / إليها فتلج أسراركم

إليها و أسرارها إليكم ، فان الوليجة كل شئ أدخلته^٥ فى شئ ليس منه ،

و الرجل يكون فى قوم و ليس منهم وليجة ، فوليجة الرجل من يختصه^{١٠}

بدخيلة^٦ أمره دون الناس ، يقال : هو وليجتي^٧ و هم وليجتي - للواحد

والجمع - نقل ذلك البغوى عن أبى عبيدة^٨ ، و قال ابن هشام وليجة^٩ :

دخيلا ، و جمعها ولائج ، يقول : لم يتخذوا دخيلا^{١١} من دونه يسرون^{١٢}

إليه غير ما يظهرون^{١٣} نحو ما يصنع المناقون ،^{١٤} يظهرون الإيمان للذين

(١) من ظ ، و فى الأصل : مخاصمين (٢) زيد من ظ (٣ - ٢) سقط ما بين

الرقين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : الذى (٥) فى ظ : أدخله (٦) من معالم

التزويل - راجع لباب التأويل ٥٤/٣ ، و فى الأصل و ظ : بمداخلة (٧) فى ظ :

وليجة (٨) من العالم ، و فى الأصل و ظ : أبى عبيد (٩) سقط من ظ .

(١٠) من سيرة ابن هشام ٥١/٣ ، و فى الأصل و ظ : دخلا (١١) من السيرة ،

و فى الأصل و ظ : تسرون (١٢) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : نظهرون .

(١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و لافى السيرة لحذفها .

آمنوا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم . والحاصل أنه لا يكون
الترك بدون علم الأمرين حاصلين، والمراد بنفى العلم بنفى المعلوم، فالمنفى:
ولما يكن مجاهدون مخلصون .

ولما كان ظاهر ذلك مظنة أن يتمسك به من لم يرسخ قدمه في
المعارف، ختم بقوله: ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة
﴿ خير بما تعملون ﴾ أى سواء برز إلى الخارج أو لا .

ولما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه، شرع يبين أن الوليجة التى
يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به^١ من محاسن الأعمال
ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذى هو الإيمان المين بدلائله،
١٠ فقال سائقا له مساق جواب قائل قال^٢: إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو

إلى الكف عنهم من^٣ عمارة المسجد الحرام وخدمته وتعظيمه!
﴿ ما كان للمشركين ﴾ عبر بالوصف دون الفعل لأن جماعة ممن أشرك
أسلم بعد ذلك فصار أهلا لما نفي عنهم ﴿ ان يعمرُوا مسجد الله ﴾ أى^٤
وهو المنزه بإحاطته بصفات الكمال؛ قال البغوى: قال الحسن: ما كان

١٥ للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام، ثم قال فى توجيه
قراءة الجمع: قال الحسن: إنما قال: مسجد الله، لأنه قلة المساجد

كلها - يعنى فعامره عامر جميع المساجد، ويجوز أن يراد الجنس، وإذا

(١) فى ظ: الذى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: عن (٤) من

معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥٥/٣، وفى الأصل وظ: قبله .

لم يصلحوا لعمارة الجنس دخل المسجد الحرام لأنه صدر الجنس ، وذلك أكد لأنه بطريق الكناية - قال الفراء : وربما ذهب العرب بالواحد إلى الجمع و بالجمع ' إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول : أخذت في ركوب البراذين ، ويقال : فلان كثير الدرهم^٢ و الدينار - انتهى . فتحرر أن المعنى : منهم^٣ من إقامة^٤ شعائره بطواف^٥ أو زيارة أو غير ه ذلك لأنهم نجس - كما يأتي ﴿ شهدين على أنفسهم ﴾ أى التى هى معدن الأرجاس و الأهوية ﴿ بالكفر ﴾ [أى - °] باقرارهم ، لأنه بيت الله وهم يعبدون غير الله و قد نصبوا فيه الأصنام بغير إذنه و ادعوا أنها شركاؤه ، فاذن عمارتهم تخريب لتنافى عقدهم و فعلهم ؛ قال البغوى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : شهادتهم بسجودهم^٦ الأصنام ، و ذلك أنهم ١٠ كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد و كانوا يطوفون بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم .

ولما نفى قبيح ما يفعلون حسن ما يعتقدون ، أشار إلى بعدهم عن الخير بقوله : ﴿ أولئك حبطت أعمالهم ﴾ أى من العمارة و الحجابة^٨ و السقاية و غير ذلك ، فسدت يطلان معانيها لبنائها على غير أساس ١٥ ﴿ وفى النار هم ﴾ أى خاصة ، و من فعل كفعلهم فهو منهم ﴿ يخلدون ه ﴾

(١) من العالم ، وفى الأصل و ظ : الجمع (٢) من ظ و العالم ، وفى الأصل : الدراهم (٣-٢) فى ظ : بإقامة (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالطواف (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : انه (٧) من ظ و معالم التنزيل - راجع باب التأويل ٣/٥٥ ، وفى الأصل : بسجودهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : الحجابة .

أى يجعلهم الكفر مكان الإيمان .

ولما نفى عنهم أهلية العمارة ، بين من يصلح لها فقال :
 ﴿ انما يعمر مسجدا لله ﴾ أى إنما يؤهل لذلك القرب من له الأسماء
 الحسنى والصفات العلى حسا باصلاح الذات و معنى بالتعظيم بالقربات من
 هـ قها^١ و تنظيفها و رمّ ما تهدم منها و تنويرها بالمصابيح الحسية و بالمعنوية
 من الذكر و القراءة - و درس العلم أجلّ ذلك - و صيانتها بما لم تبين له من
 أحاديث^٢ الدنيا ﴿ من امن بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر
 كله ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى فكان من أهل المعرفة^٣ الذين تصح / عبادتهم
 و تفيدهم ، فانها إنما تفيد في ذلك اليوم ، و لم يذكر الإيمان بالرسول لأن
 ١٠ هذه البراءة عن لسانه أخذت ، فالإيمان بها إيمان به لا محالة ، فقدم ذكره
 أقعد في إيجاب الإيمان به ﴿ و اقام الصلوة و آتى الزكوة ﴾ أى و أبد
 دعواه الإيمان بهذين الشاهدين ، و ذلك أن عمارة المساجد ليست مقصودة
 لذاتها ، بل الدلالة على رسوخ الإيمان ، و الصلاة أعظم عمارتها ، و الزكاة هي
 المعين لعمدتها على عمارتها .

١٥ و لما كان ربما فهم من قوله " امن " أنه يكفي في الإيمان بمجرد
 الإقرار باللسان ، أعلم أنه لا بد في ذلك من إيجاد التصديق حقيقة المتمر
 لحشية الله^٤ فلذلك قال^٥ : ﴿ ولم يخش ﴾ أى في الأعمال الدينية ﴿ الا الله ﴾

(١) من ظ ، و في الأصل : لها ، و راجع أيضا روح المعاني ٢ / ٢٨٤ (٢) من ظ ،
 و في الأصل : احارب (٣) في ظ : المعونة (٤) من ظ ، و في الأصل : بيد .
 (٥) في ظ : تنزه (٦) في ظ : عبارتها (٧ - ٧) في ظ : فقال .

أى

أى ولم يعمل بمقتضى خشية غير الملك الأعظم من كف عما يرضى الله بما فيه سخطه، بل تقدم على ما انحصر رضى الله فيه ولو أن فيه تلفه، وحاصله أنه يقدم خشيته من الله على خشيته من غيره، فهو يرجع إلى قوله "فالله احق ان تخشوه" ولكن هذا أبلغ لكونه نفي نفس الخشية وإن كان المراد نفي لازمها عادة، وفيه تعريض لهم بأنهم لا يصلحون لخدمته لأنهم يخافون الأصنام ويفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها؛ ولما سبب^٢ عما مضى نفي وإثباتا أن المتصف بهذه الأوصاف يكون جديرا بالهداية وحقيقا بها، قال^٣ تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ﴾ أى العالمو المهمم ﴿ان يكونوا﴾ أى جملة ورسوخا ﴿من المهتدين ه﴾ فأقامهم - مع ما قدم لهم من الكمال بالمعارف والأفعال - بين الرجاء والخوف مع ١٠ الإشارة بأفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيدانا بعلو أمره وعظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لاحد عليه وأنه إن شاء آثاب؛ وإن أراد حكم - وهو الحكم العدل - بالعقاب، لا يستل عما يفعل، وكرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وعزة المرام، ومادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة، وهذه بخصوصها للإطماع،^٤ والحاصل ١٥ أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحا وخليقا وجديرا وحقيقا بأن يتحرك طمعه ويمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى، فكيف توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة،

(١) فى ظ : يخافها (٢) فى ظ : تسبب (٣) من ظ ، وفى الأصل : يقال .

(٤-٤) فى ظ : آثاب (ه-ه) فى ظ : فالحاصل .

هكذا كان ظهر لى أولا فى مدار المادة، ثم ظهر لى أن ذلك فى أكثر تقاليها، مع إمكان أن يكون غيره للإزالة، وأن الشامل لها - يائية وواوية بتقاليها العشر: عسى، عيس، سعى، يسع، عسو، عوس، سعو، سوع، وسع، وعس - أنها لما يمكن أن يسكون، وهو جذبر وخلق بأن يسكون، من قولهم: أعس به - أى أخاق، و بالعسى^١ أن يفعل - أى بالجرى، وإنه لمساء بكذا - أى مخلقة^٢. وبهذا فسر ها سيويه؛ قال ابن هشام الخضراوى^٣ فى شرح الإيضاح لأبى على: وقال سيويه: إن عسى بمنزلة اخلوق، والمساء كمكسال: الجارية؛ المراهقة لأنها جديرة بقبول النكاح، ومن ثم أتت للطمع^٤ والإشفاق، وقد يزيد الرجاء فيطلق على القرب فيكون ١٠ مثل كاد، وقد يشتد فيصل إلى اليقين فتستعمله^٥ حيثند فى معنى كان، ومنه: عسى الغوير أبوسا، لكن قال الرضى: وأنا لا أعرف عسى فى غير كلامه تعالى لليقين، وقد بضعف الرجاء فيصير شكاً^٦، ومنه: المعية كمحسنة^٧ للناقة، قد^٨ يشك^٩ أبها ابن أم لا، وعسى النبات - كفرح ودعا: (١) من القاموس، وفى الأصل وظ: باليس (٢) من القاموس، وفى الأصل: مخلفه، وفى ظ: مخلقه (٣) هو محمد بن يحيى، واسم شرحه: الإنصاح بفوائد الإيضاح - كما فى كشف الظنون (٤) فى ظ: الجارة (٥) من ظ، وفى الأصل: للطمع (٦) فى ظ: تستعمل (٧) فى ظ: كسا (٨) من القاموس، وفى الأصل: لمحضة، وفى ظ كمحسنة - كذا (٩) ليس فى ظ والقاموس (١٠) من القاموس، وفى الأصل: شبك، وفى ظ: تشك.

غلظ و يبس^١، أى صار خليقا لأن يرعى وأن يقطع، واليد من العمل مثله، أى فصارت جديرة بالصبر على المشاق، والعاسى^٢، النخل: لأنه جدير بكل ما يطلب منه من المنافع، وعسى الشيخ كرضى عساء وعسا كدعا يعسو: كبر، أى صار خليقا بالموت وبأن لا يتعلم ما لم يكن فى غريزته، وكذا عسى وعسا^٣ الإنسان عن الأدب، أى كبر/ عنه، ٥ / ٤٧٦
والعود يبس و صلب و اشتد أى فصار خليقا لما يراد منه، والليلة^٤: اشتدت ظلمته، فصار جديرا بمطابقة اسمه^٥ لمسماه وبتغطية الأمور، والعسو: السمع، كأنه لإزالته^٦ ظلمة الليل بنوره إذا أحرق، وعسى بالشيء كفرج: لزمه، أى فصار جديرا^٧ بإضافته إليه؛ والعيس - بالفتح: ضراب الفحل و يقال: ماؤه لأنه جدير بالإنتاج^٨، والعيس - بالكسر: الإبل البيض ١٠
يخالط يياضها شقرة، و جبل و ظبي أعيس و ناقة عيساء، لأنها خليقة بكل محمدة لحسن^٩ لونها، و تعيسنت^{١٠} الإبل: صارت يياضا فى سواد كذلك أيضا، وعيساء: امرأة والآثى من الجراد، لشبهها بلون العيس، وأعيس الزرع - إذا^{١١} لم يكن فيه رطب، لأنه صار حقيقا بالحصاد، والعوس - بالفتح - والعوسان: الطوفان بالليل، لأنه جدير بيلوغ المقاصد، ١٥

(١) من ظ و القاموس، وفى الأصل: سس - كذا (٢) من ظ، وفى الأصل: العاس، وفى ظ: العاس (٣) فى ظ: عسى (٤) فى ظ: الليل (٥) من ظ، وفى الأصل: اسم (٦) فى ظ: لازالة (٧) فى ظ: جدير (٨) من ظ، وفى الأصل: بالانتجاح (٩) من ظ، وفى الأصل: باحسن (١٠) من ظ و القاموس، وفى الأصل: تعيسنت (١١) من ظ و القاموس، وفى الأصل: اذ.

و بالضم: ضرب من الغم وهو كبش عوسى، إلحاقا لها بالعيس لكنها
 لصغرهما اختير لها الضم جبرا لها وتقوية وتقاؤلا بالكبر^١، واختير للابل
 الكسر تقاؤلا بسهولة القياد، وبالتحريك: دخول الشدين عند الضحك
 وغيره، تشبيها بالغم، فكأنه جدير بأن يترك ما يحدث منه ذلك من
 الضحك وغيره، والتعت أعوس وعوساء، وعاس على عياله: كد عليهم
 وكدح، وعياله: قاتهم، وماله عوسا وعياسة: أحسن القيام عليه،
 فعمل بما هو الاليق به في كل ذلك، والعواسة - بالضم: الشرية^٢ من
 اللبن وغيره، لأنها جديرة بالرى^٣، والأعوس: الصيقل والوصاف
 للشيء، لأنه جدير باظهار الخبء، والعواساء كبراءة: الحامل^٤ من الخنافس،
 لأنها في تلك الحالة أجدر بما تفهمه مادتها من الكراهة فانه يقال:
 ١٠ خفّس عن القوم: كرههم وعدل عنهم، والخنافس = بالضم: الأبيد؛
 لأنه جدير بأن يكره ويعدل عنه؛ والسعى: عدو دون الشد^٥؛ وكل
 عمل سعى؛ قال في القاموس: سعى كرعى^٦: قصد وعمل ومشى وعدا
 ونمّ وكسب، كل ذلك يكون جديرا بدرك حاجته، والسعاية:
 ١٥ مباشرة عمل الصدقات التي بها يدرك الإمام أخذ الحقوق، فيكون خليقا
 باغناء الفقراء، وسعت الأمة: بغت، فكانت خليفة بعمل الإمام عند العرب،
 وساعاها: طلبها للبغاء، وأسعاه: جعله يسعى، والمسعاة^٧: المكرمة
 (١) من ظ، وفي الأصل: بالكبير (٢) في ظ: الشوم (٣) من ظ، وفي الأصل:
 بالرى (٤) من ظ والقاموس، وفي الأصل: الحامل (٥) من تاج العروس، وفي
 الأصل و ظ: الشديد (٦) من القاموس، وفي الأصل و ظ: كرعن (٧) في
 ظ: المساعة.

و المعلاة في أنواع المجد، لأنها جديرة بأن يسعى لها، واستسعى العبد:
كفبه من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا عتق بعضه ليعتق به ما بقي،
لأنه جدير بذلك، والبعاية - بالكسر: ما كلف من ذلك؛ والسيع^١:
الماء الجاري على وجه الأرض، وقد انشاع^٢ - إذا جرى، لأن الماء خلق
بالجرى والحركة، ساع الماء والشراب: اضطرب على وجه الأرض، ه
وسيعاه من الليل وكسراء: قطع منه، كأنه ينظر إلى الساعة وهي جزء،
هو لنفاسه خلق بأن يحفظ ولا يضيع وأن يتدارك إن ضيع،
والسياع - بالفتح: ما يطين به، والشحم تطلّى به المزادة، كأنه^٣ يمنع
ما هو خلق بالجرى، وقد سيعت الجب - إذا طيته بطين أو جص؛
وكذلك الزق والسفن إذا طليت بالقار، والمسيعة: خشبة مملسة يطين^٤ ١٠
بها تكون مع حذاق^٥ الطيانيين، والتسييع: التطيين^٦ بها تكون مع حذاق
التدهين، وقال القزاز: والسياع: تطيينك بالجص أو الطين^٧ أو الفير،
تسيع به السفن، والسياع: شجر العضاه له ثمر كهينة الفستق وشجر اللبان،
وكل منها خلق بالرغبة فيه، والمسياع: الناقة تذهب في المرعى، كأنها
شبهت بالماء الجاري، وهي أيضا خليفة بالسمن، / والتي تحمل الضيعة، ١٥ / ٤٧
وسوء القيام عليها، والتي يسافر عليها ويعاد، لأنها خليفة بأن يرغب فيها،
وأساعه: أهمله، أى أزال ما هو خلق به من الحفظ فصار خليقا

(١) في ظ: اليسع (٢) من ظ وتاج العروس، وفي الأصل: اساع (٣) في ظ:
لأنه (٤) من القاموس، وفي الأصل و ظ: حذاف - كذا (هـ - هـ) - تنط
ما بين الرقين من ظ.

بالهلاك ؛ و السعوة - بالكسر : الساعة كالسواء بالكسر و الضم - و قد تقدم تخريجها - و المرأة البذبة الخالعة^١ ، كأنها جديرة بسرعة الفراق كالساعة ، و الساعي : الوالى على أى أمر و قوم كان ، و لليهود و النصارى : رئيسهم ، لأنه خلق بأن يسعى عليهم و يذب عنهم ، و الساعة : التصرف ، لأن الإنسان جديره به ، و سعية^٢ علم للعز ، لأنها خليفة بالسعى ، و السعوى - بالضم : الصبور على السهر و السفر ، نسبة إلى السعى على وجه بليغ و هو خلق بأن يرغب فيه ، و أسعوا به ، أى طلبوه^٣ بقطع همزتها ، و الساعة : جزء من أجزاء الجديدين و الوقت الحاضر و القيامة ، لأن كل ذلك جدير و حقيق بالاحتفاظ من إضاعته ، و الهالكون كالجاعة للجياع ، كأنهم أضاعوا ١٠ ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم ، و ساعة سوعاء : شديدة ، و ساعت الأبل تسوع : بقيت بلا راع ، فصارت جديرة بالهلاك و الضياع ، و أساعه : أهمله و ضيعه ، فصار كذلك ، و منه ناقة مسياع^٤ : تدع ولدها حتى يأكله السباع ، و بعد سوع من الليل و سواع ، أى هده^٥ ، و أسوع : انتقل من ساعة إلى ساعة ، فصار جديرا بأن يتحفظ فيتدارك فى الثانية ما فاتة فى ١٥ الأولى ، و أسوع الحمار : أرسل غرموله ، فصار جديرا بالنزوان ، و سواع : اسم صنم [عبد - ٧] فى عهد نوح عليه السلام ، غرقه الطوفان فاستناره^٦

(١) من القاموس ، و فى الأصل : الخالقة ، و فى ظ : الخالعة - كذا (٢) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : سعية (٣) من ظ ، و فى الأصل : اطلبوه . (٤) فى القاموس : الهلكى (٥) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : سباع (٦) فى ظ : هداة (٧) زيد من القاموس (٨) فى ظ : فاستشار .

إبليس حتى عبد أيضا ، لأنه كان خليقا - عندهم و في زعمهم - بما أهله
 له - تعالى الله عن ذلك ! والوسع مثلثة^١ : الجدة و الطاقة كالسعة ، ومعناها
 الخلاقة بالاحتمال ، وسعه الشيء - بالكسر - يسعه كيضعه سعة كدعة و زنة :
 كان جديرا باحتماله ، و اللهم سع علينا ، أى وسع ، و ليسعك بيتك ؛
 أمر بالقرار^٢ فيه ، و هذا الإناء يسع عشرين كيلا ، أى يتسع لها ، و الواسع :
 ضد الضيق - كالوسيع ، و في الأسماء الحسنى : الكثير العطاء الذى يسع لما
 يسأل ، أو المحيط بكل شيء ، [أو -^٣] الذى وسع رزقه جميع خلقه
 و رحمته كل شيء ، و الواسع كسحاب : الندب ، و هو الخفيف في الحاجة
 الظريف النجيب ، لأنه جدير بما يندب له ، و من الخيل : الجواد أو الواسع
 الخطو و الذرع - كالوسيع ، و قد وسع ككرم وساعة و سعة^٤ و أوسع :
 صار ذا سعة ، و الله عليه : أغناه ، و توسعوا في المجلس : تفسحوا ، فصاروا
 جديرين باحتمال الداخل بينهم ، و وسعه توسيعا ضد ضيقه ، و رحمة الله
 وسعت كل شيء ، أى أحاطت به ، و وسع كل شيء علما ، أى أحاط به
 و أحصاه ؛ و الوعس كالوعد : شجر تعمل منه البرابط^٥ و العيدان ، لأنه أحق
 الأشجار بذلك ، و الرمل السهل يصعب^٦ فيه المشى ، لأنه يرى لسهولته خليقا
 بأن يمشى فيه ، و إذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشى لكونه رملا ،
 (١) من القاموس ، و في الأصل : مثليه ، و في ظ : مثلثة - كذا (٢) من ظ
 و القاموس ، و في الأصل : القرار (٣) من القاموس ، و في الأصل و ظ « و » .
 (٤) زيد من القاموس (٥) زيد في ظ : وسعت (٦) من ظ : القاموس ، و في
 الأصل : سبعة - كذا (٧) في ظ : الرابط (٨) في ظ : يتصعب .

وأوعس ركبته، والوعساء: راية من رمل^١ لينة تنبت أحرار البقول، لأنها للينها حقيقة من بين رواي^٢ الرمل بالنبت، ومكان أوعس وأمكنة وعس، والمعاس: ما تنكب عن الغاظ، فهو جدير بالمشي فيه، والارض: لم توطأ، فهي جديرة بالكف عن سلوكها، والطريق، لأنه جدير بأن يسلك، قال في القاموس: كأنه ضد، والمواعدة: ضرب من سير الإبل، كأنه وسط فهو جدير بالخير^٣ والمباراة في السير، أو لا تكون إلا ليلاً؛ وقال القزاز: توعست في وجهه حمرة أو صفرة، أي كانت خليقة بالظهور، قال: وإذا ذكروا الرملة قالوا: وعساء، وإذا ذكروا الرمل قالوا: أوعس - هذا ما في تنزيل الجزئيات من اللغة على مدار هذه المادة، وأما ١٠ كلام أهل العربية في قواعد 'عسى' الكلية فقال أبو عبد الله القزاز: هو فعل لا ينصرف فلا تقول: يعسى، ولا هو عايس، وقال عبد الحق الإشبيلي: ولا يأتي / منه مستقبل ولا فاعل ولا مفعول ولا مصدر، قال القزاز: ويصحبه 'أن' ويجوز حذفها، و'أن' وما بعدها بمعنى المصدر وهي في موضع نصب، ولا يقع بعدها المصدر ولا اسم الفاعل، وإنما جاء ١٥ هذا في مثل العرب: عسى الغوير أبوسا، وأبوس جمع بأس، وهذا يدل على أن خبر عسى في موضع نصب، وقال في القاموس: والابوس: الداهية، ومنه عسى الغوير أبوسا، أي داهية، [٦- قال أبو عبيد في الغريب: كأنه أراد: عسى الغوير أن يحدث أبوسا وأن يأتي

/ ٤٧٨

(١) في ظ: الرمل (٢) في ظ: راى (٣) من ظ، وفي الأصل: في الخير .
(٤) في ظ: لا يأتى (٥) في ظ: في معنى (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
بأبوس

بأوس^١، فهذا طريق النصب، وما بينه^٢ قول الكميت:

قالوا أساء بنوكرز^٣ فقلت لهم عسى الغوير بابأس^٤ وإغوار]

و قال شارح الجزولية^٥ أبو محمد ابن^٦ الموفق^٧: لما كانت للرجاء دخلها معنى^٨ الإنشاء فلم تصرف، لأن تصرفها يناقى الإنشاء لأنها إذا تصرفت دلت على الخبر فيما مضى و الحال و الاستقبال، و ذلك يناقى معنى الإنشاء الذى لا يصلح لماض و لا مستقبل، و قال بعض المتأخرين: عسى موضوعة لفعل يتوهم كونه فى الاستقبال و هو على لفظ الماضى فاحتيج إلى 'أن' بعده إذ لا مستقبل له^٩، و ذهب بعضهم إلى أن عسى حرف لعدم تصرفها و لا^{١٠} معناها فى غيرها، و الصحيح أنها فعل لفظا و معنى، أما لفظا فظاهر، أى للحاق الضمائر و تاء التأنيث الساكنة، و أما معنى فلا أنه إخبار عن طمع وقع للتكلم، و جعل لفظها بلفظ الماضى لأن الطمع قد وقع، و إنما المطموع هو الذى يتوقع و ينتظر، و أدخل 'أن' على المطموع فيه لأنه لم يقع بعد، و جردت أخواتها عن 'أن' لأن خبرها محقق فى الحال إذ قد شرع فيه إلا 'كاد' فإنها للقاربة فى الجملة؛ و قال ابن هشام المصرى فى توضيحه: و يجب كون

(١) من غريب الحديث ٣/ ٣٢٢، و فى ظ: باوس (٢) من غريب الحديث، و فى ظ: بينه (٣) من اللسان، و فى ظ: بنو بكر، وليس المصراع فى غريب الحديث (٤) من غريب الحديث و اللسان، و فى ظ: و اناس - كذا (ه) هى المشهورة بالمقدمة الجزولية لعيسى بن عبد العزيز الجزولى - راجع كشف الظنون (٦) سقط من ظ (٧) وهو القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسى - كما ترجمه فى بغية الوعاة ٣٧٥ و عد فى جملة مصنفاته شرح الجزوائية، و راجع أيضا كشف الظنون - المقدمة الجزولية (٨) من ظ، و فى الأصل: لان.

خبرها جملة ، وشد كونه مفردا نحو عسى الغوير أبوسا ، ويكون الاسم مرفوعا بعسى وأن ، والفعل في موضع نصب على الخبر ، وقال الرضى : إنما لم يتصرف في عسى لتضمنها^١ معنى الحرف ، أى إنشاء الطمع والرجاء ، وقوله : أبوسا وصائما ، لتضمن عسى معنى كان^٢ فأجرى مجراه ، ومذهب المتأخرين أن عسى ترفع الاسم وتنصب الخبر ككان ، وقال أبو طالب العبدى ٥ في شرح الإيضاح للفارسي^٣ : الأفعال موضوعة للتصرف من حيث كانت مقسمة بأقسام الزمان ، ولولا ذلك لأغيت المصادر عنها ، ولهذا قال سيبويه : فأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى ولما يكون ولما هو كائن لم^٤ ينقطع ، ولما خالفت هذه الأفعال - ١٠ يعنى عسى ونعم وبس وفعل التعجب - سائر الأفعال في الدلالة ترك تصرفها أبدا بما أريدت له من المبالغة فيما جعلت دالة^٥ عليه ، فعنى عسى الطمع والإشفاق - كذا قال سيبويه ، ولما اختصت بهذا المعنى ترك تصرفها ؛ وقال الرماني : منعت ذلك حملا على 'لعل' كما حملت 'ما' على 'ليس' ، والاول أولى لأنه ليس ينبغى أن يحمل باب الأفعال على الحروف ، ١٥ ولأن الأفعال في بابها بمنزلة الحروف في بابها في لزوم البناء ، وإنما الأسماء تحمل عليها كما تقول في قظام وحزام^٦ : إنه بنى لوقوعه موقع الفعل ، وأن أسماء الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف ولا تقول

(١) من ظ ، وفي الأصل : لتضمنه (٢) في ظ : كانه (٣) من كشف الظنون ، وفي الأصل و ظ : للفارس (٤) في ظ : كما (٥) في ظ : دلالة (٦) ويمكن أن يكون : حذار .

في الأفعال: إنها بنيت حملا على الحروف ولا الحروف بنيت حملا على الأفعال، بل كل منهما أصل، فكذلك التصرف، ليس امتناعه لحمله على الحرف وجريه مجراه، وعسى من أخوات كان، وإنما لم تذكر معها للخالفه بترك التصرف وبلزوم 'أن' الخبر وبكونه فعلا، وبدل على أنها من أخوات 'كان' عسى الغوير أبوسا، فقد انكشف الأصل كما انكشف أصل أقام وأطال ونحوه بقوله:

صدت^١ وأطولت الصدود [و-] قلها وصال على طول الصدود يدوم
ولزوم الفعل بخبرها لجملة عوضا من التصرف الذي كان ينبغي
أن يكون لها، وأما لزوم 'أن' فلما أريد من صرف الكلام إلى تأويل
الاستقبال لأن 'أن' تخلص إليه، والبيت الممثل به فيه شيء طريف، ١٠
وهو مصدر مجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل، والمصادر
في أصلها لا تجمع ولكنه ضرورة ومثل، فالأصل / أن 'بأس' ثم ٤٧٩ /
أبوسا - انتهى كلام العبدى . وعندى أنه عند ما يقوى المعنى الذى سيق
له من طمع أو إشفاق يحمل خبرها اسما تنيها على أنها الآن بمنزلة كان
لما اشتد من شبهها لها بذلك؛ قال أبو طالب: وإذا وليها 'أن' والفعل ١٥
كان في موضع رفع، وسد طول الكلام مسد الخبر، ومعناها الذى
هو الإشفاق والطمع قريب من المقاربة فى كاد، فلذلك حذف 'أن'
من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول 'أن' فى خبر كاد^٢
(١) فى ظ: صدت (٢) زيد من لسان العرب - طول (٣) من ظ، وفى
الأصل: كان.

حملا لها على عسى ؛ وقال شارح الجزولية : وحذف ' أن ' من خبر
 عسى أكثر من إلحاق ' أن ' في خبر ' كاد ' لمقاربة كاد ذات الفعل ، و ' أن ' ،
 تنافي ذلك ، قال : ومن الفرق بينهما أن عسى لا يضم فيها ضمير الشأن
 والقصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها ، وتضم في كاد لتصرفها ، ثم
 ٥ رجع أنه يضم فيها وإن لم تصرف كما أضمر في نعم وبئس ، وقال
 ابن هشام الخضراوي في شرح الإيضاح أيضا : إن سيويه قدر عسى
 بقارب ، أي قترفع و تنصب لأن قارب متعد ، وقدرها بقرب ، أي
 فلا تنصب لعدم تعديه ، قال : ولا تدخل عسى على الماضي ؛ قال أبو علي :
 لأنها للاستقبال المحض ولذلك وقع بعدها ' أن ' فلا تصلح للماضي
 ١٠ بوجه ؛ وقال شارح الجزولية : عسى لها مع الظاهر مذهبان : أحدهما
 أن تكون ناقصة^٢ بمعنى كان الناقصة ، تحتاج إلى اسم وخبر إلا أنه
 يشترط في خبرها أن يكون فعلا ، وأصله أن يكون اسما مثل خبر كان
 إلا أنه عدل عنه إلى الفعل^٣ تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من
 الرجاء وتقوية لما يفيد الرجاء من الاستقبال ، وشبهت في هذا الوجه
 ١٥ ب ' قارب زيد الخروج ' تحقيقا لبيان الإعراب ، لا في المعنى ، لأن ' قارب
 زيد الخروج ، ليس فيه إنشاء رجاء ولا غيره ، وإنما هو تمثيل لتقدير
 الإعراب اللفظي لأن أصلها أن تكون كذلك ، وإنما طرأ عليها إنشاء
 الرجاء كما كان ذلك في التعجب ونعم وبئس وغيرهما ؛ والمذهب الثاني
 أن تأتي تامة^٤ فتستعمل استعمال ' قرب ' فتدخل على ' أن ' مع الفعل
 (١) من ظ ، وفي الأصل : سى - كذا (٢) من ظ ، وفي الأصل : قصة (٣) في
 ظ : العقل (٤) من ظ ، وفي الأصل : بامة - كذا .

فتقول: عسى أن يقوم زيد، واستغنى فيها - بأن والفعل - عن الخبرين كما استغنى في 'ظننت أن يقوم زيد' عن المفعولين، وذلك لاشتغالها على مسند ومسند إليه، وهو المقصود بهذه الأفعال، فإذا قلت: زيد عسى أن يقوم^٢، احتمل أن تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها و'أن' مع الفعل خبرها، ويحتمل أن تكون التامة^٣ فلا يكون فيها ضمير و'أن' مع الفعل فاعلها؛ وقال ابن الجباز الموصلي في كتابه النهاية في شرح كفاية الكفاية: عسى للطمع للبالغة في الطمع، فلا يكون خبرها ماضيا لأن معناها الرجاء والطمع، والماضي لا بطمع فيه ولا يرجى لحصوله، واستدل على أنها لا تستعمل إلا في المستقبل بقول بعض شعراء الحماسة:

عسى طي من طي^٤ بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوامع^٥
فأتى بالسين لأنه لم يمكنه الإتيان بـ 'أن' في الشعر؛ وقال شارح الجزولية ما معناه: إنه التزم في خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال وألزم^٦ 'أن' تقوية لذلك، ولهذا لم يكن خبرها اسما وإن كان أصله أن يكون اسما إذ لا دلالة للاسم على الزمان، ولم يوضع مكانها السين^٧ وسوف لأنهما يدلان على تنفيس في الزمان، والغرض هنا تقريبية، وقد يحى في الشعر قليلا - وأنشد البيت المذكور؛ وقال ابن الجباز:

(١) في الأصل: اشتماله، وفي ظ: لاشتماله (٢) من ظ، وفي الأصل: يكون.
(٣) في ظ: تامة (٤) هو أحمد بن الحسن - راجع الأعلام للزركلي ١/١٤١ (٥) في ظ: كتابه (٦) البيت لقسامة بن ربيعة السنبسي - راجع باب المراثي من الحماسة.
(٧) في ظ: الزام (٨) زيد بعده في الأصل: أسماء، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

ودخول الاستفهام عليها يؤذن بأنها ليست للطمع لأن الاستفهام لا يدخل على الطمع ولا على ما ليس بخبر ، فدخل هل عليها مما يؤذن بأنها خبر - انتهى . ففسيرها بما ذكرته - من أنها لما يمكن [أن يكون -^١] وهو خليف بأن يكون - أول ، ويكون الطمع لازما لمضمون الكلام .
 ٥ لأنه مدلولها بالمطابقة - والله الموفق .

ولما بين سبحانه الصالح لذلك من غيره^٢ ، أنكر على من لم / يفرق / ٤٨٠

بين الصنفين فقال : ﴿ اجعلتم سقاية الحاج ﴾ أى مجردة عن الإيمان ﴿ وعمارة المسجد الحرام ﴾ أى كذلك كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد^٣ ، وأهل السقاية والعمارة من غير إيمان فى موالاتهم والكف
 ١٠ عن معاداتهم ﴿ كمن آمن بالله ﴾ أى الحامل اعتقاد كماله [على -^١] كل كمال ﴿ واليوم الآخر ﴾ أى الحاث خوفه على كل خير ﴿ وجاهد فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شيء ، فلاية على قراءة الجماعة من الاحتباك : حذف أولا المشبه به لدلالة المشبه عليه وثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه ، وأما على رواية عيسى بن وردان
 ١٥ عن^٤ أبى جعفر شاذان : سقاة و عمرة - بالجمع فلا يحتاج إلى تقدير .

ولما كان كأنه قيل : كنانظن ذلك فما حالهم ؟ قال : ﴿ لا يستون عند الله ﴾ أى الذى له الكمال كله لأن المشركين ظلوا بترك الإيمان ﴿ والله ﴾ [أى -^١] الذى له الأمر كله ولا أمر لاحد معه ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زبدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ : الجهل -
 (٤) فى ظ : على .

أى الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها^١، والكفر أعظم الظلم، فلا توجبوا لهم الهداية ولا المساواة بالمهتدين وإن باشروا جميع أفعال المهتدين ما عدا الإيمان. ومن فعل ذلك منهم كان ظالما وخيف عليه^٢ سلب موجب الهداية.

ولما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشترط^٣ التشوف^٤ ه إلى التصريح فيكون أثبت فى النفس وأوقر فى القلب، كان كأنه قيل: فمن الراجح؟ فقال: ﴿الذين آمنوا﴾ أى أوقعوا هذا الفعل، وهو إيمان المخاطب من أن يكذبوه بشئ مما يخبر به عن الله، وقصر الفعل وهو فى الأصل متعد ليفيد أنه لا إيمان غير هذا، وإن وجد غيره فهو عدم بالنسبة إليه، وكذا كل فعل قصر فهو على هذا النوال^٥. ليشار به إلى أنه لعظيم نفعه لا فعل من جنسه غيره ﴿وهاجروا وجهدوا﴾. ولما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد فى سبيل الله، اقتضى المقام [تقديمه - ٤] على الآلة بخلاف ما فى آخر الانتقال فإن المقام اقتضى هناك تقديم المال والنفس لما تقدم من موجه فى غير آية - كما سلف بيانه، وأيضاً فى^٦ هذا الوقت كان المال قد كثر، وموضع الجهاد قد بعدت، فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم ﴿فى سبيل الله﴾ أى مخلصين له لأنه الملك الذى لا كفوء له، ثم أتبعه قوله: ﴿بأموالهم وأنفسهم لا﴾ فصرح بالنفس ترغيباً فى المباشرة بها ﴿اعظم درجة﴾ أى من جهة ارتفاع الدرجة، وهى الفضيلة المقررة إلى الله.

(١) فى ظ: موضعها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: اشتد (٤) زيد من ظ. (٥) فى ظ: فى.

ولما لم يكن العبرة إلا بما عنده سبحانه ، لا بما عند الناس ، قال تعالى :
 ﴿ عند الله ﴾ أي الملك الأعظم من أهل السقاية وما معها من غير
 إيمان مدلول عليه بشواهد ، وإنما لم يذكر المفضل عليه ليفيد أن فضيلتهم^٢
 على الإطلاق ، فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه ، وكرر الاسم
 ٥ الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام وصعوبة المرام ، وأفهم هذا أن
 تلك الأفعال شريفة في نفسها ، فمن باشرها كان على درجة عظيمة
 بالنسبة إلى من لم يباشرها ، ومن بناها على الأساس كان أعظم ، ثم بين
 ما ينخص أهل حزبه فقال : ﴿ واولئك ﴾ أي العالو الرتبة ﴿ هم ﴾
 أي خاصة لا أنتم أيها المخافرون مع الشرك ﴿ الفآئزون ﴾ أي بالخير
 ١٠ الباقي في الدارين دون من عدام وإن فعل من الخيرات ما فعل ، لأنهم
 ترقوا من العبدية إلى العندية .

ولما بين أن جزاء أولئك الخلود في النار ، بين ما لهؤلاء ، فقال
 مفسرا لفوزهم : ﴿ يبشرهم ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بهدايتهم واجتباؤهم ،
 ونأهيك بهذه البشارة الدالة على علو مقامهم^٣ لأنها بلا واسطة ، وكون
 ١٥ البشارة على قدر المبشر دال على أن هذه البشارة^٤ [بشارة عظيمة -^٥] لا نهاية
 لها ولا يحاط بمعرفة مقدارها ﴿ برحمة ﴾ أي عظيمة ، وزادها^٦ عظما

(١) في ظ : الا (٢) من ظ ، وفي الأصل : فضيلة (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 انفسها (٤) في ظ : في (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : التي دلت (٧ - ٧) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) في ظ : بمقدارها (١٠) من
 ظ ، وفي الأصل : زاد .

بقوله: ﴿ منه ﴾ وذلك إشارة إلى أنه لا نجاة بدون العفو؛ ثم أخبر
بأن الرحمة كما أثمرت العفو الذي هو أدنى المنازل أسعدت / بأعلاها
فقال: ﴿ ورضوان ﴾ أى بأن يكون راضيا عن الله [للرضى بقضاء الله
وذلك يكون إذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير أبدا بقضاء من أفضيته
كما أن الله - الذى هو راحمه - لا يتغير، ومن كان نظره لطلب حظ له
كان أبدا فى تغير من الفرح إلى الحزن ومن السرور إلى الغم ومن
الراحة إلى الجراحة ومن اللذة إلى الألم، فثبت أن الرحمة التامة لا تحصل
إلا للراضى بقضاء الله ويكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية،
ولهذا لم يقبه بـ "منه" وهذان فى الدنيا والآخرة .

ولما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها فى الدنيا - ١٠ [، أتبعه
باب الجنة الروحانية البدنية^٢ الخاصة بالدار التى فيها القرار فقال:
﴿ وجنت ﴾ أى بساتين كثيرة الأشجار والثمار ﴿ لهم فيها نعيم ﴾ أى
عظيم جدا خالص عن كدر ما، ودل على الخلود بقوله: ﴿ مقيم ﴾
ثم صرح بخلودهم فيها [بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس - ١١] فقال:
﴿ نخلدين فيها ﴾ وحق أمره بقوله: ﴿ أبدا ﴾ ثم استأنف المدح ١٥
لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله: ﴿ أن الله ﴾ أى الذى له الفنى المطلق والقدرة
الكاملة ﴿ عندة اجر عظيم ﴾ وناهيك بما يصفه العظيم دالا بالعظم،
وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر^٣ عن دوامه بهذه العبارات
الثلاث^٤ المقرونة بالتعظيم والاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن
(١) زيد ما بين الحاضر من ظ (٢) فى ظ: البينة (٣) - قط من ظ (٤) فى
ظ: البر (٥) من ظ، وفى الأصل: الثلاثة .

إيمانهم أعظم الإيمان .

ولما فرغ من العاطفة بمحاسن الأعمال، شرع^١ في العاطفة بالإنساب
و الأموال، وقدم الأول إشارة إلى أن المجانسة في الأفعال مقدمة على
جميع الأحوال، ولما كان محط الموالاة المناصرة، وكانت النصرة
بالآباء والإخوان أعظم من النصرة بغيرهم، لأن مرجعها إلى كثرة
الأعوان والاختدان^٢، اقتصر عليها فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
أى أفروا بألسنتهم بالإيمان بربهم معرضين عما سواه من الانداد الظاهرة !
صدقوا ادعاءكم ذلك بأن ﴿ لَا تَتَّخِذُوا ﴾ أى تعتمدوا و تسكفوا أن
تأخذوا ﴿ آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أى على ما يدعو إليه الطباع و تقويه
١٠ الإطماع فلقوا إليهم أسراركم و تؤثروا رضاهم و المقام عندهم ﴿ إِنْ اسْتَجَبُوا ﴾
أى طلبوا و أوجدوا^٣ أن أحبوا^٤ ﴿ الْكُفْرَ ﴾ وهو تغطية الحق و التكذيب
﴿ عَلَى الْإِيمَانِ^٥ ﴾ به بصيغة الاستفعال^٦ على أن الإيمان لكثرة محاسنه
و ظهور دلائله معشوق بالطبع، فلا يتركه أحد إلا بنوع معالجة و مكابرة
لعقله و مجاهدة .

١٥ و لما كان أعز الأشياء الدين، و كان لا ينال إلا بالهداية، و كان
قد تقدم سلبها عن الظالم، رهيبهم من انتزاعه بقوله : ﴿ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ ﴾
أى يتكلف أن يفعل^٧ فى أمرهم^٨ ما يفعل القريب مع قريبه ﴿ مِنْكُمْ ﴾
أى بعد^٩ ما أعلمكم الله فى أمرهم بما أعلم ﴿ فَاتْلُوكَ ﴾ أى المبدعون عن
الحضرات الربانية ﴿ هُمُ الظَّالِمُونَ^{١٠} ﴾ أى لوضعهم الموالاة فى غير موضعها
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الإخوان (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤) فى ظ : الانتعال (٥-٥) فى ظ : معهم (٦) فى ظ : ان (٧) تقدم فى ظ على
« أى المبدعون » . ٤٢٠ (١٠٥) بعد

بعد أن تقدم إليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر ، وهذا رجوع بالاحتراس إلى "و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض" - الآية الوالية لبيان المؤمنين حقاً وإشارة إلى أنه يضلهم ولا يهديهم لما تقدم من الخبر بأنه لا يهدي الظالمين .

و لما كانت الانفس مختلفة الهمم متباينة السجايا و الشيم ، كان هـ
هذا غير كافٍ في التهديد لكلاهما . فأتبعه تهديداً أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال متقبلاً من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزواجر الغضب : ﴿ قل ﴾ أى [يا - ٢] أعظم الخلق شفقة و رفقاً و نصيحة لمن لم يُزعمه ما تقدم من الزواجر أنه يجب تحمل جميع هذه المضار فى الدنيا ليقى الدين^٥ سالماً و لا يتلم ﴿ ان كان أبؤكم ﴾ ١٠
أى الذين أنتم أشد شئ توقيراً لهم ﴿ و ابنؤكم ﴾ أى الذين هم أعز الناس لديكم و أحبهم إليكم ﴿ و اخوانكم ﴾ أى الذين هم من أصولكم فهم كأنفسكم ﴿ و ازواجكم ﴾ أى اللاتي هن سكن لكم ﴿ و عشيرتكم ﴾ أى التى بها تمام الراحة و قيام العز و المنعة^٦ و هم أهل الإنسان الأدنون الذين يعاشرونه ..

١٥

و لما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند أولى الهمم العوال قال : ﴿ و اموال و اقربتهوها ﴾ أى اكتسبتموها بالمعالجة من الأسفار
(١) فى ظ : متابعة (٢) من ظ و فى الأصل : النضبة - كذا (٣) زيد من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الدنيا (٦) فى ظ : الذى (٧) فى ظ : اللاتي .
(٨) فى ظ : المنفعة .

وغيرها لمعاشكم ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ أى لفوات أوقات نفاقها
بسبب اشتغالكم بما ندب الله سبحانه إليه فيفوت - على^٢ ما توهمون -
ما به قوامكم ﴿ومسكن / ترضونها﴾ أى لأنها تجمع لذلك^٣ كله ،
ولقد رتبها سبحانه أحسن ترتيب ، فإن الآب أحب المذكورين لما هنا
من شائبة النصرة ، وبعده الابن ثم الأخ ثم الزوج ثم العشير الجامع
للمذكور والإناث ثم المال الموجود فى اليد ثم المتوقع ربحه بالتجر ،
وختم بالمسكن لأنه الغاية التى كل ما تقدم أسباب للاسترواح فيه والتجمل
به ﴿احب اليكم من الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال الذى أنعم عليكم
بجميع ما ذكر ، ومتى شاء سلبكموه ﴿ورسوله﴾ أى الذى أناكم بما به
١٠ حفظ هذه النعم فى الدارين ﴿وجهاد فى سيله﴾ أى لرد الشارد من
عباده إليه وجمعهم عليه ، وفى قوله - : ﴿قربصوا﴾ أى انتظروا متبصرين -
تهديد بليغ ﴿حتى يأتى الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ ﴿بامرء﴾
أى الذى لا تبلغه أوصافكم ولا تحتمله قواكم. ولما كان من أثر حب
شئ من ذلك على حبه تعالى ، كان مارقا من دينه^٤ راجعا إلى دين من
١٥ آثره ، وكان التقدير : فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها ولا تهتدون إلى دفعها
بنوع حيلة ، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية ومعلوم أن من كان
كذلك فهو مطبوع فى الفسق ، عطف عليه قوله : ﴿والله﴾ أى الجامع
لصفات الكمال ﴿لا يهدى القوم﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب
(١) فى ظ: اشتغالكم (٢) - سقط من ظ (٣) فى ظ: كذلك (٤) فى ظ: بين (٥) من
ظ ، وفى الأصل : ذنبه .

(الفسقين هـ) أى الذين استعملوا ما عندهم من قوة^١ القيام^٢ فيما يريدون من^٣ الفساد حتى صار الفسق - وهو الخروج بما حقه المكث فيه و التقيد به و هو هنا الطاعة - خلقا من أخلاقهم و لازما من لوازمهم ، بل بكلهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا و الآخرة .

و لما كان فى بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة هـ تغفلها عن بعض مواقع القدرة ، ساق قصة حنين دليلا على ذلك الذى أبهمه من التهديد جوابا لسائل كان كأنه قال : ماذا الأمر الذى يترتب^٤ لإتيانه و يخشى^٥ من عظيم شأنه ؟ فقيل : الذل و الهوان و الافتقار و الانكسار ، فكأنه قيل : وكيف يكون ذلك ؟ فقيل : بأن يسلط القدير عليكم - و إن كنتم كثيرا - أقوياء غيركم و إن كانوا قليلا ضعفاء ١٠ كما سلطكم - و قد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه : (لقد نصركم الله) أى الملك الأعلى^٦ مع شدة ضعفكم (فى مواطن) أى مقامات^٧ و مواقف و أماكن توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم (كثيرة لا) أى من الغزوات التى تقدمت لكم كبدر و قريظة و النصير و قينقاع و الحديبية و خير و غيرها من مخاصمات الكفار ، و كنتم من ١٥ الذلة و القلة و الانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم و ظهوركم على جميع الكفار و أنتم فيهم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و ما وكلكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : لقا - كذا (٢) فى ظ : الإيمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى (٤) فى ظ : التقيد (٥) فى ظ : تتربص (٦) فى ظ : تخشى (٧) فى ظ : الانظم (٨) فى ظ : مقدمات - كذا (٩) سقط من ظ .

إلى مناصرة من تقدم أمره لكم بمقاطعتهم ، فدل ذلك على أن من أطاع الله
ورجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين والدنيا على أحسن الوجوه وإن عاداء
الناس أجمعون ، ودل بما بعدها من قصة حنين على أن من اعتمد على
الدنيا فاته الدين والدنيا إلا أن يتداركه الله برحمته منه فيرجع به . فقال
ه تعالى : ﴿ ويوم ﴾ أى ونصركم بعد أن قواكم وكثرتم هو وحده .
لا كثرتم وقوتكم يوم ﴿ حنين ﴾ وهو واد بين مكة والطائف إلى جانب
ذى المجاز ، وهو إلى مكة أقرب ، وراء عرفت إلى الشمال .

[ولما كان سلة بن سلامة بن وقش^٢ الأنصارى رضى الله عنه قد
قال حين اتقى الجمعان^٣ ، وأعجبته كثرة الناس : لن نغلب اليوم من قلة !
١٠ فسأه النبي صلى الله عليه وسلم كلامه و أن يعتمد إلا على الله ، وكان
الإعجاب سما قاتلا للأسباب . أدبنا الله سبحانه في هذه الغزوة بذكر سوء
آرئه لنحذره ، ثم عاد سبحانه بالإنعام لكون الذى قاله شخصا واحدا كره غيره
مقالته . فقال - ° : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ أعجبتم كثرتم ﴾ أى فقطعتم
لذلك أنه لا يغلبها غالب ، [وأسند سبحانه الفعل للجمع إشارة إلى أنهم
١٥ لعلو مقامهم ينبغي أن لا يكون منهم من يقول مثل ذلك - °]

﴿ فلم تغن عنكم شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿ وضائق عليكم الأرض ﴾
أى الواسعة ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع اتساعها فصرتم لا ترون أن فيها
مكانا يحصنكم مما أتم فيه لفرط الرعب ، فما ضاق في الحقيقة إلا ما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عوراء - كذا (٣) من الإصابة ،
وفى ظ : قيس - كذا (٤) فى ظ : الجمعان ، وراجع معالم التنزيل حول تفسير
هذه الآية (٥) زيد ما بين الحাজرين من ظ .

من الآمال التي سكنت إلى الأموال والرجال ، ولعل عطفه - لتوليتهم بأداة التراخي في قوله : ﴿ ثم وليتم ﴾ أي تولية كثيرة ظهوركم التكفار ، وحقق ذلك بقوله : ﴿ مدبرين ﴾ أي انهزاما مع أن الفرار كان حين اللقاء لم يتأخر - إشارة إلى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا على القوة / ٤٨٣ / والكثرة ﴿ ثم ازل الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سكينته ﴾ ٥ أي رحمته . وهي الأمر الذي يسكن القلوب عن أن تتأثر بما يدهمها من البلاء من الوثوق به سبحانه ومشاهدة جنبه الأقدس والغناء عن غيره . [ولما كان المقام للرسالة ، وكان تأييد مدعيها من أمارات صدقه في دعوى أنه رسول ، وأن مرسله قادر على ما يريد لا سيما إن كان تأييده على وجه خارق للعادة ، عبر به دون وصفت النبوة فقال - ' : ١٠ : ﴿ على رسوله ﴾ أي زيادة على ما كان به من السكينة التي لم يحز مثلها أحد ، ^٢ ثبت بها ^٣ الثلاثين ألفا أو عشرين ألفا أو أربعة آلاف] على اختلاف الروايات في عشرة أنفس أو مائة أو ثلاثمائة - ' [على الاختلاف أيضا ، لم يكن ^٢ ثباتهم إلا به ، ثم لم يزد ذلك إلا تقدما حتى أن كان العباس عمه و أبو سفيان بن الحارث ابن عمه رضى الله عنهما ليكفان بغله عن ١٥ بعض التقدم ، ولعل العطف به " ثم " إشارة إلى علو رتبة ذلك الثبات واستبعاد أن يقع مثله في مجارى العادات ﴿ و على المؤمنين ﴾ أي أما من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك ، وأما غيره فأعطى ما

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل : نيتها (٣) من ظ ، وفي الأصل : لم تكن .

لم يكن في ذلك الوقت له ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال لعنه العباس
رضي الله عنه بعد ما فر الناس : ناد فيهم يا عباس ! فنادى ' وكان صيتا :
يا عباد الله ! يا أصحاب الشجرة ! يا أصحاب السورة البقرة ! فكروا عنقا
واحدا يقولون : ليك ليك ! ويحتمل أن يكون ذكر الرسول عليه
السلام لمجرد التبرك كما في ذكر الله في قوله "فان لله خمسة" و زيادة
في تعظيم الامتتان^٢ به لأن النفوس إلى ما أعطى منه الرسول أميل
والقلوب له أقبل لاعتقاد جلاله وعظمته و كاله (و انزل) أى
من السماء (جنودا لم تروها) أى من الملائكة عليهم السلام (وعذب)
أى بالقتل و الأسر و الهزيمة و السبي و النهب (الذين كفروا)
١٠ عبر بالفعل لأن فيهم من آمن بعد ذلك .

ولما كان ما عذب به من أوجد مطلق هذا الوصف عظيما ، أتبعه
بيان جزاء العريق في ذلك ترهيبا لمن آثر حب شيء مما مضى على حب الله
فقال : (و ذلك) أى العذاب الذى منه ما عذب به هؤلاء وغيره
(جزاء الكافرين) أى الراضين في وصف الكفر الذين آثروا حب
١٥ من تقدم من الآباء وغيرهم على الله فثبتوا على تقليد الآباء في الباطل
بعد ما رأوا من الدلائل ما بهر^٣ الشمس ولم يدع شيئا من لبس . وأما
الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لأنه قادم إلى الإسلام ،
فقد تبين أن المنصور من نصره الله قليلا كان أو كثيرا ، وأن القلة

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٨ آية ٤١ (٣) في ظ : الامتناع (٤) من ظ ، و في
الأصل : قلبه - كذا (٥) في ظ : ابهر .

و الكثرة و القوة و الضعف بالنسبة إلى قدرته سواء ، فلا تغفروا بما
الزمنكم من النعم فانه قادر على نزعها ، لا يستحق أحد عليه شيئا ،
ولا يقدر أحد على رد قضائه ، وفي ذلك إعلام بأنه لا يرتد بعد إيمانه
إلا من كان عريقا في الكفر ، وفيه أبلغ تهديد لأنه إذا عذب من أوجد
الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ! .

ولما بين^٢ أن العذاب جزاء الكافرين ، بين أنه يتوب على من يريد
منهم ، وهم كل من علم منه قابلية للإيمان^٣ وإن كان شديدا في وصف
الكفر^٤ ، فقال عاطفا على ”وعذب“ : (ثم يتوب الله) أى الذى له
الإحاطة علما وبقدره ، ولما لم يكن أحد تستغرق توبته زمان البعد أدخل
الجار فقال : (من بعد ذلك) أى العذاب العظيم (على من يشاء^٥) .
أى فيهديه إلى^٦ الإسلام و يغفر له جميع ما سلف من الآثام (والله) أى
الذى له صفات الكمال (غفور رحيم^٧) أى^٨ محام للخفايا عظيم الإكرام
لمن تاب ، وفي ذلك إشارة إلى أنه جعل هذه الواقعة - لحكمته التى
اقتضت ربط المسيات بأسبابها - سببا لإسلام من حضرها من كفار

قريش وغيرهم من المؤلفة بما قسم فيهم صلى الله عليه وسلم من غنائم^٩
هوازن و بما رأوا من عز الإسلام / وعلوه ، فكان فى ذلك ترغيب لهم
بالمال ، و ترهيب بسطوات القتال ، و لإسلام وفد هوازن بما حصل لهم من
القهر و ما شاهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم من عظيم النصر ، و لإسلام

(١) فى ظ : لا يريد (٢) زيد بعده فى ظ : كان (٣) فى ظ : الايمان (٤) فى ظ :
الكفر (٥) من ظ ، وفى الأصل : على (٦) سقط من ظ .

غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الواقعة أنهم أضعف ناصرا
وأقل عدداً، كل ذلك رحمة منه سبحانه لهم ورفقا لهم . وقد كان جميع
ذلك كما أشار إليه سبحانه ، فأسلم الطلقاء و حسن إسلامهم ، و قدم وفد
هوازن و سألوا النبي صلى الله عليه و سلم جبرهم برد ما أخذ لهم فقال لهم :
٥ إلى ' استأنيت بكم ، فلما أبطأتم قسمت بين الناس فيهم ، فاختاروا المال
أو السبي ! فاختاروا السبي فشفع لهم عند الناس فأجابوه^٢ فرد إليهم أبناءهم
و نساءهم رحمة منه لهم . و ذل العرب لذلك فدخلوا في الدين أفواجا .
و ختم هذه الآية بالمغفرة و الرحمة [على - ٢] ما هو الأنسب لسياق التوبة
بذلك على أنه ما عدل إلى ختم الأولى بـ "عليهم حكيم" إلا لما قررته من حقل
١٠ أم في " أم حسبكم " معادلة للهمزة - و الله أعلم .

و لما تقدم^١ في^٢ الأوامر و النواهي و بيان الحكم^٣ المرغبة و المرهبة
مالم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئا من الالتفات إلى المفسدين ،
بين أن الغلة في مدافعتهم^٤ و شديد مقاطعتهم أنهم نجس و أن^٥ المواضع -
التي ظهرت فيها أنوار^٦ عظمتة و جلالته و أشرقت عليها شمس نبوته
١٥ و رسالته ، و لمعت^٧ فيها بروق^٨ كبره و جالت صوارم نهية و أمره -
مواضع القدس و مواطن الأنس ، من دنا إليها من غير أهلها احترق

(١) من ظ ، و في الأصل : اين (٢) في ظ : فاجابوهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع
آية ١٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : من (٧) من ظ ، و في
الأصل : موافقتهم (٨) في ظ : انه (٩) من ظ ، و في الأصل : انواع (١٠) في
ظ : تحت (١١) في ظ : بوار .

نارها، وبهرت بصره أشعة أنوارها، فقال مستخلصا بما تقدم و مستنتجا :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بألستهم بالإيمان و هم من ' يستقبح الكذب
 ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ ﴾ أى العريقون فى الشرك بدليل استمرارهم عليه .
 و لما كانوا متصفين به . و كانوا لا يغتسلون - و [لا -] يغسلون
 ثيابهم من النجاسة . يولغ فى وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال : ه
 ﴿ نَجَسٌ ﴾ أى و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس عن النجس حسا و معنى ،
 فيجب أن يقدروا و أن يبعدوا و يحذروا كما يفعل بالشيء النجس لما اشتملوا
 عليه من خلال النثر و اتصفوا به من خصال السوء ، و أما أبدانهم فاتفق
 الفقهاء على طهارتها لأن النبي صلى الله عليه و سلم شرب من أوانيتهم
 و لم ينه عن مؤاكلتهم و لا أمر بالغسل [منها -] . و لو كانت نجسة ١٠
 ما طهرها الإسلام . و لما تسبب عن ذلك إبعادهم ، قال : ﴿ فلا يقربوا ﴾
 أى المشركون ، و هذا نهى للسليين عن تمكينهم من ذلك ، عبر عنه
 بنهيم مبالغة فيه ﴿ المسجد الحرام ﴾ أى الذى أخرجوكم منه و أنتم
 أظهر الناس ، و استغرق الزمان فأسقط الجار و نهيهم على حسن الزمان
 ١٤ و اتساع الخير فيه بالتعبير بالعام فقال : ﴿ بعد عامهم ﴾ و حقق الأمر ١٥
 و أزال اللبس بقوله : ﴿ هذا ج ﴾ و هو آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه
 صلى الله عليه و سلم من غزوة تبوك ، فعبر بقربانه لا باتيانه بعد التقديم إليهم
 بأن لا يقبل من مشرك إلا لإسلام أو القتل إشارة إلى إخراج المشركين
 من جزيرة العرب و أنها لا يجتمع بها دينان لأنها كلها محل النبوة العربية

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : المشركين (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : او .

و موطن الأسرار الإلهية ، فن كان فيها - و لو في أقصاها - فقد قارب جميع ما فيها ، و تكون حينئذ بالنسبة إلى الحرم كأفنية الدور و رحاب المساجد ؛ و في الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم أرسل^١ أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم أودعه بعلى رضى الله عنه فأمره أن يؤذن براءة ، قال أبو هريرة : فأذن معنا على يوم النحر في^٢ أهل منى براءة و أن لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان^٣ . و هذه سنة قديمة فقد أمر الله تعالى

/ ٤٨٥

بنى إسرائيل في غير موضع من التوراة بأن لا يبقوا^٤ في جميع بلاد بيت المقدس أحدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التي بفتحها الله عليهم ، منها ما قال المترجم في أواخر^٥ السفر الخامس^٦ : و إذا تقدمتم إلى قرية أو مدينة لتقاتلوا أهلها ادعوهم إلى الصلح ، فإن قبلوه و فتحوا لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يؤدوا إليكم الخراج ، و إن لم يقبلوا الصلح و حاربوكم فخاربوهم و ضيقوا عليهم فإن الله ربكم يدفعها إليكم و تظفرون بمن فيها ، فإذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف ، كذلك

١٥ اصنعوا بجميع القرى البعيدة النائية التي ليست من قرى هذه الشعوب

فأما قرى هذه الشعوب التي يغطيكم الله ميراثا فلا تبغوا^٧ من أهلها أحدا ولكن اقتلوهم قتلًا كالذي أمركم الله ربكم لئلا يعلموكم النجاسة

(١) في ظ : امر (٢) في ظ : على (٣) راجع كتاب التفسير من الصحيح (٤) من ظ ، و في الأصل : تبعوا (٥) في ظ : آخر (٦) راجع الأصحاح العشرين منه . (٧) من ظ ، و في الأصل : فلا تبعوا - كذا .

التي يعملونها^١ لآلهتهم ، ومثل ذلك كثير فيها ، وقد مضى بعده فيما ذكرته
عن التوراة - والله الموفق . وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة
أقسام : أحدها الحرم ، فلا يجوز للكافر^٢ أن يدخله بحال فظاهر هذه
الآية ، الثاني الحجاز وما في حكمه وهو جزيرة العرب ، فدخله الكافر
بالإذن ولا يقيم أكثر من مقام السفر ثلاثة أيام لأن النبي صلى الله
عليه وسلم قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وهي من أقصى
عدن أبين^٣ ، وهي في الجنوب إلى أطراف الشام وهي في الشمال طولاً ،
ومن جدة . هي أقصى الجزيرة غرباً على شاطئ بحر الهند إلى ريف العراق
وهو في المشرق عرضاً ، والثالث سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر
الإقامة فيها بذمة وأمان ما شاء ، ولكن لا يدخل المساجد إلا بأذن مسلم . ١٠
ذكر ذلك البغوي^٤ ، قال ابن الفرات في تاريخه عند غزو بخت نصر لبني
إسرائيل ولأرض العرب : إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار
والأنهار^٥ بها ، فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر ، وذلك أن الفرات
أقبل من بلاد الروم وظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة
وسواد العراق حتى وقع في البحر من ناحية البصرة والآبله^٦ وامتد البحر ١٥
من ذلك الموضع مطبقاً لبلاد العرب ، فأتى منه عنق على كاطمة وتعدى

(١) من نص التوراة ، وفي الأصل : يعملونها (٢) في ظ : لكافر (٣) هو
محلاف باليمن (٤) سقط من ظ (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب تناول
٢/ ٦٦ (٦) في ظ : الأشجار ، وراجع أيضاً ملجم البلدان - جزيرة العرب .
(٧) من المعجم ، وفي الأصل و ظ : الآية .

إلى القطيف و هجر و عمان و الشجر^١ . و مال منه [عنق - ^٢] إلى
 حضرموت و ناحية أبهر^٣ و عدن . و استطال ذلك العنق فطعن في تهامة^٤
 اليمن و مضى إلى ساحل جدة ، و أقبل النيل في غربي هذا العنق من
 أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى وقع في بحر مصر
 ٥ و الشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر^٥ حتى بلغ بلاد فلسطين [فمر - ^٦]
 بعسقلان و سواحلهما . و أتى على بيروت و نفذ إلى سواحل حمص
 و قسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطا على أطراف
 قسرين و الجزيرة إلى سواد العراق ، و أقبل جبل^٧ السراة من قعرة اليمن
 حتى بلغ أطراف الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور و بحد
 ١٠ فصار ما خلف ذلك الجبل في غريبه الغور وهو تهامة ، و ما دونه في
 شريقه بحد^٨ - انتهى .

ولما كان ما والاها من أرض الشام و نحوها كله أنهار أو جداول^٩،
 جعل كأنه بحر لانه في حكم شاطئته^{١٠} ، و لما كان قوامهم بالتاجر ،
 و كان قوام المتاجر باجتماعهم في أسواقهم . و كان نفيهم من تلك
 ١٥ الأراضى مظنة لخوف انقطاع المتاجر و انعدام الأرباح المفضى إلى الحاجة
 و كان قد أمر بنفيهم رعاية لأمر الدين ، و كانت سبحانه عالما بأن

(١) في ظ : شجر (٢) زيد من المعجم (٣) في المعجم : ابين (٤) من ظ ، و في
 الأصل : نهاية ، و في المعجم : تهائم (٥-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد
 من ظ و المعجم (٧) من ظ و المعجم . و في الأصل : جعل (٨) في ظ : نجد .
 (٩) زبدت الواو بعده في ظ (١٠) من ظ ، و في الأصل : شرطيه .

[ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولا سيما وقد قال بعضهم لما قرأ على رضى الله عنه آيات البراءة على أهل الموسم: يا أهل مكة! استعلون ما تلقونه من الشدة بانقطاع السيل وُبعد الحمولات - ^١] ، وعد سبحانه -

وهو الواسع العليم - بما يغنى عن ذلك، لأن / من ترك الدنيا لأجل الدين أوصله سبحانه إلى مطلوبه من الدنيا مع ما ^٢سعد به من أمر الدين ^٥ من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، فقال : ﴿ وان خفتم ﴾ أى بسبب منعهم من قربان المواطن الإلهية ﴿ عيلة ﴾ أى فقرا و حاجة ﴿ فسوف يغنيكم الله ﴾ أى وهو ذو الجلال والإكرام ﴿ من فضله ﴾ وهو ذو الفضل والطول والقوة والحول .

و لما كان سبحانه المالك الغنى القادر القوى الذى لا يجب لأحد ^{١٠} عليه شيء و يجب طاعته على كل شيء ، نه على ذلك بقوله : ﴿ ان شاء ^١ ﴾ [ولما كان ذلك عندهم مستبعدا ، علل تقريبا له بقوله - ^١] : ﴿ ان الله ^٢ أى الذى له الإحاطة الكاملة ^٢ ﴾ ﴿ عليم ﴾ [أى - ^١] بوجوه المصالح ﴿ حكيم ﴾ أى فى تدبير استجلابها و تقدير إدراكها ولقد صدق سبحانه و من أصدق منه قولا فانه أغنام - بالمغانم التى انتلها بأيديهم ^{١٥} بعد نحو ثلاث سنين من إزالتها من كنوز كسرى و قيصر - غنى لم يطرق أرواهم قط ، ثم جعل ذلك سببا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيورتهم إخوانا فى الدين الذى كان سببا لأن يجتمع

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : تقدمه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

في سوق منى وغيره في أيام الحج كل عام من المتاجر مع الغرب والعجم
 ما لا يكون مثله في بقعة من الأرض ، و العيلة : الفاقة والافتقار ، و مادتها
 بهذا الترتيب تدور على الحاجة و انسداد وجوه الحيلة وقد تقدم أول
 النساء أنها - لا بقيد ترتيب - تدور تقاليها الثمانية على الارتفاع ويلزمه
 ٥ الزيادة والميل ، ومنه تأتي الحاجة . وبرهن على ذلك في جميع الجزئيات .

ولما كان ذلك موضع تعجب يكون سببا لأن يقال : من أين
 يكون ذلك الغنى ؟ أجاب بقوله : ﴿ قاتلوا ﴾ أى أهل الأموال والغنى
 ﴿ الذين لا يؤمنون بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال إيمانا هو على
 ما^١ أخبرت^٢ به عنه رسله ، ولو آمنوا هذا الإيمان ما كذبوا رسولا من
 ١٠ الرسل ، وأيضا فالتصارى مثله و بعض اليهود مثنية^٣ ﴿ ولا باليوم الآخر ﴾
 أى كذلك ، وأقل ذلك أنهم لا يقولون^٤ ببحر الأجساد^٥ ﴿ ولا يحرمون
 ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ ورسوله ﴾ أى
 من الشرك و أكل الأموال بالباطل وغير ذلك و تبديل التوراة والإنجيل
 ﴿ ولا يدينون ﴾ أى يفعلون و يقيمون ، اشتق من الدين فعلا ثم أضافه^٦
 ١٥ إلى صفته إغراقا فى اتخاذ^٧ بذلك الوصف فقال : ﴿ دين الحق ﴾ أى

الذى أخذت عليهم رسلمهم^٨ اليهود والمواثيق باتباعه ، ثم بين الموصول
 مع صلته فقال : ﴿ من الذين ﴾ ودل على استهاته سبحانه بهم و براءته

(١) زبدت الواو بعده فى ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : أخبر (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : متيه - كذا (٥) فى ظ : لا يقولوا (٦) فى ظ : الأجسام (٧) فى
 ظ : اضافته (٨) من ظ ، وفى الأصل : إيجاره (٩) فى ظ : رسله .

منهم بأن بنى للفعول قوله : ﴿ ارتوا الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى
 و من ألحق بهم ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ أى وهى ما قرر عليهم فى نظر
 سكانهم فى بلاد الإسلام آمنين ، فعله من جزى يجزى - إذا قضى ما عليه
 ﴿ عن يد ﴾ أى قاهرة إن كانت يد الآخذ أو مقهورة إن كانت يد المعطى ،
 من قولهم : فلان أعطى يده ﴿ وهم صغرون ٥ ﴾ فى ذلك غنى لا يشبه ٥
 ما كنتم فيه من قتال بعضكم لبعض لتغنى ما فى يده من ذلك المال
 الحقيقير و لا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التى لا يبلغ أكبرها و ٢ أصغرها
 ما أرشدناكم إليه مع ما فى ذلك من العز الممكن من الإصلاح و الطاعة
 و سترون ، و عبر باليد عن السطوة التى ينشأ عنها الذل و القهر لأنها الآلة
 الباطشة ، فالمعنى عن يد قاهرة لهم ، أى عن قهر منكم لهم و سطوة بأفعالكم ١٠
 التى أصغرتهم ٣ عظمتها و أدلتهم شدتها ، قال أبو عبيدة : يقال لكل من
 أعطى شيئاً كرها عن غير طيب نفس : أعطاه عن يد - انتهى . و عبر
 بـ " عن " التى هى للجauزة لأن الإعطاء لا يكون إلا بعد البطش المذل ،
 هذا إذا أريد باليد [يد - ٤] الآخذ ، و يمكن أن يراد / بها يد المعطى ،
 و تكون كناية عن النفس لأن مقصود الجزية المال ، و اليد أعظم أسبابه ، ١٥
 فالمعنى حتى يعطى كل واحد منهم الجزية عن نفسه .

ولما كان المراد التعميم أتى بها نكرة لتفيد ذلك ، و يؤيد هذا
 ما نقل العلماء عن الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ أبو الريح ابن سالم
 الكلاعى ، قال فى كتابه الاكتفاء فى وقعة جلولاى من بلاد فارس :

(١) فى ظ : بعضهم (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن
 فى ظ لحذفها (٤) زيد من ظ .

قالوا: قال بعضهم: فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق
والحرث والدلالة مع الجزى عن أيديهم على قدر طاقتهم، وكانت
الدهاقين للجزية عن أيديهم والعارة، وإنما أخذوا الجزية من المجوس
لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأخذها منهم لأنهم
ه أهل كتاب في الأصل، قال الشافعي في باب الجمل والمفسر من كتاب
اختلاف الحديث: والمجوس أهل كتاب غير التوراة والإنجيل وقد
نسوا كتابهم وبدلوه، فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذ الجزية
منهم؛ أخبرنا سفيان عن أبي سعد سعيد بن مرزيان عن نصر بن عاصم
قال: قال فروة بن نوفل الأشجعي: علام تؤخذ الجزية من المجوس
١٠ وليسوا بأهل كتاب؟ فقام إليه المستورد فأخذ بليته^١ فقال: يا عدو الله!
تظن علي أني بكر و علي عمر و علي أمير المؤمنين - يعني عليا - وقد
أخذوا منهم الجزية، فذهب به إلى القصر فخرج على رضي الله عنه عليها^٢
فقال: البدا! البدا! فجلسا في ظل القصر فقال علي: أنا أعلم الناس
بالمجوس، كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسون، وإن ملكهم سكر
١٥ فوق علي أنبته أو أخته فاطلع عليه بعض أهل مملكته، فلما صحا جاؤا
يقينون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا أهل مملكته فقال: تعلمون دينا
(١) في الأصل: يؤخذ، والتصحيح من ظ و سنن البيهقي - باب المجوس أهل
كتاب من كتاب الجزية، وساق هذا الحديث هناك بتمامه عن نفس الطريق
الذي هنا. وساق بعضه في جمع الزوائد ٦/ ١٢ (٢) من السنن، وفي الأصل:
بليته، وفي ظ: بتلييه (٣) في ظ: عليها (٤) سقط من ظ.

خيرا من دين آدم وقد كان آدم ينكح بنيه من بناته، فأنا على دين
 آدم، فبايعوه وقاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فأصبحوا وقد أسرى
 على كتابهم ورفع من بين أظهرهم وذهب العلم الذي في صدورهم، وهم
 أهل كتاب^١ وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
 رضى الله عنهما منهم الجزية^٢. ولما أمر بقتالهم^٣ وصفهم بما هو السبب^٤
 الباعث على ذلك، عطف عليه بعض أقوالهم المبيحة لقتالهم^٥ الموجبة
 لنكاحهم فقال: ﴿وقالت﴾ أى قاتلوا أهل الكتاب لأنهم كفروا بما
 وصفناهم به وقالت ﴿اليهود﴾ منهم كذبا وبهتاناً ﴿عزير﴾ [توين]^٦
 عاصم والكسائي له موضع^٧ لكونه مبتدأ، والباقون منعه نظرا إلى
 عجمته مع العلية وليس فيه تصغير، والخبر في القراءة قولهم^٨ - [١٠]:
 ﴿دا بن الله﴾ أى الذى له العلو المطلق فليس كمثل شيء، وعزير
 هذا هو المسمى عندهم في سفر الأنبياء^٩ ملاخيا، ويسمى أيضا العازر
 وهو الأصل والعزير تعرييه، وأما الذى جمع لهم هذه التوراة
 التى بين أيديهم فقال السموأل بن يحيى المغربى الذى كان يهوديا
 فأسلم: إنه شخص آخر اسمه عزرا، وإنه ليس بنبي - ذكر ذلك في ١٥
 كتابه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود، وهو كتاب حسن
 جدا، وكان السموأل هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود
 وأخبارهم متمكنا من علوم الهندسة وغيرها، وكان فصيحاً بليغاً

(١) في ظ: رفع (٢) من ظ والسنن، وفي الأصل: الكتاب (٣-٢) سقط ما بين
 الرقين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) وهو آخر الأسفار القديمة.

وكان حسن الإسلام يضرب المثل بعقله ، ورأيت اليهود في غاية النكايه منه ، وأراني بعضهم رسالة إليه لبعض أجارهم يسفه فيها رأيه في إسلامه ويشبه عليه بأشياء خطاوية وشرعية ، فأجابه بجواب بديع اقتحه بقوله تعالى : "سيقول السفهاء من الناس ما ولّتهم عن قبلتهم التي كانوا عليها" ثم رد كلامه أحسن رد ثم قال له ما حاصله : دع عنك مثل هذه الحرافات ، وأجب عن الأمور التي ألزمتكم بها في كتاب غاية المقصود ، فما أحرار جوابا ، ثم القائل لهذا القول منهم روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أربعة ، وقيل : قائله واحد وأسند إلى الكل كما يقال : فلان يركب الخيول وقد لا يكون له إلا فرس واحد ، وهو كقوله

١٠ / ٤٨٨ تعالى "الذين قال لهم الناس" - الآية ، وقيل : كان فاشيا فيهم / فلما

عابهم الله به تركوه وهم الآن ينكروته ، والله تعالى أصدق حديثا

(وقالت النضري) أي منهم إفكا وعدوانا (المسيح) [وأخبروا عنه

بقولهم -] : (ابن الله) [أي -] مع أن له الغنى المطلق والكمال

الاعظم ، والمسيح هذا هو ابن مريم بنت عمران ، ثم استأنف قوله

١٥ مترجما قولي "فريقهم : (ذلك) أي القول البعيد من العقول المكذب

للتقول (قولهم بافواههم ج) أي حقيقة لم يحتشموا من قوله مع

(١) في ظ : احسن (٢) سورة ٢ آية ١٤٢ (٣) في ظ : قاله (٤) في ظ : اجاد .

(٥) من ظ ، وفي الأصل : واحده (٦) سورة ٣ آية ١٧٣ (٧) في ظ : اعابهم .

(٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن

في ظ لخذناهما (١١) في ظ : قول (١٢) من ظ ، وفي الأصل : لم يحتشموا .

سخطه، وهو مع ذلك قول لا تجاوز^١ حقيقته الأفواه إلى العقول لأنه لا يتصوره عاقل، بل هو قول مهمل كأصوات الحيوانات العجم لا يتحقق له معنى؛ قال: ومعناه الحال أن قائله لا عقل له، ليس له معنى وراء ذلك، ولبعده عن أن يكون مقصودا لعاقل عبر فيه بالأفواه التي هي أبعد من الألسنة^٢ إلى القلوب.

ولما كان كأنه قيل: فما لهم إذا كان هذا حالهم^٣ قالوه؟ قال ما حاصله: إنهم قوم مطبوعون على التشبه بمن يفعل المفسد كما أنهم^٤ تشبهوا بعبدة الأوثان، فعبدوها غير مرة والانباء بين أظهرهم يدعونهم إلى الله وكتائبهم ينادى بمثل ذلك وينذرهم أشد الإنذار ﴿يضاهون﴾ أي حال كونهم يشابهون بقولهم هذا ﴿قول الذين كفروا﴾ أي بمثله^٥ ١٠ وهم العرب حيث قالوا: الملائكة بنات الله، كما أنهم لما رأوا الذين يعكفون على أصنام لهم قالوا: "يُمُوسَى اجعل لنا إلها كما لهم^٦ الهة".

ولما كان لا يمتنع أن يكون الذين شابههم إنما كانوا بعدهم أو في زمانهم من قبل أن يبين فساد قولهم، نفى ذلك بقوله مشيرا بحرف الجر إلى أن كفرهم لم يستغرق زمن القبل: ﴿من قبل^٧﴾ أي من قبل أن ١٥ يحدث منهم هذا القول، وهذا دليل على أن العرب غيروا دين إسماعيل عليه السلام، اجترأوا^٨ على مثل هذا القول قبل إيقاع نخت نصر باليهود

(١) من ظ، وفي الأصل: لا يجاوز (٢) في ظ: السن (٣) من ظ، وفي الأصل: حاله (٤) من ظ، وفي الأصل: انتم (٥) في ظ: اختروا.

أو في حدوده، وإيس ذلك يبعد مع طول الزمان وإغواء الشيطان،
 فقد كان بين^١ زمان إبراهيم وعزير عليهما السلام نحو ألف وخمسة
 ستة - هذا على ما ذكره بعض علماء أهل الكتاب عن كتبهم وأيده
 ما ذكره المسعودي من مروج الذهب في تاريخ ملوك بابل من نمرود
 ٥ إلى بخت نصر : و ذكر بعض المؤرخين أن بين الزمنين زيادة على ألفي
 سنة على أنهم قد نقلوا ما هو صريح في كفر العرب في ذلك الزمان
 فرووا عن هشام ابن الكلبي أنه قال^٢ : كان بدء نزول العرب إلى أرض العراق
 أن الله عز وجل أوحى إلى برخيا من ولد يهودا أن ائت بخت نصر
 ففره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق^٣ ليوتهم ويطأ بلادهم
 ١٠ بالجنود فيقتل مقاتلتهم ويسبي ذرارهم ويستبيح أموالهم وأعله
 بكفرهم بي^٤ واتخاذهم الآلهة^٥ دونه وتكذيبهم أنبياء ورسل، وعن
 غير ابن الكلبي أنه نظم ما بين أبله والإيلة خيلا ورجالا ثم دخلوا
 على العرب فاستعرضوا كل ذي روح قدروا عليه^٦ ، وأوصى الله
 برخيا وإرميا بمعد بن عدنان الذي من ولده محمد المختوم به النبوة ،
 ١٥ وكان ذكر مشابهم لاهل الشرك تحقيرا لشأنهم تجرئة على الإقدام
 عليهم إذ جعلهم مشابهم لمن دربوا قتالهم وضربوا^٧ عليهم فأذلوهم
 بعد أن كانوا في عزة لا يخشون زوالها ، وعزائم شديدة لا يخافون
 (١) من ظ ، وفي الأصل : قبل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : اغلاف (٤-٤) من
 ظ ، وفي الأصل : ايجادهم الالهية (٥) من ظ ، وفي الأصل : او (٦) من ظ ،
 وفي الأصل : ضروا .

انحلالها، كل ذلك بطاعة الله في قتالهم و طلب^١ مرضاته بنزالهم لأنه عليهم، ومن كان عليه لم يفلح^٢، و إلى مثل ذلك إشارة بقوله في حق هؤلاء: ﴿ قتلهم الله ج ﴾ أى أهلكهم الملك الأعظم، لأن^٣ من قاتله لم ينج منه، و قيل: لأنهم؛ روى عن ابن عباس قال: و كل شيء في القرآن مثله فهو لمن ﴿ انى يؤفكون ٥ ﴾ أى كيف و من أين يعرفون ٥ عن الحق مع قيام الأدلة القاطعة عليه، ثم زادهم جرأة عليهم بالإشارة إلى ضعف مستندهم^٤ حيث كان مخلوقا مثلهم بقوله: ﴿ اتخذوا ﴾ أى كافوا / أنفسهم العدول عن الله القادر على كل شيء و أخذوا ﴿ اجارم ﴾ أى من علماء اليهود، و الحبر في الأصل العالم من أى طائفة كان ﴿ و رهبانهم ﴾ [أى - ٥] من زهاد النصارى، و الراهب في الأصل ١٠ من تمكنت الرهبة في قلبه فظهرت آثارها على وجهه و لباسه، فاختص في العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع ﴿ اربابا ﴾ أى آلهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا و تحليل ما حللوا^٥؛ و أشار إلى سفول أمرهم بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الخائز لجميع صفات الجلال، فكانوا يقولون عليهم و يستدرون أمرهم إليهم حتى أن كانوا ١٥ ليقعونهم^٦ في الحلال و الحرام^٧ ﴿ و المسيح ﴾ أى المبارك الذى هو أهل لأن يمسح بدهن القدس و أن يمسح غيره ﴿ ابن مريم ج ﴾ أى

(١) في ظ: صلت (٢) من ظ، و في الأصل: لا يفلح (٣) في ظ: لا (٤) في ظ: مستندهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: احلوا (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.

اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنا فأهلوه^١ للعبادة بذلك^٢ مع كونه ابن امرأة، فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للآدميين في الحمل والولادة^٣ والتربية والاكل والشرب وغير ذلك من أحوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية، ومع تصريحه لهم بأنه^٤ عبد الله ورسوله، فتطابق العقل والنقل على أنه ليس باله .

ولما قبح عليهم ما اختاروه لأنفسهم، قبحه عليهم من جهة مخالفته لأمره تعالى فقال: ﴿ وَمَا ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنهم ما ﴿ امرؤا ﴾ أى من كل من له الأمر من أدلة العقل والنقل ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى ليطيعوا على وجه التعبد ﴿ الها واحدا ﴾ أى لا يقبل القسمة بوجه ١٠ لا بالذات ولا بالمثالة، وذلك معنى وصفه بأنه ﴿ لا اله الا هو ﴾ أى لا يصلح أن يكون معه إله آخر، فلما تعين ذلك في الله وكانت رتبته زائدة البعد عما أشركوا به، نزهه بقوله: ﴿ سبحانه ﴾ أى بعدت رتبته وعلت ﴿ عما يشركون ﴾ فى كونه معبودا أو مشرعا؛ ذكر أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي القاضى فى تفسيره وغيره عن عدى بن حاتم ١٥ رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال: اقطعه، فقطعته ثم أتيته وهو يقرأ سورة براءة "اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امرؤ الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون" قلت: يا رسول الله!

(١) فى ظ : فاهلوه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الولاية (٤) فى ظ : بان .
(٥) فى ظ : لا يصح (٦) فى ظ : كان .

إنالم نكن نعبدهم^١ قال: أجل. أليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله
فتستحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه؟ قلت: بلى، قال:
تلك عبادتهم^١.

ولما وهى سبحانه أمرهم من جهة استنادهم^٢، زاده توهية من
جهة مرادهم بالإعلام بأنهم بقتالهم لأهل الطاعة [إنما - ٢] يقاتلون الله ه
و أنه لا ينفذ غرضهم بل [يريد غير ما - ٢] يريدون، ومن المقرر أنه
لا يكون إلا ما يريد، فقال مستأنفا أو معللا لما مضى من أقوالهم
وأفعالهم: ﴿يريدون ان يطفؤا﴾ أى بما مضى ذكره من أحوالهم
﴿نور الله﴾ أى دين الملك الأعلى الذى له الإحاطة العظمى، و شرعه
الذى شرعه لعباده على السنة الأنبياء و الرسل، كل ذلك ليتمكنوا من العمل ١٠
بالأغراض و الأهوية، فإن اتباع الرسل حاسم للشهوات، وهم أبعد
الناس عن ذلك.

ولما حقر شأنهم، هدمه بالكلية بقوله: ﴿بافواههم﴾ أى بقول
خال عن شيء يثبت أو يعضيه و ينفذه، و فى تسمية دينه نورا و معاندتهم
إطفاء بالآفواه تمثيل لحالهم بحال من يريد إطفاء نور الشمس بنفخه ١٥
﴿و يابى﴾ أى و الحال أنه يفعل فعل الآبى و هو أنه لا يرضى ﴿الله﴾ أى
الذى له جميع العظمة و العز و نفوذ الكلمة ﴿الآن يتم نوره﴾ أى لا يقتصر
على مجرد إشرافه، بل وعد - و قوله الحق - بأنه لا بد من إكماله

(١) وقد أورده الطبرى فى جامعه حول تفسير هذه الآية (٢) فى ظ: استنادهم.

(٣) زيد من ظ.

و إطفائه لكل ما عداه وإحراقه . ولما في "يأني" من معنى الجحد دخل عليه الاستثناء ، أى إنه يأني كل حالة إلا حالة إتمامه نوره على التجدد والاستمرار ﴿ ولو كره الكافرون ٥ ﴾ أى العريقون^١ في الكفر فكيف بغيرهم .

٥ ولما أخبر أنه معل لقوله و مكمل ، و مبطل لقولهم^٢ و مسفل ،

علل ذلك بما حاصله أنه شأن الملوك . وهو أنهم إذا برز لهم أمر شيء^٣

لم يرضوا أن يرده أحد فان ذلك روح الملك الذى لا يحازى الطاعن فيه

/ إلا بالهلك فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى أرسل رسوله ﴾ أى

/ ٤٩٠

محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ بالهدى ﴾ أى البيان الشافى^٤ بالمعجزات القولية

١٠ و الفعلية ﴿ و دين الحق ﴾ أى الكامل فى بيانه و ثباته كالأ ظاهر

لكل^٥ عاقل ، ثم زادهم جرأة على العدو بقوله معللا لإرساله :

﴿ ليظهره ﴾ أى الرسول صلى الله عليه وسلم [و الدين - أدام الله ظهوره -]

﴿ على الدين كله^٦ ﴾^٧ وساق ذلك كله مساق الجواب لمن كأنه قال :

كيف تقاتلهم و هم فى الكثرة والقوة على ما لا يخفى ؟ فقال : لم لا تقاتلونهم^٨

١٥ و أنتم لا تعتمدون على أحد غير من كل شيء تحت^٩ قهره ، و هم إنما يعتمدون

على مخالفين مثلكم ، كيف لا تجسرون عليهم و هم فى قتالكم^{١٠} إنما يقاتلون

(١) فى ظ : العريقين (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٣) فى ظ : بشيء (٤) فى

ظ : بالهلاك (٥) فى ظ : الشافى (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) زيد قبله

« أى » ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لا تقاتلوهم .

(١٠) من ظ ، وفى الأصل : تجب (١١) فى ظ : تقاتلهم .

رهبهم الذى أنتم فى طاعته ؟ أم كيف لا تصادمونهم و هو الذى أمركم
بقتالهم لينصركم و يظهر آياته ؟ و لعل الختم بقوله : ﴿ ولو كره المشركون ﴾
أبلغ لأن الكفر قد لا يكون فيه عناد ، و الشرك مبناء على العناد باتخاذ
الأنناد ، أى لابد من نصركم خالف من خالف مجرد مخالفة أو ضم
[إلى = ١] ذلك العناد بالاستعانة بمن ٢ أراد .

و لما حقر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم ، و حالهم معروف
فى أنه لا نفع عندهم و لا ضرر ، و أعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه و هو
القادر على كل شيء ، و كان الإقبال على الدنيا أعظم أمارة على الخذلان
و لو أنه بحق فكيف إذا ٣ كان بالباطل ! أقبل سبحانه و عز شأنه على أهل
و ده مستعظفا متاعظا مناديا باسم الإيمان الذى بنى أمره فى أول هذا ١٠
الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل و لو كان بحق . فكيف إذا ٤
كان يباطل ، و يؤتون الزكاة و بما رزقناهم ينفقون ، منها على سفه من
ترك من لا يسأله على بذل الهدى و الدعوة إلى دين الحق أجرا و هو
سفير محض لا ينطق عن الهوى ، و لم يعتقدوه رسولا و اتخذ مربوبا مثله
و هو يأخذ ماله بالباطل ربوا ، و ذلك مقتضى لتحقيرهم ٥ لا مطلق ١٥
تعظيمهم فضلا عن الرتبة التى أنزلهم بها و أهلوم لها مع الترفع عليهم
لتقصدهم أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا
بايمان داعيهم من التكذيب و بما يؤل إليه ﴿ ان كثيرا من الاحبار ﴾
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : اذ (٤) فى ظ : ان .
(٥) فى ظ : لتحقير .

أى من علماء اليهود ((و الرهبان)) أى من زهاد النصارى ((لياكلون))
 أى يتناولون ، ولكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال ، وإشارة إلى
 تحقير الأخبار و الرهبان بأنهم يفعلون ما ينافى مقامهم الذى أقاموا أنفسهم فيه
 ((اموال الناس بالباطل)) أى بأخذها بالرشى وأنواع التصيد [بإظهار -]
 ٥ الزهد و المبالغة فى الدين المستجلب لها بالذور ونحوها فيكنزونها
 و لا ينفقونها فى سبيل الله من أتاها بها بالإقبال بقلوب عباده إليهم .

و لما أخبر عن إقبالهم على الدنيا ، أتبعه الإخبار عن إعراضهم عن
 الآخرة فقال : ((و يصدون)) أى يحتالون فى صرف من يأتهم بتلك
 الأموال و غيرهم ((عن سبيل الله)) أى دين الملك الذى له الأمر كله
 ١٠ بإبعادهم عنه باخفاء الآيات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع دنياهم
 بزوال رئاستهم لو أقبل أولئك على الحق .

و لما كان أكثرهم يكنزون تلك الأموال ، شرع سبحانه يهدد على
 مطلق الكنز ، ففهم من ' باب الأولى الصد الذى هو سبب الجمع الذى
 هو سبب الكنز فقال : ((و الذين)) أى يفعلون ذلك و الحال أنهم يعلمون
 ١٥ أن الذين ((يكنزون)) أى يجمعون تحت الأرض أو فوقها من قولهم
 للجمع اللحم : مكتنز ((الذهب و الفضة)) أى منهم و من غيرهم من
 غير تزكية .

و لما كان من المعلوم أنهما ' أجل مال الناس ، وكان ' الكنز دالا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) فى ظ : الأكرام (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : منه (٥) فى ظ : أنها (٦) زيد فى ظ : مال .

على المكاثرة فيها ، أعاد الضمير عليهما 'بما يدل' على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو وثق لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب^٢ ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر 'من' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق و الترهيب من تركه . ويجوز هـ

٤٩١ /

أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كثرها ، والحاجة إليها لكثرتها أقل ، فالذم على كثر الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كثر الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما^٣ ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا ينفقون منها^٤ كما قال فى الموشى " خذ من أموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم يتال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنها صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهاهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الوجه الذى أمر^٥ الملك الأعلى بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى نقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن هذا العذاب يحصل لهم

ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحصى ﴾ أى يحصل الإحساء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل وظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .

(٧) سقط من ظ .

أى^١ التى لا يقاربها^٢ ناركم ، و تلقى داخلها بالتجهم والعبوسة كما كان يلقى بذلك الفقراء وغيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة ﴿ فتكوى بها ﴾ أى بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التى هى أشرف أعضائهم لأنها تجمع الوجوه والرؤس وموضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعيسهم^٣ بها فى وجوه الفقراء ﴿ وجوبهم ﴾ التى يحوونه^٤ ملثها بالمآكل^٥ المشتهاة والمشارب المستلذة ولا زورارهم بها عن الفقراء ﴿ وظهورهم ط ﴾ التى يحوونه^٦ لتقويتها^٧ وتحميلها بالملايس وتجليتها وتوليتهم^٨ إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء فى مكان . ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ وأشار إلى الحامل على الجمع المنافى للعقل^٩ بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أى لتنافسوا به . ١٠ . و تلتذوا^{١٠} فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أى وبال وعذاب

[ما - ١٠] ﴿ كنتم تكتزونون ﴾ أى تجددون " جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك ؛ روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - ١٢] قال : كنا بالشام فقرأت " والذين يكتزونون الذهب و الفضة " - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، وفى الأصل : لتعيتهم ، وزيدت الواو قبله فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لحذفها (٤) من ظ ، وفى الأصل : تجروونه - كذا (٥) فى ظ : بالاكل (٦) من ظ ، وفى الأصل : تحوونه . (٧) من ظ ؛ وفى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : للفعل (٩) فى ظ : تلتذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجدون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا وفيهم ؛
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ،
فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب
عليه فيه فليس بكنز .

ولما تقدم كثير مما يبنى على التاريخ : الحسج في غير موضع ه
والأشهر وإتمام [عهد - '] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ،
وختم ذلك بالكنز الذى لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ،
و كان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين^٢ بهذه
الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أخذوا في الأشهر - بالنسبة الذى
أمروا أن ينادوا في الحج بابطاله - ما غير الستين^٣ عن موضوعها الذى^{١٠}
وضعها الله عليه ، فضأها به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم
و تحريمهم كما ضأى أولئك قول أهل الشرك فى النبوة و الآبوة ، قال
تمالى : (ان عدة الشهور) أى منتهى عدد شهور السنة (عند الله)
أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر
لاحد معه (اثنا عشر شهرا) أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه^{١٥}
فى النسب (فى كتب الله) أى كلام الملك المحيط بكل^٤ شىء قدرة
وعلم ، و حكمه^٥ الذى هو مجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ،
وفى الأصل : السنن (٦) من ظ ، وفى الأصل : التى (٧) فى ظ : اننى (٨) من
ظ ، وفى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

ولست الشهور ثلاثة عشر ولا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة
منهم كائنين من كانوا في النسيء (يوم) أى كان ذلك وثبت يوم
(خلق السموات والارض) أى اللذين نشأ عنهما الزمان، والمعنى أن
الحكم بذلك كان قبل أن يخلق الزمان (منها) أى الشهور (أربعة حرم ط)
هـ أى بأعيانها لا بمجرد العدد (ذلك) [أى - ٤] الأمر العظيم والحكم

العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة (الدين القيم لا) أى الذى لا عوج فيه
ولا مدخل للعباد، وإنما هو بتقدير الله تعالى للقمر؛ روى البخارى عن أبى
بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال - يعنى فى حجة الوداع - :
إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة

/ ٤٩٢

١٠ اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم، ورجب، مضر الذى بين جمادى وشعبان. ولما بين الأمر سبب عنه
قوله: (فلا تظلموا فيهن) أى الأشهر الحرم (انفسكم) أى بسبب
إنساء بعضها وتحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه
إخلال كل منها بإيقاع الظلم فيه وتحريم كل من غيرها، قال قتادة: العمل

١٥ الصالح والفساد فيها أعظم منه فى غيرها وإن كان ذلك فى نفسه عظيما

فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء؛ وقال أبو حيان ما حاصله: إن
العرب تعيد الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال "منها

(١) زيد فى ظ: الله (٢) فى ظ: الذى (٣) فى ظ: يتخاق (٤) زيد من ظ.

(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح، وفى الأصل وظ: اننى.

(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من

ظ، وفى الأصل: يعيد.

اربعة " أى من الشهور؛ وعلى جمع القلة [لما لا يعقل - ٢] بنون جمع المؤنث فلذا قال "فلا تطلبوا فيهن" أى فى الأربعة .

ولما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال :
 ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء فى الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، وذلك الحكم فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها لقتال ولا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم وإن زادت جموعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون معكم ﴿ واعلموا أن الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تبليقا للحكم به وتعميما فقال : ﴿ مع المتقين ﴾ أى جميعهم ، وهم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسيء ونحوه ، ومن كان الله معه نصر لا محالة .

ولما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أفما فى النسيء تقوى فان سبه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ وذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات وحروب ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه ، وكان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، وفى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، وراجع روح المعاني ٣/ ٢٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فحطوا النسيء لذلك ؛ فقبل تصريحاً بما أنهم
ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر
[إلى شهر - ٢] آخر على أنه مصدر نساءً نسيئاً - إذا أخره ، أو هو اسم
مفعول ، أى الشهر الذى تؤخر العرب حرمة من الأشهر الحرم عن
وقتها ﴿ زيادة في الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، وفيه
ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

ولما بين ما في النسيء من القباحة ، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم
فانهم كانوا لو قاتلوا في الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون الحرمه خائفون
عاقبتها فكانوا [غير - ٢] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله
١٠ قد صاروا خارجين عن دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عزيمة
مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول :
إني لا أجاب^١ ولا أعاب ، وإنه لا مرد لقضائى ، وإني حلت^٢ المحرم
وحرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ وذلك
معنى قوله تعالى يا انا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو
١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) في ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو
بعده في الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده في الأصل : غير ،
ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٦) زيد بعده في الأصل : دائرة التقوى بالكلية ،
ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) في ظ : لا أحب ، وفي بعض الراجع :
لا أخاب (٨) في ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائي و حفص -
 بالبناء للفعول : يضلهم مضل من قبل الله ، و على قراءة يعقوب - بالضم :
 يضلهم الله ؛ ثم بين ضلالهم / بقوله : ﴿ يحلون ﴾ أى ذلك الشهر ،
 و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه
 و لو لم يضطروهم إلى ذلك جذب سنة و لا عض زمان ، بل بمجرد التشهى ه
 فقال : ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا . و ليس المراد
 أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير ' إجلال لسنة ' من السنين ، و هذا
 الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معائب الدين ﴿ لبواطوا ﴾
 أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون
 الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠
 ﴿ ما حرم الله ١ ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها ، فلا يدع لهم هذا الفعل
 شهرا إلا انتهكوا حرمة فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمه فاذا هم لم يدعوا
 حرمه إلا انتهكوها ، فما أبعد من ضلال !

و لما انتهكت^٢ بهذا البيان قباحة فعلهم ، كان [كأنه -^٣] قيل : إن
 هذا لعجب ! ما حلهم على ذلك ؟ فقيل : ﴿ زين ﴾ أى زين مزين ، ١٥
 و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء أعمالهم ٤ ﴾ أى حتى رأوا
 حسنا ، ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا ، ففعل الله بهم ذلك لما علم من
 طبعهم على الكفر فلم يهدم ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال
 ﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكافرين ٥ ﴾ أى
 (١ - ١) فى ظ : اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ : انتهكت (٣) زيد من ظ .
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : حانا (٥) فى ظ : الظالمين .

أى الذين طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ والنسيء -
قال فى "قاموس" : الاسم من نساء الشيء [بمعنى - ٢] زجره و ساقه
و آخره ، قال : وشهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فهى الله عز وجل
عنه ؛ وقال ابن الأثير فى النهاية : والنسيء فعل بمعنى مفعول ، وقال
ه ابن فارس فى المجمل : والنسيء فى كتاب الله التأخير ، وكانوا إذا صدروا
عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء !
فيقولون : أنسنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر -
اتمى . و مادة نساء تدور على التغريب^٢ ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا
ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من
١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا
يكروهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم
فى الغارة فيحل لهم الكنتانى المحرم - انتهى . و كان النساء من بنى ققيم
من كنانة . و كان أول من فعل ذلك منهم القليس* و هو حذيفة بن
عبد بن ققيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة جنادة بن عوف
١٥ ابن أمية بن قلع* بن عباد بن حذيفة بن عبد بن ققيم بن عدى بن عامر بن
ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نساء أربعين سنة . كانت

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج
العروس - مادة نساء (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ،
وفى الأصل : القليس - كذا (٦) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : إمارة .
(٧) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : باع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه^١، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فإذا أرادوا أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرم مكانه صفراً فحرمه، أيواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إني [قد -^١] أحللت [لهم -^٢] أحد الصفرين الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير، هـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحي .

[و -^٢] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله واختلاف أسماء الشهور

به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف؛ أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ١٠ السماوات والأرض، وها أنا» أذكر فيه ما لا يبقى بعده أبس إن شاء الله تعالى، فغنى قوله: ونسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم وسماه صفراً ابتداء السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين صفر وذى الحجة الذي وقع النسيء فيه شهران، وقد كان ينبغي أن يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذي ينبغي إلى العام المقبل،^٦ فالغنى: ١٥

وأخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فإذا جاء العام المقبل انتهى تأخره، وإذا انتهى رجع إلى محله، ويمكن أن ينزل على هذا قول أبي عبيد

(١) من ظ و السيرة، وفي الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ، وفي الأصل: فلا تصارف (هـ) في ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ .

في غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه في شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - والله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه ويكرهون تأخير حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، وهذا هو النسء الذي قال الله " إنما النسء " - الآية ، وكان ذلك في كنفاته ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، والنسء هو التأخير ، فكانوا يمتكثون بذلك زمنا يحرمون صفرا وهم يريدون بذلك المحرم ويقولون : هو أحد الصفرين ، وقد تأول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا صفر ، على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذي بعده كحاجتهم^٢ إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمتكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذاك يتدافع شهر^٣ بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله [به - ٢] ، وذلك بعد ١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته^٤ يوم خلق الله السماوات والأرض ، يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها وبطل النسء ، وقد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ١٥٨ / ٢ ، وفي الأصل وظ : تأخيرهم (٢) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، وفي الأصل وظ : شهرا . (٤) زيد من ظ والغريب (هـ) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لهيئته .

يستحلون المحرم عاما، فإذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه، قال أبو عبيد:
 الأول أحب إلى لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار،
 وليس في التفسير الأخير استدارة، وعلى هذا التفسير الذي فسرناه
 قد يكون قوله "يحلونه عاما ويحرمونه عاما" مصدقاً له لأنهم إذا حرموا
 العام المحرم وفي قابل صفراً ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفراً أيضاً
 أحلوه وحرموا الذي بعده، فهذا تأويل قوله في التفسير "يحلونه عاما
 ويحرمونه عاما" وقال أبو حيان في النهر ما حاصله: كانت العرب
 لا تعيش إلا كثرها إلا من الغارات، فيشق عليهم توالي الأشهر الحرم،
 وكان بنو ققيم أهل دين وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام، فانتدب
 منهم القلس^١ وهو حذيفة بن عبيد بن ققيم، فنسأ^٢ الشهور للعرب، ١٠
 ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه
 ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام، كانوا إذا فرغوا
 من حجههم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا: أنسنا شهراً، فيحل
 المحرم، ثم يلزمون حرمة صفراً ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة ويسمون
 ذلك الصفرة المحرم ويسمون ربيعاً الأول صفراً وربعاً الآخر ١٥
 ربيعاً الأول - وهكذا سائر الشهور، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي
 حل لهم، وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهراً أولها المحرم الذي هو في
 الحقيقة صفراً؛ وقال البغوي: قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين،

(١) فظ: كانت (٢) من ظ والنهر - راجع البحر المحيط ٣٧/هـ، وفي الأصل:
 القلس (٣) من ظ والنهر، وفي الأصل: نسأ .

فحجوا في ذي الحجة عامين و حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر السنة الثانية من ذي القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجة شهر الحج^١ المشروع وهو ذو الحجة؛ وقال / عبد الرزاق^٢ في تفسيره:

/ ٤٩٥

٥ أخبرنا معمر عن ابن^٣ أبي نجيح عن مجاهد في قوله "انما النسيء زيادة في الكفر" قال: فرض الله الحج في ذي الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة والمحرم وصفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال^٤ و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه، فيسمونه - ١٠ أحسبه قال - المحرم^٥ صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوال^٦، ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة^٧، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا^٨ كمثل هذه الصفة^٩ فكانوا يحجون عامين في كل شهر حتى وافق حجة أبي بكر الآخرة من العامين في ذي القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٧٤، وفي الأصل: حج الشهر (٢) وحديثه هذا قد ساقه الطبري بهذا الطريق في تفسيره حول آية النسيء يسير من الاختلاف (٣) - سقط من ظ (٤) من الطبري، وفي الأصل: ذا، وفي ظ: ذي (٥) في تفسير الطبري: صفر (٦) من الطبري، وفي الأصل و ظ: شوال . (٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) في تفسير الطبري: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبري، وفي الأصل و ظ: الآخرة .

ذلك

ذلك ذا الحجة، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته . إن
الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله^١ السماوات والأرض . . وقال
ابن إسحاق في السيرة : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال : كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا ، وإنما
كانوا يوافقون^٢ ذا الحجة كل اثنتي عشرة سنة مرة . فوفق الله عز وجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة ، فحج فيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيته يوم
خلق الله السماوات والأرض ، فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة
أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : على ما كان الناس يحجون عليه ،
ثم قال ابن أبي نجيح : كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم ١٠
ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهرا - انتهى . وقوله هذا يوم^٣ أن
في حج أبي بكر وعتاب رضي الله عنهما اختلافا ، و تقدم عن المهدي
وغيره^٤ التصريح بأنه كان في ذي القعدة - وفيه نظر ، لأن السنة التي
حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودي فيها بتحريم النسب وغيره من
أمور الجاهلية ، فلا شك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء ، ولما مضى ١٥
من الشهر^٥ الذي حج فيه عشرة أشهر ، وكان الحادي عشر وهو ذو
القعدة ساء النبي صلى الله عليه وسلم في أواخره إلى الحج موافقا لهلal
(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، وفي الأصل :
اثني (٤) في ظ : ثم (٥) في ظ : اختلافا (٦) في ظ : غيري (٧) زيدت الواو
بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

ذی الحجۃ ، فلما وقف بعرقۃ أخبر أن الزمان قد استدار ، فلم قطعاً أن استدارته كانت فی حجة أبی بکر ، وكذا فی سنة ثمان وهی السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمین . وذلك لأن النبی صلی الله علیه وسلم وأصحابه رضی الله عنهم لم یكونوا یعتبرون حساب أهل الجاهلیة لانسأتهم ولا غیر ٥ نسأتهم ، لأنه یلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النساء أنهم اعتبروا ما هو زیادة فی الكفر ، وهذا ما لا یقوله ذو مسكۃ ، وقد تقدم النقل أن النبی صلی الله علیه وسلم أرسل أبابکر رضی الله عنه إلى الحج فی أواخر ذی القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب فی ذی الحجۃ : الكفار و غیرهم ، فوقع^٢ إعلامهم ببراءة فی أيام الحج وأما كنهه ، فلو كان ١٠ حصل فی سنة عتاب اختلال فی^٢ ذی القعدة^٢ [بنسئ-٤] لكان ذو الحجۃ بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر بحج الكفار للحج عن حج المسلمین ، فثبت بهذا أيضاً أن حجه رضی الله عنه كان فی ذی الحجۃ ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع فی حجهم اختلال فی سنة من السنین ، وما هی بأول نعمة علیهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام ١٥ أبو العباس أحمد بن أبی أحمد المشهور بابن القاص^٥ من أكابر متقدمی أصحاب الشافعی رحمه الله فی كتابه دلائل القبلة فی باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهراً بالآلهة ، وربما كان الشهر ثلاثین وربما كان تسعاً وعشرین ، فبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثمانی

(١) من ظ ، وفي الأصل : اخر (٢) فی ظ : ووقع (٣-٣) فی ظ : العدد .
(٤) زید من ظ (٥) من ظ ووفیات الأعیان ١ / ٥١ ، وفي الأصل : القاضی .
ساعات (١١٥) ٤٦٠

ساعات وأربعة / أخماس ساعة ، وقالت الهند : السنة ثلاثمائة وخمسة^١ وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من أربعمئة جزء من ساعة ، وذلك من دخول الشمس برأس^٢ الحمل إلى أن تدخل فيه من قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات والايام ه استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده في الجاهلية ، وكان الذي أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلس ، وذلك أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ، وسماه^٣ نسيئا ، ويحج بهم تلك السنة في المحرم ، فأنزل الله تعالى ” انما النسيء زيادة في الكفر “ فلما كانت السنة التي ١٠ حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج في تلك السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج في تلك السنة ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت كهيتها يوم خلق الله السماوات والارض ” منها اربعة حرم ذلك الدين القيم “- يعنى به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى وشعبان ، وذو القعدة ، ١٥ وذو الحجة ، والمحرم ، فسمى ذلك الحج الاقوم ، وقال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسي وقلسا وفاز رسول الله بالحج الاقوم - انتهى .
والقلس بفتح اللام وتشديد الميم ، فالنسيء في البيت متروك الهمز

(١) في ظ : خمس (٢) في ظ : راس (٣) من ظ ، وفي الأصل : سمها (٤) أقحم في الأصل : صلى الله عليه وسلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء
التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية - فيه نظر ، و الظاهر أن علة ما ذكر
في السير من اضطرابهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه
الأقوال واضح الاستدارة ، و ليس المراد بها مصادقة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادقة اسم كل شهر لمسماه
بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا و كذلك غيره
وإن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن
غزوة تبوك كان ابتداءها في شهر رجب ، و كان ذلك ^٢ كما تقدم ^٢ في شدة
الحر و حين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادقة اسم
١٠ كل شهر لمساه [لا لمسمى - ^٢] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل
أنه صلى الله عليه وسلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث
جابر الطويل رضى الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان
قد استدار كهيته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر
شهرًا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثني عشر نفيا لجعلهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرًا - ^٢] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها
و قال : أي شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام ^٣ ، كل
هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية
إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمساه ، و جعلت أشهرنا هلالية
مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدته الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحرام .

من صوم وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم^١ خاصة بوقت من السنة لا تتعداه^٢ - والله الموافق له^٣ ١٢ وقال القاضي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم البستي في تفسيره : حدثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذي انتزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل^٤ أنه لا شك في^٥ د

٤٩٧ /

أن النسيء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط في جاهلية ولا إسلام إلا في شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقله^٦ اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير في النهاية ونشوان اليميني^٧ / في شمس العلوم والقزاز^٨ في ديوانه وابن مكتوم^٩ في ترتيب العباب والمحكم : ذر الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمي بذلك للحج ، وقال ١٠ القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفي النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتون^{١١} فيه^{١٢} من الماء لما بعده ، أي يستقون^{١٣} ويستقون^{١٤} ، وقال المجد في القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) في ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد في ظ : في (٥) في ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ٨٦ .

(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوي نحوي - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .

(٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي ، واستفاض ترتيبه

باسم « الجمع بين العباب والمحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من

النهاية ، وفي الأصل : يرتون ، وفي ظ : يوتون (٩ - ١٠) سقط ما بين

الرقين من ظ .

ذى الحجة ، وفي كتاب أسواق العرب لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية أبي سعيد السكري^١ أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى الحجاز وهي قريب من عكاظ ، [وعكاظ - ٢] في أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم التروية ، و^٢ وافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . وقال الأزرقي^٣ في تاريخ مكة : فاذا رأوا هلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى الحجاز فأقاموا بها ثمانى ليل أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى الحجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم^٤ من الماء بذى الحجاز ، وإنما سمي يوم التروية لترويههم الماء بذى الحجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . وروى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة وموسى بن عقبة - فرقهما - قالوا : وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق^٥ أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف

(١) في ظ : لابن ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكري - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله السكي - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ . (٦) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة أو في الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد في سنة ثمان ، وحديث اعتباره صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة رواه الشيخان ومضى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه ؛ وذكر الواقدي عن مشايخه قالوا : وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس^١ ليال خلون من ذي القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي^٢ عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين^٣ ، وأقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضي الله عنه تلك السنة وهي سنة ثمان ، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم ١٥ الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة ، قال الواقدي^٤ : فأقام بقية ذي القعدة وذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا في شهر يسمونه ذا الحجة ، وهو مما لا يدور

(١) من ظ والمغازي ٣/ ٩٥٨ ، وفي الأصل : بخمس (٢) في ظ : لاثني (٣) من

ظ والمغازي ٣/ ٩٥٩ ، وفي الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازي ٣/ ٩٧٣ .

في حَظْدٍ ولا يقَع في وهم فيه تردد ، ولا يحتاج إلى تطويل بذكره
ولا إطناب في أمره ، وتارة يوافق اسمه مسماه وتارة لا يوافقه لأجل
النسيء ، وعلم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان في ذى الحجة بعد رجوع
النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، وأنه ما تأخر
عن ذى الحجة وإلا لنقل ، وأن حج أبي بكر رضى الله عنه سنة تسع كان

في ذى الحجة لذلك ولما تقدم من أن سفره / له من المدينة الشريفة
كان في آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة ولقولهم : إن الأربعة الأشهر
التي ضربت للمشركين من يوم النحر و لقولهم : إن الأربعة الأشهر
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، وعلم أن ذى الحجة تلك السنة لو كان

١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع ذى الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي
صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسب أو غيره ، وكل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء في تلك السنة فيما أبطله من أمور
الجاهلية في هذه السورة ، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها

١٥ كما مر ، وأما الثاني فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
السموات والأرض ، والخارق بما تتوفر الدواعي [على - ٧] نقله ،
ولا ناقل لهذا أصلا فبطل ، وإذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثني عشر

(١) في ظ : تقرر (٢) زيد بعده في ظ : وأنه ما تأخر عن ذى الحجة (٣) في
ظ : أشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) في الأصل :
الا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرًا ولا سيما بعد إنزال الله تعالى في ذلك ما أنزل في هذه السورة،
وإذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم
في موضع الشهر الذي وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء،
وقد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات
والأرض، فثبت من غير مرية أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك هـ
كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت
بما قدمت من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين والمشركون في
سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثني عشر شهرا، فكان ذو الحجة
فيها في موضعه الذي وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول.

أبي عبيد: فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - ١٠
أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء، وهو الذي اعتقده، وقد
لاح بذلك أن السبب في قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه
وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الزمان
قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا في تلك السنة، وليس ذلك مدلول
هذا التركيب كما لا يخفى - والله الموفق؛ ثم وجدت النقل الصريح في ١٥
زوائد معجمي الطبراني: الأوسط والأصغر للحافظ نور الدين الهيثمي
بمثل ما فهمته، قال في تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعني ابن هشام -
البغوي ثنا الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى
ثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعني

(١) من ظ، وفي الأصل: سواء (٢) في ظ: مبرية (٣) من ظ، وفي الأصل:
موضعها (٤) في ظ: معجم (٥) في ظ: زين (٦) في ظ: حدثنا.

عبد الله^١ بن عمر^٢ رضى الله عنهما قال: كانت العرب يحلون عاما شهرا
وعاما شهرين ولا يصيرون الحج إلا في كل ست وعشرين سنة مرة،
وهو النسء الذى ذكره الله عز وجل في كتابه، فلما كان عام حج
أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج^٣ فسماه الله الحج
الاكبر، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل
الناس الألهة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. لم يروه عن عمر إلا داود
تفرد به الصلت - انتهى، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى،
[ثم رأيت الهيثمى في مجمع الزوائد قال: رجاله ثقات، فأكد ذلك الجزم
١٠ بما فهمت من أنه حسن -^٤]، وإنما أطلت^٥ هذا بما قد لا يحتاج في
إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المهاجرين الجامدين.
ولما أوعز^٦ سبحانه في أمر الجهاد، وأزاح جميع عليهم وبين
أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم
فيقبونه بما يؤدي إلى تحريم الشهر^٧ الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال
١٥ فيه، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الأمر لهم بالنفر في غزوة تبوك عن أمره سبحانه، وكان ابتداءها في شهر
رجب سنة تسع، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان
(١) من ظ، وفي الأصل: عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩، وفي
الأصل وظ: عمرو (٣) في ظ: الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) في
ظ: اطلقت (٦) في ظ: أوعد (٧) سقط من ظ.

٤٩٩ / - / بعد ختم التي قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذي^١ يعم الحرب و غيره
الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، و الاعشى لا يخشى -^٢] :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمْ ﴾ أى من أى قاتل كان ﴿ انفروا ﴾ أى
اخرجوا مسرعين بجد و نشاط جماعات و^٣ وحدانا إمدادا لحزب الله ه
و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفرة : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [جميع -^٤] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى " قيل "
للفعل و القائل النبي صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة^٥
لهم و صونا^٦ لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخلد و خالف ١٠
أمره - انتهى ، ﴿ اناقلتم ﴾ أى تناقلتم تناقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكروا
له سيا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ الى الارض ﴾ أى
لبرد ظلالها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين^٧ فى سفول
الهمم ، لا سماتيين^٨ بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل
إلى الأموال الحاضرة و ثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [به -^٩]

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : -بب (٥) من ظ و البحر المحيط ١/٤١ ، و فى
الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضوتا (٧) فى الأصل و ظ : أرضيين (٨) فى ظ :
سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من^١ الإعراض عنه^٢ التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة
 الآخرة ، هذا مع ما يلزم على^٣ ذلك - ولا بد - من^٤ الزهد في^٥ الأجر
 المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الحسيس ؛ قال مينا خسة ما أدخلوا
 إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منها على أن ترك الخير
 الكثير لأجل الشر اليسير شر عظيم منكر^٦ على من^٧ تثاقل موبخا لهم :
 (ارضيتُم بالحياة الدنيا) أى بالخفض و الدعة فى الدار^٨ الدنية الغارة
 (من الآخرة ج) أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان^٩ : و 'من' تظافرت
 أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، و أصحابنا لا يثبتون^{١٠} أن من^{١١} تكون للبدل
 - انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل^{١٢} ، بل
 ١٠ . إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها
 فانها لا ابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك
 أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت
 ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . و لما كانوا
 قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على
 ١٥ الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ،
 فكأنه قيل : ارضيتُم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن
 العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط
 ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط
 ٤٣ / ٨ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معانٍ كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، وبين كيفية ذلك حتى في اليانية، فعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان"^٢ الذى ابتداءه من الاوثان، لأن الرجس جامع للاوثان وغيرها. ولما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده! فقال تعالى معللا لهذا النهى: هـ (فما) أى بسبب^٣ أنه ما (متاع الحياة الدنيا فى) أى مغمورا فى جنب (الأخرة الا قليل هـ) والذى يندب هم المتجر ويدعى البصر به ويحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها.

ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الإنصاف، توعدهم بقوله: (الا تنفروا) أى فى سبيله (يعذبكم)^٤ ١٠ أى على ذلك (عذابا اليما) أى فى الدارين (ويستبدل) أى يوجد بدلا منكم (قوما غيركم) أى ذوى بأس ونجدة مخالفين لكم فى الحلال التى كانت سببا للاستبدال لولايتها ونصر دينه.

ولما هددهم بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضررون بفتورهم غير أنفسهم فقال: (ولا تضرروه) أى الله ورسوله (شيطا) لأنه متم ١٥ أمره ومنجز وعده ومظهر دينه؛ ولما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم وقصورهم عن^٥ الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ: معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣ (٣) من ظ، وفى الأصل: سبب .
(٤) من ظ و القرآن الكريم، وقد سقط من الأصل (هـ) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على «أى فى» (٧) فى ظ: من.

ونيه بغيركم^١، ففظف عليه تعميما لقدرته ترهيا من عظيم سطوته قوله :
 ﴿ والله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شئ قديره ﴾ .
 ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة
 وعظيم البأس والقوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستغفر لهم - وهو
 نبيه صلى الله عليه وسلم - غير محتاج إليهم^٢ ومتوقف نصره عليهم كما
 لم يحتاج إليهم - بحياطة^٣ القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ،
 وأن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع ما أوعده
 فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - *] بقوله " فاحتاج^٤ الحياة الدنيا " -
 الآية وقوله " لا تغردا " - الآية ، فقال : ﴿ لا تصروه ﴾ أى أتم طاعة
 ١٠ لأمر الله ، والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم إما على طريق الاستخدام
 من^٥ سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا
 فى قوله " إذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصارا
 منه لكم ، وإظهارا فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ،
 وقوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعاقب^٦ التى بعدها
 ١٥ ولا تنفك^٧ عنها قصر الفصل بين الظاهر وضميره ، وذكر^٨ الغاى والصاحب
 أوضح الأمر ، وذلك أنه سبحانه لما عاينهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت
 (١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، وفى الأصل : بحياطة (٤) فى
 ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : عن (٨) من ظ ، وفى الأصل : يعاقب (٩) من ظ ، وفى الأصل :
 لا ينفك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل ،
فوصفهم بالآكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و^١ بأن ما كره لهم
أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يخشونهم لصددهم إياهم عن السيل التي لا يخفى
حسنها على من له أدنى نظر ؛ ولما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس
إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن •
عملهم في تحليل النساء لهم بعض الأشهر الحرم وتحريم بعض أشهر الحل
و الزيادة في عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

ولما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى ، و كان بعضهم
قد توانى في ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للعاقبة على التثاقل عن النفر ، فلما تم
ذلك في هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠
الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : (فقد) أى
إن لم يتجدد^٢ منكم له^٢ نصر فإن الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه
عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد (نصره الله) أى الملك الأعظم
وحده و الأمر في غاية الشدة ، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده
كالماضى - ٢] (اذ) أى حين (أخرجه الذين) و عبر بالماضى لأن ١٥
فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : (كفروا) أى من مكة و هم في غاية
التمائم عليه حين شاوروا^٣ في قتله أو إخراجه أو إتيانه ، فكان ذلك سببا
لإذن الله له في الخروج من بينهم حال كونه (ثانى اثنين) أى أحدهما
أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله (اذ هما في الغار)
(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) في ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) في ظ :
تشاوروا .

أى غار: ثور الذى فى [أعلى-١] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كنا به ثلاث ليال ليفتر عنها الطلب، وذلك قبل أن يصلإ إليكم أو يعولأ فى النصر عليكم (اذ يقول) ٢ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) ٣ [أى-٢] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شىء (لا تحزن) ٥ والحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى؛ وقال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك ٢ ب عظمتها ١٠ شواخ الجبال الصلاب (ابن الله) [أى الذى له الأمر كله - ١] (معناه) ٢ أى بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان * كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيدته بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، وكأ أنه كان موجودا ١٥ فى ذلك الزمان * بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان و كل زمان، فبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المتوال إلا لفوزكم، وفى هذه الآية من التنويه ٦ بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن «رضى الله عنه»
والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه و غفامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان^١
و غيره : قال العلماء : من أنكر صحة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر
لإنكاره كلام الله ، وليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف^٢ الإلهية ، راسخ
القدم فى ذلك المقام^٣ لذلك لم يتلعم^٤ من أول الأمر فى عناد جميع^٥
العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث^٦ عشرة سنة ، و كان
الذى به من القلق إنما هو الخوف من^٧ أن يحصل للنبي صلى الله عليه
وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين
و وقع المعتدين ، ولم يكن جبا ولا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك
كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف^{١٠}
الاعظم الدال على ذلك المقام المذكور^٩ بتلك العظمة التى يتلاشى عندها
كل عظيم ، ويتصاغر فى جنبها كل كبير ،^٨ ولذلك^٨ ذكر هذا الاسم
الاعظم و قدم ، وأشرك الصديق فى المعية وبدأ بالتهنى عن الحزن لأنه
المقصود بالذات و ما بعده علة^٩ له . و أما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم
من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام^{١٥}
بأظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم^{١١} بها مما كانوا فيه ، و منع

(١) راجع البحر المحيط ٤٣/٥ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ
لحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ لحذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى
ظ : لم يتعلم (٥) من ظ ، وفى الأصل : ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : المذكور .
(٨ - ٨) فى ظ : فلذلك (٩) فى ظ : علة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدثه من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية ٥ على سبيل الخصوص به ، وعبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكور^١ به فقال " كلا ان معي ربي^٢ " فكان قيل : ما ذا يفعل والبحر أمامنا والعدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى -] إلى ما أفعل^٣ ، يعرف [ذلك -]^٤ من كان متضلعا^٥ بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها في الاعراف^٦ عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه ١٠ كان في صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليفتيده^٧ بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين والشمال فينتقل إليهما ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، وأنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمن ١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، ولذلك كان به في هذا اليوم من القلق ما ذكر ، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الناس ، ولذلك أتى بالفاء المعقبة في قوله : ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكبته ﴾

(١) في ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : نفل . (٥) من ظ ، وفي الأصل : متصفا (٦) من ظ ، وفي الأصل : الاعراض (٧) في ظ : ليفيده .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ وايدته ﴾ أى انبى صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبّه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ وجعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ / ٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك وغيره ﴿ السفلى ﴾ نخيب سعيهم ورد كيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [من - '] الأوقات فقال : ﴿ وكلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شيء ، ونصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاء دائما أبدا ، فانه قادر على ١٠ ذلك ﴿ والله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شيء من ذلك وغيره ﴿ حكيم ﴾ لا يمكن أن ينقض شيء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لاحد فى مقاربتها فلا يحصى عن نفوذها .

ولما بلغت هذه المواضع من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالامر فقال : ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾ والمراد بالحنة كل ما يكون سيرا لسهولة الجهاد والنشاط إليه ، وبالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ وقال أبو حيان : والحنة والثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة ، وأما من لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقنين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ه/٤٤ ، وفى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما .

و نحوه فخرج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد
ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك
عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى^٢
الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى
٥ مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة
فاتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستنفرنى^٣ شابا و شيخا ! جهزنى .
فما فم يجدوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فم تغير^٤ .
(وجاهدوا) أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى^٥ سياق المعاتبه^٦ لمن تناقل^٧ إلى الأرض
١٠ عن الجهاد عند الاستنفر فى غزوة تبوك . و كان سبب التناقل ما كان
فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب
الظلال فى أراضي الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور
فى السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان
الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من
١٥ يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد موطن الجهاد و طول
المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

- (١) من ظ و معالم التنزيل - راجع اباب التأويل ٨٣/٣ ، وفى الأصل : استنفر .
- (٢) من المعالم ، وفى الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٩/٣١٢ ،
- وفى الأصل : بسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده
- برواية أبي يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٧) من ظ ، وفى الأصل :
- لما تناقل .

قلته . و حجة الإقاعة في الحقائق إثارة للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع
أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على انشغ بالأنفس
فقال تعالى : ﴿ اموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على ما أمكنكم
أو بأحدهما ﴿ في سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى . [أى - ٢] حتى لا يبقى
منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى في نفسه حاصل ه
﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال
صلى الله عليه وسلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال :
هل تستطيع أن تقوم^٢ فلا تقتر و تصوم فلا تفطر^٤ ؟ و ختم الآية
بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ه ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر وإن كان عاما ١٠
فإنما ينفع^٥ به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - ولا يعد
علما إلا النافع - يبحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح
المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده .

٥٠٣ /

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن^١ فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا
بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥
و الزواجر و المواعظ حديرا بأن يخفف كل مثاقل و ينشط كل متكاسل ،
تشوقت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فاعلم سبحانه به في أساليب البلاغة
الخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) راجع
صحيح البخارى - كتاب الجهاد (٥) في ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم يتفجع بالمواظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت
 المتأقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم
 'المبعر لقبائحهم' المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان
 فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا
 ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا
 ﴿ لا تبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن همهم
 قاصرة [و - ٢] منوطة بالحاضر ﴿ ولكن ﴾ أى لم يتبعوك تاقلا إلى الأرض
 ورضى بالقائ الحاضر من الباقي الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة ١ ﴾
 أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال والمشقة
 ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض ٢ فاستأذنوك ،
 وفى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل
 والنهم والثقل ، وإلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق
 العزم [كما قال الشاعر - ٢] :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا

١٥ فله در أولى العزائم والصبر على الشدائد والمغارم !

ولما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسباح بالدين ، فقال
 مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ سيحلفون ﴾ أى المتخلفون
 بأخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم
 إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .

(٤) والبيت لسعد بن قاشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب (١٢٠) ٤٨٠

بالكذب قائلين : والله (لو استطعنا) أى الخروج إلى ما دعوتونا إليه
 (لخرجنا معكم ع) يحلفون حال كونهم (يهلكون انفسهم ع) أى بهذا
 الحلف الذى يريدون به حياتها لانهم كذبوا فيه فاتهموها حرمة اسم الله
 (والله) أى و الحال أن الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ' سبحانه
 (يعلم انهم لكذوبون ه) فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم و الفضيحة ه
 عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، و جزاء الكاذب فى مثل
 ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

ولما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف و الحلف عليه كاذبا ،
 أقبل إليه صلى الله عليه و سلم بالعتاب فى لئذ الخطاب على الاسترسال
 فى اللين لهم و الاتلاف^٢ و أخذ العفو و ترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠
 فقال مؤذنا بأنهم ماتخلفوا إلا بأذنه صلى الله عليه و سلم لأعذار ادعوها
 كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة
 الاعتناء [بشأنه - ٣] و اللطف به صلى الله عليه و سلم : (عفا الله)
 أى ذوا الجلال و الإكرام (عنك ع) و هذا كما كانت عادة العرب فى
 مخاطبتهم^٥ لا كبرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، و الملك - و نحو ذلك . ١٥

ولما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم
 و نحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك :
 (لم أذنت لهم) أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين
 لهم و الصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، و هذا إنما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى
 ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان في أول الأمر لخوف التنازع والفتنة ، وأما الآن فقد علا الدين
وتمكن أمر المؤمنين فالأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن
لهم (حتى يتبين لك) أى غاية البيان (الذين صدقوا) أى فى
التزام الأوامر / بما أقرؤا به من كلمة التوحيد (وتعلم الكذابين) أى
٥ فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن
غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر واليسر والمنشط
والمكره ؛ قال أبو حيان^٢ : و " حتى " غاية الاستفهام - انتهى . وذلك
لأنه وإن كان داخلا على فعل مثبت فعناه النفي ، أى ما لك لم تحملهم^٣
على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع ومن يعصى ، فالحاصل
١٠ أن الذى فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما أمره الله به فانه
لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيحاء واصل جديد ، أو استناد
إلى وحى سابق حاصل عتيد ، والذى أشار إليه سبحانه أحسن^٤ مثل
" ليغفر^٥ لك الله^٦ ما تقدم من ذنبك " من باب حسنات الأبرار
سيئات المقربين ، ومن باب^٧ الترقية من^٨ مقام عال^٩ إلى مقام أعلى
١٥ تسيرا^{١٠} فيهم^{١١} بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ
أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين
(١) فى ظ : لو (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٤٧ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٧) فى ظ : الله لك - كذا
وراجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من
ظ ، وفى الأصل : يسرا (١٠) فى ظ : فهم .

نظم الدرر (الجزء العاشر) ج - ٨

- ما أنزل على وفق^١ الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو والمعروف ، كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى « وأجعل العفو والمعروف خلقه » و بذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم ^٢ أنه قال :
- أوصاني ربي من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال : بخشية الله في ه السر والعلائية ، وأن أصل من قطعني ، وأصفح عن ظلمي ، وأعطى من حرمي ، وأن يكون نطقي ذكرا ، وصمتي فكرا ، ونظري عبرة . فكان فيما أوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة أن يصل من قطعه ويصفح عن ظله ، ولا أقطع^٣ له بمن كفر به وصد عنه ، فكان هو صلى الله عليه وسلم - بحكم ما بعث به و جبل عليه ووصى^٤ ١٠ به - ملتزما للعفو عن ظله و الوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإمكراه على ترك ذلك و الرجوع إلى حق العدل و الاقتصاص و الاقتصاف^٥ المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين^٦ في مؤاخذتهم^٧ بالحق و العدل إلى جامع شرعته ليوجد فيها نحو ما^٨ تقدم من الحق و العدل و إن قل ، و لتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥ و سلم من البعثة بسعة الرحمة [و - ^٩] الفضل ” ان^{١٠} الله يأمر بالعدل و الاحسان . ” و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم^{١١} ” فن القرآن
-
- (١) في ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : رضى (٥) في ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل : من مواحيدهم . (٧) في ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩ ، و في الأصل و ظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣ .

ما أنزل على الوجه الذي بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى
 " ادفع بالتي هي أحسن السيئة " و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف
 و اعرض عن الجاهلین " و قوله تعالى " و لو كنت فظا غليظ القلب
 لانقضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الامر " ١
 ٥ و قوله تعالى " فاصفح الصفح الجميل " و قوله تعالى " فاصفح عنهم
 و قل سلم " و أصل معناه في مضمون قوله تعالى " لقد جاءكم رسول
 من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم " ٢ فما كان من المنزل على
 هذا الوجه تفاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم
 جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر ٣ الامرین و توافق

١٠ الخطابين : خطاب الوصية ، و خطاب الكتاب ؛ و هذا الوجه [من - ٤]
 المنزل خاص بالقرآن العظيم الذي هو خاص به صلى الله عليه و سلم ،
 لم يؤته أحد قبله " و لقد اتيناك سبعا من المثاني و القرآن العظيم " ٤ و من
 القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله في سنن الأولين و كتب
 المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه في المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل
 ١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الاتقام من الشارد ، و ذلك خلاف
 ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم ؛ " فكان صلى الله
 عليه و سلم " إذا أنزل " عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

- (١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ .
 (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) في
 ظ ؛ لتظاھر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١٠٠) سقط ما بين الرقین
 من ظ (١١) في ظ : نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه في أخذه
و الزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره في إمضائه فيكون له
في خطاب التشديد عليه في أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما
يتوهمه الجاهلون، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إمضاء حكم العدل
و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى هـ
” فلعلك باخع نفسك على أثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً “
و نحو قوله تعالى ” لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين “ و نحو
قوله تعالى ” و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون “ و بما أنزل
على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على الأخذ
بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوصية ١٠
و حال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى ” و من يكفر به من الاحزاب فالتار
موعه فلا تلتك في مربة منه انه الحق من ربك “ و نحو قوله تعالى
” ولو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم “ جميعا اذ انت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين “ و نحو قوله تعالى ” فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فستل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥
فلا تكون من الممتريين “ أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - “]
يتوقف الممتري في الشيء أو الشاك فيه [لما - “] قد علم أنه لا بد لآمته

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٩ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : وفي الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد
من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم وإجراء بعضهم دون كلهم على ستة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية في المؤاخذة بذنوبهم وإنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم "فكلا اخذنا بذنبه" ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات "الآن وقد عصيت قبل" "لا تتركضوا" ارجعوا الى ما اترقم فيه ومسكنكم "وذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - ولا بد - عن باطله حين لا ينفعه "وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون" "الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا" لما أبطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، ولما ملأ نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لأمته : كافرهم ومؤمنهم و منافقهم ، أشار بآي من إظهار مؤاخذتهم وأعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تألفهم وأحسبه بمؤمنهم دون كافرهم و منافقهم "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى "سنة من قد أرسلنا [قبلك -] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ و القرآن الكريم
سورة ٢١ آية ١٣ ، وفي الأصل : او (٤) في ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ .
(٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمن من ظ .
(٩) زيد بعده في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (١٠) في ظ :
احسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٧
آية ٧٧ .

رسلنا " سنة الله التي قد خلت من قبل "، " فإ كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
 [٢-هـ] من قبل "، " كذاك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
 وقد خلت سنة الاولين "٢. واذلك قال صلى الله عليه وسلم حين أنزل
 عليه "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك" : "أما أنا فلا أشك ولا أسأل،
 لأنه قد علم جملة أمر الله في أن منهم من يتداركه * الرحمة و من يحق * ٥
 عليه كلمة العذاب ، ولكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلابهم حتى
 يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو - ٢] قوله تعالى " عبس وتولى
 ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتتفعه الذكرى اما من
 استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو
 يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره "٨ و نحو قوله ١٠
 تعالى " ما كان لنبى ان يكون له اسرى يشخن فى الارض تريدون
 عرض الدنيا و الله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم لولا كتب 'من الله'
 سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حللا طيبا و اتقوا الله
 ان الله بغفور رحيم "١٠، فهذه الآى و نحوها يسمعها العالم بموقعها " / على
 إكراه لنبى الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبى - ١٢] الملحمة من جملة ١٥
 أمداح القرآن له و الشهادة له بوفاته بعهد [و - ٢] وصية حتى تحقق ١٢
 له تسميته بنى الرحمة ثباتا على الوصية و نبى الملحمة إمضاء فى وقت
 (١) سورة ٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة. و آية ٧٤ (٣) سورة ١٥
 آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) فى ظ : تداركه (٦) فى ظ : تحقق (٧) زيد
 من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) فى ظ : بموقعها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه
 زيادة . إلى * قبله (١٣) فى ظ : يحقق

لحكم الحق وإظهار العدل ، فهو صلى الله عليه وسلم بكل القرآن ممدوح
وموصوف بالخلق العظيم 'جامع لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله
به من سعة القرآن العظيم' ، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب
في محكم الخطاب ؛ والله سميع عليم - انتهى .

٥ . ولما فاته صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما
في الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال :
(لا يستأذنك) أى يطلب إذنك ' بغاية الرغبة فيه (الذين يؤمنون بالله)
أى يحددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات
الكمال (و اليوم الآخر) أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب
١٠ (ان) أى فى أن (يجاهدوا بأموالهم و أنفسهم) بل يبادرون
إلى الجهاد عند إشارتك إليه ٢ و بعثك عموما عليه فضلا عن أن
يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلف من المهاجرين و الأنصار كانوا
يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه وسلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه
مرة بعد مرة فأئى فائدة فى الاستئذان ! ولنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،
١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالتمعود شق عليهم كما وقع
لعلى رضى الله عنه فى [غزوة - ٤] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! ولما
كان التقدير : فن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله ، عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن
الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليم ﴾ بالمتقين ٥ ﴿ أى الذين ﴾ يخافون الله كلهم .

ولما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيداً لتحقيق صفة العلم بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفياً عن المؤمنين مرتين ، ثبت للمناققين على أبلغ وجه ﴿ انما يستاذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيماناً مستجمعا للشرائط ﴿ واليوم الآخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً وإن ادعوا ذلك بالسنتهم .

ولما كانت [هذه - ٥] صفة المصارعين بالكفر ، بين أن المراد المناقون بقوله : ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوسوس وتمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ ولما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة وسوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى قسب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ٥ ﴾ أى بين النقي والإثبات دأب المتحير لا يجرمون بشئ منهما وإن صدقوا أن الله موجود فإن المشركين يصدقون بذلك ١٥ ولكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، وليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن يقولوا ١٦ إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فاتفق لنا فى التخلف حتى نستعد ١٧ وقد كذبوا ، ما ذاك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقيق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له ﴾
 أى قبل^١ حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع
 بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع
 الأمر به فى الانفصال فيكونون^٢ كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين
 ٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ ولكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط
 فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون^٣ بعدم العدة وما ذاك بهم ،
 إنما مانعهم كراحتهم للخروج وذلك بسبب أن^٤ ﴿ كره الله ﴾ أى
 ذو الجلال والإكرام بأن فعل [فعل - °] الكاره فلم يرد ﴿ انبأتهم ﴾
 أى سيرهم معك^٥ مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له
 ١٠ ﴿ فبطنهم ﴾ [أى - °] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حب
 إليهم من الشهوات وكره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون
 ثوابا ولا يخشون غير السيف^٦ عقابا ، قصروا همهم^٧ الدنية على الصفات
 البهيمية ، فلما استولت^٨ عليهم الشهوات وملكتهم الأنفس الدنيات نودوا
 من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿ وقيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها
 ١٥ ﴿ اقعدوا ﴾ أى عن^٩ جندى لا تصحبوهم ، وفى قوله - : ﴿ مع القعدين ﴾
 أى الذين^{١٠} شأنهم ذلك كالمريض والزمنى والصبيان والنساء - من التبيكيت

/ ٥٠٧

- (١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، وفى الأصل : يعملون .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : معه (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : السعف (٨) من ظ ، وفى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
 (١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية والأنفس الآلية ، وعر بالمجهول
إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم
يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة
للإيابة بوجه .

- و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم وقد كنا قاصدين سفرا^١ بعيدا^٢
وعدوا كثيرا شديدا^٣ فحن محتاجون إلى الإسعاد ولو بتكثير السواد
قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى وإن
كانوا قليلا^٤ معمرين بمجاعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من
الاشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشيء زائد على ما عندكم من الاشياء
غير الخبال ، والاستثناء مفرغ والمستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف^٥
به - هو الشيء ، وذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج
المتأقين ، والخبال : الفساد ، وهو ينظر على الخداع و الاخذ على غرة
﴿ ولا اوضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن
مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، وعبر بالإيضاع لأنه للراكب وهو
أسرع من الماشي ﴿ خللكم ﴾ أى لأسرعوا في السير ذهابا وإيابا بينكم^٦
في تتبع عوراتكم وانتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنميمة
وغيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع في السير يكون برفق ويكون بأسراع ،
و المراد به هنا الإسراع ، ومادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ،
وتارة تكون إلى علو وتارة إلى سفول ، ويلزم ذلك السكون و المحل
القابل لذلك ، وعلى ذلك يتمشى العضو والعوض ، ونحو الذى هو بمعنى^٧

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، وفى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . و ضوع الريح و التصويت بالكاء ، و الضعة لشجرة في البادية ،
و الوضع للطرح في مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال 'جمع الخلال'
و هو الفرجة ^٢ (ييغونكم) أى حال كونهم يريدون لكم (الفتنة ع)
أى بتشيت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند " و قتلوم حتى
٥ لا تكون فتنة " أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى
يصيكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم (و فيكم) أى و الحال أنه فيكم
(سمعون لهم ^٣) أى في غاية القبول لكلامهم اضعف معارفهم و آرائهم .
و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم (و الله) أى الذى أخبركم
بهذا من حالهم و له الإحاطة بكل شيء (عليم) بهم ، فثقوا بأخبارهم .
١٠ هكذا كان الأصل و إنما قال : (بالظلمين ^٤) إشارة إلى الوصف الذى
أرجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن الخير . و تعميها للحكم بالملم [بهم
و بمن سمع لهم و بكل ظالم - ^٥] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد
بمن بوضع بعيره في أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو في غاية
الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك ^٦ حذرا من أن يصيبه
١٥ شيء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغيه
فسادكم ^٧ بدم و وصولكم إلى شيء من مرادكم .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم ^٨ بما وصف

(١-١) في ظ : خلل (٢) من ظ ، و في الأصل : فرجة (٣) في ظ : مواطن .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : كذلك (٦) في ظ : فسادهم (٧) في
ظ : أخباره .

به ذاته الاقدس من إحاطة العلم ، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم
 بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : (لقد ابتغوا)
 أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم (الفتنة) أى لتشتيتكم (من قبل)
 أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى
 كاد بعضهم أن يفشل وفى المريسيع / بما قال ابن أبى " ليخرجن الاعز ٥ / ٥٠٨
 منها الاذل " وفى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ
 كنوز كسرى وقصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة وغير ذلك
 كما صنعوا قبله فى غزوة قينقاع والنضير فى قصدهم تقوية كل منهم
 عليكم وفى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم وأنس جدودهم
 (وقلبا) أى " قلبيا كثيرا " (لك الامور) أى التى لك فيها أذى ١٠
 ظهروا لبطن باحالة الآراء وتدير المكاييد والحيل لعلهم يجدون فرصة
 فى نقض أمرك يتهنونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، وامتد بهم الحال
 فى هذا الحال (حتى جاء الحق) أى الثابت الذى لا مرأى فيه
 مزاولته بما تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين وقمع المفسدين
 (وظهر امر الله) أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥
 والجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره (وهم كرهون) أى لجميع
 (١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : بقونه (٤-٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٥-٥) قدم ما بين الرقيين فى ظ على " وقلبا " (٦) فى
 ظ : الذى (٧-٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : إمرام (٩) فى ظ : بما .
 (١٠) من ظ ، وفى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع في محاولة بمواجهة ولا^١ مخالفة فصارهم^٢
الآن الاعتزال والمبالغة في إخفاء الأحوال وستر الأفعال والأقوال .
ولما أجملهم في هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان
قد استأذن في الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، وبدأ المفصلين
٥ بمن^٣ صرح بالاستئذان في القعود فقال عاطفا على^٤ " لقد ابتغوا " :

(ومنهم من يقول) أى في جبلته تجديده هذا القول من غير احتشام
(ائذن لى) أى فى التخلّف عنك (ولا تفتنى^٥) أى تكن سبياً فى
فتنى بالحزم بالأسر بالنفر^٦ فأنتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحاً بالمعصية
أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين^٧ فانه لا صبر لى
١٠ عن النساء ، وقاتل ذلك هو الجد بن قيس ، كان من الأنصار منافقاً .

ولما أظهرنا أنهم قصدوا البعد من شىء فإذا هم قد ارتكبوا فيه ،
اتتهزت فرصة^٨ الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف
لتحصيل^٩ الثبوت الأكيد باقرار المسؤول فقليل : (الا فى الفتنة سقطوا^{١٠})
أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفاً لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ،
١٥ [و -^{١١}] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتسابهم فى أشراك الفتنة انتساباً
سريعاً بقوة فصار يعسر خلاصهم معه (وان جهنم لمحيطة^{١٢}) أى بسبب إحاطة
الفتنة - التى أسقطوا^{١٣} أنفسهم فيها - بهم ، وإنما قال : (بالكافرين^{١٤})

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : ممن (٤) سقط من ظ (٥) فى
ظ : بالسفر (٦) من ظ ، وفى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، وفى الأصل :
فقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ ،
وفى الأصل : سقطوا .

تعمياً و تنديها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

ولما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم
بسببها ؟ قيل : (ان) أى هى كونهم أن ، ويجوز أن يكون ' علة
لإحاطة جهنم بهم ، [وكانهم - لاجل أنهم من الأوس والخزرج فالأنصار
أقاربهم - خصوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعداوة و شديداً الحق ، وكذا ه
أيضاً كان لا يسوءهم و يسرهم من الحسنة والسنة إلا ما له وقع - بما أذن
به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظاً لقلوب أقاربهم ورعياء
لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك - ٢] : (تصبك) أى بتقدير
الله [ذلك - ٢] (حسنة) أى ٢ بنصر أو غيره (تسوهم ج) أى لما فى
قلوبهم من الضغن والمرض (وان تصبك مصيبة ') أى [نكبة - ٢] ١٠
وإن صغرت كما وقع يوم أحد (يقولوا) أى سرورا و تبجحا بحسن
آرائهم (قد اخذنا أمرنا) أى عصينا الذى أمرنا ولم نسلم قيادنا
لأحد فنكون ٢ كالأعمه ٢ ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، ومنه الأمير ،
رجل إمر وإمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح ٢ :
ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، وهو الأعمه ٢ ١٥

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : سببة (٥) من ظ ، وفى الأصل :
فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالأعمه - مقلوباً عما أتبناه ، وليس فى المعاجم
ما ينص على مادته المقلوبة ، والعمة هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله
ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الأعمه .

وزنا ومعى ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم تكن مؤتمرين بأمره فبصيننا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا بيد الأمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه .
ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن لا يقال ^١ ، وإن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه والاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : ﴿ ويتولوا ﴾ أى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك وإن طال إلى إهاليهم ﴿ وهم فرحون ﴾ أى لمصيتكم لكفرهم ^٢ و لخلاصهم منها .

ولما كان قولهم هذا متضمنا / لثوهم القدرة على الاحتراس من / ٥٠٩
١٠. القدرة ^٣ ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿ قل ﴾ أى إننا نحن لا نقول مقاتلكم لمعرفتنا بأننا لا نملك ضرا ولا نفعا ، بل نقول : ﴿ لن يصيننا ﴾ أى من الخير والشر ﴿ إلا ما كتب ﴾ أى قدر ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ، [ولما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن إن أصابته سراء شكر وإن أصابته ضراء صبر ، عبر باللام فقال - ^٤] :
١٥. ﴿ لناج ﴾ أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ مولناج ﴾ أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ، فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون علمه وهو قادر ، فتحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها ثواقب الأفكار وتخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن
٢٠. لا تهتم فى قضائه لأننا قد توكلنا عليه وفوضنا أمورنا إليه ، والموكل

(١) فى ظ : لا يقاتل (٢) فى ظ : لكفركم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل (و على الله) أى الملك الأعلى لا غيره (فليتوكل
المؤمنون) أى كلهم توكلًا عظيمًا جازمًا لا معدل عنه ، فالفيصل بين
المؤمن والكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقبلها
كيف يشاء^١ ويحكم فيها بما يريد .

ولما تضمن ذلك أن سراءهم وضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ه
بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى^٢ عليه بالراقة والرحمة ، صرح
بذلك فى قوله : (قل هل تترصون) أى تنتظرون انتظارًا عظيمًا
(بنأ الآحادى الحسينين^٣) أى وهى أن نصيب أعداءنا فنظفر وننعم
وتؤجر أو يصيبونا بقتل^٤ أو غيره فتؤجر ، وكلا الأمرين حسن : أما
السراء التى توافقونا^٥ على حسننا فأمرها واضح ، وأما الضراء فوجبة ١٠
لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضاها بها إجلالا له وتسليما
لأمره فهى^٥ حسنى كما نعلم لا سوى كما توهمون (ونحن تترص بكم)
أى تنتظر إحدى السوائين وهى (ان يصيبكم الله) أى الذى له جميع
القدرة ونحن من حزبه (بعذاب من عنده) أى لا تسبب لنا فيه كما
أهلك القرون الأولى بصائر للناس (او بايدينا^٦) أى بسببنا من قتل ١٥
أو نهب وأسر وضرب وغير ذلك لأن حذرهم لا يمنعكم من الله ، وكل
ذلك مكروه عندهم .

ولما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فظ : شاء (٢) من ظ . وفى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، وفى الأصل :
بعده (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكاً [بهم -] بما أدام^٢ إلى ذلك تحسباً لشأنهم فقال :
 ﴿قربصوا﴾ أى أنتم ﴿انا﴾ أى نحن ﴿معكم متربصون ه﴾ أى
 بكم ، نفعل كما تفعلون ، والقصد^٢ مختلف ، والآية^٢ من الاحتباك : حذف
 أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا ، وثانيا إحدى السواين للدلالة
 ه عليها باثبات الحسين أولا .

ولما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية
 ما طهر من أموالهم بالإعانة في سبيل الله خوفاً من اتهامهم بالنفاق في
 أقوالهم ليفقدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿قل انفقوا﴾ أى أوجدوا
 الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقاً ﴿طوعاً او كرها﴾ أى مظهرين الطوعية
 ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ ولما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ،
 لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿لن يتقبل منكم ط﴾ أى يقبض تقبل
 لشيء يأتي من قبلكم أصلاً من أخذ له أن يتقبل كائناً من كان ، ولذلك
 بناء للمفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الإنفاق ولا في
 غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع وكره إنما هو باعتبار الظاهر ، وكأنه
 ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهراً ؛ ولما كان غير مقبول باطنا
 على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿انكم كنتم﴾ أى جملة وطبعاً
 ﴿قوما فسقين ه﴾ أى عريقين في الفسق بالغين أنهى غايته ه .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 الفصل (٤) زيد بعده في الأصل : مبني ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (ه-ه) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن ه عبر بالمجرد ه والترتيب من ظ ه

ولما علل بالعواقب في الخروج عن طاعة، بينه في قوله :

(وما منعهم ان تقبل) أى باطنا، ولذا عبر بالمجرد، [ولذا بناه

للفعل لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين - ٢]

(منهم تفقتهم) أى وإن جلت (الآ أنهم كفروا / بالله) أى الذى ٥١٠ /

له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جبلاتهم وسوء غرائزهم ٥ . ٢

ولما كان قبول النفقات مهيا للطهارة التى تؤثرها الصلاة، كان

السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه

أدل على الخبث، فأكد كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل

منهما على حياله مانع فقال: (وبرسوله ٦) أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين

وهو السبب المانع بمفرده من القبول؛ ثم قدح في شأدهى ما يظهرون ١٠

من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات

بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال: (ولا ياتون الصلوة) أى المفروضة

وغيرها (الا وهم كسالى) أى فى حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط

(ولا ينفقون) أى نفقة من واجب أو غيره (الا وهم كرهون ٥)

أى فى حال الكراهة وإن ظهر لكم ٧ خلاف ذلك، وذلك كله لعدم ١٥

النية الصالحة واعتقاد الآخرة، وهذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب

الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع .

(١) من ظ، وفى الأصل: بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: غرائزه .

(٤) فى ظ: تورها (هـ) من ظ، وفى الأصل: أكد (٦) فى ظ: برسوله (٧) فى

ظ: لهم .

ولما انتفى عن أموالهم النفع الأخرى الذى هو النفع، تسبب
 عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن
 فيها بركة ودلالة على خير، فقال - مينا ما فيها من الفساد الذى يظن
 أنه صلاح: ﴿فلا﴾ - بقاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد
 ٥ النهى عن الصلاة عليهم^١ ﴿تعجبك أموالهم﴾ أى وإن أنفقوها في
 سبيل وجعلوها بها الغزاة. فإن ذلك عن غير إخلاص منهم ولا حسن
 نية ولا جميل طوية، وإنما هو لما أذلم من عزة الإسلام وأخافهم من
 سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب، وعطف عليها الأولاد لمشاركتها
 [لها - ٢] فى الملاذ والقوة والاستعمال فى الجهاد، فقال مؤكدا للنفي
 ١٠ باعادة النافي: ﴿ولا أولادهم ط﴾ فكأنه قيل: فماذا يراد باعطائهم ذلك؟
 ولو منعوها وأعطوها المخلصون لكان قوة للدين، فقال: ﴿إنما يريد الله﴾
 أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن
 [له - ٢] الإحاطة بتمام القدرة، وأبلغ فى الحصر بإدخال اللام^٢ فى
 قوله: ﴿ليعذبهم﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿بها فى الحياة﴾ أى وإن
 ١٥ كان يترأى أنها لذينة، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت
 فى الحقيقة ﴿الدنيا﴾ أى تارة بجمعها وتربيتها وتارة ببذلها كرها فى
 سبيل الله أو فى تزكيتها وتارة بغير ذلك ﴿وتزهد﴾ أى وإنما يريد
 بتمكينهم منها^٣ لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾
 (١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: أموالكم (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ: النفي (٥) سقط من ظ .

أى بسببها (وم) أى والحال أنهم (كفرون ه) أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثُر أموالهم و أولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم^١ و حسن حالتهم^٢ فيستمرون عليها^٣ حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنهم و محتهم ، وأما الدين ه فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون^٤ أظهر لدليله و أوضح^٥ لسيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها و خفي عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالمهم^٦ عليها ، و فى الممات بصعوبته عليهم^٧ المشار إليه بالزهوق ، و فى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها^٨ ، و أما المؤمن فلا يموت حتى^٩ يرى من الثواب ما يسليه عن كل شئ فيشتاق إلى لقاء الله و تخرج نفسه و هو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

و لما وضح بهذه الأمور منابذتهم للؤمنين و خروجهم من ربة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبنا آخر من أحوالهم يقيمونه بالايان الكاذبة فقال : (و يحلفون) أى طلبوا لكم الفتنة و الحال أنهم يحددون^{١٥} الايمان / (بالله) أى على ما له من تمام العظمة (أنهم) أى المنافقين (لمنكم^١) أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا (و ما)

- (١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥) من ظ ، وفى الأصل : بانكلاهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم ﴾ ولكنهم قوم ﴿
 أى مع أن لهم قوة و قيا ما شديدا فيما يحاولونه ﴾ يفرقون هـ ﴿ أى
 يخافون منكم على دما نهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى
 الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا
 هـ و المبغض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقبل : لأنهم لا يجدون ما يحميمهم منكم
 ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم
 يمنعونهم منكم ﴿ أو مغرأت ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من
 غار فى الشيء - إذا دخل فيه ، و الغور : ما انخفض من الأرض .

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول
 ١٠ إليها سهلا ، قال : ﴿ أو مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة
 لضيقه أو لمانع^٢ فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم -
 بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا إليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه
 متولين مرتدين^٣ عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يحمحون هـ ﴾ أى حالهم حال
 الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على
 ١٥ عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية
 لا يرد لها بثر تقع فيه و لا مهلكة^٤ و لا شئ .

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، و ربما بذل ماله^٥ فيه افتداه
 لسفوره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و النفاق و يخالفه -^٦]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

قَالَ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ ﴾ أى يعيبك عند مشاكليہ^١ على طريق الملازمة
 فى ستر^٢ و خفاء أو تظاهر وقلة حياء^٣ ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى اللاتى تؤتيها
 لاتباعك، [ولما أخبر عن اللز، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - ٢] :
 ﴿ فَاِنْ اعْطَوْا مِنْهَا رِضْوَانًا ﴾ أى عنك^٤ ﴿ وَاِنْ لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا ﴾ فاجأوا
 السخط الذى يتجدد فى كل لحظة ولم يتخلفوا عنه أصلاً، و عبر عن ٥
 ذلك بقوله: ﴿ اِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ٥ ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا مهمهم،
 و خالفهم فى أن أولئك أنفقوا ليعتصروا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليعتصروا
 بنفس المال الذى يأخذونه؛ قيل: إنها نزلت فى ذى الحويصرة^٥ لما قال
 للنبي صلى الله عليه وسلم و هو يقسم غنائم حنين: اعدل يا محمدا فانى
 لم أرك تعدل، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ويلك! و من يعدل ١٠
 إذا لم أعدل؟ و سياتى حديثه .

ولما أخبر تعالى عن حالهم السي^٦ [الدنى - ٢] الذى لا يجديهم
 فى الدنيا و يهلكهم فى الآخرة^٧، نبههم على ما هو الأصلح^٨ لهم من^٩ الحال
 الشريف السنى فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ﴾ أى المنافقين ﴿ رِضْوَانًا ﴾ اتهم الله
 أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ الذى عظمت ١٥
 من عظمتته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ وَقَالُوا ﴾ أى
 مع الرضى^{١٠} ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

(١) فى ظ: شياطينه - كذا (٢) فى ظ: تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ:
 عندك (٥) واسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٢ / ٨٨ (٦) فى ظ:
 الآخرة (٧ - ٧) فى ظ: فى (٨) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: بما .
 (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ لخذفناها .

ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق
 بالوعد الآجل ، بين أن الثاني هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال :
 ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعده لا خلف فيه و اعتقدوا أن
 لاحق لاحدا فقالوا^٢ : ﴿ من فضله و رسوله ﴾ أى الذى لا يخالف
 أمره ، [على - ٢] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم علموا ذلك بقولهم :
 ﴿ أنا الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رغبون ﴾
 أى يرغبون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان .
 أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .
 ولما أخبر عن لزوم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم
 ١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيها - ٣] و بين
 أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكل غيره
 لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [* - بأداة القصر
 على ما ذكر : ﴿ انما الصدقات ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق
 من أفراد ، و الظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن
 ١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتداء به ، فقال : ﴿ للفقراء ﴾ أى الذين
 لا شئ لهم أو لهم شئ لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ والمسكين ﴾
 أى الذين لا كفاية لهم بدليل ” اما السفينة^٦ “ - الآية ، و أما ” مسكينا

/ ٥١٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ

» و (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسدت

هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

وامتربة^١ فتقيده دل على أن المطلق بخلافه ﴿واعمالين عليها﴾ أى المؤمنين فى السعاية والولاية على جمعها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ أى^٢ ليسلوا أو يسلم بسبيهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بشيء فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم، فقال رجل: ما عدلت! هـ فقال: يخرج من ضئضى^٣ هذا قوم يمرقون من الدين. وفى رواية: فاستأذنه رجل فى ضرب عنقه فقال: لا، دعه فإن له أصحابا يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم - الحديث. ولئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد^٤. ولا يقال: إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فإن عمله بالمقام الحضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا وله صلى الله عليه وسلم ١٠ مثلها أو أعلى^٥ منها بنفسه أو بأحد من أمته.

ولما فرغ من هذه^٦ الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا، كما دل عليه التعبير [باللام، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -^٧ ب -^٨ بنى،

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ: او (٣) والضئضى: النسل (٤) ورواية البغوى فى العالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامشى لباب التأويل ٣/٨٨. (٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ: على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن «الأصناف» (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة، وهو أقرب نسج على منوال المؤلف، وقال فى باب التأويل ٣/٩٢: وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال: ﴿و في الرقاب﴾ أى والمسكتاتين بسبب فك رقابهم من الرق
 ﴿والغرمين﴾ أى الذين استدانوا فى غير معصية، يصرف ما يعطونه
 إلى قضاء ديونهم فقط ﴿و فى﴾ أى والمجاهدين فى ﴿سبيل الله﴾
 أى الذى له الأمر كله بالنفقة والحمل والإعانة بالسلاح وغير ذلك،
 ٥ ونقل القفال عن بعض الفقهاء أنه عم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه
 الخير من تكفين الموتى وعمارة المساجد ونحوها ﴿وابن السبيل﴾
 وهو المسافر المنقطع عن بلده، يعطى ما يوصله [إليه، ففيه إشارة -^١]
 إلى أن رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه
 إلا بأمرحقا، فانا قد عينا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
 ١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا، فان كانوا منهم أعطاهم وإلا منعهم
 رضى من رضى وسخط من سخط، وقد فرض ذلك، أو ثابتة للفقراء
 حال كونها ﴿فريضة﴾ كائنه ﴿من الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة
 وعلما لعله بأن فى ذلك أعظم صلاح، وهذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
 ﴿والله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم
 ١٥ بما يصلح الدين والدنيا ويؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿حكيم﴾ أى فهو
 = فيصرفون ذلك فيما شاؤوا، وأما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم
 من الرق ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه.

(١) والمشهور بالقفال فى الفقهاء الشافعية سعيد بن عمر النجار وعبد الله بن أحمد
 المروزي وعبد بن على الشافعي وابنه القاسم بن محمد بن على الشافعي (٢) زدناه لتعديل
 العبارة (٣) فى ظ: تاييه - كذا.

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان :
 و بما ، [إن - '] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، و إن
 [كانت - '] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط
 الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار
 عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ه
 و التماذى في حبه يوجب^٢ الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة
 تذكير المالك له بالمالك الحقيقي في أنه أوجب عليه إخراج طائفة
 منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها
 له و يطهره عن محض الإنفاق في شهوات ، و من جهة الآخذ
 أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠
 سيان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج
 الآخذ إليه ، فروعى السيان بقدر الإمكان ، و رجع المالك ببقاء الكثير ،
 و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقل :
 إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى
 الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥
 صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقيين^٣
 و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال^٤ أبو حنيفة : يجوز
 صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٧٧ (٢) في ظ : يعجب (٣) في ظ : البقين - كذا ،
 و المسألة مذكورة في الزكاة من كتاب الأم (٤) في ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون في جميع الأصناف - وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضى الله عنهم وبعيد بن جبير وعطاء وأبي العالية وميمون بن مهران .

ولما بين الصنفين السالفين ، وختم أمرهما بصفى العلم والحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال : (ومنهم الذين يؤذون النبي) أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ ولما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول والفعل ، عطف عليه قوله : (ويقولون هو) أى من فرط سماعه لما يقال له (اذن)

١٠ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد - كما سمي الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خدام^٢ بن خالد وعبيد بن هلال والجلال ابن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلالس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، وقيل غير ذلك ، ١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد والجمع^٣ - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر^٤ من يكر به ويخدع من يخادعه وكذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، ولكنه

(١) راجع البحر ٥٧/ و ٥٨ (٢) وفي البحر المحيط ٦٢/٥ - قدام - كذا ، وورد هذا الاسم في المغازي للواقدي كما في أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازي (٣) وهذا القول منسوب إلى الجوهري (٤) في ظه : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله :
 ﴿ قل اذن خير ﴾ ثم بين [أن - ١] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿ لكم ﴾
 ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان لللائكة الذين يأتونه
 عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿ بالله ﴾ أى بسبب ما يخبرونه
 عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥
 والإكرام ، وحاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف
 وانتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا
 في قوله تعالى ” ولتكبروا الله على ما هدتكم “ أن التقدير : حامدين على
 ما هدياكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته . وهو يشر بحجة
 المؤمنين ولايتهم ، ولذا أتبعه قوله : ﴿ و يؤمن للمؤمنين ﴾ أى الراشخين ، ١٠
 يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما
 يحتمل التصديق ، وذلك لأجل مصالحهم والتأليف بينهم مع ما ثبت
 من صدقهم ، فانه لو حلهم على عقله و مبلغ علمه يحبه الكاذب و عاقب
 الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت
 بسببه أكثر الأرواح ، فنفرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥
 كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر
 و النهى عدى بالبلاء ، وهنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأى شئ
 كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة فى التصديق
 بحيث كأنه لا تصديق [/] غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراخين في
الإيمان، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو في الظاهر فقال : ﴿ ورحمة ﴾
أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾
فهو - والله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من في حكمهم من جزم لسانه
و قلبه من الزل ، أى أن إظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم و ستر قبائح
أسرارهم سبب للكف عن دمائهم ، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان
ذلك سببا لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتمادى الزمان ،
ولا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير
باسم الفاعل ، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه :
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان
و ترديه فى درك الكفران : اعلم أن الله محيط بكل شئ خلقا و أمرا
أولا و آخره ظاهرا و باطنا و هو حمدة ، وله علو فى ظهور أمره
و كبر خلقه ، و احتجاب^١ فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من
حكمته و أسباب هداه و قنته . و ذلك 'العلو هو إلهيته ، و الاحتجاب
١٥ هو ملكه ، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأيد كل أمر من الأمرين
لما أقيم له ، و ذلك هو ربانيتها^٢ و لكل فتق من خلقه و أمره رتق
سابق ، و لكل تفاوت سواء ، و ذلك هو^٣ رحانيتها ، و لكل أقرب
فى مدد الحجاب اختصاص ، ذلك هو رحيميته ، و لكل أبعد فى مدد
(١) من ظ ، و فى الأصل : احجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من
ظ (٣) زيد فى ظ : فى .

الحجاب بطش منه شديد في رده إلى القرب و تلك هي نعمته ، و لكل من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص ، و لكل أمر خلق ، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل بعده ، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له في جميع أمره و تفصيله ، و أنزل القرآن بناء على جملة ذلك ، فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ٥ المحل الذي سمي^٢ فيه بالإنسان ، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسي عهد ربه ، فيرد لذلك بناؤه بالذم في القرآن ” قتل الانسان ما اكفره^٣ “ ، ” ان الانسان لربه لكنود^٤ “ ثم المحل الذي تداركه فيه تنبه^٥ لسماع الزجر من ربه ، و هو له بمنزلة سن الميز لابن سبع ، و لا يقع إلا عن اجتماع و تراء ، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم ، أي ترددهم ١٠ بين سماع الزجر من ربه و غلبة أهوائهم عليهم ، فيرد لذلك بناؤهم بدم أكثرهم في القرآن ” ولكن اكثر الناس لا يعلمون - ولا يشكرون “ ثم المحل الذي يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق ، لكنهم يتزلزلون^٦ عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة ، و هو لهم بمنزلة سن المخطم الذي قد ذاق طعم بدو النظفة من باطنه الناجم ١٥ العقل للنظر في حقائق المحسوسات ، و ذلك هو السن [الذي يسمون-^٧] فيه ” الذين امنوا “ و هو أول سن التلقي ، فلذلك جميع^٨ آداب القرآن

(١) من ظ ، و في الأصل : عن (٢) في ظ : يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧ .

(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ ، و في الأصل : تنبيه (٦) في ظ : يتزلزلون .

(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : ' إذا سمعت الله عز وجل [يقول - ٢] " يا أيها الذين آمنوا " فأعرها^٢ سمعك فانه خير بأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين آمنوا " لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين آمنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الخالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب في الأحوال والبيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين آمنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم في أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين آمنوا " و " الناس " في مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف " يا " الرسالة إلى حد البعد : " يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ١٥ بالله ورسوله " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد في القرآن في خطابهم " يا " البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أرايع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في الأصل وظ: فارعها، وإعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، وفي الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسايح ، يعرفها من تطور فيها ، ويجهلها من نبت سن
 قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب
 منه إثنان : الحرص و الأمل ، فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل
 همه و تعب ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم يفتح له
 الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له نزلات الخطاب لم ين « له ه
 خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من
 كذبه فأذاه من النعمة فقال : ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من
 غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - وهو الملك الأعلى - شرفه و عظمته
 بالجمع بين الوصفين و أعلاه بإضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠
 الأعظم الجامع ، وهو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم
 فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلا جعل جزاءهم من جنسه فقال : ﴿ لهم عذاب اليمه ﴾
 ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمانهم
 فيصلحون ظواهرهم حفظا لها بالآيمان الكاذبة فقال : ﴿ يحلفون بالله ﴾ ١٥
 أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه
 وسلم خصوما و لا أولادكم بالخالفه عموما ؛ و بين غاية مرادهم بقوله :
 ﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فظ : لم بين (٢) فظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم في قلبه
ولكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ والله ﴾
أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه ﴿ ورسول ﴾ أى الذى هو
أعلى خلقه ، وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة
الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ أحق أن ﴾
أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ ولما كان مناط الإرضاء الطاعة ومدار الطاعة
الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى
فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، وذلك إشارة إلى أنهم
إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، وإن خالفوه كان
١٠ قاطعا على كفرانهم .

ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكرهه الخزي عند المؤمنين
وبين أن هو الآخر بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك في استفهام
إنكار وتوبيخ مبينا أنهم فروا من خزي منقض فسقطوا في خزي دائم ،
والخزي : استحياء في هوان ، فقال : ﴿ ألم يعلموا ﴾ أى لدلائلهم على
١٥ الآخر بالإرضاء . ولما كان ذكر الشيء مبهما مفسرا أضخم ، أضمر
للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿ من يحادد الله ﴾ [وهو الملك
الاعظم ، ويظهر المحادة - بما أشار إليه الفك - ٦] ﴿ ورسوله ﴾
أى [الذى عظمت من عظمتة ، بأن - ٦] يفعل معهما فعل من يخاصم في
(١) في ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفي الأصل : حمزه - كذا (٣) في ظ : ذكر .
(٤-٤) في ظ : ولما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل :
اصهار (٦) ريد من ظ .

حد أرض فريد أن يغلب على حد خصمه، ويلزمه أن يكون في حد غير حده (فإن له نار جهنم) أي فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه (خلدا فيها) أي دائماً من غير انقضاء كما كانت نيتة المحادة أبداً؛ ثم نبه / على عظمة هذا الجزاء بقوله: (ذلك) أي الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن (الحزى العظيم) .

٥١٦/

ولما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٢] أخف منهم نفاقاً بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: (يحذر المنفقون) و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيراً لهم من أدنى النفاق فانه يحجر إلى أعلاه (إن تنزل) وبلا كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده، عدى الفعل بعلی فقال: (عليهم سورة) ١٠ أي قطعة من القرآن شديدة الانتظام (تنبههم) أي تخبرهم إخباراً عظيماً مستقصى (بما في قلوبهم) لم يظهروا عليه أحداً من غيرهم أو أحداً مطلقاً، ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الإيمان لعلها تشكك بعض الناس أو تخفف عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدي^١ ويدل على النفاق و يقولون: عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا، وقال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: والله إني لأرانا شر خلق الله ولوددت أني قدمت فجذلت مائة جلدة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا .

- (١) من ظ، وفي الأصل: المحاكه - كذا (٢) في ظ: عظم (٣) زيد من ظ .
 (٤) زيد بعده في الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة في ظ لخذلتها (٥) من ظ،
 وفي الأصل: يشكك (٦) من ظ، وفي الأصل: يخفف (٧) في ظ: نودى .
 (٨) في ظ: ما .

ولما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ،
قال مهددا: ﴿قل استهزموا﴾ أي افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿إن الله﴾
أي المحيط بكمال العلم وتمام القدرة ﴿مخرج﴾ أي كانت له وصف إخراجه
﴿ما تحذرون﴾ أي إخراجه من قبائحكم؛ وعن الحسن: كان المسلمون
يسمون هذه السورة الحفارة، حفرت ما في قلوب المنافقين وأظهرته.

ولما وصفهم بالنفاق، حققه بعدم مبادرتهم^١ إلى التوبة التي هي
فعل المؤمنين، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم من بلغ
الغاية في الجلال والوقار والكمال فقال: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي وأنت
من يجب أن يصدقه مسؤله عما^٢ أخرجت السورة بما أظهرها بينهم من
الكفر، وذلك حين قال بعضهم: انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه^٣ يفتح
قصور الشام وحصونها^٤ هيهات هيهات! فأعلمه الله فقال: احبسوا على^٥
الركب، [فسألهم - °] ﴿ليقولن إنما﴾ أي ما قلنا شيئا من ذلك،
إنما ﴿كنا نخوض﴾ أي نتحدث^٦ على غير نظام ﴿ونلدب﴾ أي بما
لا حرج علينا فيه ويحمل عنا ثقل الطريق، فكانه قيل: فاذا يقال لهم
١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة؟ فقال: ﴿قل﴾ أي لهم تقريرا على
استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع
جاعلا^٧ لهم كأنهم^٨ معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به^٩ بلي حرف
التقرير، وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته تكديبا لهم

(١) في ظ: مبادرتهم (٢) في ظ: كما (٣) في ظ: إن (٤) من تفسير الطبري، وفي
الأصل وظ: حصونه، وزيدت الواو بعده في ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ،
وفي الأصل تنحور - كذا (٧) في ظ: عاجلا (٨) في ظ: بأنهم (٩) في ظ: على.

في قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و يانا لما في إظهارك لتصديقهم
من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و ايبته ﴾
أى التى لا يمكن تبديلها ولا تخفى^١ على ذى بصيرة ﴿ و رسوله ﴾
أى الذى عظمت من عظمته و هو مجتهد في إصلاحكم و تشريفكم و إعلانكم
﴿ كتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزون ﴾ .

و لما حقق استهزائهم ، أتبع قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا
في إثبات العذر ، وهو ما ينفي^٢ الملام ، فان ذلك لا يفنيكم و إن اجتهدتم
لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على
أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من
نكث^٣ منهم تخويفا [له و تحقيقا - ^٤] بحال من أصر [فقال - ^٥] : ١٠
﴿ بعد إيمانكم^٦ ﴾ أى الذى ادعيتموه بألستكم صدقا من بعضكم و نفاقا
من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم

أو إصرارهم ، بين أنهم / قسبان : أحدهما^٧ مطبوع على قلبه و مقضى^٨ ٥١٧ /

توبته و حبه ، و هذا الأشرف^٩ هو المراد بقوله بانيا للفعول إعلاما بأن ١٥

المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾

لأن كلام الملك و إن جرى في مضارع الشرط فهو مرشد إلى تحقيقه

(١) من ظ ، و في الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و في الأصل : نفى (٣) في ظ :

تاب (٤) زيه من ظ (٥) منقطع من ظ (٦) في ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و في

الأصل : الأشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى (عن طائفة منكم^١) أى
 لصلاحتها للتوبة (تعذب طائفة) أى قوم ذور عدد فيهم أهلية
 الاستدارة^٢، وقرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة (بانهم) أى
 بسبب أنهم (كانوا مجرمين^٣) أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير
 ٥. صفة لهم ثابتة^٤ لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، وشرح هذه القصة
 أنه كان يسير بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة،
 نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والآخر يضحك،
 قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم،
 ما أبعد من ذلك! وقيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل في
 ١٠. أصحابنا المقيمين في المدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله
 نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال: احبسوا الركب على، فدعاهم
 وقال لهم: قلتم كذا وكذا؟ فقالوا: "إنما كنا [نخوض ونلعب"
 أى كنا - °] نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع^٥
 الطريق بالحديث واللعب؛ قال ابن إسحاق: والذي عني عنه رجل واحد
 ١٥. وهو مخشي^٦ بن حمير الأشجعي، يقال: هو الذي كان يضحك ولا يخوض
 وكان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [هذه - °]
 الآية [تاب - °]، قال: اللهم! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

(١) في ظ: منهم (٢) في ظ: الاستداد (٣) في ظ: ثابتة (٤) من ظ: معالم
 التزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٩٦/٣، وفي الأصل: ثلاثون.
 (٥) زيد من العالم (٦) من المعالم، وفي الأصل: يقطع، وفي ظ: تقطع (٧) من
 المعالم، وفي الأصل و ظ: مخشن (٨) زيد من ظ: والعالم.

الجلود، و تحب منها القلوب، اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك! لا يقول أحد: أنا غسلت أنا^١ كفتت أنا دفنت، فأصيب يوم^٢ اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه. و اهل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترًا عليه و تبشيرا بتوبة غيره، و اهل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله ”ا كفرتم بعد ايمانكم“^٥ و التعبير بذلك أشنع^٦ في الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتماحدون بالثبات على أى أمر اختاروه و يتدامون بالطيش، و اهل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره^٧ ممن غنى بها، و ما آمن إلا حين تاب، فلذا عبر هناك بقوله ”و كفروا بعد اسلامهم“، قال أبو حيان: قال ابن^٨ عمر: رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة^٩ رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشيها و الحجارة تنسكته و هو يقول ”إما كنا نخوض و نلعب“ و النبي صلى الله عليه و سلم يقول ”إيا الله و آيته“ - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم في العسكر - هى في غاية الفساد، كان^{١٥} ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم: (المنفقون و المنفقت) أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: بدر، و لم تكن الزيادة في ظ و لا في العالم لمخالفاتها (٣) في ظ: ابشع (٤) في ظ: لغيره (٥) من ظ و البحر المحيط ٦٧/٥، و في الأصل: أبو (٦) من ظ، و في الأصل: حالتهم.

و أبطنوا الكفران (بعضهم) و لما كان مرجعهم الجود على الهوى
و الطبع و العادة و التقليد من التابع^(١) منهم للتبوع، قال: (من بعض^(٢))
أبى فى صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة فى أقوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم، و الفصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
و لذلك بينه بقوله: (يامرون بالمنكر) أى بما تقدم من الخبال^(٣) و الإيضاع
فى الخلال و غير ذلك من سبب الخصال (و يتهون / عن المعروف)
أى من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله. يفتون بذلك الفتنة
(و يقبضون أيديهم^(٤)) أى يشحون فلا ينفقون إلا وهم كارهون.

٥١٨/

و لما كان كأنه قيل: أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب؟ أجاب
١٠ بقوله: (نسوا الله) أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله و لا أمر
لأحد معه، و يصلح أن يكون غلة لما تقدم عليه؛ و لما أقدموا على
ذلك، سبب عنه قوله: (فأنسيهم) أى فعل بهم فعل الناسى^(٥) لما
استهان به بأن تركهم من رحمته، فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها، اختصوا بكال الفسق فشرح ذلك فى
١٥ أسلوب التعجيب؛ من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضممار تعميما و تعليقا
للحكم بالوصف - °]: (ان المنفقين هم) أى خاصة (المنفقون^(٦))
أى الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراغبون فى ذلك، فقد علم
بهذا^(٧) أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة.

(١) فى ظ: التابع (٢) فى ظ: الخبال (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى
ظ: التعجب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: بذلك.

و لما

(١٣٠)

٥٢٠

ولما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم وكان مقصودهم باظهار الإيمان والاعتذار عن النقائص بتأكيد الإيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين والتجيب طمعا في العيش في أكنافهم وفرقا من المعالجة بما يستحقون 'من إتلافهم' ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم والطرده اللازم ، وجمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما هـ بأنهم إن لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم وإبلاغا في مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين^٢ باعتقادهم ﴿ والكفار ﴾ أى المجاهرين في عنادهم .

ولما كانوا مجبولين على تجهم المؤمنين والانتقاض عنهم ، وإن أظهرنا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار^{١٠} التى من شأنها تجهم أهلها ولقاؤهم بالعبوسة الزائدة ﴿ تخليدين فيها ﴾ أى لا يراح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ ولعنهم الله ﴾ أى طردهم وأبعدهم من رحمته وهو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لاحد معه فأفهم أنه لا^٢ فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ ولهم ﴾ أى بالأميرين ﴿ عذاب مقيم ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام وجنوده الكرام الأعلام ، وفى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [الله - ٦]

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستاترين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

المملك العلام .

ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض
عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الحالية
و القرون الماضية ، بين لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم
بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب
العقاب و أفتد في استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أي حاصل
ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ ولما كان فاعل ما يذكر
إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أي من الأمم
الحالية ، ثم شرع في شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوا
أشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب
﴿ وأكثر أموالا وأولادا ﴾ وهذا^١ ناظر إلى قوله " فلا تعجبك أموالهم
ولا أولادهم " ﴿ فاستمعوا ﴾ أي طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية
الرغبة معرضين عن العقبي ﴿ بخلافهم ﴾ أي نصيهم الذي قدره الله
و خلقه لهم ، وكان الأليق بهم^٢ أن يتبلغوا به في السفر الذي لا بد منه
إلى الآخرة ﴿ فاستمعتم بخلافكم ﴾ أي كالمفتنين لآثارهم و القاصدين لنارهم
﴿ كما استمع ﴾ و في الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / ولما كانوا لم يستغرقوا
الزمن الماضي ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلافهم ﴾ - ظاهرا غير
مضمر تنبيه على ذمهم بقلّة النظر لأنفسهم المستلزم لقلّة غفولهم حيث
كانوا دونهم في القوة أبدانا و أموالا و أولادا ولم يكفوا عن الاستماع

(١) في ظ : من (٢) في ظ : هو (٣) حقط من ظ .

والخوض خوفا مما يحق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب^١ من الأسباب (وخصتم) أى ذهبت في أقوالكم وأفعالكم خطأ^٢ على غير سنن قويم (كالذى) أى كخوضهم الذى (خاضوا^٣) وهو ناظر إلى قولهم^٤ ” إنما كنا نخوض ونلعب “، قال أبو حيان : وهو مستعار من الخوض فى الماء ولا يستعمل إلا فى الباطل ه لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب ونظام ، وأمور الباطل إنما هى خوض ، ومنه قوله : رب متخوض فى مال^٥ الله له النار يوم القيامة . ولما آذن هذا النظم لهم بالخسارة^٦ ، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : (أولئك) أى البعداء من الخير ،

والظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة وكثرة الأموال والأولاد ١٠ (حبطت) أى فسدت فبطلت (أعمالهم فى الدنيا) أى بزوالها عنهم ونسيان لذاتها (والآخره) أى وفى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها ، وزاد فى التنبيه على بعدم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال : (وأولئك هم) أى خاصة (الخسرون ه) أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فحسروا أنفسهم فلا أخسر من ١٥ تشبه [بهم - ٧] ، ولعل فى الالتفات^٨ إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من^٩ مثل هذه الحال^{١٠} لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : ربما - كذا ، وراجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ : لال (٦) فى ظ : الكساره (٧) زيه من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى . (١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن في إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شيء
وإشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه^١ بعلّة ذلك الحال أو غير ذلك
من الخلال؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالي في آخر عروة المفتاح في بيان
تناول كلية القرآن لكلية الآية ولكل قارئ يقرأه من أهل الفهم والإيقان:
ه اعلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن نبأ^٢ عن جميع الأكوان، وأن
جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر
النبوات والرسالات والخلافاة وأصناف الملوك والفراعنة والطفلة
وأصناف الجنّة وجميع ما أصابهم من المثوبات والمثلات في يوم آدم
عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة آلاف سنة
١٠ ونحوها كل ذلك يتكرر^٣ بمجملته في يوم محمد صلى الله عليه وسلم الذي
هو ألف سنة أو نحوها أعداداً بأعداد وأحوالاً بأحوال في خير أو شرف،
لكل من الماضين مثل يتكرر^٣ في هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله
عليه وسلم - ٤] «لكل نبي قبلي في أمّتي نظير»، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم
نظراء «مثل إبراهيم كآبي بكر، ومثل موسى كعمر، ومثل هارون
١٥ كعثمان، ومثل نوح كعلي، ومثل عيسى كآبي ذر»، وقال صلى الله عليه وسلم
«إني لأعرف النظراء من أمّتي بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم
كافراً ومؤمنهم بمن كان ومن هو كائن ومن سيكون بعد، ولو شئت
أن أسميهم لفعلت»، فما صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم
أن الذي فيه من قصص الأولين وأخبار المثابين والمعاقبين من أهل
(١) في ظ: ايضاه (٢) في ظ: على (٣) في ظ: متكرر (٤) زيد من ظ (ه) من
ظ، وفي الأصل: فما.

الأديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا
و ليس كذلك] إنما مقصوده - ' [الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة
في هذه الأمة^٢ من نظائر^٢ جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال والآثار
حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه
الأمة^٢ و أتمتها هدايتها و ضلالها ، فحينئذ يفتح له باب الفهم و يضيء له ه
نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من
/ أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر :

٥٢٠ /

إياك أعنى و اسمعى بإجارة^٤

نم إذا شهد انطباق القرآن على كلية الأمة^٢ فكان بذلك عالما
ينفتح له باب ترقى ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠
على كلية الأمة^٢ منطبقا على ذاته في أحوال نفسه^٥ و تقلباته^٦ و تصرفات
أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع
بسماع جميعه و يعتبر بأى آية سمعها منه فيطلب^٧ موقعها في نفسه فيجدها
بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريرا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات
أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود^٨ التنبيه ١٥
في هذا الفصل جملة ، و لنستخذ لذلك مثالا يرشد^٩ لفهم ذلك
الانطباق على كلية الأمة^٢ علما و على خصوص ذات القارئ السامع
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الآية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع مجمع الأمثال
للإداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في
ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا ترشد .

عرفانا، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التي لم تترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين والموقنين التي جعلتها تحت حياطة الملك والجزاء والمدائنة، الذين تروّعهم رائحة الموت أولا ثم رائحة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخسنيين التي كل موقف منها ألف من السنين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فعدد هذه الأديان سبعة، ما من دين منها إلا و يوجد في صنف من أصناف هذه الأمة، وتجده المعتبر في نفسه في وقت ما بقلّة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن ملح عين زائل، وهذه الأديان السبعة هي دين 'الذين آمنوا' من هذه الأمة ١٠ ولم يتحققوا^١ لحقيقة الإيمان فيكونوا^٢ من 'المؤمنين' الذين صار الإيمانوصفا ثابتا في قلوبهم، الموحدين المتبرئين من الحول والقوة، المتحققين لمعناه، إقذار الله عليهم بما شاء لا بما يشاؤون "الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - اولئك هم المؤمنون حقا"^٣، وأما الذين آمنوا فهم الذين لا يشكّون على حال إيمانهم ولكن تارة وتارة، ولذلك هم المنادون والمنهيون والمأمورون في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء في السورة الواحدة مرات^٤ عديدة من نحو ما بين قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"^٥ - إلى قوله تعالى^٦: "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ، وفي الأصل: خمس (٢) في ظ: يؤخذ (٣) في ظ: لم تتحققوا .
(٤) في ظ: تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ، وفي الأصل: مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقعين من ظ .

عن دينه^١“ إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا ثم كفروا
 ثم امنوا^٢“ فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات
 من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل في الصحة من الأديان الثلاثة^٣
 في نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصارى و الصبئين
 من امن بالله و اليوم الآخر“^٤ المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم^٥
 و المغيرين لدين لم ينزل الله به من سلطان في نحو قوله تعالى ” ان الذين
 امنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصارى و المجوس و الذين اشركوا“^٦
 فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا^٧ و الذين
 منهم الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون
 عرض هذا الأدنى و يقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله^٨
 يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ،
 و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون
 الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أجبأرهم و رهبانهم أربابا من دون الله
 و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ،
 و الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا في دينهم و قالوا على^٩
 الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله^{١٠} و المسيح ابن مريم ؛
 و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متأهلو النجوم عباد الشمس
 و القمر و الكواكب و مغيروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا^{١١}

(١) - سورة ٥ آية ٤٤ (٢) - سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) - سقط من ظ (٤) - سورة ٢
 آية ٦٢ (٥) - سورة ٢٢ آية ١٧ .

اسماويا ؛ وأما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين :
نورا وظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ وأما الدين السادس فدين الذين
أشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا^١ أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا
وهم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية^٢ لعد الست لما جاء فيه ؛ وأما
• الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لسته خيرا
كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المناققين الذين ظاهروهم مع الذين
آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها^٣
الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا :
إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها في هذه الامة بنحو ما وقع
١٠ قبل في الأمم الماضية ، وهو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك في
قوله صلى الله عليه وسلم : لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا
بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل في
جحر ضب^٤ لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس والروم ؟
قال : فهل الناس إلا هم ، وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
١٥ هو من مضمون قوله تعالى ” كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا “ ، وأهل هذه الأديان
السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، والناجون

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) في ظ : المتوفية (٣) في ظ : شركها .
(٤) في ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفي الأصل : الضب .

بالكلية الفاتزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين والموقنين ، ومزيد
تفصيل في ذلك و تثنية قول ما بينه^١ عليه بحول الله تعالى من جهات
تتبع^٢ طوائف من هذه الامة^٣ سنن من تقدمهم في ذلك ، أما وجه
تكرار دين الذين أشركوا في هذه الامة^٤ فباتخاذهم أصناما وآلهة يعبدونها
من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الاصنام والأوثان من
الحجارة والخشب ، واتخذت هذه الامة بوجه اللطف^٥ وأخفى أصناما
وأوثانا . فانها اتخذت^٦ الدينار والدرهم أصناما والسبائك والنقر أوثانا
من حيث أن الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله
عليه وسلم : صم أمي الدينار والدرهم ، وقال صلى الله عليه وسلم :
لكل أمة عجل وعجل أمي الدينار والدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك^{١٠}
أن الصنم الذي صنعه يده ينفعه و ظن المفتونين من هذه الامة أن
ما اكتسبوا من الدينار والدرهم^٧ ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك^٨
إلا درهمك ” يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
اسلامهم^٩ ” فما من آية نزلت في المشركين في ذكر أحوالهم وتبيين
ضلالهم وتفاصيل سرهم^{١١} وإعلانهم إلا وهي منطبقه على كل مفتون^{١٥}
بديناره ودرهمه ، فوقع قول المشركين في أصنامهم ” ما نعبدكم الا ليقربونا
الى الله زلفى ”^{١٢} مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب آمال إلا لأعمل

(١) في ظ : بينه (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتبع (٣-٢) سقط ما بين الرهين من
ظ (٤) في ظ : اللطف (٥) في ظ : اتخذ (٦) في ظ : الدراهم (٧) في ظ : ما ينفعك .
(٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

/ ٥٢٢

الخير وأستعين به على وجوه البر، ولو أراد البر لكان ترك التكسب
والتمول له^١ أبر؛ قال صلى الله عليه وسلم: إنما أهلك من كان / قبلكم
الدينار والدرهم وهما مهلكاكم. فكل من أحبها وأعجب بجمعها فهو
مشرك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان بطلان عليه قول لا إله إلا الله
٥ لأنه تأله ماله^٢؛ قال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم^٣ على دينهم، فمن وجد من هذا
مسة^٤ فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقا عليه^٥
ومنزلا إليه وحافا به حتى يخلصه^٦ الله من خاص شركه كما خلاص من
أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين، فتخلص^٧ هذا المشرك بما
١٠ له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون
قوله تعالى ”ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور“
فهذا وجه تفصيل يبين^٨ نخوا من تكرار دين الشرك في هذه الأمة، وأما
وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الأمة^٩ فاطباق الناس على رؤية
الأفعال من أنفسهم خيرا وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
١٥ استحسنت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
و فلانا يمنع و فلانا تخير منى و فلانا أعطاني، حتى ملأوا الدواوين من
الأشعار والخطب والرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: باله (٣) في ظ: دينارهم (٤) من
ظ، وفي الأصل: شبهة (٥) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٦) في ظ: يخلصه.
(٧) في ظ: فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ، وفي الأصل: يباض.
(١٠) من ظ، وفي الأصل: الآية.

على ما لم يمنحوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله
و يلحدون في أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض " سيدى وسندى و أسنى"
عددى عبدك و مملوكك ، يطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية
خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا
و عاقبنا - كلمة تمردية ، [آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ه
كالذى حاج إبراهيم في ربه - ٢] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا
أحيى و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح
دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه " أسلمت وجهى لله
و من اتبعن ٢ " ، " الا له الخلق و الامر ٣ " و ما سوى ذلك قدرية
[و - ١] هى مجوسية هذه الامة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب ١٠
و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا
أن التقدير ٤ منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛
قال صلى الله عليه وسلم : القدرية مجوس هذه الامة ، فكل ما أنزل الله
عز و جل في القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان بما عزاه لمن
وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعة أو تمردية أو ذى ١٥
سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم
في الذين زعموا أنهم فيهم شركاء يخافونهم و رجونهم ، فكل ٦ خائف من
الخلق أو راج منهم ٧ من عداد الذين آمنوا و الذين أسلبوا في هذه الامة
(١) فى ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : المقدور (٦) فى ظ : ذلك (٧) فى ظ : فهم .

فهم من محوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة
 عليه ليسأل الله تعالى التخلّص منها وليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه
 وإن كان لم يشعر به قبل ؛ فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ،
 [وأما وجه وقوع الضائفة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على
 أكثرهم وتخصّصاً ملوكها وسلاطينها وذوو الرئاسة^١ منها من النظر في
 النجوم والاعمال [بحسب - ٣] ما تظهره هبتها عندهم من سعد وتيسر
 والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الانواء ، إقبال القلب على الآثار
 الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه الخليون - الذين يعلمون
 ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال
 ١٠ صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمّتي هم كفروا ليسوا بتاركين -
 فتذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / والمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية
 هم ضائفة هذه الأمة * ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم
 من الخلق هم سحوس هذه الأمة ؛ وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم^٢
 بذرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة - وما انطوى [عليه - ٢] سر كل
 ١٥ طائفة منهم مما يتعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم وتعبودهم الذي إليه
 تصرّف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به
 قلبه ، فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الضائفة فهو حجة عليه

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 الرأي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقین
 من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن وهو
 نذير لهم بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم يرحون^١
 به وهم الآخرون "ولا يزيد الظالمين الا خسارا"^٢ فما يختص بهذه
 الطاقة المتصبة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
 السموات والارض وليكون من الموقنين"^٣ - الآيات في ذكر الكوكب
 والقمر والشمس إلى آيات ذكر التسخير لمن نحو قوله تعالى "وهو
 الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر والشمس والقمر
 والنجوم مسخرت بأمره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"^٤، "هو
 الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
 السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق"^٥ "وانه هو رب اشعري"^٦ ١٠
 كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الأفلاك والنجوم
 المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها، فهذا
 وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا والذين أسلموا فى هذه الأمة،
 وأما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها وفشا فى أعمالها
 وأحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى ١٥
 فى اختلافهم وغلبة أحوالهم - ملوكهم وسلاطينهم - على أحوال أنبيائهم
 وعلماهم وأوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة وأشعر أولو الفهم
 (١) من ظ، وفى الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥
 (٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ليعلموا، وراجع سورة ١٠
 آية ٥ (٧) سورة ٥٣ آية ٤٩ .

بوقوعه فيهم بنحو ما في مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم اليُسُت" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم
"لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لاتبعتموهم"، وفي بعض طرقه "حتى لو كان فيهم من أتى
أمة جهارا لكان فيكم ذلك"، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟
قال: فن! وإنما قوى وكثر في هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاها
الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلَفوا فيها بالأغراض والآهواء
وإِثَار عرض الدنيا، وسأحوا الملوك والولاة وحلّلوا لهم ما حرم الله
وحرّموا^١ لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم في الاعتداء على
١٠ من حسدوه من أهل الصدق والتقوى، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم
على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتماذى ذلك
فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير
الملل كلها ملّة واحدة ويرجع الاقتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من
اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا
١٥ محصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما في علمه وحاله وعرفاته فهو
بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين
لظواهر الأحوال الظاهرة التي بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك
الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر^٢، المنكرين لأحوال
/ ٥٢٤
أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجاتهم بأهل الدنيا، المؤثرين
٢٠ لعرض هذا الأدنى، فهذا ظهرت أحوال اليهود في هذه الأمة، مر

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) في ظ: حللوا (٣) من ظ، وفي الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدره خضراء^١ نضرة، وكان
 لأهل الجاهلية سدره يعظمونها ويحتمون عندها وينيطون بها^٢ أسلحتهم
 ويسمون ذات أنواط فقالوا^٣: يا رسول الله! اجعل لنا هذه السدره
 ذات أنواط كما لهم ذات أنواط! فقال صلى الله عليه وسلم: فلبتموها
 ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة! إنها ه
 السنن^٤. فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر
 تعظيمه من حيث الدنيا واستحقار ضعفاء المؤمنين فهناك أعلام اليهودية
 ظاهرة، وكذلك^٥ أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن
 من إصلاح حال أو قلب مع^٦ تضييع ظاهر الأمر وجماع الخير وتعاضد
 الإسلام واكتفى بما استبطن وتهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه ١٠
 الأمة، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن، وذلك
 أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام^٧ ظاهرة وشعار^٨ إيمان في القلوب
 وأحوال نفس باطنه وحقائق إحسان شهودية، لا يشهد المحسن مع الله
 سواه ولا يؤمن المؤمن مع الله بغيره، ولا يخضع المسلم إلى شيء من
 دونه، فبذلك يتم، وقد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة، ١٥
 والتزم بشعار الإيمان طوائف يسمون الأصوليين والمتكلمين، وتراعى
 إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة، فتي كان المتفقهة^٩ منكرا لصدق
 (١) في ظ: خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قالوا (٤) وراجع أيضا مسند
 الإمام أحمد ٢١٨/١ حيث سبقت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ: لذلك.
 (٦) في ظ: من (٧-٧) في ظ: ظاهر وسائر (٨) في الأصل: المنفعة، وفي ظ:
 المنفعة - كذا.

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل في أحوال المتصوفة فقد تسنن^١
 بسنن اليهودية، ومتى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل
 في أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى، وكذلك^٢ حال المتكلمين
 الفرقتين لآيهما^٣ مال، وإنما آئمة الدين الذين^٤ جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام
 ٥ و إيمان أهل الإيمان وشهود أهل الإحسان^٥، تلين جلودهم و قلوبهم الى
 ذكر الله فتأتم بهم الصوفية، وتظهر أنوار قلوبهم على ظلم التشابهات
 فيأتم بهم أهل الإيمان، وتبدو في أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم
 بهم أهل الإسلام، "عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا
 خاطبهم الجاهلون قالوا سلما"، و أفضل الناس مؤمن في خلق حسن
 ١٠ و شر الناس كافر في خلق سيئ، فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون
 فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من
 القرآن فيهم بحسب توغله و اقصاره، و من اقتصر على باطن دون
 ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم؛ يذكر أن رجلا
 من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها: دلتى على موضع
 ١٥ طاهر أصلى فيه، فقال الراهب: طهر قلبك^٦ بما سواه و قم حيث شئت.
 قال ذلك الصالح المسلم: ففجئت منه، فاعلم أن كل واحد من هذين
 الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن^٧؛ لأن صاحب
 القرآن لا يتجمل لهذا القول لأنه جاله، و قلبه مطهر بما سوى الله،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لذلك (٣) من ظ، و في الأصل: لأنها:

(٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) في ظ : قلب.

ومنع ذلك لا بد أن يتظف ظاهره، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن
 فيجب صفاء البواطن فانه الظاهر يحب صلاح الظواهر، فصاحب
 القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب ولم يتلعثم وإذا دعى إلى
 صلاح ظاهر أجاب / ولم يتلثكاً لقيامه بالفرقان وحتى القرآن، يذكر
 أن مالكاً رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع
 بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي: يا شيخ! قم فاركع، فقام وركع
 ولم يحتاجه بما يراه مذهباً. فقتل له في ذلك فقال: خشيت أن أكون من الذين
 إذا قتل لهم ازكوا لا يركعون^٢، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم
 على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه أحواضاً من شراب
 فضيغ التمر والمسلمون يردون^٣ عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم، فأهوى^٤
 النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم، فقال له العباس رضي الله
 عنه: يا رسول الله! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم: أشرب من هذه ألتمس بركة أيدي المسلمين، فشرب منه
 صلى الله عليه وسلم. فصاحب القرآن^٥ يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه
 لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر، ولا على أول^٦
 دون آخر ولا على آخر دون أول؛ قال صلى الله عليه وسلم: أمي كالمطر
 لا يدرى أوله خير أم آخره، فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه
 ويلحظ مواضع مذامة^٧ للفرق ويزن به أحوال نفسه من هذه الأدیان

(١) في ظ: لم يتلثكاً (٢) في ظ: لم يتكلاً (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ: ،
 وفي الأصل: يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يلحق (٧) من ظ: ، وفي
 الأصل: مذامة .

السته في هذه الأمة، وأما وجه وقوع النفاق وأحوال المنافقين فهي
 داهية القراء وآفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أكثر منافقي أمتي
 قراؤها»، وقال بعض كبار التابعين: أدركت سبعين ممن رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه. وأصل مداخله على الخلق من
 إثارة حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز وجل واغترارا بالناس،
 فيلزم^١ لذلك محاسنة^٢ أولى البر والصدق ظاهرا وتكرهم بقلبه باطنا،
 ويتبع^٣ ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم
 وما بينه^٤ النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه
 وسلم: «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما»، وكما
 ١٠ قال تبارك وتعالى: «لا ياتون الصلوة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم
 كرهون»^٥. ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل ويتعamy
 عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته،
 والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل
 المحاسن! ومن أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
 ١٥ مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقي إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله، وعن
 ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستقل في مجامع الخير أجني
 منها، مستخف في مواطن الشر متقدم فيها^٦، طلق اللسان بالغيبة والبهتان،
 ثقیل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك وتعالى، عيم عن [ذكر-^٧]

(١) في ظ: يلتزم (٢) في ظ: محاسنه (٣) في ظ: نتبع (٤) من ظ، وفي

الأصل: نه (٥) سورة ٩ آية ٤٥ (٦) في ظ: فيما (٧) زيد من ظ.

الله عز وجل في كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، وهو مع ذلك
 يضاعفهم ولا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا [ولا يأخذ
 ما ينفع في العقبى، ويحتجب في الدين ما يضر في الدنيا - ١] ولا يحتجب
 ما يضر في العقبى بما لا يضر في الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياخ النفاق
 في هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آي القرآن من ٥
 نفسه في ذات قلبه وفي أحوال نفسه وأعمال بدنه وفي سره مع ربه وفي
 علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصة به حتى
 كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب في أمر رغب هو فيه من وجه
 ولا يقول: هذا إنما أنزل في كذا، وإذا رهب القرآن من أمر رهبه
 من وجه ما، وإذا أعلى فكذلك وإذا أسفل فكذلك، ولا يقول: هذا ١٠
 إنما أنزل في كذا حتى يجد لكل القرآن موقفا في عمله أي عمل كان
 ومحلا في نفسه أي حال كان ومشعرا لقلبه أي ملحظ كان، فيستمع
 القرآن بلاغا من الله سبحانه وتعالى إليه بلا واسطة بينه وبينه، فعند ذلك
 يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده "وقلبه"
 انتهاء، وربما يجد من الله سبحانه وتعالى تفجع رحمة يفتح له بابا إلى ١٥
 التخلق بالقرآن أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضي الله
 عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن،
 وبذلك هو ذو الخلق العظيم - والله واسع عليم - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: يحتجب (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في
 ظ: فيسمع .

ولما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم في التمتع بالعاجل ، وختمها بهذا الحتام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهمهم فيما خل بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع في الهيبة ، فقال مقررنا لخسارتهم : ﴿ ألم يأتهم ﴾ أي هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿ نبا الذين من قبلهم ﴾ أي خبرهم العظيم الذي هو جدير بالبحث عنه ليعمل بما يقتضيه حين غصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿ قوم نوح ﴾ أي في طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرازم بختن التمتع في أرضهم و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عضائهم إنسان ؛ [و عطف على قوم القيلة فقال -٤-] : ﴿ و غاد ﴾ أي في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مقاماتهم ١٠ و بنيانهم و تجربهم في عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ، لم يبق ممن كفر منهم بشر ﴿ و ثمود ﴾ أي في تمكثهم من بلاد الحجر عرضها و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة ٥ لم يبق من الكفار منهم ديار ﴿ و قوم إبراهيم ﴾ أي في ملك جميع الأرض بطولها و العرض ، سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿ و الخشب متين ﴾ أي في جمع الأموال ١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص الميزان و المكيال فعمهم الله بالنكال ٦ ﴿ و المؤفكت ٧ ﴾ أي في إغراضهم عن صيانة أعراضهم في اتباع لذائد أعراضهم ، فأمرهم فعلمهم بعد الحسف عموم انقراضهم .

(١) في ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : بالرجف (٦) من ظ ، وفي الأصل : جميع (٧-٨) من ظ ، وفي الأصل : المكيال و الميزان (٨) زيد في ظ : و لما حصل لدان قوم .

ولما كان كأنه قيل : ما بأنهم ؟ قال : (اتهم رسلكم) أى أتى كل أمة منهم رسولها (بالبينات) أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم (فما) أى فتسبب عن ذلك أنه ما (كان الله) أى مع ما له من صفات الكمال مريدا (ليظلمهم) أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار وإثارة البينات ه فعل 'من تعدونه' فيما بينكم ظلما، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم وبزوالهم^٢ يقول : ما ظلمهم الله (ولكن كانوا) أى دائما فى طول أعمارهم (اتهمهم) أى لا غيرها (يظلمون ه) أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نخذركم مثل عذابهم، ولعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية الأمم لما عند العرب من أخبارهم وقرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، وأنبياءهم أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . ولعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط وهم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميمهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام لم يمنهم لما أنهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال : إنهم هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنهم من الحادث الذى

(١-٢) من ظ، وفى الأصل : ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (م) من ظ، وفى الأصل : بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥/٦٩، وفى الأصل : أنبيائهم، وفى ظ : أبناؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميمهم منه إن كان نارا ، وعاد^١ لما أتتهم الرياح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المثقنة^٢ والقصور المشيدة / والحصون المنعة ،^٣ وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعهم^٤ من الصيحة التي أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -^٥] زعم - إلى السماء فأنى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الرياح رأسه في البحر وخر^٦ عليهم الباقي وهم تحتها ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هارين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقي عليهم عارها ، وأما قوم^٧ لوط فأتاهم الأمر بغته ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت إلى عنان السماء ، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يملكون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها ، وعبر عنهم بالمؤتفكات لأن القصص للنافقين الذين^٨ مبنى أمرهم على الكذب و صرف الأمور

(١) في ظ : عادا (٢) في ظ : المتفلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) في ظ : خرج (٦) في ظ : بقوم (٧) في ظ : الذي .

عن ظواهرها 'و تقلبها عن وجوها' ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل
النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مداتهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة
لقلب القول عن وجهه ، و مادة 'إفك' بكل ترتيب تدور على القلب ،
فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفته عنك ،
و أكاف الدابة شبه بالإساءة المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ه
فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المناققين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما
استبجه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من
إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيباً في التوبة طمعا
في مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنات ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠
﴿ بعضهم أولياء ﴾ و لم يقل : من ، كما قال في المناققين : من ﴿ بعض ﴾
دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا في أصل الإيمان و لا وافقه بحكم
الهوى ، بل كلهم مصوبون بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله
صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد منهم ، فذلك
دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم في تسليمهم و إذعانهم ، ثم بين ولايتهم ١٥
بأنهم يد واحدة على من سوام كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالحى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد
و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من
ظ ، و فى الأصل : لا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصنون (٦) فى ظ : واحد .

[أى - ١] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحايون أحدا .

ولما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوة ﴾ أى يوجدونها على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها وشروطها وحدودها مراقبة لرهبهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكاة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . وذلك مواز لقوله فى المناققين ” و يقبضون ايديهم “ ولما خص أمهات الدين ، عم يانا لأنهم لا ينسون الله طرفه عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله ^١ ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

ولما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحهم الله ^٢ ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعده لا خلف فيه ، وهذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المناققين ” نسوا الله فسيهم “ وهو إشارة إلى أن الطريق وعمر والأمر شديد^٣ عمر ، ١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، وهى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سبيلها . ولما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالة^٤ وكانت الموالة^٥ فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(عزيز) أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى حربه وأن يفيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه وبين شئ من ذلك (حكيم) أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصوبين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة و ما معها من حميد الخصال .

ولما ختم الآية بوصف العزة والحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة و تعقيها بأية الجهاد، وذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا، أتبعها بما هو أشد التثام بها يانا للرحمة و تفصيلا لها ترغيا للمؤمنين بالإتعام عليهم بكل ما رامه المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا، وزادهم بأنه دائم، ١٠ و أخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: (وعد الله) أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله (المؤمنين والمؤمنات) أى الراغبين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم (جنت تجرى من تحتها الأنهر) أى فهى لا تزال خضرة ذات بهجة نظرة؛ ولما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، قال: (تخلدين فيها) ولما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ و الدور الفسيحة و المعازل قال: (و مسكن طيبة) ولما كان بعض الجنان أعلى من بعض، وكان أعلاها [ما - ٢] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: (فى جنت عدن) أى إقامة دائمة و هناء و صحة جسم و طيب مقر و موطن و منبت،

(١) من ظ، وفى الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٣) زيد من ظ .

وذلك كما قال في حق أضدادهم "عذاب مقيم" وما أنسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث أنها خاصة بالنيين والصدقين والشهداء . ولما كان ذلك لا يصفو^٢ عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -^٢] :
 هـ (ورضوان) أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين -^٢] (من الله) أى الذى لا أعظم منه [عندهم -^٢] (اكبر^٢) أى مطلقا ، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل^٢ فوز ، ولا يقع السرور الذى هو أعظم النعم إلا برضى السيد ، [وإذا كان القليل منه أكبر فاطنك^٢ ١٠ بالكثير -^٢] .

ولما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة في الترغيب فيه : (ذلك) أى الامر العالى الرتبة (هو) أى خاصة لا غيره (الفوز العظيم^٢) أى الذى يستصغر دونه كل شئ من أمور الدنيا والآخرة ، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والداعى الأعظم إلى الموالاة .

ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للنافقين والكافرين ، وكان ماضى من الترغيب والترهيب كافيا فى الإنابة ، و كان من لم يرجع (١) من ظ . وفى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فظ : عن .
 بذلك ٥٤٦

على المكافأة فيها ، أعاد الضمير عليهما 'بما يدل' على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب^١ ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر 'من' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق و الترهيب من تركه ، ويجوز هـ

أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كثرها ، والحاجة إليها لكثرتها ٤٩١ / أقل ، فالذم على كثر الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كثر الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما^٢ ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا 'ينفقون منها' كما

قال فى المواشى " خذ من أموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم ينال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنها صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذاهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله لا ﴾ أى الوجه الذى أمر^٣ الملك الأعلى^٤

بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى تقول فيهم بسبب ذلك تهكأ بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم لا ﴾ عوضا عما أرادوا بها من السرور بانجاح المقاصد . ١٥ ولما كان السياق دالا لدلالة واضحة على أن هذا العذاب يحصل لهم

ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أى يحصل الإحاء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل وظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .

أى^١ التى لا يقاربها^٢ ناركم ، و تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلقى
بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة
(فتكوى بها) أى بهذه الأموال (جباههم) التى هى أشرف أعضائهم
لأنها تجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعيسهم^٣
٥ بها فى وجوه الفقراء (و جنوبهم) التى يحوونه^٤ لملئها بالمال كل^٥ المشتهاة
و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء (و ظهورهم ط) التى
يحوونه^٦ لتقويتها^٧ و تحميلها بالملايس و تجليتها و توليتهم^٨ إياها إذا اجتمعوا
مع الفقراء فى مكان . ثم يقال لهم : (هذا ما كنزتم) و أشار إلى
الحامل على الجمع المنافى للعقل^٩ بقوله : (لانفسكم) أى لتنافسوا به
١٠ و تلتذوا^{١٠} فلم تنفقوه فيما أمر الله (فذوقوا ما) أى وبال و عذاب
[ما - ١٠] (كنتم تكتزونون^{١١}) أى تجددون^{١٢} جمعه على سبيل الاستمرار
حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك ؛
روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر
رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - ١٢] قال : كنا
١٥ بالشام فقرأت ” والذين يكتزونون الذهب و الفضة “ - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، وفى الأصل : لتعيسهم ،
و زيدت الواو قبله فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لحذفناها (٤) من ظ ، وفى
الأصل : تجوونه - كذا (٥) فى ظ : بالاكل (٦) من ظ ، وفى الأصل : تحوونه .
(٧) من ظ ؛ وفى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : للفعل (٩) فى
ظ : تلتذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجددون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا وفيهم ؛
وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ،
فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب
عليه فيه فليس بكنز .

ولما تقدم كثير مما يبنى على التاريخ : الحج في غير موضع ه
والأشهر وإتمام [عهد - '] من له مدة إلى مدته والزكاة والجزية ،
وختم ذلك بالكنز الذى لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ،
وكان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم والتأذين - بهذه
آيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أخذوا في الأشهر - بالنسبة الذى
أمروا أن ينادوا في الحج بابطاله - ما غير السنين * عن موضوعها الذى ١٠
وضعها الله عليه ، فضاهاها به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم
وتحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى النبوة والآية ، قال
تعالى : (ان عدة الشهور) أى منتهى عدد شهور السنة (عند الله)
أى فى حكم وعلم الذى خلق الزمان وحده وهو الإله وحده فلا أمر
لاحد معه (اثنا عشر شهرا) أى لا زيادة عليها ولا تغيير لها كما تفعلونه ١٥
فى النسبة (فى كتب الله) أى كلام الملك المحيط بكل شىء قدرة
وعلما ، وحكمه الذى هو بجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بأن (هـ) من ظ ،
وفى الأصل : السنن (٦) من ظ ، وفى الأصل : التى (٧) فى ظ : اتى (٨) من
ظ ، وفى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

و ليست الشهور ثلاثة عشر ولا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة
 منهم كاتنين من كانوا في النفس (يوم) أى كان ذلك و ثبت يوم
 (خلق السموات و الارض) أى اللذين نشأ عنهما الزمان، و المعنى أن
 الحكم بذلك كان قبل أن يخلق الزمان (منها) أى الشهور (اربعة حرم ط)
 ه أى بأعيانها لا بمجرد العدد (ذلك) [أى - ٤] الأمر العظيم و الحكم
 العالى الرتبة / فى الإتيان خاصة (الدين القيم لا) أى الذى لا عوج فيه
 و لا مدخل للعباد، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر؛ روى البخارى عن أبى
 بكره رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال - يعنى فى حجة الوداع :-
 إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله* السماوات و الارض، السنة
 ١٠ اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة و ذو الحجة
 و المحرم، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان. و لما بين الأمر سبب عنه
 قوله: (فلا تظلموا فيهن) أى الأشهر الحرم (انفسكم) أى بسبب
 إساءة بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه
 إخلال كل منها بإيقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها، قال قتادة: العمل
 ١٥ الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما
 فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء؛ و قال أبو حيان* ما حاصله: إن
 العرب تعيد* الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال "منها
 (١) زيد فى ظ: الله (٢) فى ظ: الذى (٣) فى ظ: يتخاق (٤) زيد من ظ.
 (٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح، و فى الأصل و ظ: اتى.
 (٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من
 ظ، و فى الأصل: يعيد.

اربعة " أى من الشهور؛ وعلى جمع القلة [لما لا يعقل - ٢] بنون جمع المؤنث فلذا قال "فلا تظلموا فيهن" أى فى الأربعة .

ولما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال :
 ﴿ وقاتلوا المشركين كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء فى الائتلاف واجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كافة ﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، وذلك الحكم فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها اقتال ولا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم وإن زادت جوعهم وتضاعفت قواهم لأن الله يكون معكم ﴿ واعلموا أن الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر الوصف تبليقا للحكم به وتعميما فقال : ﴿ مع المتقين ﴾ أى جميعهم ، وهم الذين ١٠ يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسيء ونحوه ، ومن كان الله معه نصر لا محالة .

ولما فهم من هذا إبطال النسيء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أفأما فى النسيء تقوى فإن سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ وذلك أنهم كانوا ١٥ أصحاب غارات وحروب ، وكانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم تركه ، وكان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، وفى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، وراجع روح المعاني ٢/ ٣٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فجعلوا النسيء لذلك ؛ فقبل تصريحاً بما أنهمه
ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر
[إلى شهر - ٢] آخر على أنه مصدر نساء نسيئاً - إذا أخره ، أو هو اسم
مفعول ، أى الشهر الذى تؤخر العرب حرمة من الأشهر الحرم عن
وقتها ﴿ زيادة في الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، وفيه
ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

ولما بين ما في النسيء من القباحة ؛ تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم
فانهم كانوا لو قاتلوا في الشهر الحرام قاتلوا وهم معتقدون الحرمه خائفون
عاقبتها فكانوا [غير - ٢] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله
١٠ قد صاروا خارجين عن دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظمة
مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول :
إني لا أجاب^١ ولا أعاب ، وإنه لا مرد لقضائى ، وإني حلت^٢ المحرم
وحرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ وذلك
معنى قوله تعالى يا انا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو
١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) في ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو
بعده في الأصل و ظ فخذناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده في الأصل : غير ،
ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٦) زيد بعده في الأصل : دائرة التقوى بالكلية ،
ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٧) في ظ : لا أحاب ، وفي بعض المراجع :
لا أخاب (٨) في ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائي و حفص -
 بالبناء للفعول : يضلهم مضل من قبل الله ، و على قراءة يعقوب - بالضم :
 يضلهم الله ؛ ثم بين ضلالهم / بقوله : ﴿ يحلون ﴾ أى ذلك الشهر ،
 و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه
 و لو لم يضطروهم إلى ذلك جذب سنة و لا عض زمان ، بل بمجرد التشهى ه
 فقال : ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا . و ليس المراد
 أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير ' إجلال لسنة ' من السنين ، و هذا
 الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معائب الدين ﴿ لبواطوا ﴾
 أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون
 الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠
 ﴿ ما حرم الله ١ ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها ، فلا يدع لهم هذا الفعل
 شهرا إلا انتهكوا حرمة فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمه فاذا هم لم يدعوا
 حرمة إلا انتهكوها ، فما أبده من ضلال !

و لما انتهكت^٢ بهذا البيان قباحة فعلهم ، كان [كأنه - ٣] قيل : إن
 هذا لعجب ! ما حملهم على ذلك ؟ فقيل : ﴿ زين ﴾ أى زين مزين ، ١٥
 و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء أعمالهم ٤ ﴾ أى حتى رأوا
 حسنا ، ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا ، فعل الله بهم ذلك لما علم من
 طبعهم على الكفر فلم يهدم ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال
 ﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكافرين ٥ ﴾ أى
 (١ - ١) فى ظ : اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ : انتهكت (٣) زيد من ظ .
 (٤) من ظ ، و فى الأصل : حاسا (٥) فى ظ : الظالمين .

أى الذين طبعهم على الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ والنساء -
قال فى "قاموس" - : الاسم من نساء الشيء [بمعنى - ٢] زجره و ساقه
و آخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز وجل
عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النساء فعول بمعنى مفعول ، و قال
٥ ابن فارس فى المجمل : و النساء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا
عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء !
فيقولون ٢ : أنسنا شهرا ، أى أخرنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر -
انتهى . و مادة نساء تدور على التغريب ٣ ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا
ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من
١٠ أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا
يكروهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم
فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النساء من بنى ققيم
من كنانة ، و كان أول من فعل ذلك منهم القليس ٤ و هو حذيفة بن
عبد بن ققيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة ٥ جنادة بن عوف
١٥ ابن أمية بن قلع ٦ بن عباد بن حذيفة بن عبد بن ققيم بن عدى بن عامر بن
ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نساء أربعين سنة . كانت
(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج
العروس - مادة نساء (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ،
وفى الأصل : القليس - كذا (٦) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : إمارة .
(٧) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : باع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه^١، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فاذا أرادوا أن يحل منها شيئاً أحل المحرم فأحلوه، وحرم مكانه صفراً فحرموه، أيواظوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إني [قد -^٢] أحللت [لهم -^٣] أحد الصفرين الصفر الأول، ونسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير،^٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحي .

[و -^٢] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله واختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف؛ أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله^{١٠} السموات والأرض، وها أنا» أذكر فيه ما لا يبقى بعده أبس إن شاء الله تعالى، فعنى قوله: ونسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم وسماء صفراً ابتداء السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين صفر وذى الحجة الذي وقع النسيء فيه شهران، وقد كان ينبغي أن

يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذي ينبغي إلى العام المقبل^٦، فالعنى: ١٥
وأخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل^٦ انتهى تأخره، وإذا انتهى رجع إلى محله، ويمكن أن يتنزل على هذا قول أبي عبيد

(١) من ظ و السيرة، وفي الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ، وفي الأصل: فلا تصارف (٥) في ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقنين من ظ .

في غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه في شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - والله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكروهون أن يستحلوه ويكروهون تأخير حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم ، وهذا هو النسئ الذي قال الله " إنما النسئ " - الآية ، وكان ذلك في كنفه ، ثم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب ، والنسئ هو التأخير ، فكانوا يمشون بذلك زمانا يحرمون صفرا وهم يريدون بذلك المحرم ويقولون : هو أحد الصفرين ، وقد تأول بعض الناس قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا صفر ، على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذي بعده كحاجتهم^١ إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمشون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر^٢ بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله [به - ٩] ، وذلك بعد ١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته^٣ يوم خلق الله السموات والأرض ، يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها وبطل النسئ ، وقد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ٢ / ١٥٨ ، وفي الأصل و ظ : تأخيرهم (٢) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، وفي الأصل و ظ : شهرا . (٤) زيد من ظ والغريب (٥) من ظ والغريب ، وفي الأصل : لهيته .

يستحلون (١١٤) ٤٥٦

يستحلون المحرم عاما، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريره، قال أبو عبيد:
 الأول أحب إلى لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الزمان قد استدار،
 وليس في التفسير الأخير استدارة، وعلى هذا التفسير الذي فسره
 قد يكون قوله "يحلونه عاما ويحرمونه عاما" مصدقاً له لأنهم إذا حرموا
 العام المحرم وفي قابل صفراً ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفراً أيضاً ه
 أحلوه وحرموا الذي بعده، فهذا تأويل قوله في التفسير "يحلونه عاما
 ويحرمونه عاما" وقال أبو حيان في النهر ما حاصله: كانت العرب
 لا تعيش إلا من الغارات، فيشق عليهم توالى الأشهر المحرم،
 وكان بنو ققيم أهل دين وتمسك بشرع إبراهيم عليه السلام، فأتدب
 منهم القليس^١ وهو حذيفة بن عبيد بن ققيم، فنسأ^٢ الشهور للعرب، ١٠
 ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه
 ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف وعليه قام الإسلام، كانوا إذا فرغوا
 من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا: أنسئنا شهراً، فيحل
 المحرم، ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة ويسمون
 ذلك الصفر المحرم ويسمون ربيعاً الأول صفراً وربعاً الآخر ١٥
 ربيعاً الأول - وهكذا سائر الشهور، فيسقط على هذا حكم المحرم الذي
 حلل لهم، وتجيء السنة من ثلاثة عشر شهراً أولها المحرم الذي هو في
 الحقيقة صفر؛ وقال البغوي: قال مجاهد: كانوا يحجون في كل شهر عامين،

(١) فظ: كانت (٢) من ظ والنهر - راجع البحر المحيط ٢٧/٥، وفي الأصل:
 القليس (٣) من ظ والنهر، وفي الأصل: نسأ.

فحبوا في ذى الحجة عامين وحبوا في المحرم عامين ثم حبوا في صفر عامين وكذلك في الشهور، فوافقت حجة أبي بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجة شهر الحج^١ المشروع وهو ذو الحجة؛ وقال / عبد الرزاق^٢ في تفسيره: أخبرنا معمر عن ابن^٣ أبي نجيح عن مجاهد في قوله "أما النسيء زيادة في الكفر" قال: فرض الله الحج في ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو الحجة والمحرم وصفر وريبع وريبع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال^٤ وذا القعدة وذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم ولا يذكرونه، فيسمونه - أحسبه قال - المحرم^٥ صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، ورمضان شوالا^٦. ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة^٧، ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، واسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا^٨ كمثل هذه الصفة^٩ فكانوا يحجون عامين في كل شهر حتى وافق حجة أبي بكر الآخر^{١٠} من العامين في ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج، فوافق

/ ٤٩٥

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/ ٧٤، وفي الأصل: حج شهر (٢) وحديثه هذا قد ساقه الطبري بهذا الطريق في تفسيره حول آية النسيء يسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبري، وفي الأصل: ذا، وفي ظ: ذى (٥) في تفسير الطبري: صفر (٦) من الطبري، وفي الأصل و ظ: شوال. (٧) العبارة من هنا إلى « فوافق ذلك ذا الحجة » ساقطة من ظ (٨-٨) في تفسير الطبري: يمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبري، وفي الأصل و ظ: الآخرة.

ذلك ذا الحجة ، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله^١ السماوات والأرض . . . وقال ابن إسحاق في السيرة : سألت ابن أبي نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كانت قريش يدخلون في كل سنة شهرا ، وإنما كانوا يوافقون^٢ ذا الحجة كل اثنتي عشرة سنة مرة . فوفق الله عز وجل^٣ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج ذا الحجة ، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، فقلت لابن أبي نجيح : فكيف بحجة أبي بكر وعتاب بن أسيد ؟ فقال : على^٤ ما كان الناس يحجون عليه ، ثم قال ابن أبي نجيح : كانوا يحجون في الحجة ثم العام المقبل في المحرم^٥ ثم صفر حتى يبلغوا اثني عشر شهرا - انتهى . وقوله هذا يوم^٦ أن في حج أبي بكر وعتاب رضي الله عنهما اختلافا^٧ ، و تقدم عن المهدوي وغيره^٨ التصريح بأنه كان في ذي القعدة - وفيه نظر ، لأن السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه نودى فيها بتحريم النسب وغيره من أمور الجاهلية ، فلا شك أنه لم يكن في ذلك العام إنساء ، ولما مضى^٩ من الشهر^{١٠} الذي حج فيه عشرة أشهر ، وكان الحادي عشر وهو ذو القعدة سار النبي صلى الله عليه وسلم في أواخره إلى الحج موافيا للال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، وفي الأصل : اثني (٤) في ظ : ثم (٥) في ظ : اختلافا (٦) في ظ : غيري (٧) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فلم قطعاً أن استدارته كانت في حجة أبي بكر ، وكذا في سنة ثمان وهي السنة التي حج فيها عتاب بالمسلمين . وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النساء أنهم اعتبروا ما هو زيادة في الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج في أواخر ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب في ذى الحجة : الكفار وغيرهم ، فوقع^٢ إعلامهم ببراءة في أيام الحج وأما كنهه ، فلو كان ١٠ حصل في سنة عتاب اختلال في ذى القعدة^٣ [بنسب - ٤] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجيء الكفار للحج عن مجيء المسلمين ، فثبت بهذا أيضاً أن حجه رضى الله عنه كان في ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع في حجهم اختلال في سنة من السنين ، وما هي بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام ١٥ أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المشهور بابن القاص^٥ من أكابر متقدمي أصحاب الشافعي رحمه الله في كتابه دلائل القبله في باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهراً بالآلهة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعاً وعشرين ، فبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثماناً

(١) من ظ ، وفي الأصل : آخر (٢) في ظ : ووقع (٣-٣) في ظ : العدد .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١/ ٥١ ، وفي الأصل : القاضي .

٤٩٦ /

ساعات وأربعة / أخماس ساعة ، وقالت الهند : السنة ثلاثمائة وخمسة^١ وستون يوما وست ساعات وخمس ساعة وجزء من أربعمئة جزء من ساعة ، وذلك من دخول الشمس برأس^٢ الحمل إلى أن تدخل فيه من قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية والسنة الشمسية عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات والأيام^٥ استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده في الجاهلية ، وكان الذي أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القليس ، وذلك أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده في السنة وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ، وسماه^٣ نسيئا ، ويحج بهم تلك السنة في المحرم ، فأنزل الله تعالى ” إنما النسيء زيادة في الكفر “ فلما كانت السنة التي^{١٠} حج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق الحج في تلك السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى بإثبات الحج في تلك السنة ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت كهيئتها يوم خلق الله السماوات والأرض ” منها أربعة حرم ذلك الدين القيم “- يعني به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى وشعبان ، وذو القعدة ،^{١٥} وذو الحجة ، والمحرم ، فسمى ذلك الحج الاقوم ، وقال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسيء وقلبا وفاز رسول الله بالحج الاقوم - انتهى .

والقليس بفتح اللام وتشديد الميم ، فالنسيء في البيت متروك الهمز

(١) في ظ : خمس (٢) في ظ : رأس (٣) من ظ ، وفي الأصل : سماها (٤) أنجم في الأصل : صلى الله عليه وسلم .

ليصح الوزن ، والاقوم منقول حركة الهمزة ، وقوله : إن علة النسيء
التطبيق بين السنة الشمسية والقمرية^١ - فيه نظر ، والظاهر أن علة ما ذكر
في السير من اضطرارهم إلى القتال ، وأمر الاستدارة في كل من هذه
الاقوال واضح الاستنارة ، وليس المراد بها مصادقة كل فصل من
٥ فصول السنة لموضعه من الحر والبرد ، ومصادقة اسم كل شهر لمسماه
بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلاً وكذلك غيره
وإن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن
غزوة تبوك كان ابتداءها في شهر رجب ، وكان ذلك^٢ كما تقدم^٣ في شدة
الحر وحين طابت الثمار ، وإنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادقة اسم
١٠ كل شهر لمسماه [لا لمسمى -^٢] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل
أنه صلى الله عليه وسلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث
جابر الطويل رضى الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، وإن الزمان
قد استدار كهينته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر
شهرًا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفياً لجعلهم إياها
١٥ سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرًا -^٢] ، وقال : منها أربعة حرم ، وعينها
وقال : أى شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام^٤ ، كل
هذا ليان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية
إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، وجعلت أشهرنا هلالية
مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ حذفناها (٢-٣) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحرام .

من صوم وعيد وحج وغيره في كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم^١ خاصة بوقت من السنة لا تتعداه^٢ - والله الموافق له^٣ ! وقال القاضي أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم البستي في تفسيره : حدثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذي انتزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل^٤ أنه لا شك في^٥

٤٩٧ /

أن النسيء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط في جاهلية ولا إسلام إلا في شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقله^٦ اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير في النهاية ونشوان اليميني^٧ / في شمس العلوم والقزاز^٨ في ديوانه وابن مكتوم^٩ في ترتيب العباب والمحكم : ذر الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمي بذلك للحج ، وقال ١٠ القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفي النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذي الحجة ، سمي به لأنهم كانوا يرتون^{١١} فيه^{١٢} من الماء لما بعده ، أي يستقون^{١٣} ويستقون^{١٤} ، وقال المجد في القاموس : يوم عرفة التاسع من

- (١) في ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .
 (٤) زيد في ظ : في (٥) في ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ٨٦ .
 (٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوي نحوي - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .
 (٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي ، واستفاض ترتيبه باسم « الجمع بين العباب والمحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من النهاية ، وفي الأصل : يرتون ، وفي ظ : يرتون (٩ - ١٠) سقط ما بين الرقين من ظ .

ذی الحجة ، وفي كتاب أسواق العرب لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي رواية أبي سعيد السكري أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذی الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذی المجاز وهي قريب من عكاظ ، [وعكاظ - ٢] في أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم التروية ، ووافاهم بمكة حجاج العرب ورؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . وقال الأزرقي في تاريخ مكة : فاذا رأوا اهلال ذی الحجة انصرفوا إلى ذی المجاز فأقاموا بها ثمانى ليل أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذی المجاز إلى عرفة فيتروون ذلك اليوم من الماء بذی المجاز ، وإنما سمي يوم التروية لترويه الماء بذی المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : ومن لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . وروى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عروة وموسى بن عقبة - فرقهما - قالوا : وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة من الجعرانة في ذی القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف

(١) في ظ : لابن ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكري - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله السكري - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ . (٦) من ظ ، وفي الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة وخلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس في الدين ويعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة أو في الحجة ، وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، وحج تلك السنة عتاب بن أسيد في سنة ثمان ، وحديث اعتباره صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة رواه الشيخان ومضى على ما كانت العرب من الطواف عراة ونحوه ؛ وذكر الواقدي عن مشايخه قالوا : وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس^١ ليال خلون من ذي القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتي^٢ عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة ، وخلف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه في الدين^٣ ، وأقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضي الله عنه تلك السنة وهي سنة ثمان ، وحج ناس من المسلمين والمشركين على مدتهم ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة ، قال الواقدي^٤ : فأقام بقية ذي القعدة وذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا في شهر يسمونه ذا الحجة ، وهو عما لا يدور

(١) من ظ والمغازي ٣/ ٩٥٨ ، وفي الأصل : بخمس (٢) في ظ : لاثني (٣) من

ظ والمغازي ٣/ ٩٥٩ ، وفي الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازي ٣/ ٩٧٣ .

في تحّد ولا يقس في وهم فيه تردد ، ولا يحتاج إلى تطويل بذكره
ولا إطناب في أمره ، وتارة يوافق اسمه مساء وتارة لا يوافقه لأجل
النسيء ، وعلم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان في ذى الحجة بعد رجوع
النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، وأنه ما تأخر
عن ذى الحجة وإلا لنقل ، وأن حج أبي بكر رضى الله عنه سنة تسع كان

في ذى الحجة لذلك ولما تقدم من أن سفره / له من المدينة الشريفة ٢ / ٤٩٨

كان في آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة ولقولهم : إن الأربعة الأشهر
التي ضربت للمشركين من يوم النحر و لقولهم : إن الأربعة الأشهر
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، وعلم أن ذى الحجة تلك السنة لو كان
وافق مسمى ذى القعدة لم يقع ذى الحجة سنة عشر التي حج فيها النبي

صلى الله عليه وسلم في موضعه الذي وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسب أو غيره ، وكل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسيء في تلك السنة فيما أبطله من أمور

الجاهلية في هذه السورة ، وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم بالمناداة بها

كما مر ، وأما الثاني فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله

السموات والأرض ، والخارق مما تتوفر الدواعي [على - ٧] نقله ،

ولا ناقل لهذا أصلا فبطل ، وإذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثني عشر

(١) في ظ : تقرر (٢) زيد بعده في ظ : وأنه ما تأخر عن ذى الحجة (٣) في

ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) في الأصل :

الا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرًا ولا سيما بعد إنزال الله تعالى في ذلك ما أنزل في هذه السورة،
وإذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذي وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم
في موضع الشهر الذي وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء،
وقد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات
والأرض، ثبت من غير مرية^١ أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك ه
كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت
بما قدمت من أنه لم يكن فيها نسيء لتوافق حج المسلمين والمشركين في
سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثني عشر شهرا، فكان ذو الحجة
فيها في موضعه^٢ الذي وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول.

أبي عبيد: فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - ١٠
أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسيء، وهو الذي أعتقده، وقد
لاح بذلك أن السبب في قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه
وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن الزمان
قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا في تلك السنة، وليس ذلك مدلول
هذا التركيب كما لا يخفى - والله الموفق - ثم وجدت النقل الصريح في ١٥
زوائد معجمي^٣ الظبراني: الأوسط والأصغر للحافظ نور الدين الهيثمي
بمثل ما فهمته، قال في تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعني ابن هشام -
البعوي ثانيا^٤ الصلت بن مسعود الجحدري ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى
ثنا داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعني

(١) من ظ، وفي الأصل: سواء (٢) في ظ: مبرية (٣) من ظ، وفي الأصل:
موضعها (٤) في ظ: معجم (٥) في ظ: زين (٦) في ظ: حدثنا.

عبد الله^١ بن عمر^٢ رضى الله عنهما قال: كانت العرب يحلون عاما شهرا
وعاما شهرين ولا يصيرون الحج إلا في كل ست وعشرين سنة مرة،
وهو النسيء الذى ذكره الله عز وجل في كتابه، فلما كان عام حج
أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج^٣ فسمي الله الحج
الأكبر، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل
الناس الأهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. لم يروه عن عمر إلا داود
تفرد به الصلت - انتهى، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى،
[ثم رأيت الهيثمى في مجمع الزوائد قال: رجاله ثقات، فأكد ذلك الجزم
١٠ بما فهمت من أنه حسن - ٤]، وإنما أطلت^٥ هذا بما قد لا يحتاج في
إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المباحلين الجامدين.
ولما أوعز^٦ سبحانه في أمر الجهاد، وأزاح جميع عليهم وبين
أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم
فتبعونه بما يودى إلى تحريم الشهر^٧ الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال
١٥ فيه، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الآمر لهم بالنفر في غزوة تبوك عن أمره سبحانه، وكان ابتداءها في شهر
رجب سنة تسع، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان
(١) من ظ، وفي الأصل: عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩، وفي
الأصل وظ: عمرو (٣) في ظ: الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) في
ظ: اطلقت (٦) في ظ: أوعد (٧) سقط من ظ.

٤٩٩ / - / بعد ختم التي قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذي^١ يعم الحرب و غيره
الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، والاعمى لا يخشى -^٢] :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى ادعوا ذلك (مَا لَكُمْ) أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم (إِذَا قِيلَ لَكُمْ) أى من أى قاتل كان (انمروا) أى
اخرجوا مسرعين بجد ونشاط جماعات^٣ و^٤ وحدانا إمدادا لحزب الله ه
ونصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، والنفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك (فى سبيل الله) أى بسبب تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [جميع -^٥] صفات الكمال ، وقال أبو حيان : بنى " قيل "
للفعل والقاتل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر إغلاظا ومحاشنة^٦
لهم وصونا^٧ لذكره إذ أدخل إلى الهوينا والدعة من أدخل وخالف ١٠
أمره - انتهى ، (اناقلتم) أى تناقلتم تناقلا عظيما ، وفيه ما لم يذكر
له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا وميلا (الى الارض) أى
لبرد ظلالتها وطيب هوائها ونضج ثمارها ، فكنتم أرضيين^٨ فى سفول
الهمم ، لا سمائين^٩ بطهارة الشيم .

ولما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل والميل
إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها والإعراض عن الغنى الموعود [به -^{١٠}]

(١) من ظ ، وفى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحازنين من ظ (٣) سقط
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٥) من ظ والبحر المحيط ه / ٤١ ، وفى
الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : أرضيين (٨) فى ظ :
سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من^١ الإعراض عنه^٢ التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة الآخرة ، هذا مع ما يلزم على^٣ ذلك - ولا بد - من^٤ الزهد في^٥ الأجر المئور لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس ؛ قال مينا خسة ما أخلدوا إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيا فيه منها على أن ترك الخير الكثير لأجل الشر اليسير شرعظيم منكر^٦ على من^٧ تناقل موبخا لهم :

هـ (ارضيتم بالحياة الدنيا) أى بالخفض و الدعة فى الدار^٨ الدنية الغارة (من الآخرة ج) أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان^٩ : و 'من' تظافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، وأصحابنا لا يثبتون^{١٠} أن من^{١١} تكون للبدل - انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل^{١٢} ، بل

١٠ إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لا ابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . ولما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ، فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن العلامة علم الدين أبامحمد القاسم ابن الموفق الاندلسى ذكر فى شرح الجزولية

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط ٤٣ / ٥ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معانٍ كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، وبين كيفية ذلك حتى في اليانية، فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان"^٢ الذى ابتداءؤه من الاوثان، لأن الرجس جامع للاوثان وغيرها. ولما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده! فقال تعالى معللا لهذا النهى: هـ ﴿فما﴾ أى بسبب^٣ أنه ما ﴿متاع الحياة الدنيا فى﴾ أى مغمورا فى جنب ﴿الأخرة الا قليلا﴾ و الذى يندب هم المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها .

ولما كان طول الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف وترك الإنصاف، توعدهم بقوله: ﴿الا تنفروا﴾ أى فى سبيله ﴿يعذبكم﴾^٤ ١٠ أى على ذلك ﴿عذابا اليما﴾ أى فى الدارين ﴿و يستبدل﴾ أى يوجد بدلا منكم ﴿قوما غيركم﴾ أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه .

ولما هددهم بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضررون بفطورهم غير أنفسهم فقال: ﴿ولا تضره﴾ أى الله ورسوله ﴿شيطا﴾^٥ لأنه متم ١٥ أمره و منجز وعده و مظهر دينه؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن^٦ الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ: معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣. (٣) من ظ، وفى الأصل: سبب .
(٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (هـ) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على «أى فى» (٧) فى ظ: من .

ونيه بغيركم^١، فغطف عليه تكميلاً لقدرته ترهيباً من عظيم سطوته قوله :
 (والله) أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة (على كل شيء قدره) ،
 ولما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة
 وعظيم البأس والقوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستغفر لهم - وهو
 ٥ نبيه صلى الله عليه وسلم - غير محتاج إليهم^٢ ومتوقف نصره عليهم كما
 لم يحتاج إليهم - بجبالة^٣ القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ،
 وأن تقع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه واستدفاع ما أوعده
 فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - *] بقوله " فاحتاج^٤ الحياة الدنيا "
 الآية وقوله " الا تغردوا " - الآية ، فقال : (الا تصروه) أى أتم طاعة
 ١٠ لأمر الله ، والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم إما على طريق الاستخدام
 من " سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضماراً
 فى قوله " اذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصاراً
 منه لكم ، وإظهاراً فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ،
 وقوة ما فى كل جملة من المناسبة المقضية لأن تعاقب^٥ التى بعدها
 ١٥ ولا تنفك^٦ عنها قصر الفصل بين الظاهر وضميره ، وذكر^٧ الغاز والصاحب
 أوضح الأمر ، وذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أرباباً اشتدت
 (١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، وفى الأصل : بجبالت (٤) فى
 ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : عن (٨) من ظ ، وفى الأصل : يعاقب (٩) من ظ ، وفى الأصل :
 لا ينفك (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم في البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل ،
فوصفهم بالاكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة ، و ' بأن ما كروهم
أموال غيرهم باطلا ، و بأنهم يغشونهم اصددهم إياهم عن السيل التي لا يخفى
حسنها على من له أدنى نظر ؛ ولما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس
إلى السؤال عن العرب : هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم ؟ أجاب بأن •
عملهم في تحليل النساء لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل
و الزيادة في عدة أشهر السنة كعملهم سواء ،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و ختمهم على التقوى ، و كان بعضهم
قد توانى في ذلك ، اشتد اقتضاء الحال للعناية على التماثل عن الفر ، فلما تم
ذلك في هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول ١٠
الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط : (فقد) أى
إن لم يتجدد 'منكم' له نصر فإن الله قادر على نصره و سينصره و يقنيه
عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد (نصره الله) أى الملك الأعظم
وحده و الأمر في غاية الشدة ، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده
كالماضى - ٢] (اذ) أى حين (أخرجه الذين) و عبر بالماضى لأن ١٥
فيهم من أسلم بعد ذلك فقال : (كفروا) أى من مكة و هم في غاية
التماثل عليه حين شاوروا ، في قتله أو إخراجه أو إثباته ، فكان ذلك سببا
لإذن الله له في الخروج من بينهم حال كونه (ثانيا اثنين) أى أحدهما
أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله (اذ هما في الغار)
(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) في ظ : له منكم (٣) زيد من ظ (٤) في ظ :
تشاوروا .

أى غار: ثور الذى فى [أعلى-١] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كنا به ثلاث ليال ليفتر عنها الطلب، وذلك قبل أن يصل إلينا أو يعولوا فى النصر عليكم (اذ يقول) ٢ أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) ٣ [أى-١] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شيء (لا تحزن) ٥ والحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه وأحزنه بمعنى؛ وقال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، وحزنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء

/ ٥٠١

الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك بظلمتها ١٠ شواخ الجبال الصلاب (ان الله) [أى الذى له الأمر كله-١] (معناه) أى بالعون والنصرة، وهو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان * كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيدته بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، وكما أنه كان موجودا ١٥ فى ذلك الزمان * بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان و كل زمان، فبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، وأنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المتوال إلا لفوزكم، وفى هذه الآية من التنويه ٦ بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقنين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (ه-ه) سقط ما بين الرقنين من ظ (٦) فى ظ: التسوية .

منصبه ونخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذي أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان^١ وغيره : قال العلماء : من أنكر صحة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله ، وليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضي الله عنه نافذ البصيرة في المعارف^٢ الإلهية ، راسخ القدم في ذلك المقام^٣ لذلك لم يتلعم^٤ من أول الأمر في عناد جميع^٥ العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث^٦ عشرة سنة ، وكان الذي به من القلق إنما هو الخوف من^٧ أن يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين ووقع المعتدين ، ولم يكن جبنا ولا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك كان رضي الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف^{١٠} الأعظم الدال على ذلك المقام المذكور^٩ بتلك العظمة التي يتلاشى عندها كل عظيم ، ويتصاغر في جنبها كل كبير ،^٨ ولذلك^٨ ذكر هذا الاسم الأعظم وقدم ، وأشرك الصديق في المعية وبدأ بالنهاي عن الحزن لأنه المقصود بالذات وما بعده علة^٩ له ، وأما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام^{١٥} بأظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم^{١٠} بها عما كانوا فيه ، ومنع

(١) راجع البحر المحيط ٤/٣٠٥ (٢) زبدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لخذناها (٣) زبدت الواو بعده في الأصل وظ لخذناها لاستقامة العبارة (٤) في ظ : لم يتعلم (٥) من ظ ، وفي الأصل : ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : المذكور . (٨ - ٨) في ظ : فذلك (٩) في ظ : علة (١٠) من ظ ، وفي الأصل : استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدثه من سطوات فرعون على عظمته وما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية ٥ على سبيل الخصوص به ، وعبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكور^١ به فقال " كلا ان معى ربى^٢ " فكان قيل : ما ذا يفعل والبحر أمامنا والعدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى - ٢] إلى ما أفعل^٣ ، يعرف [ذلك - ٣] من كان متضلعا^٤ بالسير وقصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها في الاعراف^٥ عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه ١٠ كان في ضمودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ليفتديه^٦ بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين والشمال فينتقل إليهما ويقول للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، وإن قتلت أنت هلكت الأمة ، وأنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم المتضمن ١٥ لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، ولذلك كان به في هذا اليوم من القلق ما ذكر ، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أثبت الناس ، ولذلك أتى بالفاء المعقبة في قوله : ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

(١) في ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : فعل . (٥) من ظ ، وفي الأصل : متصفا (٦) من ظ ، وفي الأصل : الاعراض (٧) في ظ : ابغيد .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ابدء ﴾ أى انبى صلى الله عليه وسلم ، واختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبّه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى

من الملائكة الكرام ﴿ وجعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ / ٥٠٢ /
أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك وغيره ﴿ السفلى ﴾ نجيب
سعيهم ورد كيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير
انقطاع أصلا فى وقت [من - '] الأوقات فقال : ﴿ وكلمة الله ﴾ أى
الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ، ونصبها يعقوب عطفا على ما سبق
﴿ هى العليا ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاء دائما أبدا ، فانه قادر على ١٠
ذلك ﴿ والله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا
يغلب كل شىء من ذلك وغيره ﴿ حكيم ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء
من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لاحد فى مقاومتها
فلا يحصى عن نفوذها .

ولما بلغت هذه المواضع من القلوب الواعية مبالغا هياها به للقبول ، ١٥
أقبل عليها سبحانه بالأمر فقال : ﴿ انقروا خفافا وثقالا ﴾ والمراد
بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد والنشاط إليه ، وبالثقل كل
ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ وقال أبو حيان : والخفة والثقل هنا مستعار لمن
يمكنه السفر بسهولة ومن ٢ يمكنه بصعوبة ، وأما من ٣ لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقین فی ظ علی « دائما أبدا » (٣) من
البحر المحيط هـ / ٤٤ ، وفى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما .

و نحوه فخرج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد
ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك
عليل صاحب ضرر ! فقال : استغفر الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى^٢
الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى في
٥ مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة
فأتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستغفرنى^٢ شابا و شيخا ! جهزوني .
فما فلت يجهزوا له جزيرة يدفونه فيها إلا بعد سبعة أيام فما تغير .
(و جاهدوا) أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية في^٥ سياق المعاتبه لمن تثاقل^٦ إلى الأرض
١٠ عن الجهاد عند الاستغفار في غزوة تبوك . و كان سبب الثاقل ما كان
في ذلك الوقت من العسرة في المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب
الظلال في أراضي الجنان وقت الأخذ في استواء الثمار - كما هو مشهور
في السير ؛ اقتضى المقام عنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان
الكلام كان في المفاضلة بين الجهاد في سبيل الله و خدمة البيت و من
١٥ يحجه في هذه السورة التي صادف وقت نزولها بعد موطن الجهاد و طول
المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

- (١) من ظ و معالم التنزيل - راجع باب التأويل ٨٣/٣ ، وفي الأصل : استغفر .
- (٢) من المعالم ، وفي الأصل وظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٣١٢/٩ ،
- وفي الأصل : يسفوني - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمي في زوائده
- برواية أبي يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) في ظ : من (٦-٦) من ظ ، وفي الأصل :
- لما يتثاقل .

قلته . و محبة الإقامة في الحقائق إثارة للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع
أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على انشغ بالأنفس
فقال تعالى : ﴿ اموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على ما أمكنكم
أو بأحدهما ﴿ في سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى . [أى - ٢] حتى لا يبقى
منه مانع ﴿ ذلکم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى في نفسه حاصل ه
﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفضل تفضيل بمعنى أن
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال
صلى الله عليه وسلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال :
هل تستطيع أن تقوم^٢ فلا تقتر و تصوم فلا تفطر^٣ ؟ و ختم الآية
بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ه ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر و إن كان عاما ١٠
فإنما ينتفع^٤ به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فإن العلم - ولا يعد
علما إلا النافع - يبحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح
المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده .

٥٠٣ /

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن^١ فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا
بنحو الأموال و الأولاد ، و كان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥
و الزواجر و المواعظ حديرا بأن يخفف كل مشاغل و ينشط كل متكاسل ،
تشوقت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فأعلم سبحانه به في أساليب البلاغة
المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من
(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع
صحیح البخاری - کتاب الجهاد (٥) في ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت
 المشاغلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم
 'المبغض لقبايحهم' المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء بامم الإيمان
 فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا
 ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا
 ﴿ لا تبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن همهم
 قاصرة [و - ٢] منوطة بالحاضر ﴿ ولكن ﴾ أى لم يتبعوك تناقلا إلى الأرض
 ورضى بالفانى الحاضر من الباقي الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة ١ ﴾
 أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها التكال والمشقة
 ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض ٢ فاستأذنوك ،
 وفى هذا إشارة إلى ذمهم بسقول الحمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل
 والنهم والثقل ، وإلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى المهم صادق
 العزم [كما قال الشاعر - ٢] :

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا
 ١٥ فله در أولى العزائم والصبر على الشدائد والمغارم ١

ولما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسباح بالدين ، فقال
 مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ وسيلفون ﴾ أى المتخلفون
 باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم
 إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .
 (٤) واليت لسعد بن ناشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قائلين : والله (لو استطعنا) أى الخروج إلى ما دعوتونا إليه
 (لخرجنا معكم ج) يحلفون حال كونهم (يهلكون أنفسهم ج) أى بهذا
 الحلف الذى يريدون به حياتها لأنهم كذبوا فيه فاتهموها حرمة اسم الله
 (والله) أى و الحال أن الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ' سبحانه
 (يعلم أنهم لكذبيون ه) فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم و الفضيحة ه
 عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، و جزاء الكاذب فى مثل
 ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

ولما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف و الحلف عليه كاذبا ،
 أقبل إليه صلى الله عليه و سلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال
 فى اللين لهم و الائتلاف^٢ و أخذ العفو و ترك الخلاف إلى هذا الحد ، ١٠
 فقال مؤذنا بأنهم ماتخلفوا إلا بأذنه صلى الله عليه و سلم لأعذار ادعوها
 كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة
 الاعتناء [بشأنه - ٣] و اللطف به صلى الله عليه و سلم : (عفا الله)
 أى ذوا الجلال و الإكرام (عنك ج) و هذا كما كانت عادة العرب فى
 مخاطبتهم لا كبرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، و الملك - و نحو ذلك . ١٥

و لما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم
 و نحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك :
 (لم أذنت لهم) أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين
 لهم و الصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من حجة الرفق ، و هذا إنما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى
 ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان في أول الأمر لخوف التنازع والفتنة ، وأما الآن فقد علا الدين
وتمكن أمر المؤمنين فالأمور به الإغلاظ على المناققين فهلا تركت الإذن
لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى فى
التزام الأوامر / بما أقرؤا به من كلمة التوحيد ﴿ وتعلم الكذابين ه ﴾ أى
فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن
غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر واليسر والمنشط
والمكره ؛ قال أبو حيان^٢ : و ” حتى “ غاية الاستفهام - انتهى . و ذلك
لأنه وإن كان داخلا على فعل مثبت فعناه النفي ، أى ما لك لم تحملهم^٣
على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل
١٠ أن الذى فعله صلى الله عليه وسلم حسن موافق لما أمره الله به فانه
لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيجاب واصل جديد ، أو استناد
إلى وحى سابق حاصل عتيد ، والذى أشار إليه سبحانه أحسن^٤ مثل
” ليغفر^٥ لك الله^٦ ما تقدم من ذنبك “ من باب ” حسنات الأبرار
سيئات المقربين ، ومن باب^٧ الترقية من^٨ مقام عال^٩ إلى مقام أعلى
١٥ تسيرا^{١٠} فيهم “ بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ
أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين

(١) فى ظ : (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤٧/٥ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٦) فى ظ : الله لك - كذا
و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من
ظ ، وفى الأصل : يسرا (١٠) فى ظ : فهم .

نظم الدرر (الجزء العاشر) ج - ٨

ما أنزل على وفق^١ الوصية أو أنزل على حكم الكتاب: اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو والمعروف، كما ورد في الكتب السابقة من قوله تعالى: «وأجعل العفو والمعروف خلقه»، وبذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم^٢ أنه قال^٣:
أوصاني ربي من غير ترجمان ولا واسطة بسبع خصال: بخشية الله في ه
السر والعلائية، وأن أصل من قطعني، وأصفح عن ظلمي، وأعطى
من حرمي، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبدة.
فكان فيما أوصاه به ربه تبارك وتعالى من غير ترجمان ولا واسطة أن
يصل من قطعه ويصفح عن ظله، ولا أقطع^٤ له ممن كفر به وصد
عنه، فكان هو صلى الله عليه وسلم - بحكم ما بعث به وجبل عليه ووصي^٥ ١٠
به - ملتزما للعفو عن ظله والوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه
على ترك ذلك والرجوع إلى حق العدل والاقتصاص والاتصاف^٦
المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين^٧ في
مؤاخذتهم^٨ بالحق والعدل إلى جامع شرعته ليوحد فيها نحو ما^٩ تقدم
من الحق والعدل وإن قل، ولتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله ١٥
وسلم من البعثة بسعة الرحمة [و-^{١٠}] الفضل^{١١} "إن الله يأمر بالعدل
والإحسان"، "وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم"^{١٢} فن القرآن

(١) في ظ: وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في
ظ: رضى (٥) في ظ: الاتصاف (٦-٦) من ظ، وفي الأصل: من مواعديهم.
(٧) في ظ: ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩،
وفي الأصل وظ «و» (١٠) سورة ٨ آية ٣٣.

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى
 "ادفع بالتي هي احسن السيئة"^١ و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف
 و اعرض عن الجاهلين"^٢ و قوله تعالى "ولو كنت فظا غليظ القلب
 لانقضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر"^٣
 ٥ و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل"^٤ و قوله تعالى "فاصفح عنهم
 و قل سلم"^٥ و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول
 من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم"^٦ فا كان من المنزل على
 هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم
 جلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر^٧ الأمرين و توافق

١٠ الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -]^٨
 المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم،
 لم يؤته أحد قبله "و لقد أتيتك سبعا من المثاني و القرآن العظيم"^٩ و من
 القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب
 المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصول الواصل
 ١٥ و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف
 ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ فكان صلى الله
 عليه و سلم "إذا أنزل" عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

(١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ -
 (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى
 ظ: لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين
 من ظ (١١) فى ظ: نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه في أخذه
و التزام حكمه فحيثذ يقوم لله به و يظهر عذره في إيمضائه فيكون له
في خطاب التشديد عليه في أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما
يتوهمه الجاهلون، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إيمضاء حكم العدل
و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ه
”فلعلك باخع نفسك على أثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً“
و نحو قوله تعالى ”لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين“ و نحو
قوله تعالى ”و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون“ و بما أنزل
على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على الأخذ
بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره في الاقتصار على حكم الوصية ١٠
و حال الجبلية ما هو نحو قوله تعالى ”و من يكفر به من الأحزاب فالنار
موعدة فلاتك في مرية منه انه الحق من ربك“ و نحو قوله تعالى
”و لو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم“ جميعا افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين“ و نحو قوله تعالى ”فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فستل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥
فلا تكون من الممتريين“ أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما - ١٠]
يتوقف الممتري في الشيء أو الشاك فيه [لما - ١٠] قد علم أنه لا بد لأمته

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : وفي الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد
من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم وحق كلمة العذاب عليهم وإجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية في المؤاخذة بذنوبهم وإفناذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم "فكلا اخذنا بذنبه" ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات "الان وقد عصيت قبل" "لا تركضوا" ارجعوا الى ما اترقم فيه ومسكنكم "وذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - ولا بد - عن باطله حين لا ينفعه "وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون" "الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا" لما أبطن تعالى في قلب نبيهم عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، ولما ملأ نبيه صلى الله عليه وسلم رحمة لأمته : كافرهم ومؤمنهم ومناقضهم ، أشار بآي من إظهار مؤاخذتهم وأعلم بكف نبيه صلى الله عليه وسلم عن تألفهم وأحسبه بمؤمنهم دون كافرهم ومناقضهم "يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين" وكل ذلك معلوم عنده صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى "سنة من قد أرسلنا [قبلك -] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ والقرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣ ، وفي الأصل : او (٤) في ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ . (٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ . (٩) زيد بعده في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (١٠) في ظ : احسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا " سنة الله التي قد خلت من قبل " ، " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا
 [٥ - ٦] من قبل " ، " كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به
 وقد خلت سنة الاولين " . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حين أنزل
 عليه " فان كنت في شك مما أنزلنا اليك " : أما أنا فلا أشك ولا أسأل ،
 لأنه قد علم جملة أمر الله في أن منهم من يتداركه * الرحمة و من بحق ٥
 عليه كلمة العذاب ، ولكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلاهم حتى
 يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو - ٧] قوله تعالى " عبس وتولى
 ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتفطنه الذكرى اما من
 استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو
 يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ٨ " و نحو قوله ١٠
 تعالى " ما كان لبي ان يكون له اسرى يشخن في الارض تريدون
 عرض الدنيا والله يريد الآخرة و الله عزيز حكيم لولا كتب من الله ٩
 سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله
 ان الله بغفور رحيم ١١ " ، فهذه الآي و نحوها يسمعها العالم بموقعها " / على
 إكراه لبي الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبي - ١٢] الملحمة من جملة ١٥
 أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و - ٧] وصية حتى تحقق ١٣
 له تسميته بنبي الرحمة ثباتا على الوصية و نبي الملحمة إمضاء في وقت
 (١) سورة ٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة . وآية ٧٤ (٣) سورة ١٥
 آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) في ظ : تداركه (٦) في ظ : تحقق (٧) زيد
 من ظ (٨) سورة ٨ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) في ظ : بموقفها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه
 زيادة " إلى " قبله (١٣) في ظ : يحقق

لحكم الحق وإظهار العدل ، فهو صلى الله عليه وسلم بكل القرآن ممدوح وموصوف بالخلق العظيم 'جامع لما تضمنته كتب الماضين وما اختصه الله به من سعة القرآن العظيم' ، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية والكتاب في محكم الخطاب ؛ والله سميع عليم - انتهى .

٥ ولما فاتته صلى الله عليه وسلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما في الضمائر بصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال : ﴿ لا يستأذنك ﴾ أى يطلب إذنك^١ بغاية الرغبة فيه ﴿ الذين يؤمنون بالله ﴾ أى يحددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات الكمال ﴿ واليوم الآخر ﴾ أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب ١٠ ﴿ ان ﴾ أى فى أن ﴿ يجاهدوا بأموالهم و انفسهم ﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه^٢ وبعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلف من المهاجرين و الأنصار كانوا يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه وسلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأبى فائدة فى الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ، ١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالتعود شق عليهم كما وقع لعلى رضى الله عنه فى [غزوة - ٤] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! ولما كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله . عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ علم ﴾ بالمتقين ه) أى الذين^٢ يخافون الله كلهم .

ولما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه المحصر تأكيداً لتحقيق^٣ صفة العلم بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منياً عن المؤمنين مرتين ، ثبت للمنافقين على أبلغ وجه ﴿ انما يستأذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف ه بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيماناً مستجمعاً للشرائط ﴿ واليوم الآخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً وإن ادعوا ذلك بالسنتهم .

ولما كانت [هذه - ٥] صفة المصالحين بالكفر ، بين أن المراد ١٠ المنافقون بقوله : ﴿ وارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوسوس وتعمدت المشى معها حتى تخلفت بالشك ؛ ولما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة وسوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى قسب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ه ﴾ أى بين النقي والإثبات دأب^٦ المتحير لا يجمعون بشئ منهما وإن صدقوا أن الله موجود فإن المشركين يصدقون بذلك ١٥ ولكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، وليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن^٧ يقولوا^٨ إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد أو قد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقيق (٤) سقط من ظ (ه) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له ﴾
 أى قبل^١ حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة و أهبة من المتاع و السلاح و الكراع
 بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع
 الأمر به فى الانفصال فيكونون^٢ كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين
 ٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ ولكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط
 فلم يعدوا له عدة، فلما أمرت به شرعوا يعتلون^٣ بعدم العدة و ما ذاك بهم،
 إنما مانعهم كراحتهم للخروج و ذلك بسبب أن^٤ ﴿ كره الله ﴾ أى
 ذر الجلال و الإكرام بأن فعل [فعل - °] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾
 أى سيرهم معك^٥ مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له
 ١٠ ﴿ قطبهم ﴾ [أى - °] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حجب
 إليهم من الشهوات و كره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون
 ثوابا و لا يخشون غير السيف^٦ عقابا، قصروا همهم^٧ الدنية على الصفات
 البهيمية، فلما استولت^٨ عليهم الشهوات و ملكتهم الأنفس الدنيات نودوا
 من قبلها: إلى أين تخرجون؟ ﴿ و قيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها
 ١٥ ﴿ أقعدوا ﴾ أى عن^٩ جندى لا تصحبهم، و فى قوله - : ﴿ مع القعدين ه ﴾
 أى الذين^{١٠} شأنهم ذلك كالمريض و الزمنى و الصبيان و النساء - من التبكيت

/ ٥٠٧

- (١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعملون .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ،
 و فى الأصل : السعف (٨) من ظ ، و فى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
 (١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية والأنفس الآلية ، وعر بالجهول
إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالعمود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم
يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة
للإيا بوجه .

و لما كان كانه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا^١ بعيدا^٢
و عدوا كثيرا شديدا^٣ فحن محتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد
قيل : (لو) أى فعل بهم ذلك لأنهم لو (خرجوا فيكم) أى و إن
كانوا قليلا^٤ معمرين بجماعاتكم (ما زادوكم) أى بخروجهم شيئا من
الاشياء (الا خبالا) أى ما أتوكم بشئ زائد على ما عندكم من الاشياء
غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف^٥
به - هو الشئ ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج
الناقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الاخذ على غرة
(ولا ارضعوا) أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن
مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو
أسرع من الماشى (خللكم) أى لأسرعوا في السير ذهابا و إيابا بينكم^٦
في تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنعمة
و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع في السير يكون برفق و يكون بأسراع ،
و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ،
و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكون و المحل
القابل لذلك ، و على ذلك يمشى العضو و العوض ، و عوض الذى هو بمعنى^٧

(١) في ظ : سفر (٢) من ظ ، و في الأصل : شديد (٣) في ظ : قليلين .

الدهر . و ضوع الريح و التصويت بالكاء ، و الضعة لشجرة في البادية ،
و الوضع للطرح في مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال 'جمع الخلل'
و هو الفرجة ^٢ (ييغونكم) أى حال كونهم يريدون لكم (الفتنة ج)
أى بتشيت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند " و قتلوم حتى
٥ لا تكون فتنة " أنها الخلطة المملة المحيلة ، أى يريدون لكم الشيء الذى
يصيكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم (و فيكم) أى و الحال أنه فيكم
(سمعون لهم ^٣) أى فى غاية القبول لكلامهم اضعف معارفهم و آرائهم .
و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم (و الله) أى الذى أخبركم
بهذا من حالهم و له الإحاطة بكل شيء (عليم) بهم ، ففتقوا بأخبارهم .
١٠ هكذا كان الأصل و إنما قال : (بالظلمين ^٤) إشارة إلى الوصف الذى
أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن الخير . و تعميما للحكم بالملم [بهم
و بمن سمع لهم و بكل ظالم - ^٥] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد
بمن يوضع بعيره فى أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو فى غاية
الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك ^٦ حذرا من أن يصيبه
١٥ شيء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بفيه
فسادكم ^٧ بدم وصولكم إلى شيء من مرادكم .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم ^٨ بما وصف

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن .

(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى

ظ : اخباره .

به ذاته الاقدس من إحاطة العلم ، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم
بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : (لقد ابتغوا)
أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم (الفتنة) أى لتشتيتكم (من قبل)
أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى

كاد بعضهم أن يفشل وفى المريسيع / بما قال ابن أبى " ليخرجن الاعز ٥ / ٥٠٨
منها الاذل " وفى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ
كنوز كسرى وقصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة وغير ذلك
كما ' صنعوا قبله فى غزوة قينقاع والنضير فى قصدهم تقوية ' كل منهم
عليكم وفى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم وأنس جدودهم

(وقلوبوا) أى " تقليبا كثيرا " (لك الامور) أى التى ' لك فيها أذى ١٠
ظهر لبطن باحالة الآراء وتدير المكاييد والحيل لعلهم يجدون فرصة
فى نقض أمرك يتهمزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، وامتد بهم الحال
فى هذا الحال (حتى جاء الحق ') أى الثابت الذى لا مراة ' فى
مزاويله بما ' تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين وقمع المفسدين

(وظهر امر الله) أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥
والجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره ' (وهم كرهون ه) أى لجميع

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : بقونه (٤ - ٤) سقط
ما بين الرقين من ظ (٥ - ٥) قدم ما بين الرقين فى ظ على " وقلوبوا " (٦) فى
ظ : الذى (٧ - ٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : إمرام (٩) فى ظ : بما .
(١٠) من ظ ، وفى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع في محاولة بمواجهة ولا ' مخاتلة فصارهمهم'
 الآن الاعتزال والمبالغة في إخفاء الأحوال وستر الأفعال والأقوال .
 ولما أجملهم في هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان
 قد استأذن في الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، وبدأ المفصلين
 ٥ بمن^٢ صرح بالاستئذان في القعود فقال عاطفا على^١ : " لقد ابتغوا " :

(ومنهم من يقول) أى في جبلته تجديده هذا القول من غير احتشام
 (ائذن لى) أى فى التخلّف عنك (ولا تفتنى^٣) أى تكن سببا فى
 فتنى بالحزم بالأمر بالفرد فأتين إما بأن أتخلف فأكون مصارحا بالمعصية
 أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين^٤ فانه لا صبر لى
 ١٠ عن النساء ، وقائل ذلك هو الجدى بن قيس ، كان من الأنصار منافقا .

ولما أظهروا أنهم قصدوا البعد من شيء فاذا هم قد ارتكبوا فيه ،
 انتهزت فرصة^٥ الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف
 لتحصيل^٦ الثبوت الأكيد باقرار المسؤول فقليل : (الا فى الفتنة سقطوا^٧)
 أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفا لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ،
 ١٥ [و -^٨] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتسابهم فى أشراك الفتنة انتسابا
 سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم معه (وان جهنم لمحيطه) أى بسبب إحاطة
 الفتنة - التى أسقطوا^٩ أنفسهم فيها - بهم ، وإنما قال : (بالكافرين^{١٠})

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : بمن (٤) سقط من ظ (٥) فى
 ظ : بالسفر (٦) من ظ ، وفى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، وفى الأصل :
 قصه - كذا (٨) فى ظ : يحصل (٩) زيد ما بين الرقيين من ظ (١٠) من ظ ،
 وفى الأصل : سقطوا .

تعبها و تنيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

ولما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم
بسببها ؟ قيل : (ان) أى هى كونهم أن ، ويجوز أن يكون ' علة
لإحاطة جهنم بهم ، [وكانهم - لاجل أنهم من الأوس والخزرج فالأنصار
أقاربهم - خصوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعداوة و شديدا الحق ، وكذا ه
أيضا كان لا يسوءهم و يسهلهم من الحسنة و السيئة إلا ما له وقع - بما أذن
به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم ورعا
لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك - ٢] : (تصبك) أى بتقدير
الله [ذلك - ٣] (حسنة) أى ٢ بنصر أو غيره (تسؤم ج) أى لما فى
قلوبهم من الضغن و المرض (و ان تصبك مصيبة ٤) أى [نكبة - ٥] ١٠
وإن صغرت كما وقع يوم أحد (يقولوا) أى سرورا و تبجحا بحسن
آرائهم (قد اخذنا امرنا) أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا
لأحد فتكون ٦ كالآلعه ١ ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، و منه الأمير ،
رجل إمر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح ٧ :
ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، و هو الآلعه ٨ ١٥

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، و فى الأصل :
فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالآلعه - مقلوبا عما أتبناه ، و ليس فى المعاجم
ما ينص على مادته المقلوبة ، والعلم هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله
ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الآلعه .

وزنا ومعى (من قبل) أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم نكن مؤتمرين بأمره فيصينا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا يد الأمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه .
ولما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن
٥ لا يقال^١ ، وإن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه والاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : (و يتولوا) أى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك وإن طال إلى إهاليهم (وهم فرحونه) أى لمصيتكم لكفرهم^٢ و لخلاصهم منها .

١٥٠٩ / ولما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من
١٠ القدرة^٣ ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : (قل)
أى إنا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بأننا لا نملك ضرا ولا نفعا ، بل نقول :
(لن يصينا) أى من الخير والشر (إلا ما كتب) أى قدر (الله)
أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما ، [ولما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن
إن أصابه سراء شكر وإن أصابه ضراء صبر ، عبر باللام فقال -^٤] :
١٥ (لناج) أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه (هو) أى وحده
(مولناج) أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ،
فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون
علمه وهو قادر ، فنحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها
ثواقب الأفكار وتخشأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن
٢٠ لا نتهمه فى قضائه لانا قد توكلنا عليه وفوضنا أمورنا إليه ، والموكل

(١) فى ظ : لا باقتال (٢) فى ظ : لكفرهم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل
المؤمنون ﴾ أى كلهم توكلًا عظيمًا جازمًا لا معدل عنه ، فالفيصل بين
المؤمن والكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقبلها
كيف يشاء^١ ويحكم فيها بما يريد .

ولما تضمن ذلك أن سراءهم وضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ه
بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى^٢ عليه بالراقة والرحمة ، صرح
بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارًا عظيمًا
﴿ بنأ الآحادى الحسينين ﴾^٣ أى وهى أن نصيب أعداءنا فنظفر وننعم
وتوخر أو يصيبونا بقتل^٤ أو غيره فتوخر ، وكلا الأمرين حسن : أما
السراء التى توافقونا^٥ على حسنها فأمرها واضح ، وأما الضراء فوجبة ١٠
لرضى الله عنا ومثوبته لنا بالصبر عليها ورضاها بها إجلالا له وتسليما
لأمره فهى^٥ حسنى كما نعلم لا سوى كما تتوهمون ﴿ ونحن تربص بكم ﴾
أى تنتظر إحدى السوائين وهى ﴿ ان يصيكم الله ﴾ أى الذى له جميع
القدرة ونحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما
أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بدينار ﴾^٦ أى بسبينا من قتل ١٥
أو نهب وأسر وضرب وغير ذلك لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، وكل
ذلك مكروه عنكم .

ولما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

(١) فظ : شاء (٢) من ظ . وفى الأصل : المقضى (٣) من ظ ، وفى الأصل :
بعته (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [بهم -] "بما أدام" إلى ذلك تحسبنا لشأنهم فقال :
 ﴿ قَرَبْصُوا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ه ﴾ أى
 بكم ، نفعل كما تفعلون ، والقصد مختلف ، والآية من الاحتباك : حذف
 أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا ، وثانيا إحدى السواين للدلالة
 ه عليها بآيات الحسين أولا .

ولما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية
 ما طهر من أموالهم بالإعانة في سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق في
 أقوالهم ليفقدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا
 الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقا ﴿ طوعا او كرها ﴾ أى مظهرين الطوعية
 ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ ولما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ،
 لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل
 لشيء يأتي من قبلكم أصلا من أخذ له أن يتقبل كائنا من كان ، ولذلك
 بناء للفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة في الإنفاق ولا في
 غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع وكره إنما هو باعتبار الظاهر ، وكأنه
 ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهرا ؛ ولما كان غير مقبول باطنا
 على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جملة وطبعا
 ﴿ قوما فاسقين ه ﴾ أى عريقين في الفسق بالغين أنهى غايته ه .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 الفصل (٤) زيد بعده في الأصل : مبني ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (ه-ه) تأخر ما بين الرقين في الأصل عن ه عبر بالمجرد ، والترتيب من ظ .

ولما علل بالعواقبة في الخروج عن "طاعة، بينه في قوله :

(وما منعهم ان تقبل) أى باطنا ، ولذا عبر بالمجرد ، [ولذا بناه

للفعل لأن النافع القبول في نفس الأمر لا كونه من معين - ٢]

(منهم نفقتهم) أى وإن جلت (إلا أنهم كفروا / بالله) أى الذى

له جميع صفات الكمال من الجلال والجمال لفساد جلاتهم وسوء غرائزهم ٢ . ٥

و لما كان قبول النفقات مهينا للطهارة التى تؤثرها الصلاة ، كان

السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه

أدل على الخبث ، فأكد كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل

منهما على حياله مانع فقال : (و برسوله ٦) أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين

و هو السبب المانع بمفرده من القبول ؛ ثم قدح في شاهدهى ما يظهرون ١٠

من الإيمان وهما الصلاة والزكاة وغيرهما من الإنفاق في الخيرات

بما هو لازم للكفر ودال عليه فقال : (ولا ياتون الصلوة) أى المفروضة

و غيرها (إلا وهم كسالى) أى فى حال كسلهم ، لا ياتونها قط بنشاط

(ولا ينفقون) أى نفقة من واجب أو غيره (إلا وهم كرهون ٥)

أى فى حال الكراهة وإن ظهر لكم ٧ خلاف ذلك ، وذلك كله لعدم ١٥

النية الصالحة واعتقاد الآخرة ، وهذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب

الفرض أو الظاهر وهذا بحسب الواقع .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بالكراهة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : غرائزه .

(٤) فى ظ : تورها (هـ) منى ظ ، وفى الأصل : أكد (٦) فى ظ : برسوله (٧) فى

ظ : لهم .

ولما اتقى عن أموالهم النفع الآخري الذي هو النفع، تسبب
 عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها وعدم اعتقاد أن
 فيها بركة ودلالة على خير، فقال - مينا ما فيها من الفساد الذي يظن
 أنه صلاح: ﴿فلا﴾ - بفاء السبب، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد
 ٥ النهي عن الصلاة عليهم ﴿تمجلك أموالهم﴾ أى وإن أنفقوها فى
 سبيل و جهزوا بها الغزاة. فان ذلك عن غير إخلاص منهم ولا حسن
 نية ولا جميل طوية، وإنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام وأخافهم من
 سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب، وعطف عليها الأولاد لمشاركتها
 [لها - ٢] فى الملاذ والقوة والاستعمال فى الجهاد، فقال مؤكدا للنفي
 ١٠ باعادة الثانى: ﴿ولا أولادهم﴾ فكأنه قيل: فماذا يراد باعطائهم ذلك؟
 ولو منعوها وأعطىها المخلصون لكان قوة للدين، فقال: ﴿إنما يريد الله﴾
 أى بوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن
 [له - ٢] الإحاطة بتمام القدرة، وأبلغ فى الحصر بادخال اللام فى
 قوله: ﴿ليعذبهم﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿بها فى الحياة﴾ أى وإن
 ١٥ كان يترأى أنها لذيدة، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت
 فى الحقيقة ﴿الدنيا﴾ أى تارة بجمعها وتربيتها وتارة بيذها كرها فى
 سبيل الله أو فى تركيتها وتارة بغير ذلك ﴿وتزهق﴾ أى وإنما يريد
 بتكبيهم منها* لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾
 (١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: أموالكم (٣) زيد
 من ظ (٤) فى ظ: النفى (٥) سقط من ظ.

أى بسببها (وم) أى والحال أنهم (كفرون ه) أى عربقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكتر أموالهم و أولادهم لنحو هذا لانهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم^١ و حسن حالتهم^٢ فيستمرون عليها^٣ حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنهم و محتهم ، وأما الدين ه فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون^٤ أظهر لدليله و أوضح^٥ لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها و خفي عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالمهم^٦ عليها ، و فى المات بصعوبته عليهم^٧ المشار إليه بالزهوق ، و فى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها^٨ ، وأما المؤمن فلا يموت حتى^٩ يرى من الثواب ما يسليه عن كل شئ فيشتاق إلى لقاء الله و تخرج نفسه وهو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

و لما وضح بهذه الأمور منابذتهم للؤمنين و خروجهم من ربة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبسا آخر من أحوالهم يقيمونه بالإيمان الكاذبة فقال : (و يحلفون) أى طلبوا لكم الفتنة و الحال أنهم يحددون ١٥ الإيمان / (بالله) أى على ما له من تمام العظمة (أنهم) أى المنافقين (لمنكم^١) أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا (و ما)

- (١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٢) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (ه) من ظ ، وفى الأصل :
بانكلاهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾
 أى مع أن لهم قوة و قيا ما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ه ﴾ . أى
 يخافون منكم على دمايتهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى
 الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا
 ه و المبعض لا يعاشر من يبعظه ؟ فقيل : لأنهم لا يجدون ما يحميمهم منكم
 ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم
 يمنعونهم منكم ﴿ أو مغرات ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من
 غار فى الشيء - إذا دخل فيه . و الغور : ما انخفض من الأرض .

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول
 إليها سهلا ، قال : ﴿ أو مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة
 لضيقه أو لمنايع^٢ فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم -
 بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا إليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه
 متولين مرتدين^٣ عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يحمحون ه ﴾ أى حالهم حال
 الدابة التى كانت مسرعة فى طواعة راكبها فاذا هى قد نكصت على
 عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية
 لا يردنها بتر تقع فيه ولا مهلكة^٤ ولا شئ .

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، و ربما بذل ماله^٥ فيه اقتداء
 لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و النفاق و يخالفه -^٦]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل :
 مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال : ﴿ ومنهم من يلزمك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليہ على طريق الملازمة فى ستر^٢ و خفاء أو تظاهر وقلة حياء ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى الاتى توتيتها لاتباعك ، [ولما أخبر عن اللز ، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - ٢] : ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك ؛ ﴿ وان لم يعطوا منها ﴾ فاجأوا السخط الذى يتجدد فى كل لحظة ولم يتخلفوا عنه أصلاً . و عبر عن ٥ ذلك بقوله : ﴿ اذا هم يسخطون ٥ ﴾ فوافقوا الاولين فى جعل الدنيا همهم ، و خالقهم فى أن أولئك أنفقوا ليمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليعتصموا بنفس المال الذى يأخذونه ؛ قيل : إنها نزلت فى ذى الخويصرة^٣ لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم و هو يقسم غنائم حنين : اعدل يا محمدا فانى لم أرك تعدل ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ويلك ! و من يعدل ١٠ إذا لم أعدل ؟ و سياتى حديثه .

ولما أخبر تعالى عن حالهم السي^٤ [الدنى - ٢] الذى لا يجديهم فى الدنيا و يهلكهم فى الآخرة^٥ ، نبههم على ما هو الأصلح^٦ لهم من^٧ الحال الشريف السنى فقال : ﴿ ولو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضوا ما^٨ اتهم الله ﴾ أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ و رسوله لا ﴾ الذى عظمته ١٥ من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ وقالوا ﴾ أى مع الرضى^٩ ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

(١) فى ظ : شياطينه - كذا (٢) فى ظ : تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : عندك (٥) واسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٢ / ٨٨ (٦) فى ظ : الآخرة (٧ - ٧) فى ظ : فى (٨) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : بما . (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذناها .

ولما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق
 بالوعد الآجل ، بين أن الثاني هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال :
 ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعده لا خلف فيه واعتقدوا أن
 لاحق لاحدا فقالوا^٢ : ﴿ من فضله ورسوله ﴾ أى الذى لا يخالف
 أمره ، [على - ٢] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم :
 ﴿ أنا الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رغبون ٤ ﴾
 أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان .
 أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .
 ولما أخبر عن لزوم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم

١٠ إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيها - ٣] وبين

أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكل غيره
 لمزوا أو تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [٥ - بأداة القصر

/ ٥١٢

على ما ذكر : ﴿ انما الصدقات ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق
 من أفراد ، والظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن

١٥ الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتداء به ، فقال : ﴿ للفقراء ﴾ أى الذين

لا شئ لهم أو لهم شئ لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ والمسكين ﴾

أى الذين لا كفاية لهم بدليل " اما السفينة^٦ " - الآية ، وأما " مسكينا

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ

" و (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسدتا

هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دامت به " فتقيده دل على أن المطلق بخلافه (و الغاملين عليها) أى
 المؤمنين فى السعاية والولاية على جمعها (و المؤلفه قلوبهم) أى
 ليسلوا أو يسلم بسبيهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم؛ روى البخارى فى
 التفسير وغيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: بعث إلى النبی صلى الله
 عليه وسلم بشئ قسمه بين أربعة وقال: أتألفهم، فقال رجل: ما عدلت! ٥
 فقال: يخرج من ضئضى ٣ هذا قوم يرقون من الدين. وفى رواية:
 فاستأذنه رجل فى ضرب عنقه فقال: لا، دعه فان له أصحابا يحقر أحدهم
 صلاته مع صلاتهم - الحديث. ولئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. ٥
 ولا يقال: إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام
 الخضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا وله صلى الله عليه وسلم ١٠
 مثلها أو أعلى منها بنفسه أو بأحد من أمته.

ولما فرغ من هذه الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى
 أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤوا، كما دل عليه التعبير [باللام، ذكر
 الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير -^٤] ب " بى،

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ: او (٣) والضئضى: الفصل (٤) ورواية
 البغوى فى العالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش باب التأويل ٣/٨٨ -
 (٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ: على -
 كذا (٧) تأخر فى ظ عن " الأصناف " (٨) ما بين الحاجزين وذنباه لاستقامة
 العبارة، وهو أقرب نسج على منوال المؤلف، وقال فى باب التأويل ٣/٩٢:
 وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و في الرقاب ﴾ أي و المسكتين بسبب فك رقابهم من الرق
 ﴿ و الغرمين ﴾ أي الذين استدانوا في غير معصية ، يصرف ما يعطونه
 إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و في ﴾ أي و المجاهدين في ﴿ سبيل الله ﴾
 أي الذي له الأمر كله بالفتنة و المحل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ،
 ٥ و نقل القفال^١ عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه
 الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السبيل^٢ ﴾
 و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [إليه ، ففيه إشارة -^٣]
 إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه
 إلا بأمرحقا ، فانا قد عينا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشيء
 ١٠ من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم
 رضى من رضى و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابته^٢ للفقراء
 حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنه ﴿ من الله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة
 و علما لعله بأن في ذلك أعظم صلاح ، و هذا كالزجر عن مخالفة الظاهر
 ﴿ و الله ﴾ أي الذي له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم
 ١٥ بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ﴾ أي فهو

= فيصرون ذلك فيما شاؤوا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخلص رقابهم
 من الرق و لا يدفع إليهم و لا يمكنون من التصرف فيه .

(١) و المشهور بالقفال في الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار و عبد الله بن أحمد
 المروزي و محمد بن علي الشافعي و ابنه القاسم بن محمد بن علي الشافعي (٢) زدناه لتعديل
 العبارة (٣) في ظ : تأييه - كذا .

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان :
 • بما ، [إن - '] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، وإن
 [كانت - '] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط
 الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار
 عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ٥
 و التماذى في حبه يوجب الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة
 تذكير المالك له بالمالك الحقيقي في أنه أوجب عليه إخراج طائفة
 منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها
 له و يطهره عن محض الإنفاق في شهوات ، و من جهة الآخذ
 أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠
 سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثاني احتياج
 الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجع المالك ببقاء الكثير ،
 و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال :
 إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى
 الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥
 صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقيين ٢
 و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال : أبو حنيفة : يجوز
 صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج
 (١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) في ظ : يعجب (٣) في ظ : البقين - كذا ،
 و المسألة المذكورة في الزكاة من كتاب الأم (٤) في ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون في جميع الأصناف - وهو قول عمر بن الخطاب وحذيفة وابن عباس رضی الله عنهم وسميد بن جبير وعطاء وأبي العالية وميمون بن مهران ' .

ولما بين الصنفين السالفين ، وختم أمرهما بصفتي العلم والحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا في صفات الرسول صلى الله عليه وسلم فيلزم الطعن في علم مرسله وحكمته فقال : (ومنهم الذين يؤذون النبي) أي الذي أعلى الله مقداره ، فهو ينبت بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ ولما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول والفعل ، عطف عليه قوله : (ويقولون هو) أي من فرط سماعه لما يقال له (إذن ')

١٠ ومرادهم أنه يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد - كما سمي الجاسوس

عينا ؛ قال أبو حيان : كان خدام^٢ بن خالد وعبيد بن هلال والجلال

ابن سويد في آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم :

لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلاس : بل نقول ما شئنا

فان محمدا أذن سامعة ، ثم تأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، وقيل غير ذلك ،

١٥ يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد

والجمع^٣ - انتهى . ومرادهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يعرف مكر من

يمكر به وخداع من يخادعه وكذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، ولكنه

(١) راجع البحر ٥٧/ و ٥٨ (٢) وفي البحر المحيط ٦٢/٥ : قدام - كذا ، وورد

هذا الاسم في المغازي لوقايد كما في أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازي (٣) وهذا

القول منسوب إلى الجوهرى (٤) في ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله :
 ﴿ قل اذن خير ﴾ ثم بين [أن - ١] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿ لكم ﴾
 ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان لللائكة الذين يأتونه
 عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفاً ﴿ بالله ﴾ أى بسبب ما يخبرونه
 عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥
 والإكرام ؛ وحاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف
 وانتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت وأتى بصلة تدل عليها كما قالوا
 فى قوله تعالى ” ولتكبروا الله على ما هدتكم “ أن التقدير : حامدين على
 ما هدياكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصداقاً بالله ، فهذا حقيقته . وهو يشمر بحجة
 المؤمنين ولايتهم ، ولذا أتبعه قوله : ﴿ و يؤمن للمؤمنين ﴾ أى الراستخين ، ١٠
 يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم فى كل ما يخبرونه به مما
 يحتمل التصديق ، وذلك لأجل مصالحهم والتأليف بينهم مع ما ثبت
 من صدقهم ، فانه لو حلهم على عقله و مبلغ علمه يحجه الكاذب و عاقب
 الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، أقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت
 بسببه أكثر الأروهام . فنشرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥
 كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقضى للأمر
 و النهى عدى بالباء ، وهنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأى شئ
 كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة فى التصديق
 بحيث كأنه لا تصديق [/] غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لا بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراشدين في
الإيمان ، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو في الظاهر فقال : ﴿ ورحمة ﴾
أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بأستهم ﴿ منكم ﴾
فهو - والله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من في حكمهم ممن حزم لسانه
و قلبه مزلول ، أى أن إظهار تصديقهم قبولاً لما ظهر منهم و ستر قبائح
أسرارهم سبب للكف عن دمائهم ، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان
ذلك سبباً لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتأدى الزمان ،
ولا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير
باسم الفاعل ، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه :
١٠ الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان
وترديه فى درك الكفران : اعلم أن الله محيط بكل شىء خلقاً و أمراً
أولاً و آخراً ظاهراً و باطناً و هو حمدة ، وله علو فى ظهور أمره
و كبر خلقه ، و احتجاب فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من
حكيمته و أسباب هداه و فتنه . و ذلك 'علو هو إلهيته ، و الاحتجاب
١٥ 'هو ملكه ، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأيد كل أمر من الأمرين
لما أقيم له ، و ذلك هو ربانيتها^٢ و لكل فق من خلقه و أمره رتق
سابق ، و لكل تفاوت سواء ، و ذلك هو 'رحمانيته ، و لكل أقرب
فى مدد الحجاب اختصاص : ذلك هو رحيمته ، و لكل أبعد فى مدد
(١) من ظ ، و فى الأصل : احتجاب - كذا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقنين من
ظ (٣) زيد فى ظ : فى .

الحجاب بطش منه شديد في رده إلى القرب و تلك هي نفعته ، ولكل
 من تزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص ، ولكل أمر خلق ، يرد
 بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قرب و محل
 بعده ، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له في جميع أمره و تفصيله ،
 و أنزل القرآن بناء على جملة ذلك ، فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ه
 المحل الذي سمي^٢ فيه بالإنسان ، وهو حيث أنس بنفسه و غيره و نسي
 عهد ربه ، فيرد لذلك بناؤه بالذم في القرآن ” قتل الانسان ما اكفره^٣ “ ،
 ” ان الانسان لربه لكنود “ ثم المحل الذي تداركه فيه تنبيه^٤ لسماع
 الزجر من ربه ، وهو له بمنزلة سن الميز لابن سبع ، و لا يقع إلا عن
 اجتماع و تراء ، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم ، أى ترددهم ١٠
 بين سماع الزجر من ربه و غلبة أهوائهم عليهم ، فيرد لذلك بناؤه
 بدم أكثرهم في القرآن ” ولكن اكثر الناس لا يعلمون - ولا يشكرون “
 ثم المحل الذي يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق ،
 لكنهم يتزلزلون^٥ عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة ، وهو
 لهم بمنزلة سن المخملم الذي قد ذاق طعم بدو النظفة من باطنه الناجم ١٥
 العقل للنظر في حقائق المحسوسات ، و ذلك هو السن [الذي يسمون^٦ -]
 فيه ” الذين امنوا “ وهو أول سن التلقي ، فلذلك جميع^٧ آداب القرآن

(١) من ظ ، وفي الأصل : عن (٢) في ظ : يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧ .

(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ ، وفي الأصل : تنبيه (٦) في ظ : يتزلزلون .

(٧) زيد من ظ (٨) في ظ : جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول^١ : إذا سمعت الله عز وجل [يقول - ٢] ” يا أيها الذين آمنوا ” فأعرها^٢ سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب ” الذين آمنوا ” لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه ” الذين آمنوا ” لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الحالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب في الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن ” الذين آمنوا ” من سن ” الذين يؤمنون ” و هم في أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن ” الذين آمنوا ” و ” الناس ” في مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف ” يا ” الرسالة إلى حد البعد : ” يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ” ١٥ بالله و رسوله ” و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد في القرآن في خطابهم ” يا ” البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم ” المؤمنون حقا ” و كذلك إلى سن ” المحسنين ” إلى غيب سن ” الموقنين ” إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أربع ، (١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في الأصل وظ: فارعا ، وإعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و في الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسايح ، يعرفها من تطور فيها ، ويجهلها من نبت سن
 قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب
 منه إثنان : الحرص و الأمل ، فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل
 همه و تبعه ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطاها لم يفتح له
 الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له نزلات الخطاب لم ين ' له ه
 خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من
 كذبه فأذاه من النعمة فقال : (و الذين يؤذون) أى من هؤلاء و من
 غيرهم (رسول الله) أى الذى أظهر - وهو الملك الأعلى - شرفه و عظمه
 بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه ١٠
 الأعظم الجامع ، وهو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم
 فاعلم يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : (لهم عذاب اليمه)
 ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم
 فيصلحون ظواهرهم ٢ حفظا لها بالآيمان الكاذبة فقال : (يحلفون بالله) ١٥
 أى الذى له تمام العظمة (لكم) أى أنهم ما آذوا النبي صلى الله عليه
 وسلم خصوما و لا أولادكم بالمخالفة عموما ؛ و بين غاية مرادهم بقوله :
 (ليرضوكم ج) .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم بين (٢) فى ظ : خواطرم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم في قلبه
ولكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ والله ﴾
أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه ﴿ ورسول ﴾ أى الذى هو
أعلى خلقه ، وبلغ النهاية في تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة
الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾
أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ ولما كان مناط الإرضاء الطاعة ومدار الطاعة
الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى
فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، وذلك إشارة إلى أنهم
إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، وإن خالفوه كان
١٠ قاطعا على كفرانهم .

ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزي عند المؤمنين
وبين أن هو الأحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك في استفهام
إنكار وتوبيخ مبينا أنهم فرّوا من خزي منقض فسقطوا في خزي دائم ،
والخزي : استحياء في هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموا ﴾ أى لدلائلهم على
١٥ الأحق بالإرضاء . ولما كان ذكر الشيء مبهما فمفسرا أضخم ، أضمر
للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿ من يحادد الله ﴾ [وهو الملك
الاعظم ، ويظهر المحادة - بما أشار إليه الفك - ٦] ﴿ ورسوله ﴾
أى [الذى عظمت من عظمت ، بأن - ٦] يفعل معهما فعل من يخاصم في
(١) في ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفي الأصل : محز - كذا (٣) في ظ : ذكر .
(٤-٤) في ظ : ولما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل :
اصهار (٦) ريد من ظ .

حد أرض فريد أن يغلب على حد خصمه، ويلزمه أن يكون في حد غير حده ﴿فإن له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خلدا فيها﴾ أى دائماً من غير انقضاء كما كانت نيتة المحادة أبداً؛ ثم نبه / على عظمة هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الحزى العظيم﴾ .

ولما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٢] أخف منهم نفاقاً بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المنافقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيراً لهم من أدنى النفاق فانه يحجر إلى أعلاه ﴿ان تنزل﴾ ولما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر وشدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ ١٠ أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبهم﴾ أى تخبرهم إخباراً عظيماً مستقصى ﴿بما فى قلوبهم﴾ لم يظهروا عليه أحداً من غيرهم أو أحداً مطلقاً، ولعل هذا الصنف كانوا يسلفون الإيمان لعلها تشكك بعض الناس أو تخفف عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى^١ ويدل على النفاق و^٢ يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، وقال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: والله إني لأرانا شر خلق الله ولوددت أنى قدمت فجذلت مائة جلدة وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا .

(١) من ظ، وفي الأصل: المحاكاة - كذا (٢) في ظ: عظم (٣) زيد من ظ .
(٤) زيد بفتح في الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفناها (٥) من ظ،
وفي الأصل: يشكك (٦) من ظ، وفي الأصل: يخفف (٧) في ظ: نودى .
(٨) في ظ: ما .

و لا كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ .
 قال مهرداد: ﴿ قل استهزموا ج ﴾ أى افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾
 أى المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أى كانت له وصف إخراجه
 ﴿ ما تحذرون ه ﴾ أى إخراجه من قبائحكم ؛ و عن الحسن : كان المسلمون
 ه يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما فى قلوب المنافقين و أظهرته .

و لا وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم^١ إلى التوبة التى هى
 فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم من بلغ
 الغاية فى الجلال و الوفا و الكمال فقال : ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أى و أنت
 من يجب أن يصدقه مسؤله عما^٢ أخرجت السورة بما أظهرها بينهم من
 ١٠ الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه^٣ يفتح
 قصور الشام و حصونها^٤ ! هيهات هيهات ! فأعله الله فقال : احبسوا على^٥
 الركب ، [فسألهم - °] ﴿ ليقولن انما ﴾ أى ما قلنا شيئا من ذلك ،
 انما ﴿ كنا نخوض ﴾ أى نتحدث^٦ على غير نظام ﴿ و نلعب^٧ ﴾ أى بما
 لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فماذا يقال لهم
 ١٥ إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم تقريرا على
 استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع
 جاعلا^٨ لهم كأنهم^٩ معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به^٩ بلى^٩ حرف
 التقرير ، و ذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) فى ظ : مبادرته (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ان (٤) من تفسير الطبرى ، و فى
 الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ،
 و فى الأصل نتحور - كذا (٧) فى ظ : عاجلا (٨) فى ظ : بانهم (٩) فى ظ : على .

في قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و يانا لما في إظهارك لتصدقهم
من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و ائنه ﴾
أى التى لا يمكن تبديلها ولا تخفى^١ على ذى بصيرة ﴿ و رسوله ﴾
أى الذى عظمت من عظمته و هو مجتهد في إصلاحكم و تشريفكم و إعلانكم
﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزئون ٥ ﴾ .

و لما حقق استهزاءهم ، أتبع قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا
في إثبات العذر ، وهو ما ينفي^٢ الملام ، فان ذلك لا يفنيكم وإن اجتهدتم
لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على
أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من
نكث^٣ منهم تخويفا [له و تحقيقا - ^٤] بحال من أصر [فقال - ^٥] : ١٠ .
﴿ بعد إيمانكم ﴾ أى الذى ادعيتموه بألسنتكم صدقا من بعضكم و نفاقا
من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم
أو إصرارهم ، بين أنهم / قسمان : أحدهما * مطبوع على قلبه و مقضى^٦

توبته وجه . و هذا الأشرف^٧ هو المراد بقوله بانيا للفعول إعلاما بأن ١٥
المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾
لأن كلام الملك و إن جرى في مضارع الشرط فهو مرشد إلى تحققه

(١) من ظ ، و في الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و في الأصل : نفى (٣) في ظ :
تاب (٤) زيد من ظ (٥) منقطع من ظ (٦) في ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و في
الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى والأدنى (عن طائفة منكم^١) أى لصلاحيها للتوبة (تعذب طائفة) أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة^٢، وقرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة (بانهم) أى بسبب أنهم (كانوا مجرمين^٣) أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير

٥. صفة لهم ثابتة^٤ لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، وشرح هذه القصة أنه كان يسير بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثلاثة نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والآخر يضحك، قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم، ما أبده من ذلك^٥ وقيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين في المدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال: احبسوا الركب على، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا؟ فقالوا: "إنما كنا [نخوض ونلعب] أى كنا -^٦ [تحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب] قال ابن إسحاق: والذي عفى عنه رجل واحد

١٥. وهو مخشى^٧ بن حمير الأشجعي، يقال: هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي بجانبهم وينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [هذه -^٨] الآية [تأب -^٩]، قال: اللهم! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

(١) في ظ: منهم (٢) في ظ: الاستداد (٣) في ظ: ثابتة (٤) من ظ: معالم التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٩٦/٣، وفي الأصل: ثلاثون. (٥) زيد من العالم (٦) من المعالم، وفي الأصل: يقطع، وفي ظ: تقطع (٧) من المعالم، وفي الأصل و ظ: نخشن (٨) زيد من ظ: والمعالم.

الجلود، ونحب منها القلوب، اللهم اجعل وفائي قتلا في سبيلك! لا يقول أحد: أنا غسلت أنا! كفنت أنا دفنت، فأصيب يوم^٢ البامة، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه. و اعل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترًا عليه و تبشيرا بتوبة غيره، و اعل مخشيا كان مؤمنا ولكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله "ا كفرتم بعد ايمانكم" ٥ و التعبير بذلك أشنع في الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتماحدون بالثبات على أى أمر اختاروه و يتدامون بالطيش، و اعل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره^٣ ممن غنى بها، و ما آمن إلا حين تاب، فلذا عبر هناك بقوله "و كفروا بعد اسلامهم"؛ قال أبو حيان: قال ابن^٤ عمر: رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم يمشيها و الحجارة تنكته و هو يقول "إما كنا نخوض و نلعب" و النبي صلى الله عليه و سلم يقول "إيا الله و آيته" - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم في العسكر - هي في غاية الفساد، كان ١٥ ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم: (المنفقون و المنفقت) أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: بدر، و لم تكن الزيادة في ظ و لا في العالم لمخالفاتها (٣) في ظ: ابشع (٤) في ظ: لغيره (٥) من ظ و البحر المحيط ٥/ ٦٧، و في الأصل: أبو (٦) من ظ، و في الأصل: حالتهم.

و أبطنوا الكفران (بعضهم) و لما كان مرجعهم الجود على الهوى
و الطبع و العادة و التقليد من التابع^١ منهم للتبوع، قال: (من بعض^٢)
أى فى صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد، أمورهم متشابهة فى أقوالهم
و أفعالهم و جميع أحوالهم، و الفصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان
و لذلك بينه بقوله: (يامرون بالمنكر) أى بما تقدم من الخبال^٣ و الإيضاع
فى الخلال و غير ذلك من سبب الخصال (و يتهون / عن المعروف)
أى من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله. يفتون بذلك الفتنة
(و يقبضون أيديهم^٤) أى يشحون فلا ينفقون إلا وهم كارهون.

٥١٨ /

و لما كان كأنه قيل: أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب؟ أجاب
١٠ بقوله: (نسوا الله) أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله و لا أسر
لأحد معه، و يصلح أن يكون غلة لما تقدم عليه؛ و لما أقدموا على
ذلك، سبب عنه قوله: (فأنسيهم) أى فعل بهم فعل الناسى^٥ لما
استهان به بأن تركهم من رحمة، فكان ذلك الترك سببا لحلول نقمته؛
و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها، اختصوا بكال الفسق فشرح ذلك فى
١٥ أسلوب التعجيب^٦ من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضممار تعميما و تعليقا
للحكم بالوصف - °]: (ان المنفقين هم) أى خاصة (الفسقون^٧)
أى الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراغبون فى ذلك، فقد علم
بهذا^٨ أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة.

(١) فى ظ: التابع (٢) فى ظ: الخبال (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى
ظ: التعجب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: بذلك.

و لما

(١٣٠)

٥٢٠

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم وكان مقصودهم باظهار الإيمان و الاعتذار عن النقائص بتأكيد الإيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التجب طمعا في العيش في أكنافهم و فرقا من المعالجة بما يستحقون^١ من إنلافهم^٢ ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم و الطرد اللازم ، و جمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما^٣ بأنهم إن^٤ لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ و ساقه بصيغة البشارة تهكما بهم و إبلاغا في مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين^٥ باعتقادهم ﴿ و الكفار ﴾ أى المجاهرين في عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تبهم المؤمنين و الانقباض عنهم ، و إن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار^٦ التى ١٠ من شأنها تبهم أهلها و لقاؤهم بالعبوسة الزائدة ﴿ تخلدين فيها ﴾ أى لا براح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجاوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ ولعنهم الله ﴾ أى طردهم و أبعدهم من رحمته و هو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لاحد معه فأفهم أنه لا^٧ فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ و لهم ﴾ أى بالأميرين ﴿ عذاب مقيم ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، و فى الآخرة بما لا يعلمه حق عليه إلا [الله - ٨]

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : المستأثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، و فى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

ولما كان حالهم في الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة والإعراض
عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية
و القرون الماضية، بين لهم ذلك وختم ببيان سوء أحوالهم وقبح مآلهم
٥ بتلاشي أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع في باب
العتاب و أفتد في استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أي حاصل
ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ ولما كان فاعل ما يذكر
إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أي من الأمم
الخالية ، ثم شرع في شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوا
١٠ اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب
﴿ واكثر أموالا واولادا ١ ﴾ وهذا ٢ ناظر إلى قوله " فلا تعجبك أموالهم
ولا اولادهم " ﴿ فاستمتعوا ﴾ أي طلبوا المتاع والانتفاع في الدنيا بغاية
الرغبة معرضين عن العقبي ﴿ بخلافهم ﴾ أي نصيبهم الذي قدره الله
و خلقه لهم ، وكان الأليق بهم ٣ أن يبلغوا به في السفر الذي لا بد منه
١٥ إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلافكم ﴾ أي كالمقتنين لآثارهم و القاصدين لآثارهم
﴿ كما استمتع ﴾ و في الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / ولما كانوا لم يستغرقوا
الزمن الماضي ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلافهم ﴾ - ظاهرا غير
مضمر تنبيه على ذمهم بقلّة النظر لأنفسهم المستلزم لقلّة غفولهم حيث
كانوا دونهم في القوة أبدانا و أموالا و اولادا ولم يكفوا عن الاستمتاع

(١) في ظ : من (٢) في ظ : هو (٣) حقط من ظ .

والخوض

و الخوض خوفا مما يحق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب^١ من الأسباب (و خضتم) أى ذهبتم فى أقوالكم و أفعالكم خطأ^٢ على غير سنن قويم (كالذى) أى كخوضهم الذى (خاضوا^٣) و هو ناظر إلى قولهم^٤ ” إنما كنا نخوض و نلعب “، قال أبو حيان : و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ه لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام ، و أمور الباطل إنما هى خوض ، و منه قوله : رب متخوض فى مال^٥ الله له النار يوم القيامة . و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة^٦ ، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله : (أولئك) أى البعداء من الخير ،

و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ (حبطت) أى فسدت فبطلت (أعمالهم فى الدنيا) أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها (و الآخرة) أى و فى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها ؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال : (و أولئك هم) أى خاصة (الخسرون ه) أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فخسروا أنفسهم فلا أخسر عن ١٥ تشبه [بهم - ٧] ، و لعل فى الالتفات^٨ إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من^٩ مثل هذه الحال^{١٠} لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٢) فى ظ : خطبا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : ربما - كذا ، و راجع البحر المحيط ه / ٦٩ (٥) فى ظ : لال (٦) فى ظ : الكسرة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : التفات (٩) فى ظ : فى . (١٠) فى ظ : الحالة .

فان من أسرار القرآن في إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شيء وإشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه^١ بعلّة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالي في آخر عروة المفتاح في بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية ولكل قارئ يقرأه من أهل الفهم والإيقان: اعلم أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن نبأ عن^٢ جميع الأكوان، وأن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات والرسالات والخلاقات وأصناف الملوك والقراءنة والطغاة وأصناف الجنّة وجميع ما أصابهم من المثوبات والمثلات في يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ستة آلاف سنة^{١٠} ونحوها كل ذلك يتكرر^٣ بحملته في يوم محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ألف سنة أو نحوها أعداداً بأعداد وأحوالاً بأحوال في خير أو شرف، لكل من الماضين مثل يتكرر^٣ في هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله عليه وسلم -^٤] لكل نبي قبلي في أمّتي نظير، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم نظراء^٥ مثل إبراهيم كآبي بكر، ومثل موسى كعمر، ومثل هارون كعثمان، ومثل نوح كعلي، ومثل عيسى كآبي ذر، وقال صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف النظراء من أمّتي بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم كافرهم ومؤمنهم ممن كان وممن هو كائن وممن سيكون بعد، ولو شئت أن أسميهم لفعلت، فما صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذي فيه من قصص الأولين وأخبار المتأبين والمعاقين من أهل

(١) في ظ: ايضاً (٢) في ظ: على (٣) في ظ: متكرر (٤) زيد من ظ (ه) من ظ، وفي الأصل: فما.

الاديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا
و ليس كذلك] إنما مقصوده - ' [الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة
في هذه الأمة^٢ من نظائر^٣ جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال والآثار
حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه
الأمة^٢ و أتمتها هدايتها و ضلالها ، فحينئذ يفتح له باب الفهم و يضيء له ه
نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من
/ أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر :

إياك أغنى و اسمعى يا جارة^٤

نم إذا شهد انطباق القرآن على كلية الأمة^٢ فكان بذلك عالما
ينفتح له باب ترقى ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠
على كلية الأمة^٢ منطبقا على ذاته في أحوال نفسه^٥ و تقلباته^٦ و تصرفات
أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فيتنفع
بسماع جميعه و يعتبر بأى آية سمعها منه فيطلب^٧ موقعها في نفسه فيجدها
بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات
أو إلى أنزل الدرجات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود^٨ التنبيه ١٥
في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد^٩ لفهم ذلك
الانطباق على كلية الأمة^٢ علما و على خصوص ذات القارئ السامع
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الآية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع جمع الأمثال
ليداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في
ظ : فيطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا ترشد .

عرفانا، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التي لم تترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين والموقنين التي جعلتها تحت حياطة الملك والجزاء والمدائنة، الذين تروعههم رائحة الموت أولا ثم رائحة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخسین التي كل موقف منها ألف من السنين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة،

فعدد هذه الأديان سبعة، ما من دين منها إلا و يوجد في صنف من أصناف هذه الأمة، وتجده المعتبر في نفسه في وقت ما بقلة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن ملح عين زائل، وهذه الأديان السبعة هي دين 'الذين آمنوا' من هذه الأمة

١٠ ولم يتحققوا^١ لحقيقة الإيمان فيكونوا^٢ من 'المؤمنين' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا في قلوبهم، الموحدين المتبرئين من الحول والقوة، المتحققين لمعناه، إقذارا لله عليهم بما شاء لا بما يشاؤون "الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون - أولئك هم المؤمنون حقا"^٣، وأما الذين آمنوا فهم الذين لا يشكون على حال

١٥ إيمانهم ولكن تارة وتارة، ولذلك هم المنادون والمنهون والمأمورون في جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء في السورة الواحدة مرات^٤ عديدة من نحو ما بين قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"^٥ - إلى قوله تعالى^٦: "يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ، وفي الأصل: خمس (٢) في ظ: يؤخذ (٣) في ظ: لم تتحققوا.
 (٤) في ظ: تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ، وفي الأصل:
 مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقین من ظ.

عن دينه^١“ إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا ثم كفروا
 ثم امنوا^٢“ فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات
 من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل في الصحة من الأديان الثلاثة^٣
 في نحو قوله تعالى ” ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصارى و الصبئين
 من امن بالله و اليوم الآخر“^٤ المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم^٥
 و المغيرين لدين لم ينزل الله به من سلطان في نحو قوله تعالى ” ان الذين
 امنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصارى و المجوس و الذين اشركوا“^٦
 فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و^٧ الذين
 منهم الذين حلوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون
 عرض هذا الأدنى و يقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله^٨
 يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ،
 و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون
 الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله
 و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ،
 و الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا في دينهم و قالوا على^٩
 الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله^{١٠} و المسيح ابن مريم ؛
 و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متأهلو النجوم عباد الشمس
 و القمر و الكواكب و مغبروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا

(١) - سورة ٥ آية ٤٤ (٢) سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢
 آية ٦٢ (٥) سورة ٢٢ آية ١٧ .

اسماويا ؛ وأما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين :
نورا وظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ وأما الدين السادس فدين الذين
أشركوا وهم الذين عبدوا محسوسا^١ أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا
وهم الصنمية - فهذه الأديان الستة الموفية^٢ لعد الست لما جاء فيه ؛ وأما
٥ الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لسته خيرا
كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المناققين الذين ظاهروا مع الذين
آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها^٣
الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا :
إنا معكم - فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها في هذه الأمانة بنحو ما وقع
١٠ قبل في الأمم الماضية ، وهو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك في
قوله صلى الله عليه وسلم : لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا
بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل في
جحر ضب^٤ لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس والروم ؟
قال : فهل الناس إلا هم ، وما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث
١٥ هو من مضمون قوله تعالى ” كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة
واكثر أموالا و أولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع
الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا “ ، وأهل هذه الأديان
السبعة هم - أو منهم - عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، و الناجون

(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) في ظ : التوفية (٣) في ظ : شركها .

(٤) في ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفي الأصل : الضب .

بالكلية الفاتزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين والموقنين ، ومزيد
تفضيل في ذلك و تثنية قول لما ينه^١ عليه بحول الله تعالى من جهات
تتبع^٢ طوائف من هذه الامة^٣ سنن من تقدمهم في ذلك ، أما وجه
تكرار دين الذين أشركوا في هذه الامة^٤ فباتخاذهم أصناما وآلهة يعبدونها
من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام والأوثان من
الحجارة والخشب ، واتخذت هذه الامة^٥ بوجه أطف^٦ وأخفى أصناما
وأوثانا . فانها اتخذت^٧ الدينار والدرهم أصناما والسبائك والنقر أوثانا
من حيث أن الصنم هو ما له صورة والوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله
عليه وسلم : صنم أمي الدينار والدرهم ، وقال صلى الله عليه وسلم :
لكل أمة عجل وعجل أمي الدينار والدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك^٨
أن الصنم الذي صنعه بيده ينفعه وظن المفتونين من هذه الامة^٩ أن
ما اكتسبوا من الدينار والدرهم^{١٠} ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك^{١١}
إلا درهمك ” يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم^{١٢} ” فما من آية نزات في المشركين في ذكر أحوالهم وتبيين
ضلالهم وتفاصيل سرهم^{١٣} وإعلانهم إلا وهي منطبقه على كل مفتون^{١٤}
بديناره ودرهمه ، فوقع قول المشركين في أصنامهم ” ما نعبدكم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى ”^{١٥} مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب المال إلا لأعمل

(١) في ظ : بينه (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتبع (٣-٢) سقط ما بين الرمين من
ظ (٤) في ظ : اللطف (٥) في ظ : اتخذ (٦) في ظ : الدراهم (٧) في ظ : ما ينفعك .
(٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٢ .

الخير وأستعين به على وجوه البر، ولو أراد البر لكان ترك التكسب
والتمول له^١ أبر؛ قال صلى الله عليه وسلم: إنما أهلك من كان / قبلكم
الدينار والدرهم وهما مهلكاكم. فكل من أحبهما وأعجب بجمعهما فهو
مشارك هذه الأمة وهما لاته وعزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
٥ لأنه تأله ماله^٢؛ قال صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم^٣ على دينهم، فمن وجد من هذا
مسة^٤ فليسمع جميع ما أنزل في المشركين من القرآن منطبقا عليه^٥
ومنزلا إليه وحافا به حتى يخلصه^٦ الله من خاص شركه كما خلاص من
أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين، فتخلص^٧ هذا المشرك بما
١٠ له من ظلمته التي غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان في مضمون
قوله تعالى "ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات من الظلمات إلى النور"
فهذا وجه تفصيل يبين^٨ نحوا من تكرار دين الشرك في هذه الأمة، وأما
وجه وقوع المجوسية ونظيرها في هذه الأمة^٩ فاطباق الناس على رؤية
الأفعال من أنفسهم خيرا وشرها وإسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
١٥ استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
و فلانا يمنع و فلانا يخير منى و فلانا أعطاني، حتى ملأوا الدواوين من
الاشعار والخطب والرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا وذما لهم

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: باله (٣) في ظ: دينارهم (٤) من
ظ، وفي الأصل: شبهة (٥) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٦) في ظ: يخصه.
(٧) في ظ: فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ، وفي الأصل: يباض.
(١٠) من ظ، وفي الأصل: الآية.

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله
و يلحدون في أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض " سیدی و سندی و آسفی "
عُدی عبدك و مملوكك ، يظنون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية
خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا
و عاقبنا - كلمة تمرودية ، [آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ه
كالذى حاج إبراهيم في ربه - ٢] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا
أحيى و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح
دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه " أسلمت وجهى لله
و من اتبعن ٢ " ، " الا له الخلق و الامر ٢ " و ما سوى ذلك قدرية
[و - ١] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة في فعل الرب ١٠
و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا
أن التقدير منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛
قال صلى الله عليه وسلم : القدرية مجوس هذه الأمة ، فكل ما أنزل الله
عز و جل في القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان مما عزاه لمن
وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعة أو تمرودية أو ذى ١٥
سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم
في الذين زعموا أنهم فيهم شركاء يخافونهم و رجونهم ، فكل ٦ خائف من
الخلق أو راجع منهم ٧ من عداد الذين آمنوا و الذين أسلبوا في هذه الأمة
(١) في ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤ .
(٥) من ظ ، و في الأصل : المقدور (٦) في ظ : ذلك (٧) في ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها ؛ ليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل فهذا ونجته من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [وأما ونجته وقوع الصائبة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على أكثرهم وتخصوها - ملوكها وسلاطينها ودور الرئاسة - منها من النظر في النجوم - والعمل [بحسب - ٣] ما تظهره هيتها عندهم من سعد وتخص والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه الخليون - الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال

١٠ صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمتي هم كفروا وليسوا بتاركين -

فتذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / والمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية

/ ٥٢٣

هم : صائبة هذه الأمة ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم

من الخلق هم مجوس هذه الأمة ؛ وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم

بدرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة ؛ وما انطوى [عليه - ٢] سر كل

١٥ طائفة منهم مما يتعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه

تصرح جميع أهلهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به

قلبه ؛ فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الصائبة فهو حجة عليه

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :

الرائي (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقین

من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن وهو
 نذير لهم بين يدي عذاب شديد وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم يرحمون^١
 به وهم الآخسرون^٢ "ولا يزيد الظالمين الا خسارا"^٣ فما يختص بهذه
 الطائفة المتصيبة ما هو نحو قوله تعالى "وكذلك نرى ابراهيم ملكوت
 السموات والارض وليكون من الموقنين"^٤ - الآيات في ذكر الكوكب
 والقمر والشمس إلى آيات ذكر التسخير لمن نحو قوله تعالى "وهو
 الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر والشمس والقمر
 والنجوم مسخرت بأمره وسخر لكم الشمس والقمر دائبين"^٥، "هو
 الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد
 السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق"^٦ "وانه هو رب اشعري"^٧ ١٠
 كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق ورجاءهم عن الأفلاك والنجوم
 المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذي استوى على جميعها، فهذا
 وجه من وقوع الصابئة في الذين آمنوا والذين أسلموا في هذه الأمة،
 وأما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها وفشا في أعمالها
 وأحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود والنصارى ١٥
 في اختلافهم وغلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم
 وعلماهم وأوليائهم فهو الذي حذرته هذه الأمة وأشعر أولو الفهم
 (١) من ظ، وفي الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥
 (٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يعلموا، وراجع سورة ١٠
 آية ٥ (٧) سورة ٣٠ آية ٤٩.

بوقوعه فيهم بنحو ما في مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا
واختلفوا من بعد ما جاءهم اليثبت" وما أنبا به صلى الله عليه وسلم
"لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لاتبعتموهم"، وفي بعض طرقه "حتى لو كان فيهم من أتى
أمة جهارا لكان فيكم ذلك"، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟
قال: فن! وإنما قوى وكثر في هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاها
الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلجوا فيها بالأغراض والآهواء
وإثار عرض الدنيا، وسامحوا الملوك والولاة وحلوا لهم ما حرم الله
وحرموا^١ لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم في الاعتداء على
١٠ من حسدوه من أهل الصدق والتقوى، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم
على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتمادى ذلك
فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير
الملل كلها ملة واحدة ويرجع الاقتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من
اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا
١٥ مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما في علمه وحاله وعرفاته فهو
بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين
لظواهر الأحوال الظاهرة التي بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك
الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر^٢، المنكرين لأحوال
/ ٥٢٤
أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجاتهم بأهل الدنيا، المؤثرين
٢٠ لعرض هذا الأدنى، فهذا ظهرت أحوال اليهود في هذه الأمة، مر

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) في ظ: حللوا (٣) من ظ، وفي الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه وسلم بسدرة خضراء^١ نضرة، وكان
 لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها ويحتمعون عندها وينيطون بها^٢ أسلحتهم
 ويسمون ذات أنواط فقالوا^٣: يا رسول الله! اجعل لنا هذه السدرة
 ذات أنواط كما لهم ذات أنواط! فقال صلى الله عليه وسلم: قلتموها
 ورب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة! إنها
 السنن^٤. فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي والحسد وتعظيم ما ظهر
 تعظيمه من حيث الدنيا واستحقار ضعفاء المؤمنين فهناك أعلام اليهودية
 ظاهرة، وكذلك^٥ أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن
 من إصلاح حال أو قلب مع^٦ تضييع ظاهر الأمر وجامع الخير وتعاضد
 الإسلام واكتفى بما استبطن وتهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه
 الأمة، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن، وذلك
 أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام^٧ ظاهرة وشعار^٨ إيمان في القلوب
 وأحوال نفس باطنه وحقائق إحسان شهودية، لا يشهد المحسن مع الله
 سواه ولا يؤمن المؤمن مع الله بغيره، ولا يخضع المسلم إلى شيء من
 دونه، فبذلك يتم، وقد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة^٩،
 والتزم بشعار الإيمان طوائف يسمون الأصوليين والمتكلمين، وتراعى
 إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة، فتي كان المتفقهة^{١٠} منكرا لصدق

(١) في ظ: خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: قالوا (٤) وراجع أيضا مسند
 الإمام أحمد ٢١٨/٨ حيث سبقت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ: لذلك.
 (٦) في ظ: من (٧-٧) في ظ: ظاهر وسائر (٨) في الأصل: المنفعة، وفي ظ:
 المنفعة - كذا.

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل في أحوال المتصوفة فقد تسنن^١
 بسنن اليهودية ، ومتى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل
 في أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى ، وكذلك^٢ حال المتكلم بين
 الفرقتين لآيهما^٣ مال ، وإنما آتمة الدين الذين^٤ جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام
 ٥ و إيمان أهل الإيمان و شهود أهل الإحسان^٥ ، تلين جلودهم و قلوبهم الى
 ذكر الله فتآتم بهم الصوفية ، و تظهر أنوار قلوبهم على ظلم المتشابهات
 فيآتم بهم أهل الإيمان ، و تبدو في أعمالهم معالم الإسلام تامة فيآتم
 بهم أهل الإسلام ، ”عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا
 خاطبهم الجاهلون قالوا سلما“ ، و أفضل الناس مؤمن في خلق حسن
 ١٠ و شر الناس كافر في خلق سيئ ، فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون
 فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من
 القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره ، و من اقتصر على باطن دون
 ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم ؛ يذكر أن رجلا
 من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها : دلني على موضع
 ١٥ طاهر أصلي فيه ، فقال الراهب : طهر قلبك^٦ بما سواه و قم حيث شئت ،
 قال ذلك الصالح المسلم : فحجبت منه ، فاعلم أن كل واحد من هذين
 الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن ؛ لأن صاحب
 القرآن لا ينجل لهذا القول لأنه حاله ، و قلبه مطهر بما سوى الله ،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لذلك (٣) من ظ ، وفي الأصل : لأنها :

(٤-٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) في ظ : قلب .

ومنع ذلك لا بد أن يتطهّر ظاهره، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن
 فيجب صفاء الباطن فاه الظاهر يجب صلاح الظواهر، فصاحب
 القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجب ولم يتلعم^(١) وإذا دعى إلى
 صلاح ظاهر أجب / ولم يتلكأ^(٢) لقيامه بالفرقان وحق القرآن، يذكر
 ٥٢٥ / أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع
 بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي: يا شيخ! قم فاركع، فقام وركع
 ولم يحتاجه بما يراه مذهبا، فقبل له في ذلك فقال: خشيت أن أكون من الذين
 إذا قتل لهم اركعوا لا يركعون^(٣)، ووقف النبي صلى الله عليه وسلم
 على منقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه أحواضا من شراب
 فضيغ التمر والمسلمون يردون^(٤) عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم، فأهوى
 النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم، فقال له العباس رضي الله
 عنه: يا رسول الله! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية؟ فقال صلى الله
 عليه وسلم: أشرب من هذه ألتمن بركة أيدي المسلمين، فشرب منه
 صلى الله عليه وسلم. فصاحب القرآن يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه
 لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر، ولا على أول
 ١٥ دون آخر ولا على آخر دون أول؛ قال صلى الله عليه وسلم: أمتي كالمنطر
 لا بدري أوله خير أم آخره، فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه
 ويلحظ مواضع مدامة^(٥) للفرق ويزن به أحوال نفسه من هذه الأدبان
 (١) في ظ: لم يتلعم (٢) في ظ: لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٨ (٤) من ظ،
 وفي الأصل: يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يلحق (٧) من ظ، وفي
 الأصل: مدامة.

السته في هذه الأمة، وأما وجه وقوع النفاق وأحوال المنافقين فهي
 داهية القراء وآفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «أكثر منافق أمتي
 قراؤها»، وقال بعض كبار التابعين: أدركت سبعين ممن رأى النبي صلى الله
 عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه. وأصل مداخله على الخلق من
 إثارة حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز وجل واغترارا بالناس،
 فيلزم^١ لذلك محاسنة^٢ أولى البر والصدق ظاهرا وتكرهمهم بقلبه باطنا،
 ويتبع^٣ ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم
 وما بينه^٤ النبي صلى الله عليه وسلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه
 وسلم: «بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما»، وكما
 ١٠ قال تبارك وتعالى: «لا يأتون الصلوة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم
 كرهون»^٥ ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل ويتعamy
 عن محاسنهم، كما روى أن الله يفيض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسينته،
 والمؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل
 المحاسن! ومن أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
 ١٥ مؤمن فيما مضى ولا مؤمن فيما بقى إلا وإلى جنبه منافق يكره عمله، وعن
 ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل في مجامع الخير أجنبي
 منها، مستخف في مواطن الشر متقدم فيها^٦، طلق اللسان بالغيبة والبهتان،
 ثقیل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك وتعالى، عيم عن [ذكر -^٧]

(١) في ظ: يلتزم (٢) في ظ: محاسنة (٣) في ظ: تتبع (٤) من ظ، وفي

الأصل: نه (٥) سورة ٩ آية ٤٤ (٦) في ظ: فيما (٧) زيد من ظ.

الله عز وجل في كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، وهو مع ذلك
 يضاعفهم ولا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع في الدنيا [ولا يأخذ
 ما ينفع في العقبى، ويحتجب في الدين ما يضر في الدنيا - '] ولا يحتجب
 ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياخ النفاق
 في هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آي القرآن من ه
 نفسه في ذات قلبه وفي أحوال نفسه وأعمال بدنه وفي سره مع ربه وفي
 علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصة به حتى
 كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب في أمر رغب هو فيه من وجه
 ولا يقول: هذا إنما أنزل في كذا، وإذا رهب القرآن من أمر رهبه
 من وجه ما، وإذا أعلى فكذلك وإذا أسفل فكذلك، ولا يقول: هذا ١٠
 إنما أنزل في كذا حتى يجد لكل القرآن موقعا في عمله أى عمل كان
 ومحلا في نفسه أى حال كان ومشعرا لقلبه أى ملحظ كان، فيستمع
 القرآن بلاغا من الله سبحانه وتعالى إليه بلا واسطة بينه وبينه، فعند ذلك
 يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده وأقلبه
 انتهاء، وربما يجد من الله سبحانه وتعالى تفتح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥
 التخلق بالقرآن أسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، سئلت عائشة رضى الله
 عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن،
 وبذلك هو ذو الخلق العظيم - والله واسع عليم - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: يحتجب (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) في
 ظ: فيسمع .

ولما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم في التمتع بالعاجل ، وختمتها
 بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهمهم فيما خل
 بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع في الهية ، فقال مقررا
 لخسارتهم : ﴿الم ياتهم﴾ أي هؤلاء الاخايب من أهل النفاق ﴿بنا الذين
 ٥ من قبلهم﴾ أي خبرهم العظيم الذي هو ٢ خدير بالبحث عنه ليعمل بما
 يقتضيه حين غصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿قوم نوح﴾ أي
 في طول أعشارهم و امتداد آثارهم وطيب قوارهم بحتن التمتع في أرضهم
 وديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عضائهم إنسان ؛ [وعظف على
 قوم القيلة فقال - ٤] : ﴿و غاد﴾ أي في قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مضائهم
 ١٠ و بنيانهم و تجبرهم في عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ، لم يبق
 ممن كفر منهم بشر ﴿و نمود ٥﴾ أي في تمكثهم من بلاد الحجر عرضها
 و ظولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة ٥ لم يبق من الكفار منهم ديار
 ﴿و قوم ابراهيم﴾ أي في ملك جميع الأرض بظولها و الغرض ، سلب الله
 منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿و الخشب مدين﴾ أي في جميع الأموال
 ١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص الميزان و المكيال
 فمنهم الله بالنكال ٥ ﴿و الموفكت ٥﴾ أي في إعراضهم عن صيانة أعراضهم
 في اتباع لذات أعراضهم ، فأمرهم فعلهم بعد الحسف عموم انقراضهم .

(١) في ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) في ظ :
 بالرجف (٦) من ظ ، وفي الأصل : جميع (٧-٨) من ظ ، وفي الأصل : المكيال
 و الميزان (٨) زيد في ظ : و لا حصل لدائن قوم .

ولما كان كأنه قيل : ما بنأهم؟ قال : (اتهم رسلكم) أى أتى كل
أمة منهم رسولها (بالدين) أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب
أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم (فإ) أى قسب عن
ذلك أنه ما (كان الله) أى مع ما له من صفات الكمال مريدا
(ليظلمهم) أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار و إنارة البينات ٥
فعل 'من تعدونه' فيما بينكم ظلما، ولكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا
ما أتوهم به من البينات، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم^٢
يقول: ما ظلمهم الله (ولكن كانوا) أى دائما فى طول أعمارهم
(انفسهم) أى لا غيرها (يظلمون) أى بفعل ما يسبب هلاكها،
فان لم ترجعوا أنتم فتحزن نحدركم مثل عذابهم، ولعله خص هؤلاء بالذكر ١٠
من بين بقية^٣ الأمم لما عند العرب من أخبارهم و قرب ديارهم من ديارهم
مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا، و أنبياؤهم؛ أعظم الأنبياء - نبه على
ذلك أبو حيان . ولعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط و هم بعدهم فى
الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من
العذاب بمشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥
كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف، فقوم نوح عليه السلام
لم يمنهم لما أتاهم الماء معقل منيع ولا جبل رفيع مع أنه يقال: إنهم
هم الذين بنوا الأهرامات، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى
(١-٢) من ظ، وفى الأصل: ما يعدونه (٢) فى ظ: زوالهم (٣) من ظ، وفى
الأصل: بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥/ ٦٩، وفى الأصل: أنبيائهم، وفى
ظ: ابنائهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، ومنها ما هو بالطوب التي لتحميمهم منه إن كان نارا، وعاد^١ لما أتتهم الرياح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب وصرعهم في أجواف بيوتهم ، ولم يغنهم ما كانوا يننون من المصانع المثقنة^٢ والقصور المشيدة / والحصون الممنعة ،^٣ وحال ثمود معروف في توسعهم في البيوت جبالا وسهولا فما منعهم^٤ من الصيحة التي أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -]^٥ زعم - إلى السماء فأنى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الرياح رأسه في البحر وخر^٦ عليهم الباقي وهم تحته ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، وأصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، وإن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما

/ ٥٢٧

اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هارين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم ولبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها وبقي عليهم عارها ، وأما قوم^٧ لوط فأتاهم الأمر بغتة ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن رفعت إلى عنان السماء ، واتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، ولعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يملكون على مواضع مدائنهم ويشاهدونها ، وعبر عنهم بالموثقات لأن القصص للنافقين الذين^٨ بنى أمرهم على الكذب وصرف الأمور

(١) في ظ : عادا (٢) في ظ : المثقلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ .

(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) في ظ : خرج (٦) في ظ : بقوم (٧) في ظ : الذي .

عن ظواهرها 'و تقلبها عن وجوها' ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل
النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة
لقلب القول عن وجهه ، و مادة 'إفك' بكل ترتيب تدور على القلب ،
فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفته عنك ،
و أكاف الدابة شبه بالإلقاء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ه
فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما
استبغ من تهديدهم بأهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من
إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف بيان حال المؤمنين ترغيا في التوبة طمعا
في مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنات ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠
﴿ بعضهم أولياء ﴾ و لم يقل : من ، كما قال في المنافقين : من ﴿ بعض ﴾
دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا في أصل الإيمان و لا وافقه بحكم
الهمى ، بل كلهم مصوبون بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله
صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد منهم ، فذلك
دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم في تسليمهم و إذعانهم ، ثم بين ولايتهم ١٥
بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالحى و السهر فقال : ﴿ يأمرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد
و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازة ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : تركيب (٣) من
ظ ، و في الأصل : لا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : مصونون (٦) في ظ : واحد.

[أى - ١] كذلك ﴿عن المنكر﴾ لا يحابون أحدا .

ولما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ويقيمون الصلوة﴾ أى يوجدونها^٢ على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها وشروطها وحدودها مراقبة لهم واستعانة بذلك على جميع ما ينوبهم ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . وذلك مواز لقوله فى المنافقين "و يقبضون ايديهم" ولما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لا ينسون الله طرفه عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ويطيعون الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ورسوله^٣﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

ولما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿اولآئك﴾ أى العطاء الشأن ﴿سيرهم الله^٤﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعده لا خلف فيه ، وهذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين "نسوا الله فسيهم" وهو إشارة إلى أن الطريق وعرو الأمر شديد^٥ عسر ، ١٥ فالسار مضطر إلى الرحمة ، وهى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سبيلها . ولما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاة^٦ وكانت الموالاة^٦ فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(عزيز) أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى
حزبه وأن ينبئه من تمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على
أن يحول بينه وبين شيء من ذلك (حكيم ه) أى فلا يقدر أحد على
نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه، وفي ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون
منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ه
وما معها من حميد الخصال .

ولما ختم الآية بوصف العزة والحكمة المناسب لافتحها بالموالاة
وتعقيها بأية الجهاد، وذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا، أتبعها بما هو
أشد التثام بها يانا للرحمة وتفصيلا لها ترغيبا للمؤمنين بالإنعام عليهم
بكل ما رامه المنافقون بنفاقهم في الحياة الدنيا، وزادهم بأنه دائم، ١٠
وأخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: (وعد الله) أى الصادق الوعد
الذى له الكمال كله (المؤمنين والمؤمنات) أى الراضين في التصديق
بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم (جنت تجري من تحتها الأنهر)
أى فهى لا تزال خضرة ذات بهجة نظرة، ولما كان النعيم لا يكمل
إلا بالدوام، قال: (يخلدين فيها) ولما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥

والدور الفسيحة والمآزل قال: (ومسكن طيبة) ولما كان بعض
الجنان أعلى من بعض، وكان أعلاها [ما - ٢] شرف بوصف العندية
المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: (في جنت عدن) ه
أى إقامة دائمة وهناء وصحة جسم وطيب مقر وموطن ومنبت،

(١) من ظ، وفي الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده في الأصل: في، ولم تكن
الزيادة في ظ لمخالفاتها (٣) زيد من ظ .

وذلك كما قال في حق أضدادهم "عذاب مقيم" وما أنسب ذكر هذه الجنة في سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد في الحديث أنها خاصة بالنيين والصدقين والشهداء . ولما كان ذلك لا يصفو^٢ عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -^١] :
 ٥ (ورضوان) أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التوين -^٢] (من الله) أى الذى لا أعظم منه [عندم -^٢] (اكبر^٣) أى مطلقا ، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل^٢ فوز ، ولا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد ، [وإذا كان القليل منه أكبر فما ظنك ١٠ بالكثير -^٢] .

ولما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم ، قال يصفه زيادة في الترغيب فيه : (ذلك) أى الامر العالى الرتبة (هو) أى خاصة لا غيره (الفوز العظيم^٤) أى الذى يستصغر دونه كل شئ من أمور الدنيا والآخرة ، وفي كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف ١٥ به ترغيب في الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعى الأعظم إلى الموالاة .

ولما ثبتت موالاة المؤمنين ومقاطعتهم للنافقين والكافرين ، وكان ماضى من الترغيب والترهيب كافيا في الإنابة ، وكان من لم يرجع (١) من ظ . وفي الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فظ : عن .

بذلك عظيم الطغيان غريفاً في الكفران، أتبع ذلك الأمر بمجاهدكم بما يليق بعنادهم فقال آمراً لأعظم المتصفين بالأوصاف المذكورة مفخماً لمقداره بأجل أفراد الأمر / بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ أى ٥٢٩ / العالى المقدار بما لا يزال يتجدد له منا من الأنباء وفينا من المعارف؛ ولما كان الجهاد أعرف في المصالحين ، وكانوا أولى به لشدة شكائهم وقوة نفوسهم وعزائمهم بدأ بهم فقال: ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ ﴾ أى المجاهرين ﴿ وَالتَّفَقُّقِينَ ﴾ أى المسارين. كلا بما يليق به من السيف واللسان .

ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعاً على الرفق موصى به ، قال تعالى: ﴿ وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ ﴾ أى [فى الجهادين - ١] ولا تعاملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم فى القعود ، وهذا بخلاف ما مضى ١٠ فى وعيد المنافقين حيث [قدمهم - ١] فقال ” الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ ” قدم فى كل سياق الأليق به ؛ ولما كان المعنى: فانك ظاهر عليهم وقاهر لهم وهم طعام السيف وطوع العصى ، عطف عليه قوله: ﴿ وَمَا وَنَهُمْ ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جَهَنَّمَ ﴾ وبئس المصير .

ولما أتى بالدليل العام على إجرامهم ، أتبعه الدليل الخاص عليه وهو ١٥ أيضاً دليل على الدليل فقال: ﴿ يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ ﴾ أى [الملك الأعلى - ١] الذى لا شئ أعظم منه قدراً ٢ ﴿ مَا قَالُوا ﴾ أى ما وقع منهم قول ، فقصر الفعل تعميماً للفعول إعلالاً بأنهم [مهما عنفوا على قول كائن ما كان بادروا إلى الخلف على نفيه كذباً لأنهم - ١] مردوا على النفاق قطبعوا ٣ بأعلى الكذب ٢

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : قدراً منه (٣-٣) فى ظ : بالكذب .

وَمَرْنُوا عَلَى سَبِيلِ الْإِخْلَاقِ ، فَصَارَ حَاسِلُ هَذَا أَنَّهُمْ اطْمَعُوا فِي الْعَمَلِ
وَحَذَرُوا مِنْ عَذَابِ الْبَاقِينَ بِسَبَبِ إِجْرَامِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ
يَلَامُهُمْ مَقْتَفِينَ آثَارَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي الْإِنْتِهَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ غَيْرِ مَقْلَعِينَ خَوْفًا
مِنْ اللَّهِ أَنْ يَصِيبَهُمْ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُمْ وَلَا رَجَاءَ لَهُ أَنْ يَنْبَلِيَهُمْ بِمَا أَعَدَّ لِلْوَثَمِينَ
٥ مَجْتَرِئِينَ عَلَى الْإِيمَانِ الْبَاطِلَةَ بِأَعْظَمِ الْحَلْفِ عَلَى أَيْ شَيْءٍ فَرَضَ سِوَاهُ كَانَ
يَسْتَحِقُّ الْيَمِينَ أَوْ لَا غَيْرَ خَائِفِينَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَهْتَكُمُ كَمَا هَتَكَ غَيْرُهُمْ مِنْ
فَعَلٍ مِثْلِ أَعْمَالِهِمْ ؛ ثُمَّ دَلَّ عَلَى عَظِيمِ إِجْرَامِهِمْ وَمَا تَضَمَّنَهُ 'قَوْلُهُ' 'الْمُنْفِقُونَ'
وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ' - الْآيَةُ ، مِنْ كِبَارِ آثَامِهِمْ ، وَيَجُوزُ أَنْ
تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ وَاقِعَةً مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِلْآيَةِ الَّتِي قَبْلُهَا بِأَنَّهُمْ بِقَدَمُونَ عَلَى
١٠ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِهِ الْجِهَادَ وَالْغَلْظَةَ وَالنَّارَ مِنَ الْحَلْفِ كَذِبًا عَلَى نَفْسِ كُلِّ
مَا يَنْقُلُ عَنْهُمْ اسْتِخْفَافًا بِاللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ 'اتَّخَذُوا إِيْمَانَهُمْ جُنَّةً' فَتَكُونُ
جَوَابًا لِمَنْ كَانَهُ قَالَ : أَمَّا جِهَادُ الْكُفَّارِ فَالْأَمْرُ بِهِ وَاضِحٌ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُونَ
فَكَيْفَ يَجَاهِدُونَ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلَفْظِ الْإِيمَانِ وَيُظْهِرُونَ أَعْمَالَهُمْ أَهْلَ الْإِسْلَامِ
فَقَالَ : لِأَنَّهُمْ يَحْلِفُونَ (وَلَقَدْ) أَيْ وَ الْحَالُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ لَقَدْ
١٥ (قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) أَيْ الَّذِي لَا أَكْبَرَ فِي الْكُفْرِ مِنْهُ ، وَهُوَ تَكْذِيبُ
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَمَّا كَانَ هَذَا النِّسَاقُ لَصَنَفٍ يَجِدُونَ : الاسْتِخْفَافَ بِاللَّهِ تَعَالَى -

(١-١) فِي ظ : قَوْلُ الْمُنَافِقِينَ (٢) مِنْ ظ ، وَ فِي الْأَصْلِ : يَكُونُ (٣) سُورَةُ ٥٨
و ٦٣ آيَةُ ١٦ وَ ٢ (٤) فِي ظ : يَجِدُونَ .

- بما دل عليه المضارع - كل وقت ، دل على [أن - '] إقرارهم بالإيمان كذب و أفعالهم صور لا حقائق لها ، فعبر بالإسلام فقال : ﴿ وكفروا ﴾ أى أظهروا الكفر ﴿ بعد اسلامهم ﴾ أى بما ظهر من أفعالهم و أقوالهم ، و ذلك غاية الفجور ؛ و لما كان أعلى شغف^٢ الإنسان بشيء أن تحدثه نفسه فيه بما لا يصل إليه ، فيكون ذلك ضربا من الهوس قال : ه ﴿ وهموا بما لم ينالوا ﴾ أى من قتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو إخراجة من المدينة ، فجمعوا بين أنواع الكفر القول و الفعل و الاعتقاد ، و يجوز أن يكون حالا من الضمير في " ماورئهم " و التقدير على هذا : يدخلون جهنم حالفين بالله : ما قالوا كلمة الكفر ، و لقد قالوها ، فيكون كقوله " ثم لم تكن " فنتهم الا ان قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين " . ١٠

و لما بين من أحوالهم التي لا يحمل على فعلها إلا أمر عظيم ، قال :

﴿ وما ﴾ أى قالوا و فعلوا و الحال أنهم ما ﴿ نقموا ﴾ / أى كرهوا شيئا من الأشياء التي أتتهم من الله ﴿ إلا ان اغنهم الله ﴾ أى الذي إليه [جميع - ٤] صفات الكمال و هو غنى عن العالمين ﴿ و رسوله ﴾ أى الذي هو أحق الخلق بأن يحوز عظمة الإضافة إليه سبحانه ، [وكان أدام^٥ هذا ١٥ للنبي صلى الله عليه وسلم و همهم بقتله مع إعطائه لهم ما أغنام بخلاف الآية السابقة^٦ ، فكان الأقدم في ذمهم تأخير قوله - ٤] : ﴿ من فضله ﴾ فهو

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) من ظ ، وفي الأصل : شغف (٣) في ظ : لم يكن ، و راجع سورة ٩ آية ٢٣ (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : عزاهم - كذا (٦) راجع آية ٥٩ من هذه السورة .

من باب : ولا عيب فيهم^١ .

ولما نبه على أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم ، رغبهم بأنه قابل المتاب عليهم ، ورهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله :
 ﴿ فان يتوبوا ﴾ ولما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى معرفة حالهم فيه ، حذف نون الكون اختصاراً تنبيهاً على ذلك فقال :
 ﴿ يك ﴾ أى ذلك ﴿ خيرا لهم ج ﴾ من إصرارهم .

ولما كان للنفوس من أصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، وكان القرآن في وعظه زاجرا مقبولا العتاب عظيم الأخذ بالقلوب والعطف للآلئاب^٢ ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعّل فقال : ﴿ وان يتولوا ﴾ [أى - ٣]
 ١٠ يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب ﴿ يعذبهم الله ﴾ [أى المحيط بكل شيء قدرة وعلما - ٢] بحوله وقوته ﴿ عذابا اليما لا ﴾ أى لا صبر لهم عليه ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بما هم فيه من الخوف والحزى والكلف وغيرها ﴿ والآخره ج ﴾ أى بالعذاب الأكبر الذى لا خلاص لهم منه ﴿ وما لهم فى الارض ﴾ أى التى لا يعرفون غيرها لسفولهم همهم ١٥ ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشفع لهم ﴿ ولا نصيره ﴾ [أى - ٢] ينقذهم ؛ وأما السماء فهم أقل من أن

(١) وهى إشارة إلى هذا البيت :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتائب

(٢) فى ظ : بالآلئاب (٣) يريد من ظ (٤) فى ظ : بسفول (٥) فى ظ : لا والى

(٦) من ظ ، وفى الأصل : الاسماء

يطمعوا منها بشيء ناصر أو غيره وأغلظ أكباداً^١ من أن يرتقى^٢ فكرهم إلى ما لها من العجائب وما بها من الجنود ؛ وسبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل شجرة^٣ فقال : سيأتىكم إنسان ينظر إليكم بعين^٤ شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علام تشتمنى أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فخلفوا بالله : ما قالوا ، فأنزل الله الآية ؛ وقال الكلبي^٥ : نزلت في الجلاس بن سويد ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس^٦ : لئن كان محمد صادقا^٧ لتحن شر من الخير ، [فسمعه عامر بن قيس فقال : ١٠ أجل ، إن محمدا لصادق وأتم شر من الخير - ^٨] ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس ، فقال الجلاس : كذب^٩ على^{١٠} يا رسول الله فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس [عند المنبر - ^{١١}] بعد العصر فخلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب على^{١٢} عامر ، وقام عامر ١٥ فخلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه ، ثم رفع عامر

(١) من ظ ، وموضعه في الأصل بياض (٢) في ظ : ترتقى (٣) من تفسير الطبري ، وفي الأصل : حجرة ، وفي ظ : حجره - كذا (٤) من ظ والطبري ، وفي الأصل : بعين (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ١٠٠/٣ (٦) من ظ ، وفي الأصل : جلاس (٧) في ظ : صادق (٨) زيد من العالم (٩) من ظ والعالم ، وفي الأصل : يكذب .

رضى الله عنه يديه إلى السماء فقال : اللهم ! أنزل على نبيك [تصديق -^١]
الصادق منا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون^٢ : آمين ! فأنزل
جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ " فان يتوبوا يك -
أى التوب - خيرا لهم " فقام الجلاس فقال : يا رسول الله ! أسمع الله
ه قد عرض^٣ على التوبة ، صدق عامر بن قيس فيما قاله ، لقد قلته ، وأنا
أستغفر الله و أتوب إليه ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه
ثم تاب و حسنت توبته . ولا مانع من أن يكون كل ذلك سببا لها
كما تقدم و يأتي ، و الأوفق لها فى السببية الخبر^٤ الأول للتعبير فى الكفر
بـ 'ال' المؤذنة بالكمال ، و من شتم نبينا صلى الله عليه وسلم فقد ارتكب
١٠ كل كفر . وفى الآية دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر^٥ المظهر
للإيمان^٦ - كما قال أبو حيان^٧ و قال : وهو مذهب أبى حنيفة و الشافعى ،
و قال مالك : لا تقبل^٨ ، / فان جاء تائبا من قبل نفسه من قبل أن يعثر
عليه قبلت توبته .

/ ٥٣١

و لما أقام سبحانه الدليل على ما ذكر بهذه الآية التى ختمها بأنه
١٥ أغناهم من فضله ، أتبعها بإقامة الدليل عليها و على أنهم يقبضون أيديهم
و على اجترائهم على أقبح الكذب فقال : (ومنهم من عهد الله) أى
الذى لا أعظم منه (لئن اتسنا) أى من خير ما عنده ، و اعترف بأنه

(١) زيد من العالم (٢) من ظ و العالم ، وفى الأصل : المؤمنين (٣) فى ظ : اعرض .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الكفر (٦) فى ظ : الإيمان (٧) من ظ ، وفى الأصل :
ابن حبان ، وراجع البحر المحيط ٧٤/٥ (٨) من البحر ، وفى الأصل و ظ : لا يقبل .

لاحق لأحد عليه بقوله : ﴿ من فضله ﴾ أى بأى طريق كان من تجارة ،
أو غنيمة أو زراعة أو غيرها ، وأكّد لأنه كاذب يظن^١ أن الناس يكذبونه ،
وهكذا كل كاذب فقال : ﴿ لنصدق ﴾ أى بما^٢ آتانا من غير رياء -
بما يشير إليه الإدغام ﴿ ولنكون ﴾ أى كونا هو الدال على أننا مجبولون
على الخير ﴿ من الصالحين ٥ ﴾ أى لكل خير تندب^٣ إليه ﴿ فلما اتهم ﴾ ٥
وكرر قوله : ﴿ من فضله ﴾ تقريراً لما قاله المعاهد تأكيداً للاعلام
بأنه لاحق عليه لأحد ولا صنع فيما ينعم به ولا قدرة عليه بوجه
﴿ بخلوا به ﴾ أى كذبوا فيما عاهدوا عليه وأكدوه غايبة التأكيد ،
فلم يتصدقوا بل منعوا الحق [الواجب إظهاره فضلاً عن صدقة السر - ١]

﴿ وتولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عن الطاعة لمن تفضل عليهم ١٠
مع معرفتهم بقبح نقض العهد ؛ ولما كان التولى قد يحمل على ما بالجسد
فقط قال : ﴿ وهم معرضون ٥ ﴾ أى بقلوبهم ، والإعراض وصف لهم
لازم لم يتجدد لهم ، بل كان غريزة فيهم ونحن عالمون بها من حين أوقعوا
العهد ؛ قال أبو حيان^٤ : قال الضحاك : هم تبطل بن الحارث و جد بن قيس
ومعتب بن قشير^٥ و ثعلبة^٦ بن حاطب وفيهم نزلت الآية - انتهى . وحسن ١٥

تعقيبها بها أيضاً أن فى الأولى كفران نعمة الغنى من غير عهد ، وفى
هذه كفرانها مع العهد فهو ترقى من الأدنى إلى الأعلى ، ودل على

(١) فى ظ : نظن (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، وفى الأصل : يندب (٤) زيد من
ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ والبحر المحيط
٧٤/٥ ، وفى الأصل : يسير (٨) من البحر ، وفى الأصل و ظ : ثعلب .

عظيم شأن العهد بتعظيم الجزاء على حياته بقوله: ﴿فاعقبهم﴾ أى الله
أو التهادى على البخل جزاء على ذلك ﴿نفاقا﴾ متمكنا ﴿فى قلوبهم﴾
أى بأن لا يزالوا يقولون ما لا يفعلون ﴿الى يوم يلقونه﴾ أى بالموت
عند فوت الفوت ﴿بما آخلفوا الله﴾ أى وهو الملك الأعظم
هـ ﴿ما وعدوه﴾ لأن الجزاء من جنس العمل؛ ولما كان إخلاف
الوعد شديد القباحة، وكان مرتكبه غير متحاش من مطلق الكذب،
قال: ﴿وبما كانوا يكذبون ه﴾ أى يحددون الكذب دائما مع الوعد
و منفكا عنه، فقد استكملوا النفاق: عاهدوا فعدروا و وعدوا فأخلفوا
و حدثوا فكذبوا .

١٠. ولما كانت المعاهدة سببا للاغناء^١ فى الظاهر، وكان ذلك ربما
كان مظنة لأن يتوهم من لا أعلم له أن ذلك لحفاء أمر البواطن عليه
سبحانه، وكان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذى هو أقبح
الأخلاق مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه، كان ذلك أدل
دليل على أنه تعالى أعلم بما فى كل قلب من صاحب ذلك القلب، فعقب
١٥ ذلك بالإنكار على من لا يعلم ذلك و التوبيخ له و التفرير فقال:
﴿الم يعلموا أن الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يعلم سرهم﴾ وهو
ما أخفته صدورهم ﴿ونجوتهم﴾ أى ما فاوض فيه بعضهم بعضا، لا يخفى
عليه شيء منه. ﴿وان الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿علام الغيوب ع﴾
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: اى (٣) فى ظ: اوعدوا (٤) من ظ، و فى الأصل:
للاغناء (٥) من ظ، و فى الأصل: من عليه .

أى كلها، أى ألم يعلموا أنه تعالى لا يتخادع لعلهم بالعواقب فيخشوا^١ عاقبته فيوفوا بعهده، وفائدة الإعطاء مع علمه بالخيانة إقامة الحجة؛ قال أبو حيان: وقرأ على و^٢ أبو عبد الرحمن والحسن "الم تعلموا" بالثاء، وهو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير^٣ - انتهى. وفائدة الالتفات الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هيئ الإيمان .

٥

و لما أخبر تعالى أنه لم يكفهم^٤ كفران^٥ نعمة الغنى من غير / معاهدة
حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة ، أخبر أنه لم يكفهم^٦
أيضا ذلك حتى تعدوه إلى عيب الكرماء الباذلين بصفة جهنم لربهم
ما لم يوجه عليهم ، فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح لجميع ما مضى من
أقسامهم إنهما لا أنهم كلهم كانوا متخلفين بذلك وإن لم يقله إلا بعضهم : ١٠
(الذين يلزون) أى يعيون فى خفاء (المطوعين) أى الذين ليس
عليهم واجب فى أموالهم فهم يتصدقون ويحبون إخفاء صدقاتهم -
بما يشير إليه الإدغام (من المؤمنين) أى الراضين فى الإيمان
(فى الصدقت) ولما كان ما مضى شاملا للوسر والمعر ، نص على
المعر لزيادة فضله وإشارة إلى أن الحث على^٧ قليل الخير كالحث على ١٥
كثيره فقال عاطفا على "المطوعين" : (والذين لا يجدون) أى من
المال (الاجهدهم) أى طاقتهم التى أجهدوا أنفسهم فيها حتى بلغوها .

(١) من ظ ، وفى الأصل : فتخشوا (٢) سقطت الواو من ظ (٣) من ظ
و البحر المحيط ٧٥/هـ ، وفى الأصل : الفقيرة - كذا (٤) من ظ ، وفى الأصل :
لم تكفهم (٥-٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٦) فى ظ : عن .

ولما كان اللمز هو العيب ، وهو ينظر إلى الخفاء كالغمز ، ومادته بكل ترتيب تدور على اللزوم ، والمعنى : يلزمون المطوعين عيا ولا يظهرون ذلك لكل أحد وإنما يتخافتون به فيما بينهم ، وهو يرجع إلى الهزء والسخرية ، سبب عنه قوله : (فيسخرّون منهم)^١ ولما كان لاشيء أعظم للشخص من أن يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه^٢ ، قال : (سخر الله)^٣ أى وهو الذى له الأمر كله ولا أمر لغيره (منهم ذ)^٤ أى جازاهم على فعلهم بأهل حربه ، وزادهم قوله : (ولهم عذاب اليم)^٥ أى بما كانوا يؤلمون القلوب من ذلك وإذا حوققوا عليه دفعوا عن أنفسهم ما يردعهم عنه بالإيمان الكاذبة ؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى مسعود رضى الله عنه ١٠ قال : لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغنى عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فزلت " الذين يلزون " - الآية .

ولما كان صلى الله عليه وسلم معروفا بكثرة الاحتمال و شدة اللين المشير إليه " عفا الله عنك لم اذنت لهم " للبالغة فى استجلايهم والحرص ١٥ على نجاة جميع الخلق فكان معروفا بالاستغفار لهم تارة على وجه الخصوص بسؤالهم عند اعتذارهم وحلفهم [و -] تارة على وجه العموم عند استغفاره لجميع المسلمين^٦ ، أخبره تعالى من عاقبة أمره بما يزهد (١) فى ظ : المز (٢-٣) فى ظ : لشيء (٣) من ظ ، وفى الأصل : ظالم (٤) فى ظ : ابن (٥) فى ظ : فكنا (٦) من ظ ، وفى الأصل : بالاستعذار (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : المؤمنين .

فيهم ليعرض عنهم أصلاً ورأساً، لأنهم تجاوزوا حق الله في ترك الجهاد ومنع الصدقة وحقه صلى الله عليه وسلم في لمزه في الصدقات ووصفه بما يحل عنه إلى حقوق المجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم في أنفسهم وأهلهم وأموالهم مع ما سبق^١ في عمله للتناقضين [من - ٢] أنه لا يغفر لهم فقال: ﴿ استغفر ﴾ أى اطلب^٢ الغفران ﴿ لهم او لا تستغفر لهم^٣ ﴾ ٥
أى استوى في أمرهم استغفاركم لهم وتركه ﴿ ان تستغفر ﴾ أى تسأل الغفران ﴿ لهم سبعين مرة ﴾ أى على سبيل الحقيقة أو المبالغة ؛ ولما كان الإخبار باستواء الأمرين : الاستغفار وتركه ربما* كان مسيئاً عن الغفران وربما كان مسيئاً عن الخسران ، عينه في هذا الثاني فقال : ﴿ فلن يغفر الله ﴾ أى الذى قضى بشقائهم وهو الذى لا يرد^٤ أمره ﴿ لهم^٥ ﴾ وهو يحتمل ١٠
أن يكون جواباً للأمر ، وجواب الشرط محذوف لدلالته عليه ، والمراد بالسبعين على ما ظهر فى المآل المبالغة فى أنه لا يغفر لهم لشيء من الأشياء ولو غفر لهم لشيء لكان لقبول شفاعته نبيه صلى الله عليه وسلم ، والعرب تبلغ بما فيه لفظ السبعة لأنها غاية^٦ مستقصاة جامعة لأكثر / أقسام العدد ، ٥٣٣ /
وهى تمة عدد الخلق كالسماوات والأرض والبحار والأقاليم والأعضاء . ١٥
ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على رشدكم ونفعهم،

- (١) زيد بعده فى الأصل : لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : طلب (٤) من ظ و القرآن العظيم ، وقد سقط من الأصل .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : بما (٦) فى الأصل : لا يراد ، وفى ظ : لا يرد .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : تمانية .

وكان حقيقة نظم الآية التخيير في الاستغفار وتركه ونفي المغفرة بالاستغفار
بالعدد المحصور في سبعين ، [١ - جعل صلى الله عليه وسلم الآية مقيدة
لما في سورة المنفقين - ٢] فاستغفر^٢ لابن أبي [وصلى عليه وقام على
قبره - ١] وصرح بأنه لو يعلم أنه لو زاد على السبعين قبل لزيد ،
٥ واستعظم عمر رضى الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم وشرع يمسكه
بثوبه ويقول : أتصلى عليه وقد نهاك الله عن ذلك ! لأنه لم يفهم من
الآية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين ، وأما النبي صلى الله عليه وسلم
فرأى التمسك بالحقيقة لما في الرق بالخليفة من جميل الطريقة ، بتحصيل
الاتلاف الواقع للخلاف وغيره من الفوائد وجليل العوائد ، ولذلك

١٠ كان عمر رضى الله عنه يقول لما نزل النهى الصريح : فعجبت بعد من
جراتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى تفتنت^٥ بعد هذا الصريح
أن ذلك الأول كان محتملاً وإلا لأنكر الله الصلاة عليه ، وفى موافقة الله
تعالى لعمر رضى الله عنه [منقبة شريفة له ، وقد وافقه الله تعالى مع هذا
في أشياء كثيرة ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما
١٥ قال : لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه - ١]

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قيصة يكفن فيه أباه
فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ؛ وفى رواية فى اللباس : فأعطاه قيصة
وقال : إذا فرغت فأذننا ، فلما فرغ آذنه فجاء ؛ وفى رواية : فقام رسول الله صلى الله

(١) زيد من ظ (٢) راجع آية ٦ (٣) من ظ ، وفى الأصل : استغفر (٤) من ظ ،
وفى الأصل : الطريق (٥) فى ظ : تيقظت .

عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه! فقال رسول الله عليه وسلم: إنما خيرني الله فقال: "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة" وسأزيده على السبعين؛ وفي رواية: لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له^١ لزدت عليها، قال: إنه منافق، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأنزل الله عز وجل "ولا تصل على أحد منهم مات أبدا [ولا تقم على قبره -] - إلى: وهم فسقون" فترك الصلاة عليهم، قال: فعجبت بعد من جرائتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم؛ وله في أواخر الجهاد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يوم بدر أتى بالأسارى^{١٠} وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فظفر النبي صلى الله عليه وسلم قيصا فوجدوا قيص عبد الله بن أبي يقدر عليه^٢ فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قيصه الذي ألبسه، قال ابن عيينة: كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد فأحب أن يكافئه، وفي رواية عنه في اللباس أنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي بعد^{١٥} ما أدخل قبره فأمر به فأخرج ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قيصه - انتهى . فكأن ابنه رضي الله عنه استحي من أن يؤذن النبي صلى الله عليه وسلم به لما كان يعلم من ثقافته، أو آذنه صلى الله عليه وسلم به فصادف منه شغلا فدفعه فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) في ظ: لهم (٢) زيد من ظ وصحيح البخاري (٣) سقط من ظ (٤) في

ظ: به (٥ - ٥) سقط ما بين الرقعين من ظ .

بعد^١ إدخاله القبر و قبل تمام الدفن فأخرجه تطيباً لحاظر ابنه الرجل الصالح و دفعاً لما قد يتوهمه من إحنة عليه و تأليفاً لغيره، فقد روى أنه قال صلى الله عليه وسلم: إني أؤمل من الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه^٢ طلب الاستشفاء ٥ ثوب النبي صلى الله عليه وسلم، ففي بعض الروايات أنه هو الذي طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قيصره، و تعطفه^٣ عليه، ادعى إلى تراحم المسلمين و تعاطف^٤ بعضهم على بعض، و قوله: و ألبسه / قيصره - بالواو لا ينافي الرواية الأولى، و تحمل^٥ الرواية الأولى على أنه وعده إعطاء القميص لما نزع كان من التجيز وقت السؤال، فحمل ١٠ الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجهم من القبر - و الله أعلم؛ ووردت هذه الآية على طريق الجواب لمن كأنه قال: ما تقدم من أحوال المنافقين كان^٦ انتهاكاً لحرمة الله أو لحق الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يرد فيه أنه يهينهم بالإماتة^٧ على النفاق، فكان يكفي فيه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم^٨، و أما هذان القسمان فأحدهما ١٥ أخبر بأنه يمتهم منافقين، و الثاني انتهك حرمة المخلصين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فهل ينفعهم الاستغفار لهم؟ فكانه قيل: استوى الاستغفار و عدمه في أنه لا ينفعهم، و ختمها بعلّة عدم المغفرة في قوله:

(١) في ظ: قبل (٢) في ظ: راو (٣) في ظ: تعطيه (٤) في ظ: عطف (٥) من ظ، و في الأصل: يحمل (٦) زيد بعده في الأصل: لما، و لم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) من ظ، و في الأصل: بالاثابة (٨) سقط من ظ.

(ذلك) أى الأمر الذى يعد فعله من الحليم الكريم (بأنهم كفروا بالله) أى وهو الملك الأعظم (ورسوله^١) أى فهم لا يستأهلون الغفران لأنهم لم يهتدوا لإصرارهم على الفسق وهو معنى قائم بهم فى الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم فى الاقتصار على السبعين (والله) أى المحيط علما وقدرة (لا يهدى القوم الفاسقين^٢) أى أنه^٣ لا يهديهم [لأنه - ٢] ٥ جلبهم على الفسق ، وكل من لا يهديه لأنه جلبه على الفسق لا يغفر له ، فهو لا يغفر لهم لما علم منهم بما لا يعلمه غيره ، فهو تمهيد لعذر النبي صلى الله عليه وسلم فى استغفاره قبل العلم بالطبع الذى لا يمكن معه رجوع .

ولما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم ، وأنى بالظاهر موضع المضمرة إشارة إلى اتصافهم به وتعليقا للحكم بالوصف ، علل رسوخهم ١٠ فى الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم^٤ كالجسد الواحد بقوله : (فرح المخلفون) أى الذين وقع تخليفهم باذنك لهم وكرامة الله لانبئانهم (بمقدمهم) أى قعودهم عن غزوة تبوك ، ولعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون بدلالته^٥ على الفرح أعظم دلالة على الفرح بالموضع ، وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٥ وأظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة فى تهجين ما رضوا به لأنفسهم ، وزاده تهجينا أيضا بقوله : (خلف) أى بعد [و - ٢] خلف أو^٦ لاجل خلاف (رسول الله) أى الملك الأعظم الذى من

(١) فى ظ : الحكيم (٢) فى ظ : انهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فهو (٥) من ظ ، وفى الأصل : دلالة (٦) فى ظ : أى .

تخلف عن حربه هلك ﴿وكرهوا أن يجاهدوا﴾ .
 ولما كان هذا في سياق الأموال تارة بالرضى بنبيلها والسخط
 بحرمانها، و^١ تارة بقبض اليد عن بذلها، و تارة بالاستمتاع^٢ بالخلاف
 الذى هو النصيب أعم من أن يكون بالمال أو النفس، و تارة بعيب الباذلين
 ٥ وغير ذلك من شأنها قدم قوله^٣: ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ على قوله:
 ﴿فى سبيل الله﴾ أى طريق الملك الذى له صفات الكمال، لأنه ليس
 فيهم باعث الإيمان و داعى الإيقان^٤ الذى بعث المؤمنين، و دل ذلك
 على عراقتهم فى الفسق بأن الإنسان قد يفعل المعصية و يحزن على فعلها
 وهؤلاء سروا بها مع ما فيها من الدناءة، و قد يسر الإنسان بالمعصية
 ١٠ ولا يكره أن يكون بذلها أو معها طاعة وهؤلاء ضموا إلى سرورهم بها
 كراهية الطاعة، و قد يكره ولا ينهى غيره وهؤلاء جمعوا إلى ذلك
 كله نهى غيرهم، ففعلوا ذلك كله ﴿وقالوا﴾ أى لغیرهم ﴿لا تنفروا
 فى الحر﴾ بعدا من الإسلام وعمى عن سيد الأحكام، لأن غزوة
 تبوك [كانت - °] فى شدة الحر .

١٥ ولما كان هذا قول من لم تخطر الآخرة على باله، أمره تعالى
 أن يحذر من يصغى إليهم أو يقبل عليهم بقوله: ﴿قل﴾ [أى - °]
 يا أعلم بخلقنا^٥ استجهالاً لهم ﴿نار جهنم﴾ / أى التى أعدها الله لمن
 خالف أمره ﴿أشد حرا﴾ و لفت الكلام إلى الغيبة يدل على أن

١٥٣٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الاستماع (٣) من ظ، وفى الأصل: له (٤) من
 ظ، وفى الأصل: الاتقان (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: خلقنا .

أعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المؤمنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا في اللحم فقال تعالى: ﴿لو كانوا﴾ أى المنافقون ﴿يفقهون﴾ أى لو كان بهم فهم يعلمون به صدق الرسول و قدرة مرسله على ما^١ توعده به لعلوا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرامته، لأن من فر من حرساة إلى حر^٢ الأبد كان أجهل الجاهل؛ وقال أبو حيان^٣: لما ذكر تعالى هـ ما ظهر من النفاق والهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه، يعنى^٤ فى قوله^٥ "فرح المخلفون" - انتهى . فتكون الآية حيثند جوابا لمن كأنه قال: هذه أحوال من خرج فما حال من قعد؟ وقد خرج بما^٦ فى هذه الآية من الأوصاف كعب بن مالك و رفيقه رضى الله عنهم ونحوهم ممن لم يفرح بالقعود ١٠ ولا اتصف بما ذكر معه من أوصافهم .

و لما كان غاية السرور الضحك، وكان اللازم لهم فى الآخرة البكاء فى دار الشقاء الذى هو غاية الحزن لهم، فيها زفير و شهيق وهم يصطرخون فيها، قال تعالى مهددا لهم مسيئا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا فى صورة الامر إيدانا بأنه أمر لا بد من وقوعه: ﴿فليضحكوا قليلا﴾ أى فليستمتعوا^٦ ١٥ فى هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذى غاية السرور به الضحك - يسيرا، فانها دار قلعة و زوال و ازعاج و ارتحال ﴿وليكنوا كثيرا﴾ أى فى نار جهنم التى أغفلوا ذكر حرورها و أهملوا الالتقاء من شديد سعيها^٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: احر (٣) راجع البحر المحيط ٥ / ٧٨ و ٧٩ .

(٤-٥) فى ظ: بقوله (٥) فى ظ: ما (٦) فى ظ: فليستمتعوا (٧) من ظ، وفى

الأصل: سعيه .

بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقيق
(جزاء بما كانوا يكسبون) أى من الفرح بالمعاصي و السرور
بالشهوات و الانهماك في اللذات .

و لما كان السرور بشيء الكاره لصدده الناهى عنه لا يفعل الضد
٥ إلا تكلفا و لا قلب له ، إليه و كان هذا الدين مبنيًا على العزة و الغنى ،
أتبع ذلك بقوله مسييا عن فرحهم بالتخلف : (فان رجعت الله)
أى الملك الذى له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا
(الى طائفة منهم) [أى - ٢] و هم الذين يمد الله في أعمارهم إلى أن
ترجع إليهم ، و هذا يدل على أنه أهلك سبحانه في غيبته بعضهم ،
١٠ فاردت الخروج إلى سفر آخر (فاستاذنوك) أى طلبوا أن تأذن
لهم (للخروج) أى معك في سفرك ذلك (فقل) عقوبة لهم و غنى
عنهم و عزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علما من
أعلام النبوة و برهانا من براهين الرسالة (لن تخرجوا معي أبدا) أى
في سفر من الأسفار لأن الله قد أغناى عنكم و أحوجكم إلى (و لن تقاتلوا)
١٥ معي عدوا (لأنكم جعلتم أنفسكم في عداد ربات الحجال و لا تصلحون
لقتال) و التقييد بالمعية كما يؤذن باستثقالهم يخرج ما كان بعده صلى الله
عليه و سلم مع أصحابه^٦ رضى الله عنهم من سفرهم و قتالهم^٧ .

(١) في ظ : متينا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : ياذن (٤) في ظ :
هذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : لن يقاتلوا .
(٧) زيد في ظ : في قتالهم (٨) من ظ ، وفي الأصل : قتا - كذا .

ولما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ انكم رضىتم بالقيود ﴾ أى عن التشرف بمصا حتى ؛ ولما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان والكفران وغيرهما قال : ﴿ اول مرة ﴾ أى فى غزوة تبوك ، ومن فاتنا يكفيه أنا نقوته ؛ قال أبو حيان :
فعلل بالمسبب وهو الرضى الناشئ عن السبب وهو النفاق - انتهى . ٥

ولما أنهى الحكم والعلة ، سبب عنه قوله : ﴿ فاقعدوا مع الخلفين ٥ ﴾

أى الذين رضوا لانفسهم بهذا / الوصف الذى من جملة معانيه : الفاسد
فهم لا يصلحون لجهاد ولا يلقون^٢ أبدا فى مواطن الابداد ، وقال بعضهم :
المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر فى غزوة تبوك ، أو النساء والصبيان
أو أدنياء الناس أو المخالفون أو المرضى أو الزمنى أو أهل الفساد ، و الأولى ١٠
الحمل على الجميع ، أى^٢ لأن المراد تبكيتهم وتوينهم . ولما أتم سبحانه
الكلام فى الاستغفار وتعليله إلى أن ختم باهانة المتخلفين ، و كان القتل
المسبب عن الجهاد سببا لترك الصلاة على^٥ الشهيد تشريفا له ، جعل الموت
الواقع فى القعود المرضى به عن الجهاد سببا لترك الصلاة إهانة لذلك
القاعد ، فقال عاطفا على ما أفهمت جملة : " استغفر لهم^٦ او لا تستغفر لهم^٦ " - ١٥
الآية ، من نحو : فلا تستغفر^٦ لهم أصلا : ﴿ ولا تصل ﴾ أى الصلاة الى
شرعت لتشريف المصل عليه والشفاعة فيه ﴿ على احد منهم ﴾ ثم وصف
(١) راجع النهر من البحر المحيط ٨٠/٥ (٢) فى ظ : يلتفتون (٣) فى ظ : او (٤) فى
ظ : تم (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) فى ظ :
فلا يستغفر .

الاحد بقوله: ﴿ مات ﴾ وقوله: ﴿ ابدا ﴾ متعلق بالنهي لا بالموت
 ﴿ ولا تقم على قبره ﴾ أى لأن قيامك رحمة و هم غير أهل لها ،
 ثم علل ذلك بقوله: ﴿ انهم كفروا بالله ﴾ أى الذى له العظمة كلها
 . [ولما كان الموت على الكفر مانعا من الصلاة على الميت بجميع معانيها
 ٥ لم يحتاج إلى التأكيد باعادة الجار فقليل - ١] : ﴿ ورسوله ﴾ أى الذى
 هو أعظم الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة ، والمعنى أنهم
 اعظم ما ارتكبوا من ذلك لم يهدم الله فاستمروا على الضلالة حتى
 ماتوا على صفة من وقع النهى على الاستغفار لهم المشار إليها بقوله
 ” والله لا يهدي القوم الفسقين “ وذلك المراد من قوله معبرا بالماضى
 ١٠ والمعنى على المضارع تحقيقا للخبر وأنه واقع لا محالة : ﴿ وماتوا وهم ﴾
 أى والحال أنهم بضائرهم وظواهرهم ﴿ فسقون ٥ ﴾ أى غريقون
 فى الفسق .

ولما كان ابن أبى سبب النهى عن الاستغفار لهم ، وكان ابنه
 عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين وخلص المحسنين [و - ١] كان
 ١٥ لبعض المنافقين أبناء مثله ، وكان من طبع البشر أن يذكر فى كثير من
 مقاله غلظا ما يندم عليه ، وكان شديد الوقوف لما حف به من العلائق
 البدنية وشمله من العوائق بالآوهام النفسانية مع أوهامه وعوائقه قاصرا
 على قيوده وعلائقه ، فكان لإعادة الكلام وتكريره وترديده ومزيد
 تقريره تأكيد فى النفوس وتعزية و تثبيت فى القلوب ، كرر آية الإعجاب

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ : خواطرهم (٤) فى ظ : سببا فى .
 (٥) زيد فى ظ : ابن (٦) زيدت الواو من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : منها .

هذه الأسباب لأن^١ يكون حكمها على بال من الخطاب لا ينسأه
 الاعتقاد أن^٢ العمل به مهم جدا يفقر إلى فضل عناية ، وأن ذلك شبيه
 بما أم صاحبه فهو يتكلم فيه ثم ينتقل إلى غيره لغرض^٣ صحيح ثم يرجع
 إليه في أثناء حديثه لشدة اهتمامه به تنبيهها على ذلك ، ولا يرجع إليه
 إلا على غاية ما يكون من حسن^٤ الربط و براعة التاسب ، وعطفها بالواو دون ه
 الفاء لأن ذلك ليس مسيئاً عما قبله كما سبق في الآية الأولى ، أى لا تستغفر لهم
 ولا تصل عليهم ولا يعجبك قولهم^٥ مستغفرين لك في طلب محبتك وإن
 زخرفوه وأكدوه بالإيمان التي اتخذوها جنة (ولا تعجبك أموالهم)
 وأسند^٦ النهي إليها إبلاغا فيه .

ولما لم يكن هنا ما اقتضى تأكيد النفي مما مضى في الآية الأولى^٧ ، ١٠
 لم بعد الثاني ولا أثبت اللام ولا الحياة فقال^٨ : (وأولادهم) أى
 وإن أظهروا أنهم يجاهدون بها معك ويتقربون بها إلى الله^٩ فإن الله^{١٠}
 لا يريد بهم ذلك فلا يسره لهم لما [علم - ١١] من مبادعتهم للخير
 وعدم قابليتهم [له - ١٢] فلا يحملك^{١٣} الإعجاب بشيء من ذلك على
 فعل شيء مما تقدم النهي عنه تأليفاً لأمثالهم^{١٤} "للساعدة بأولادهم وأموالهم" ١٥

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا (٢-٢) في ظ : لا اعتنا ذلك - كذا (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : الغرض (٤) في ظ : احسن (٥) في ظ : قوله (٦) من ظ ، وفي
 الأصل : اشتد (٧) راجع آية هـ (٨) من ظ ، وفي الأصل : وقال (٩-٩) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) في ظ : فلا يحملك (١٢) من ظ ،
 وفي الأصل : لاسلامهم (١٣) في ظ : أولادهم .

و تطيبا لقلوب المؤمنين من أولادهم ، فانهم إن كانوا مؤمنين لم يضرهم ترك ذلك و إلا فبعدا لهم و سحقا ﴿ انما يريد الله ﴾ أى بعزه و عظمته و علمه و إحاطته ﴿ ان يعذبهم ﴾ / أى تعذيبهم ﴿ بها ﴾ فالفعل واقع بخلافه فى الآية السابقة ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بجمعها و بحجة الإخلاق إليها و إلى الأولاد إن كانوا مثلهم فى الاعتقاد و إلا كانوا زيادة عذاب لهم ه فى الدارين ﴿ و تزهق ﴾ أى تخرج بغاية العسر ﴿ انفسهم و هم ﴾ لا غترارهم بها ﴿ كفرون ه ﴾ و لاشك أن خطاب الرأس بشئ أرفع فى قلوب أصحابه فلذلك وقع الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم و المراد غيره من أتباعه و جماعته و أشياعه من قد ينجح إلى الأسباب و يقف ١٠ عندها كما هو طبع النفوس فى تأمل ما شهد و نسيان ما غاب و عهد تدريبا لهم على الحب فى الله و البغض فيه لأنه من أدق أبواب الدين فهما و أجلها قدرا ، و عليه تبتنى غالب أبوابه ، و منه تجتنى أكثر ممراته و آدابه ، و ذلك أنه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا أنه من الناجين فيؤاذه^٢ لحسن قوله غافلا عن سوء فعله ، أو يظن أن أهل الدين فقراء ١٥ إلى مساعدته لهم فى جهاد أو غيره^٣ بماله و ذويه^٤ روية فيداريه ، فأعلمهم تعالى أن ما هذا سبيله مقطوع البركة نهيا عن النظر إلى الصور و تنديها على قصر الأنظار على المعانى ” قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك كثرة الخبيث “ - الآية ” و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : فيها (٢) من ظ ، وفى الأصل : فيؤاذه (٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : بمال و رروية (٤) سورة . آية ١٠٠ .

تسمع لقولهم^١ .

ولما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون في الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد ولا استئذان، بل يكتبون بما سبق من عموم الحث عليه والندب^٢ إليه فيأدرون^٣ إليه الطرف ولا يحاذرون الخفف^٤. وأن من المناققين من يستأذن في الجهاد جاءلا^٥ استئذانه فيه بابا للاستئذان ه في التخلف عنه، و منهم من يصرح بالاستئذان في القعود ابتداء من غير تستر، وعقب ذلك بالنهاي عن الإعجاب بأموالهم وأولادهم ثم مر في ذكر أقسامهم وما لزمهم من فضائحهم وآثامهم. إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هي لقتلتهم لا لرحمتهم، ولحمتهم لا لمنحتهم، أتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد، ولا يتوصلون إلى دار المعاد، ١٠ فقال عاطفا على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم^٦ لا يفعلون بها خيرا ولا يكسبون أجرا، أو بانيا حالا من الكاف في "تعجبك": (واذا أنزلت سورة) أي وقع^٧ إزال قطعة من القرآن.

ولما كان الإنزال يدل على^٨ المنزل حتما، فسر به بقوله: (ان آمنوا بالله) أي الذي له الكمال كله (وجاهدوا) أي أوقفوا الجهاد (مع رسوله استاذنك) ١٥ أي في التخلف من لا عذر له وهم (ارلوا الطول) أي أهل الفضل

(١) سورة ٦٢ آية ٤١ (٢) في ظ: الندم (٣) من ظ، وفي الأصل: فيتأدرون. (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: الحيف (٦) في ظ: عاجلا (٧) في ظ: لا انهم (٨) في ظ: قطع (٩) زيد بعده في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها.

من الأموال و السعة و الثروة في غالب الأحوال ﴿منهم﴾ و خصهم بالذكر لأن الذم لهم ألزم و لا سيما بعد سماع القرآن، و يجوز أن يكون معطوفا على خبر 'ان' في قوله "ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله" هذا مع ما تضمن استئذانهم من ردائل الاخلاق و دنايا الهمم المحكى بقوله: ﴿و قالوا ذرنا﴾ أى اتركنا و لو على حالة سيئة ﴿نكن﴾ أى بما يوافق جبلاتنا ﴿مع القعدين﴾ أى بالعذر المتضمن - لاسيما مع التعبير بذرنا الذى مادته تدور على ما يكره دون 'دعنا' - لما استأنف به أو بين من قوله: ﴿رضوا بان يكونوا﴾ أى كونا كأنه جلة لهم ﴿مع الخواف﴾ أى النساء ﴿وطبع﴾ أى و وقع الطبع المانع ١٠ ﴿على قلوبهم﴾ أى حتى رضا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون في عداد المخدرات بما هو عار في الدنيا و نار في العقبى . و لما أيهم فاعل الطبع، نقي دقيق العلم فقال: ﴿فهم﴾ أى بسبب هذا الطبع ﴿لا يفقهون﴾ أى لا فقه لهم يعرفون به ما في الجهاد من العز و السعادة في الدارين، و ما في التخلف من الشقاء و العار فلذلك ١٥ / ٥٣٨ لا يجاهدون، فلا شيء أضر / من هذه الأموال و الأولاد التى أبعدت عن الممادح و ألزمت المذام و القوادح، فقد اكتفت آية الأموال في أول القصة و آخرها ما يدل على مضمونها .

و لما افتتح القصة بمدح المتقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك و ذكر ما أعد لهم فقال [معلما - ٢] بالغنى عنهم

(١) في الأصل وظ : بعدد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : على (٤) زيد من ظ .

من هو الخير المحض تبكيثا لهم و تقريرا: ﴿لكن الرسول﴾ أى و الذى بعثه لرد العباد عن الفساد إلى السداد ﴿و الذين آمنوا﴾ أى إيمانا عظيما كاتنا أو كاتنين ﴿معه﴾ أى مصاحبين له ذاتا و حالا فى جميع ما أرسلناه إليهم^١ به ﴿جاهدوا باموالهم و انفسهم^٢﴾ أى بذلوا كلا من ذلك فى حبه صلى الله عليه وسلم فتحققوا بشرط الإيمان و 'لكن' واقعة موقعها بين ه متافين لأن ما مضى من حالهم كله ناطق بأنهم لم يجاهدوا .

ولما كان السياق ليلهم بالنفس و المال،^٢ و لسلب النفع من أموالهم و أولادهم، اقتصر فى مدح أوليائه على الجهاد بالنفس و المال^٢ و لم يذكر السيل و قال: ﴿اولئك﴾ [دالا -^٢] على أنه معطوف على ما تقديره: فأولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون، و قوله: ١٥ ﴿لهم﴾ أى لا غيرهم ﴿الخيرت ذ﴾ تعريض بذوى الأموال من المناققين لأن الخير يطلق على المال و تحليته ب'ال' تدل على استغراقه لجميع منافع الدارين، و التعبير بأداة البعد إشارة إلى علو مقام أوليائه و بعد مناله إلا بفضل منه تعالى، و كذا التعريض بهم بقوله: ﴿واولئك هم﴾ أى خاصة ﴿المفلحون ه﴾ أى الفائزون بجميع مرادهم، لا غيرهم؛ ثم بين ١٥ الإفلاح الأعظم بقوله: ﴿اعد الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿لهم﴾ أى الآن لينعمهم بها بعد موتهم و انتقالهم من هذه الدار التى هى معدن الاكدار ﴿جنت تجري﴾ أى دائما ﴿من تحتها﴾ أى مع قربها ﴿الانهر﴾ ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال: ﴿تخلدين فيها^٣﴾ ثم رغب فيها بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الامر العالى الرتبة ﴿الفوز العظيم ع﴾ أى لا غيره . ٢٠

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ .

ولما حتم قصص أهل المدر بدماء إلى الطول منهم تخلفهم ، وكان
 ذمهم^١ إنما هو لكونهم قادرين على الخروج في ذلك الوجه ، وقدمهم لكثرته
 سماعهم للحكمة . . كان أهل الور أقدر الناس على السفر لأن مبي أمرهم
 على الحل والارتحال . فهم أجدر بالذم لأنهم في غاية الاستعداد لذلك .
 ٥ تلامهم^٢ بهم فقال : ﴿ وجاء المعذرون ﴾ أي المبالغون في إثبات الحفايا
 من الأعذار المانعة لهم من الجهاد - بما أشار إليه الإدغام ، و حقيقة المعذر
 أن يتوهم ان له عذرا ولا عذر له ، و العذر^٣ : إيساع الحيلة في وجه يدفع
 ما ظهر من التقصير ﴿ من الاعراب ﴾ قيل : هم رهط عامر بن الطفيل من
 بني عامر ، وقيل : أسد و غطفان ، وقيل : رهط من غفار ﴿ ليؤذن ﴾
 ١٠ أي ليقع^٤ الإذن من أي آذن كان في تخلفهم عن الغزو ﴿ لهم ﴾ أي
 فاعتذروا بما كذبوا فيه وقعدوا عن الغزو معك ، هكذا كان الأصل فوضع
 موضعه : ﴿ وقعد الذين كذبوا الله ﴾ أي و هو المحيط علما و قدرة
 ﴿ ورسوله ﴾ تنبيها على وصفهم وليكون أظهر في شمول الاعراب وغيرهم .
 ولما كان منهم المحتوم بكفره و غيره قال : ﴿ سيصيب ﴾ أي بوعد
 ١٥ لا خلف فيه ﴿ الذين كفروا ﴾ أي حتم بكفرهم ﴿ منهم عذاب اليم^٥ ﴾
 أي في الدارين .

ولما كان من القاعدين من أهل المدر والور من له عذر ، استثناهم
 سبحانه و ساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال :

(١) في ظ : ذنبهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : بدهم - كذا (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : العذاب - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : ابن (٥) في ظ : يقع .

(ليس على الضعفاء) أى بنحو الهرم^١ (ولا على المرضى) أى بنحو الحمى والرمد (ولا على الذين لا يجدون) ولو بدین يؤدونه فى المستقبل (ما ينفقون) أى لحاجتهم وفقيرهم (خرج) أى إثم يميل بهم عن الصراط المستقيم ويخرج دينهم .

ولما كان ربما [كان - ٢] أحد من المناققين بهذه الصفة احترز هـ

عنه بقوله: (إذا نصحوا) أى فى تخلفهم وجميع أحوالهم (لله) أى الذى له الجلال والإكرام (ورسوله^٣) أى سرا^٢ وعلائية، فانهم حينئذ محسنون فى نصحتهم الذى منه تحسروهم على القعود على هذا الوجه

وعزمهم على الخروج متى / قدروا، وقوله: (ما على المحسنين) فى ٥٣٩/

موضع 'ما عليهم' لبيان إحسانهم بنصحتهم مع عذرهم (من سيل^٤) ١٠ أى طريق إلى ذمهم أو لومهم، والجملة كلها بيان لـ "نصحو الله ورسوله"، وقوله: (والله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى محاء للذنوب (رحيم^٥) أى محسن مجمل إشارة إلى أن الإنسان محل التقصير والعجز وإن اجتهد، فلا يسهه إلا العفو؛ ثم عطف على ذلك قوله: (ولا على الذين إذا) وأكد^٦ المعنى بقوله: (ما أتوك) أى ١٥ ولم يأتوا بغير قصدك راغبين فى الجهاد معك (لتحملهم) وهم لا يجدون محلا (قلت) أى أتوك قائلا أو حال قولك، "وقد" مضمرة^٧ كما قالوا فى "حصرت صدورهم"^٨ (لا أجد ما) أى شيئا (أحملكم عليه^٩)

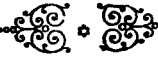
(١) فى ظ: هرم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: سر (٤) من ظ، وفى الأصل: عن (٥-هـ) من ظ، وفى الأصل: عطف على ذلك (٦) فى ظ: كذا (٧-٧) من ظ، وفى الأصل: قدم ضميره - كذا (٨) سورة ٤ آية ٩٠ .

و أجاب "إذا" بقوله [و يجوز أن يكون استثناء و "قلت" هو الجواب -^١]
 ﴿تولوا﴾ أى عن سماع هذا القول منك ﴿واعينهم تفيض﴾ أى
 تمتلئ^٢ فقسيل، وإسناد الفيض إليها أبلغ من حيث أنها جعلت كلها دمعاً :
 ثم بين الفاض بقوله : ﴿من الدمع﴾ أى دمعاً ، والأصل : يفيض
 دمعها ، ثم علل فيضها^٣ بقوله : ﴿حزنا﴾ ثم علل حزنها^٤ بقوله :
 ﴿الايحدوا﴾ أى لعدم وجدانهم ﴿ما ينفقون﴾^٥ فحزنها في الحقيقة
 على فوات مرافقتك و الكون في حزبك ، وهذه قصة البكائين صرح^٦
 بها وإن كانوا داخلين في "الذين لا يحدون" إظهاراً لشرفهم و تقريراً
 لأن الناصح - وإن اجتهد - لا غنى له عن العفو حيث بين أنهم - مع
 ١٠. اجتهدهم في تحصيل الأسباب و تحسروا عند فواتها بما أفاض^٧ أعينهم -
 من^٨ لا سبيل عليه أو من لا حرج عليه المغفور له .

ولما نفي السبيل عن وصفه^٩ كر على ذم من اتقى عنه هذا^{١٠} الوصف
 فقال تعالى : ﴿انما السبيل﴾ أى^{١١} باللوم وغيره ﴿على الذين يستاذنونك﴾
 أى يطلبون إذنك في التخلف عنك راغبين فيه ﴿وهم اغنياء﴾ أى
 ١٥. فلا عذر لهم في التخلف عنك وعدم مواساتك ، وتضمن قوله تعالى مستأنفاً :
 ﴿رضوا بان يكونوا﴾ أى كونا كأنه جلة لهم^{١٢} ﴿مع الخوالم﴾^{١٣} اتقاء^{١٤}

(١) زيد ما بين الحجازين من ظ (٢) من ظ : وفي الأصل : تميل (٣) في ظ :
 فيضه (٤) من ظ ، وفي الأصل : خرج (٥) زيد بعده في ظ : من (٦) في ظ :
 بما (٧) من ظ ، وفي الأصل : وصف (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفي
 الأصل : انتفى .

الضعف و المرض عنهم من حيث أنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم ذلك أنه لا علة لهم سواه، وأفهم أيضا أن كل من كان كذلك كان مثلهم ولو أنه ضعيف أو مريض، وكرر ذكر الخوالب تكريرا ليعيهم برضاهم بالكون في عداد^١ النساء إذ^٢ كان ذلك من أعظم المعايب عند العرب، وسمى الفاعل للطبع حيث حذفه من الأولى؛ ولما ذكره، عظم الأمر. هـ
فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى مطلق العلم فقال عاطفا على "رضا":
(وطبع الله) أى الذى له القدرة الكاملة^٣ و العلم المحيط (على قلوبهم) ثم سبب عن^٤ ذلك الرضى و الطبع قوله: (فهم لا يعلمون) أى لا علم لهم فلذلك جهلوا^٥ ما فى الجهاد من منافع الدارين لهم^٦ فلذلك رضا بما لا يرضى^٧ به عاقل، وهو أبلغ من نفى الفقه فى الأولى، وزاد المناسبة ١٠
حسنا ضم الأعراب فى هذه الآيات إلى أهل الحاضرة وهم بعيدون من الفقه جديرون بعدم^٨ العلم.



(١) فى ظ : عدد (٢) من ظ : وفى الأصل : إذا (٣) سقط من ظ (٤-٥) تأخر فى الأصل عن « و الطبع قوله » والترتيب من ظ (٥) فى ظ : حملوا (٦-٧) فى ظ : لم يرض (٧) فى ظ : يعلم .

خاتمة الطبع

تم بمنة تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثامن من تفسير "نظم الدرر
في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن
إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الخميس العشرين من
شوال ١٣٩٤ هـ = ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م ، تحت مراقبة مدير الدائرة
و عميدها "أفضل العلماء" روفسور السيد عبد الوهاب البخاري - أبقاه الله
لخدمة العلم و الدين !

وقد غنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران
الأعظمي العمري (الحامل شهادة "أفضل العلماء" من جامعة مدراس)
حفظه الله !

و اعتنى بتصحيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله
له و لوالديه !

و يليه الجزء التاسع إن شاء الله تعالى و أوله : ثم شرع ينجز عن
أشياء . . و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ،
و هو المسؤول لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه ،
سيدنا و مولانا محمد وآله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

(١٤٤)

٥٧٦